المدهش

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي



بعناية

عبد الكريم محمد منير تتان

خلدون عبد العزيز مخلوطة

المجلد الثاني

دار القلم
دمشق


المدهش
المجلد الثاني



الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



المدهش

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

بعناية

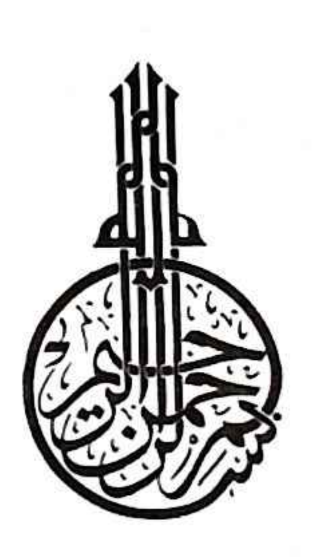
عبد الكريم محمد منير تتان

خلدون عبد العزيز مخلوطة

المجلد الثاني

دار القلم

دمشق



الفصل الحادي والأربعون

ما هذا الحب للدنيا والصَّبابـة؟! وإنّما يكفي منها صُبابَـة[١]، فقل للنفـس الحريصةِ: قد بِعْتِ الأُخرى رَخيصةً.

يا نفسُ ما الدَّهرُ إلا ما عَلِمْتِ فكم	أليسَ[٢] حدثتِني أني أتوبُ فَلَمْ
إياكِ إياكِ مِنْ (سوفَ) فكم خَدَعتْ	وأهلكتْ أُمماً مِنْ قبلها وأُمَمْ
توبي يكنْ لكِ عندَ الله نُزُلُ[٣] تُقى	وقَدِّمي من فَعالِ الصالحين قَدَمْ
يا راقدَ الليلِ قد نادى المشيبُ بِهِ	الآن كُنْ خائفاً لا تقعُدَنَّ وَقُمْ

يا مَنْ قَد أخذَ الهوى بأزِمَّتِهِ[٤]، وأمسك الردى بِلِمَّتِهِ[٥]، يا رهينَ ديونٍ تعلّقت في ذمته، هذا أوان جَدِّكَ إنْ كنتَ مُجداً، هذا زمانُ استعدادك إن كنت مُسْتعدّاً.

(للشريف الرضي)[٦]:

يا نفسُ قد عزَّ المرادُ فخذي	إن كنتِ يوماً تأخذين أوْ ذَري
نُهزَةُ مَجدٍ كنتُ في طِلابها	لمثلها يَنصُفُ ساقي مئزَري
عُمْرُ الفتى شبابُه وإنّما	آوِنَةُ الشيبِ انقضاءُ العُمُرِ

رُضْ مُهْرَ النفسِ، يهن[٧] ركوبُه، أَمِتْ زئبقَ الطبع يُمْكِنِ استعماله، تلمَّحْ

---

(١) صبابة: بقية الماء في الإناء.
(٢) في (ب): ألست.
(٣) في (ب): جاه.
(٤) أزِمّته: جمع زِمام: وهو مِقود الدابة.
(٥) لِمتهِ: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذنين، فإذا بلغ المنكبين فهي جُمّة.
(٦) قاله مفتخراً. انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٧٥.
(٧) في (ب): يتأت.

فجرَ الأجر يَهُنْ ظلامُ التكليف، احذر حَيّة الفم[1] فإنها بتراء[2]، إذا خرجَتْ من شَفَةِ غدرِك لفظةُ سفَهٍ، فلا تُلْحِقْها بمثلها تُلْقِحْها، ونسلُ الخصام مذمومٌ، أوْثِقْ سَبْعَ غَضَبِك بسلسلةِ حِلْمِك، فإنّه إن أُفْلِتَ أَتْلفَ، متى قمتَ بِحدَّةِ الغضبِ انطفأ مصباحُ الحلمِ، بحرُ الهوى إذا ما مدَّ أغرقَ، وأخوفُ المنافذِ من الغَرَق فتحةُ البصر، فلا تشتغل زمانَ الزيادة إلا بإحكام القُرْدَحِ[3].

والمــرءُ مــا دامَ ذا عَيْــنٍ يقلّبُهــا	في أعين العِينْ[4] موقوفٌ على الخَطَرِ
يَســرُّ مُقلتَــه مــا ضــرَّ مُهْجتَــه	لا مـرحباً بسـرورٍ عـادَ بـالضـررِ

لو حضرتَ مع الأحباب البابَ، لسامحَ الناقدُ بِبَهْرَجِك، رحَلَتْ رِفقةُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، ومطرودُ النوم في حَبْس الرُّقاد، فما فكَّ عنه السجّان قيدَ الكَرى حتى استقرّ بالقوم المنزل، فقام يتلمّحُ الآثارَ بباب الكوفة، والأحبابُ قد وصلوا إلى الكعبة.

(لصُرَّدُرَّ)[5]:

مَــنْ يطّلــعُ شَــرَفــاً فيعلــمَ لــي	هــل روَّحَ الــرُّغيــانُ بــالإبــلِ؟
أم قَعْقَعَــتْ عُمُــدُ الخِيــامِ أم ار	تفعــتْ قِبــابُهــمُ علــى البُــزْلِ؟
أم غــرّدَ الحــادي بقــافيــةٍ	منهــا غُــرابُ البيــنِ يَسْتَمْلــي؟
فَضَلَتْ دُموعي على مَدَى حَزَني	فبكيــتُ مَــنْ قَتَــلَ الهــوى قبلــي
مــا مــرَّ ذو شَجَــنٍ يكَتِّمُــه	إلا أقــول: متيّــمٌ مثلــي

من أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يُولّيه.

---

(١) حية الفم: كناية عن اللسان.

(٢) بتراء: يقال: الأبتر من الحيات قصير الذنب لا يراه أحد إلا فرّ منه، ولا تبصره حامل إلا أسقطت، يقال له: الشيطان، وسمي أبتر لقصر ذنبه كأنه بتر منه.

(٣) القُرْدَح: ضرب من البُرد؛ أي الثياب، والقُردحة: الإقرار على الضيم والصبر على الذل، وقد أوصى عبد الله بن خازم بنيه عند موته فقال: يا بني إذا أصابتكم خُطةٌ لا تُطيقون وقعها فقردحوا لها.

(٤) العين: جمع عيناء؛ وهي واسعة العين.

(٥) قاله لبعض الرؤساء. انظر: الديوان، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

الزهادُ عينُ العارفين. الأرواح في الأشباحِ كالأطيار في الأبراج، وليس ما أُعِدَّ للاستفراخ كما هُيئ للسِّباق. مَنْ حَدَّقَ بعينِ الفكر إلى مطلعِ الهُدى لاحَ له الهلال. كم أداوي بصرَ بصيرتك وما يَنْجلي. ما أظنُّ الضعفَ إلا في الوضع. ضَعْفُ عينِ الخُفَّاشِ ليس برمد، وحِدَّةُ ناظرِ الهدهدِ خِلقةٌ. مصابيحُ القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥]. وحَّدَ قُسٌّ[(١)] وما رأى الرسولَ ﷺ، وكفر ابنُ أُبَـيٍّ[(٢)] وقد صلّى معه.

مع الضَّبِّ رِيٌّ يكفيه، ولا ماء، وكم مِنْ عطشانَ في اللُّجَّةِ.

إذا سبق الإنعام في القِدَم فذلك غِنَى الأبدِ. لمّا تقدَّمَ اختيارُ الطينِ المنهبطِ صعدَ على النار المرتفعة، وكانت الغلبةُ لآدمَ في حربِ إبليسَ، فاكتفت جهنّمُ بما جرى فسلّمت يوم «**جُزْ يا مؤمنُ**»[(٣)]. سبق العلمُ بنبوة موسى، وإيمانِ آسيةَ فسيق تابوتُه إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أم، إلى امرأة خالية من ولد «قرينان مرتعنا واحد».

دخل الرسولُ ﷺ إلى بيت يهودي يعودُه فقال له: «**أسْلِم**»، فنظر المريضُ إلى أبيه فقال له: أجب أبا القاسم، فأسلم[(٤)]، فكان ذلك قريباً من نسبِ «**سلمانُ منا**»[(٥)]، فصاحت ألسنة المخالفين: ما لمحمد ولنا؟ والقدرُ يقول: مريضنا عندكم (كيف انصرافيَ ولي في داركم شُغُلُ).

لمَّا عمَّ نور النبوةِ آفاق الهدى، رآه سلمانُ دونَ العَمِّ[(٦)]، قَويت ظلماتُ

---

(١) **قُس بن ساعدة الإيادي**: أسقف نجران، وكان أحد حكماء العرب.

(٢) **عبد الله بن أبي ابن سلول**: رأس المنافقين، حالف اليهود في المدينة، وناصب النبي ﷺ العداء، وكاد للدعوة ما استطاع، ومن أفاعيله: رجوعه بثلاثمئة من أتباعه تخذيلاً للمسلمين يوم خرج بهم الرسولُ ﷺ إلى أُحد.

(٣) جزء من حديث: «**تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمنُ فقد أطفأ نورُك لهبي**» رواه الطبراني في (الكبير)، وأبو نعيم في (الحلية).

(٤) وتمامه: فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**» رواه البخاري عن أنس.

(٥) رواه الطبراني والحاكم بلفظ: «**سلمانُ منا أهلَ البيت**».

(٦) أي: أبو لهب.

الشركِ بمكة، فتخبّطتْ قريشٌ في الضلالِ، فلاحَ مصباحُ الفلاحِ من سُجُفِ دار الخَيْزُرَان[1]، فإذا عمر على الباب، ولقد أنارت لإبليس شمس البيان يوم ﴿ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣]، غير أنّ النّهارَ ليلٌ عند الأعشى.

رجعَ الخُفَّاشُ إلى عُشِّه، فقال: أوقدوا المصباحَ فقد جُنَّ الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، فقال: ارحموا مَنْ طلوعُ الشمس عندَهُ ليلٌ، فسبحانَ من أعطى ومنع، ولا يقال: لمَ صنع؟.

سُلَّمُ التوفيقِ قريبُ المراقي، وبئرُ الخُذْلانِ بلا قعر، ربما أدركَ الوَقْفَةَ أهلُ مصر، وفات سكانَ نَخْلَةَ[2]، لا بدَّ واللهِ من نفوذِ القضاءِ فاجنَحْ للسِّلْم.

بيـــنَ الحطيـــمِ وزمـــزمٍ والحِجْـــرِ والحَجَـــرِ المُقَبَّـــلْ
للعـــاشقيـــنَ مـــن الهـــوى أبـــداً مصـــارعُ ليـــسَ تُجْهَـــلْ
كـــم بـــالمُحَصَّـــبِ مِـــنْ عليـــلِ هـــوًى طـــريـــحٍ لا يُعَلَّـــلْ
وقتيـــلِ بَيْـــنٍ بيـــنَ خَيْـــفِ منًـــى وجَمْـــعٍ ليـــسَ يَعْقِـــلْ

كيف تتقي نبالَ القدرِ والقلبُ بين أصبعين؟![3].

لا تَغْضَبَـــنَّ علـــى قـــومٍ تُحِبهـــمُ فليس يُنْجيك من أحبابك الغضبُ
ولا تخـاصِمْهُـمُ يـومـاً إذا حكمـوا إنَّ القضـاةَ إذا مـا خُـوْصِمُـوا غَلَبَـوا

كان إبليسُ كالبلدة العامرة، فوقَعَت فيها صاعقة الطردِ، فهلك أهلُها ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ [النمل: ٥٢].

مَـــنْ لـــم يكـــنْ للـــوصـــالِ أهـــلاً فكـــلُّ إحســـانِـــه ذنـــوبُ

أُخِذَ كساءُ تَرَهُّبه[4]، فَجُعِل جِلاًّ لكلبِ أهلِ الكهفِ، فأخذَ المسكينُ في

(١) دار بمكة بنتها الخيزران أم هارون الرشيد، ويشير بها إلى دار فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها.
(٢) نخلة: بطن نخلة موضع بين مكة والطائف.
(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف شاء».
(٤) إشارة إلى تعبد إبليس مع الملائكة قبل الطرد.

عداوة آدمَ فكم بالغَ واجتهد! وأبى اللهُ أن يقعَ في البئرِ إلا مَنْ حَفَر، ويحك ما ذنبُ آدم؟! أنتَ الجاني على نفسك، ولكنه غيظ الأسير على القِدِّ[١].

لقي إبليسُ عمرَ بن الخطاب فصارعه فصرعَهُ عمر، فقال بلسان الحال: أنا مقتولٌ بلسانِ الخذلانِ قبل لقائك «فإياكَ عنّي لا يكن بك ما بيا»، يا عمرُ أنتَ الذي كنتَ في زمانِ الخطابِ لا تعرفُ البابَ، وأنا الذي كنتُ في سُدَّة السيادة وأتباعي الملائكة، فوصل منشور ﴿لَا يُسْئَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فعزلني وولّاك، فكن على حذَرٍ من تحوُّلِ الحال.

فإنَّ الحُسامَ الصقيلَ الذي ... قُتِلتُ به في يدِ القاتلِ

لمَّا تمكّنت معرفةُ عمر بتقليب القلوب، لعبَ القلقُ بقلبه، خوفاً من قَلْبِه[٢] فبادرَ بطرق باب البريد بالعزل والولاية، يا حذيفةُ! يا حذيفةُ![٣] المحنة العظمى ارتباطُ أمرِك بمن لا يُبالي بهَلاكِك، فكمْ قد أهلكَ قَبلَك مثلك، كم مُشارفٍ بسفينةِ عملِه على شاطئْ النجاة ضربها خَرْقُ الخذلان فغرقت! وما بقي للسلامة إلا باع أو ذِراع، أي تصرفٍ بقيَ لك في قلبك وهو بين إصبعين؟!.

يا قلبُ إلامَ تطالبُني ... بلِقا الأحبابِ وقد رَحلوا
أرسلتُكَ في طلبي لَهُمُ ... لتعودَ فَضِعتَ وما حَصَلوا
سلِّمْ واصْبِرْ واخضَعْ لهمُ ... كمْ مِثلُكَ قبلَكَ قد قَتَلوا
ما أحسنَ ما عَلَّقتَ بهم ... آمالَكَ منهم لو فعلوا

* * *

---

(١) القد: السير الذي يقيد به المحبوس.

(٢) قلبه: انقلابه.

(٣) يشير إلى تعرضه إلى حذيفة بن اليمان أمين سرِّ الرسول ﷺ ليسأله عن حاله.

الفصل الثاني والأربعون

يا مَنْ قد أسره الهوى فما يستطيع فِكاكاً، أَفِقْ قبل الوهى(١)، وها [هو](٢) قد أدركك إدراكاً، قبل أن لا ينفعَ البكاءُ الباكي، ولا التباكي مَنْ تباكى.

(لأبي العتاهية)(٣):

بَليتَ وما تَبْلَى ثيابُ صِباكا ... كفاكَ نذيرُ الشيبِ(٤) فيكَ كفاكا

ألم ترَ أنَّ الشيبَ قد قام ناعياً ... مقامَ الشبابِ الغضِّ ثم نَعاكا

ولم ترَ يوماً مرَّ إلا كأنّه ... بإهلاكه للهالكين عَناكا(٥)

ألا أيُّها الفاني وقد حان حَيْنُه(٦) ... أَتَطْمَعُ أن تَبْقى فلَستَ هُناكا

تَسَمَّعْ ودَعْ مَنْ أفسدَ الغيُّ سَمْعَهُ ... كأني بداعٍ قد أتى فدَعاكا

وربَّ أمانٍ للفتى نَصَبَتْ له ... المَنيَّةُ فيما بينهنّ شِرَاكا(٧)

أراكَ وما تنفكُّ تهدي جَنَازةً ... ويوشكُ أن تُهدى كذاك لذاكا

ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... وينساكَ مَنْ خلّفتَه هو ذاكا

ألا ليت شِعري كيف أنت إذا القُوَى ... وَهَتْ(٨) وإذا الكربُ الشديدُ عَلاكا

تموتُ كما ماتَ الذين نسِيتَهم ... وتُنْسَى ويهوى الحيُّ بعدَ هواكا(٩)

---

(١) الوهى: الضعف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) لا توجد هذه القصيدة بكاملها في الديوان. انظر: ديوان شعره، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٤) في الديوان: (كفاك من اللهو المضرِّ كفاكا).

(٥) عناك: قصدك.

(٦) حينه: هلاكه.

(٧) شراك: ما ينصب للصيد.

(٨) وَهَتْ: ضعفت.

(٩) في الديوان: (وتُنسى وتهوى العِرسُ بعدُ سواكا).

كأنَّ خطوبَ الدَّهرِ لم تجرِ ساعةً عليكَ إذا الخطبُ الجليلُ أتاكا
ترى الأرضَ كم فيها رُهونٌ دفينةٌ غَلِقْنَ فلم يُقبلْ لهنَّ فكاكا

كم سكَنَ قبلَك في هذه الدارِ، فحامَ الموتُ حولَ حِماهُم ودارَ، ثم ناهضهم[١] سريعاً وثار، كأنّه وليٌّ يطلب الثار، وقد خوَّفَك بأخذِ الصديق وسَلْبِ الجار، ومن أَنْذَر قبل هجومه فما جارَ[٢].

يا هذا! العمرُ عمرٌ قليلٌ، وقد مضى أكثرُه بالتعليلِ، وأنتَ تُعرِّضُ البقيةَ للتأويل، وقد آن أنْ يرحلَ النزيلُ، ما أرخصَ ما يباعُ عمرُك، وما أغفلك عن الشَّرا[٣]، والله ما بَيعُ أخوةِ يوسفَ يوسفَ بثمنٍ بَخْس[٤]، أعجبُ من بيعك نفسَك بمعصيةِ ساعةٍ.

متى ينتهي الفسادُ؟! متى يَرْعَوي الفؤادُ؟!.

يا مسافراً بلا زاد، لا راحلةَ ولا جواد، يا زارعاً وقد آن الحصاد، يا طائراً بالموت يُصاد، يا بَهْرجَ[٥] البضاعةِ أين الجيادُ؟ يا مُصابَ الذنوبِ أين الحِدَادُ؟ لو عرفتَ المُصابَ فَرشْتَ الرّمادَ، لو رأيتَ سوادَ السِّرِّ لَبِستَ السَّوادَ، جسمُك في وادٍ وقلبُكَ في وادٍ، نُثِرَ الدُّرُّ لديكَ وما تنتقي، وقُرِّبَتِ المراقي إليك وما ترتقي، لقد ضَيَّعتَ ما مضى، وشرعْتَ فيما بقي، يا واقفاً في الماء الغَمْرِ[٦] وما يستقي.

إنْ قلتُ: قُمْ قال: رجلي ما تطاوعني أو قلتُ: خذْ قال: كفِّي ما تواتيني

واعجباً لنفاسةِ نَفْسٍ رُفِعَتْ بسجودِ المَلَكِ لها[٧]، كيف نزلَتْ بالخِسَّةِ حتى زاحمتْ كلابَ الشَّرَهِ على مزابلِ الذُّلِّ، هيهات! لنْ تُفْلحَ الأُسْدُ إذا أُنْفِقَتْ عليها المَيْتاتُ الفُسْدُ.

---

(١) ناهضهم: قاومهم وناصبهم العداء.
(٢) جار: ظلم.
(٣) الشَّرا: أي الشراء، أي شراء العمر بالعمل الصالح.
(٤) بخس: ناقص.
(٥) بهرج: مزيف.
(٦) الغَمر: الكثير.
(٧) يشير إلى سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام.

يا هذا! جسدُكَ كالناقةِ يحملُ راكبَ القلبِ، فلا تجعلِ القلبَ مستخدَماً في عَلَفِ الراحلة، تالله إنَّ جوهرَ معناك يتَظَلَّمُ من سوءِ فِعلِكَ، لأنَّكَ قد ألقيتَه في مزابلِ الذُّلِّ، ماءُ حياتِك في ساقية عمرك قد اغدودقَ[1]، فهو يسيلُ ضائعاً إلى مهاوي الهوى، ويَنْسَرِبُ في أسْرابِ البطالة، فقد امتلأت به خِرْبات[2] الجهلِ، ومزابلُ التفريط، وشَرِبَتْهُ أدغالُ[3] الغفلات.

ويحك! ارْدُدْهُ إلى مزارعِ التقوى، لعلّهُ يحدق[4] نَوْرَ حديقةٍ، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغَفْلةِ؟! متى تأتي تباشيرُ الصّباحِ؟!.

هـلِ الـدَّهـرُ يـومـاً بـوصْـلٍ يجـودُ ... وأيـامُنـا بـاللِّـوى هـل تَعـودُ
زمـانٌ تَقضَّـى وعيـشٌ مضَـى ... بِنَفْسـيَ - والله - تلـك العهُـودُ
ألا قُـلْ لسكـانِ وادي العقيـقِ ... هنيئـاً لكـم فـي الجِنـان الخلـودُ
أفيضـوا علينـا مـن المـاء فَيضـاً ... فنحـنُ عَطَـاشـى وأنتـم وُرود

لمَّا سَبقَ الاختيارُ لأقوامٍ في القِدمِ، جُذِبوا بعد الزَلَقِ في هوّةِ الهوى إلى نَجوة[5] النجاة.

يا (عمر)! كيف كانت حالكَ؟ قال: كنتُ مشغولاً بِهُبَلَ، فسمعتُ هتافَ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فعرّجتُ على المنادي، فإذا أنا في دار الخَيْزُران.

يا (فضيلُ)! مَنْ أنت؟ قال: أُخِذْتُ مِنْ قَطْعِ الطريق[6]، فأَخَذْتُ في قطْعِ الطريق[7].

---

(١) **اغدودق**: من الغَدَق: الكثرة.
(٢) **خِربات**: جمع خِرْبة: المكان الخَرِب.
(٣) **أدغالُ**: جمع دغل: وهو الشجر الكثيف الملتف الذي يُتوارى فيه للختل والغيلة.
(٤) **يحدق**: يحيط.
(٥) **النجوة**: المرتفع من الأرض، يقال: هو بنجوة من هذا الأمر، أي: بعيدٌ عنه، بريءٌ سالم.
(٦) **قطع الطريق**: يشير إلى حاله قبل التوبة حيث كان ممن يقطعون الطريق ويغيرون على الناس.
(٧) **الطريق**: طريق السير إلى الله سبحانه وتعالى، وقطعه بالسير فيه يطويه ويحقق مقاماته فيه.

يا (عتبةُ الغلام)[١]! مَنْ أنت؟ قال: كنتُ عبدَ الهوى، فحضرتُ مجلسَ عبدِ الواحد، فصرتُ عبداً للواحد.

يا (سَبْتِيُّ)[٢]! مَنْ أنت؟ قال: كنتُ ابنَ الرشيدِ، فعرض لي رأيٌ رشيد، فإذا عزمي قد أخَذَ المُرَّ ومَرَّ.

يا (ابن أدهمَ)! مَنْ أنت؟ قال: أخذني حُبُّهُ من مَنْظرتي[٣]، فصيَّرَني ناطورَ البساتين.

يا (رابعةُ)! من أنتِ؟ قالتْ: كنتُ أضرِبُ بالعودِ فما سَمِعَ غيري[٤].

بـالله يـا ريـحَ الصَّبـا مُـرِّي علـى تلـك الـرُّبـا
وَبلِّغـي رسـالـةً بِنَصِّهـا أهـلَ قُبـا
واحَـرَبـاً وهـل يُـرِدُّ فـائتـاً وَاحَـرَبـا

يا طفلاً في حِجْرِ العادة محصوراً بقِماطِ[٥] الهوى! ما لكَ ومزاحمةَ الرجال؟ تمسكتَ بالدِّنيارِ تمسكَ المُرضَعِ بالظِّئْرِ[٦]، والقومُ ما أعاروها الطَّرْفَ[٧]، ما لك والمحبةَ وأنت أسير حَبّة؟ كم بينَك وبينهم؟ وهل تدري أين هم؟.

سـلامٌ علـى تلـك المعـاهـد إنَّهـا شـريعـةُ وِرْدي أو مَهَـبُّ شَمـالـي
ليـالـيَ لـم نَحْـذَرْ حَـزونَ قطيعـةٍ ولَـمْ نمشِ إلا فـي سُهـولِ وِصـالِ

---

(١) عتبة الغلام: هو عتبة بن أَبان بن صَمْعة، وإنما سمي بالغلام لِجِدِّه واجتهاده، لا لصغر سنة كما جاء في صفة الصفوة: ٣/ ٣٧٠.
(٢) سبتي: أحد العباد. وستأتي له ترجمة في آخر الكتاب.
(٣) منظرتي: المكان من البيتِ الذي يعدُّ لاستقبال الزائرين؛ إشارة إلى إمارته وملكه.
(٤) كأن هناك جملة، بها يتضح المعنى، وهي: «كنت أضرب بالعود، فنوديت أن إلينا عودي، فما سمع غيري، أو فما سمع غيري أن إلينا عودي: أي ارجعي» واستجابت تائبة.
(٥) القماط: قمطه: شدّ يديه ورجليه، كما يفعل بالصبي في المهد، والقماط: الخرقة تلف على الصبي.
(٦) الظئر: المرضعة لولد غيرها.
(٧) ما أعاروها الطرف: الطرف: العين، وما أعاروها: ما التفتوا ولا اهتموا.

فقد صِرْتُ أرْضى من سواكِنِ أرضِها بِخُلَّبِ[1] بَرْقٍ أو بطيْفِ خَيال

سار القومُ ورَجعتَ، ووصلوا وانْقَطَعْتَ، وذهبوا وبقيتَ، فإن لم تلحقهم شَقِيتَ.

لبسَ البياضَ بذات عِرْقٍ معشرٌ ولبستُ من حُزْنٍ ثيابَ سوادِ
وصلوا إلى عرفاتَ يبغون الرِّضا وبقيتُ منقطعاً بِبَطْنِ الوادي
رفعوا أكفَّهمُ وضجَّوا بالدُّعا وضمَمْتُ مِنْ كَمَدٍ يدي بفؤادي

يا مَنْ كلما استقامَ عثر! يا من كلّما تَقَرَّبَ أَبْعد، استسلمْ مع التوبة، واستَروِح إلى دوام البكاء، وصِحْ بصوت القلق على باب دار الأسف.

ليسَ لي فيكَ حيلةٌ غيرَ صَبْري على القَضا
وبكائي على الوِصال الذي كان وانقضى
ليتني تُبتُ توبةً وقضى الله ما قضى

* * *

(١) خلب برق: البرق الخلب: المطمِعُ المخلِف، وفي حديث الاستسقاء: «**اللهمَّ سقيا غير خلَّبٍ برقُها**» أي: خال من المطر، والخلب: السحاب يومض برقه حتى يُرجى مطره، ثم يُخْلف وينقشع، وكأنه من الخلابة: وهي الخداع بالقول اللطيف.

الفصل الثالث والأربعون

يا هذا! من اجتهدَ وجدَّ وَجَد، ليس مَن سَهِرَ كمن رَقَد، والفضائلُ تحتاجُ إلى وثبةِ أَسَد.

(لمهيار)[1]:

خــاطِــرْ فــإمّــا عِيْشَــةٌ حُـرّةٌ ... يُـرْغِـدُهـا العزُّ وإمـا الحِمـامْ[2]
زاحِـمْ على بـابِ العُلـى واجتهـدْ ... لا بـدَّ أنْ تـدخُـلَ بيـن الـزحـامْ
رَامِ بهـا الليــلَ فمــا يُسفِـرُ ... الصبــاحُ إلا عــن نقــابِ الظّــلامْ
مُــوَارقـاً عــن عُقْــلِ أشطــانِهـا ... مـروقَ فَـوْقِ السهـم عـنْ قـوسِ رامْ
ميِّــزْ مــن النّــاس علـى ظهـرهـا ... نفسَـك لا ميـزةَ تحـت الـرجـام[3]
مَــنْ طلــبَ الغـايــةَ خَطْـواً علـى ... ظهـرِ الهـوينـا رامَ صعـبَ المـرامْ

لقد رضيتَ الغَبْنَ الغَبَن[4]، وبعتَ عُمُركَ بأقلِّ ثَمن، وأنفقتَ فيما يُرديكَ الزمنَ، وفترتَ في الصحة ولا فتور الزَّمِن[5]، يا مغروراً بخضراء الدِّمَن![6] يا جامعاً مانعاً قُلْ لي لِمَنْ؟ كيف ينال الفضائلَ مستريحُ البدن، سِلَعُ المعالي غالياتُ الثمن، وإنْ ساومتَها فبِزُهْدِ أُويسٍ وفقهِ الحسن.

يا هذا! أوقدْ مصباحَ الفكر في بيت العلمِ تَلُحْ لك الأعلامُ. مَنْ سدَّ ثُغورَ الهوى بجُندِ الجدِّ ملأ عينَ راحته من نومِ الطمأنينة. من دقَّ صراطُ ورعِه عن

---

(١) من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣١٨ ـ ٣٢٢.
(٢) **الحمام**: الموت.
(٣) في الديوان: «احتشام»، وفي (أ): «بينا ترى المرء على ظهرها * حيّاً تراه في بطون الرجام». والرجام: جمع رجم، وهو القبر.
(٤) **الغبْن**: من غبنه غبناً: غلبه ونقصه. **الغبَن**: من غبن غبناً نقص وضعف.
(٥) **الزَّمِن**: من أقعده المرض، أو هو المبتلى بآفة بيّنة.
(٦) **الدِّمَن**: جمع دمنة، وهي آثار الدار وما اختلط من البعر والطين. ويريد هنا ما يبدو من زينة الدنيا ولذائذها.

الشبهات، عَرُض الصراطُ له يوم الجواز. لله دَرُّ أقوامٍ تأملوا الوجود ففهموا المقصود، فالنَّاسُ في رقادهم وهم في جَمْعِ زادهم، والخلائق في غرورهم، وعيونهم إلى قبورهم.

قال (**الإمام أحمد**): لقد رأيتُ قوماً صالحين، رأيت (**عبد الله بن إدريس**) وعليه جبةٌ من لُبُود[1] قد أتت عليها سنون، رأيت (**أبا داود الحفري**) وعليه جبةٌ مخرّقة قد خرجَ منها القطنُ وهو يصلي فيترنَّح من الجوع، ورأيت (**أيوبَ النجار**) وقد خرجَ مِنْ كلِّ ما يملكه. وكان في المسجد شابٌّ مُصْفَرّ يقال له: (**العَوْفي**)، يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي.

إذا ما الخيامُ البيضُ لاحتْ لدى مِنًى ... فعَــرِّجْ فــإنّــا بعــدَهــا بقليــلِ
ترانا لدى الأطنابِ صَرْعى من الهوى ... نُكَفْكِــفُ دمعــاً لافتقــادِ خليــلِ
وكــم أنَّــةٍ أردَفْتُهــا بتنفُّــسٍ ... وكــم عَبْــرةٍ أَتبعْتُهــا بعــويــلِ
قفــوا وانظـروا ذُلِّـي وعـزَّ معـذِّبـي ... تــروا عجبــاً مــن قــاتــلٍ وقتيــلِ

عَمِلتْ في قلوبهم معاولُ الحزنِ مِعًى[2]، وأَنْبطَتْ[3] من كل رَكِيَّةٍ[4] رَكِيَّةَ ماءِ أسًى، فجرى من طَرَفِ طَرْفَيْن[5] ماءٌ، فجرى وَسَخا[6]، فغسل وسخاً.

قد كنتُ أطوي على الوَجْدِ الضلوعَ ولا ... أُبدي الهوى وأسومُ[7] القلبَ كِتْمانا
فخــانني الصبرُ إذ نــاديتُــه ووَفَــت ... لــيَ الشــؤونُ[8] فعــادَ السـرُّ إعــلانــا
أُكَتِّــمُ الــوَجْــدَ والعينــانِ تُظْهِــرُهُ ... لَلْحُــبُّ أعظــمُ ممــا رُمْتُــه شــانــا

قال (**أبو عمران الجوني**): أرتني أمي موضعاً من الدار قد انحفرَ، فقالت:

---

(١) **لُبود**: جمع لِبْد: كِساء من شعر أو صوف.
(٢) **مِعى**: مسيل الماء بين الحرار، والحرار: جمع حَرّة، وهي أرض ذات حجارة سود.
(٣) **أنبطت**: أنبعت وأخرجت.
(٤) **الركية**: البئر لم تطو.
(٥) **طَرَف**: جانب. طَرْفين: مثنى طَرْف وهي العين.
(٦) **سخا** يسخو وسخي يسخى سخاء: جاد.
(٧) **أسوم**: مضارع سام: أي كلفه إياه وألزمه به.
(٨) **الشؤون**: منابع الدموع في الرأس.

هذا موضعُ دموعِ أبيك.

وكان (**حسانُ بن أبي سنان**) يحضر مجلسَ مالك بن دينار، فيبكي حتى يبلّ ما بين يديه، ولا يُسْمَعُ له صوتٌ.

(للمتنبي)[1]:

أجابَ دمْعي وما الداعي سوى طَلَلٍ دعـاهُ فلبّـاهُ قبـلَ الـركـبِ والإبـلِ
ظَلَلْـتُ بيـن أُصَيْحـابـي أُكَفْكِفُـه فظـلَّ يسفـحُ بيـن العُـذْرِ والعَـذَلِ
ومـا صَبـابـةُ مشتـاقٍ علـى أَمـلٍ مـن اللقـاءِ كمشتـاقٍ بـلا أمـلِ

دموعُ المحبين غُدران في صحارى الشوق، من عادة القوم إلفُ البراري، والجلوس إلى الشجرِ، فإنْ سمعوا هتاف الحمامِ استغْنَوْا عن نائحٍ.

شـوقـي إليـكَ مُجـاوزٌ وصفـي وظهـورُ وجـديَ دونَ مـا أُخفـي
مـا دارَ ذكـرٌ منـكَ فـي خَلَـدي إلا طَـرَفْـتُ[2] بمَـدْمَعـي طَـرْفـي

إذا تمكّنَتِ المحبةُ استحال السُّلُوّ[3]، تعلقتْ يدُ المحبة بتلابيْبِ القلبِ فلا يمكنه التخلُّصَ، فيدور معها في دارِ المُداراة.

لِيَكْفِكُـمْ مـا فيكـمُ مـن جـوًى نلقـى فمهـلاً بنـا مهـلاً ورفْقـاً بنـا رِفْقـا
وحـرمـةِ وَجْـدِي لا سلَـوْتُ هـواكـمُ ولا رُمْـتُ منـه لا فِكَـاكـاً ولا عِتْقـا

وهل للمحبِّ قلبٌ، هيهاتَ! مزقته المحبة، براثن أُسودٍ في شِلْوٍ[4] ضعيفٍ على شدة جذب مع دوام التقليب.

إن تَـرحَّلْـتَ أو أقمـتَ فَعِنـدي فيـضُ دمـعٍ يجـرْي ووَجْـدٌ مقيـمُ
وفـؤادي ذاك الفـؤادُ المُعَنّـى وغـرامـي ذاك الغـرامُ القـديـمُ

انكشفَ اليومَ السترُ، افتضحَ العاصي والعارف.

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام (٣٤٢هـ). انظر: الديوان، ص٣٢٨.
(٢) طرفت: أصبت عيني بشيء فدمعَتْ.
(٣) السلوّ: النسيان.
(٤) شلو: عضو.

(لتوبة):

خليلَيَّ قد عمَّ الأسى وتقاسَمَتْ ... فنونُ البِلَى عشّاقَ ليلى ودورَها
وكنْتُ إذا ما جئتُ ليلى تَبرْقَعتْ ... فقد رابَني منها الغداةَ سفورُها

وقع الحريقُ في زوايا المجلس، رُشُّوا عليه من مَزادِ[1] الدمع.

يا كثيفَ الطبع، بَيضُ الحَمَامِ يَفْرَقُ من صوتِ الرعد ولا حسَّ له، أفميتٌ أنت وهذه الصواعق حولك؟!.

لو رأيتَ المحبينَ في مأْتَمِ الذلِّ ... وقد شُقِّقَتْ جيوبُ الوصالِ
لعذرتَ الذي بُلِيْ بِفِراقٍ ... ورَحِمْتَ المُحبَّ في كلِّ حالِ

هبتِ اليومَ نسمةٌ من أرض كنعانَ إلى مصر، غَنَّت حماماتُ اللِّوى في أرضِ نجدٍ، تنفَّسَ المشتاقُ، فانقشعَ غيمُ الهجر، سعى سمسار المواعظ في الصلح.

(للغزّي):

هبّتْ لنا وبرودُ الليلِ أَسْمالُ ... ريحٌ لها من جيوبِ الوَصْلِ أذيالُ
مرَّتْ بسفحِ اللِّوى والشيحُ مُتَّشحٌ ... بلؤلؤِ الطَّلِّ والجرباءُ[2] مِعطال[3]
مريضةٌ في حواشي مُرْطها بَلَلٌ ... يُهدَى لكلِّ مريضٍ منه إبلالُ[4]
دعْ جَمْرةً لسويدا القلبِ محرِقةً ... يا لائمي ثمّ قلْ لي كيف أحتالُ
حَدِّثْتَ عن منحنى الوادي وساكِنه ... كرِّرْ حديثَك لا حالتْ بك الحالُ
وامزُجْ بماءِ المُنى ما قلتَ منْ خبرٍ ... فإنّ أخبارَ ذاك الحي جِرْيالُ[5]

* * *

---

(١) مزاد: جمع مزادة: الراوية يُحمل فيها الماء.
(٢) الجِرباء: الأرض المقحوطة لا شيء فيها.
(٣) مِعطال: المرأة اعتادت ترك الحلي، ويشير إلى خلو الأرض من حلية النبات.
(٤) إبلال: الخروج من المرض.
(٥) جريال: خمر دون السُّلاف في الجودة.

الفصل الرابع والأربعون

إخواني! شحمُ المنى هزال، وشراب الآمال سرابٌ [وآل][1]، ولذاتُ الدنيا منامٌ وخيال، وحربها قتل بلا قتال.

والمرءُ يُبْليه في الدنيا ويُخْلِقُه ... حِرْصٌ طويلٌ وعُمْرٌ فيه تقصيرُ
يُطوِّقُ النحرَ بالآمالِ كاذبةً ... ولَهْذَمُ[2] الموتِ دونَ الطَّوْقِ مَطْرورُ[3]
جذلانُ يَبْسُمُ في أشراكِ ميتَتِه ... إن أَفلَتَ النابُ أردَتْهُ[4] الأظافيرُ

تَيَقَّظْ لنفسِك، واذكُرْ زوالك، ودَع الأمل ولو طوى الدنيا وزوى لك، فكأنّك بالموتِ قد حيّرك وأبدى كَلالَك[5]، ونسيك الحبيبُ، لأنّه أرادكَ لهُ لا لَكَ، وخَلوتَ تبكي خِلالَكَ[6] في زمانٍ خَلا لَك، وشاهدتَ أمراً فظيعاً أفظعك وهالَك، تودُّ أن تفتديه بالدُّنيا لو أنها لك، فتنبَّه من رُقادِ الهوى لما هو أولى لك، واحذر أن تكون أعْمالُك أعْمى لك، وأفعالُك كالأفعى لك.

لو كان لك باعثٌ من نفسكَ، ما احتجتَ إلى محرِّكٍ من خارجٍ، هذا الديك يصيحُ في أوقاتٍ معلومةٍ من الليلِ لا تختلفُ، يؤدِّي وظائفَها بباعثِ الطبعِ وإن لم يكن في القريةِ ديكٌ غيرُه، وأنتَ تؤخِّرُ وظائفَ صلواتك، وتنقص من واجباتك عباداتك، فإن بكيتَ في المجلس فَلِبكاءِ الجماعة، فإذا خَلْوتَ خلوتَ[7] من محرك.

---

(١) الآل: السراب. ما بين معقوفتين زيادة.
(٢) لهذم: من الأسنة القالع.
(٣) مطرور: من طرَّ الشيء: شقه وقطعه؛ أي: مقطوع بمعنى قاطع.
(٤) أرْدَتْهُ: أهلكته.
(٥) كلالك: ضعفك.
(٦) خِلالك: صفاتك.
(٧) خلوت الأولى: انفردت. وخلوت الثانية: فرغت.

هيهات! من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ، إذا لم يكن للدجاجة همّةٌ للحضن لم تنفع تغطيتُها بمنخل الحاضن، تصابرُ الشقاءَ لما تأملُ من العواقب، والرَّعْناءُ[1] تكسرُ البيضَ قصداً.

الخصائصُ أوضاع، والسوابقُ خواص **«هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»**[2]. المغناطيسُ يجذب الحديد بخاصّيةٍ فيه. الظليمُ[3] يبتلعُ الحصى والحجارةَ فيذيبها حَرُّ قانِصَتِه[4] حتى يجعلها كالماء الجاري، ولو طبخَ ذلك بالنار لم يَنْحلَّ، ذَنَبُ الجرادةِ يشقُّ الصخرةَ وليس بالقوي، إبرةُ العقرب تنفذ في الطست[5]. خرطومُ البعوضةِ يغوصُ في جلد الجاموسِ. من تُعَلَّقُ عليه برادةُ الحديد لم يغطَّ في نومه. إذا ترك الرصاصُ أو الزئبق في تنور سقط الخبزُ كلُّه، فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم. إذا كان الزعفرانُ في دار لم يدخلها وزَغَة[6]. إذا دُفِنَ الحديدُ في الدقيقِ زال عنه الصدأ. إذا ترك سراج على شيءٍ في نهرٍ سكنتْ ضفادعُه. إذا دُفنت ذئبةٌ في قرية لم تدخلها الذئابُ. إذا نظر صاحِبُ الثآليل إلى كوكب ينقضُّ فمسح بيده حينئذٍ على ثآليله ذهبتْ[7]. إذا عَسُرَت الولادةُ فصاحت بالمرأة بِكرٌ: يا فلانة! أنا جارية عذراء وقد ولدتُ وأنت لم تلدي، ولدتْ في الحال، للنَّمْلة فضلُ حِسٍّ في الشمِّ تدرك الأراييح البعيدة.

لما شُقَّ خِتامُ نافجةِ[8] النبوةِ ملأ ريحُها الأرض، فاستنشقها أهل العافية، فوصل إلى خياشيم سَلْمانَ في فارس، وصهيبٍ في الروم، وبلالٍ في الحبشة، وكان ابن أبيّ مزكوماً فما نفعه قرب الدار.

كم مِنْ نَفْسٍ دَخَلَتْ مجلسي، وهي حاملُ جنينِ الإصرار، فلمّا استنشقت ريحَ المواعظ أسقطت.

---

(١) **الرعناء**: مؤنث أرعن، وهي الهوجاء في المنطق.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٣٩.
(٣) **الظليم**: ذَكَرُ النَّعام.
(٤) **القانصة**: كالمعدة للإنسان.
(٥) **الطست**: إناء كبير مستدير من نحاس.
(٦) **وزغة**: سام أبرص (للذكر والأنثى).
(٧) لعل هذا من المجربات عندهم، وإن لم يثبت علمياً.
(٨) **النافجة**: وعاء المسك في جسم الظبي.

أيها التائب مَنْ حَرّكك؟ وقد كان تحريك الجبلِ دونَ إزعاجك! ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] ، أتدرون هذا التائب لِمَ انزعجَ؟ أما تجدونَ في نَفَسِه حَرَّ وهْجٍ؟.

صبا[١] لنسيمِ الصَّبا إذ نَفَح ... وأرَّقَهُ لمعُ بَرْقٍ لَمَح
وأذكَرَهُ عيشَةً بالحمى ... وعَهْداً تقادَمَ سِرْبٌ سنَحْ[٢]
فَحَنَّ إلى السَّفْحِ سفحِ العقيقِ ... فَسَحَّ لهُ دمعُهُ وانْسفَح
وكان كتوماً لسرِّ الهوى ... ولكنْ جرى دمعُه فافْتَضَحْ
فدعْهُ ينادي طلولَ الحِمى ... ويسألُ رامَةَ عمَّنْ نزحْ

يا غائباً عنا وهو حاضر! أما لك ناظرٌ ناظرُ[٣]؟! أما دموعُ الوَجْدِ قد ملأت المحاجر؟! أفٍّ لبدوي لا يطربه ذكر حاجر[٤]، أقل أحوال الزَّمِنِ[٥] أن يبكي إذا رأى المُشاة، انظر إلى التائبين وحُرَقِهم، والتفِتْ إلى العارفين وقَلَقِهم.

اسمَعْ أنينَ العاشقينَ ... إنِ اسْتطعتَ لَهُ سَماعا
راحَ الحبيبُ فَشَيَّعْتُهُ[٦] ... مدامعٌ تجري سِراعا
لو كُلِّفَ الجبلُ الأصمُّ ... فِراقَ إلْفٍ ما استطاعا

كلّما بكى الخائفون أزعجوني، وكلّما استغاث الواجدون ألهفوني.

وإنِّي لمجلوبٌ ليَ الشوقُ كلّما ... تَنَفَّسَ باكٍ أو تألَّمَ ذو وجدِ
تَعرَّضَ رُسْلُ الشوقِ والركبُ هاجِدٌ[٧] ... فأيقظني مِنْ بينِ نُوَّامِهم وجدي

---

(١) صبا: مال.
(٢) سرب: قطيع من الظباء. سنح: عرض.
(٣) ناظر الأولى: العين. وناظر الثانية: بمعنى ترى.
(٤) الحاجر: واد بين بلاد عذرة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرِّمث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.
(٥) الزَّمِن: الذي أقعده المرض.
(٦) فشيعته: شيع فلاناً: خرج معه ليودعه ويبلغه منزله.
(٧) هاجد: نائم.

يا صبيانَ التوبة! ارْفُقُوا بمطايا أبدانِكم فقد أَلِفَتِ الترفَ ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ ﴾ [الطلاق: ٦].

هَبَّ لها من النسيمِ رائدُ ... فعادَها من الغَرامِ عائِدُ
نُوقٌ نَفى عنها الحِمَى طيبَ الكَرى ... فهْيَ كما شاءَ السُّرى سواهِدُ[١]
أنحلَها تحتَ الدؤوبِ أينُها ... فمارتِ الأنساعُ[٢] والقلائِدُ
فلا تخالِفْها إذا ما التَفَتَتْ ... شوقاً إلى بانِ الحمى يا قائدُ
وقلْ لها لَعا[٣] إذا ما عثرتْ ... فهي لحِملِ وَجدِها تُكابِدُ
مذْ حَكَمَ البَيْنُ عليها لم تزل ... تبكي عليها البِيدُ والفدافِدُ[٤]

يا صبيان التوبةِ! للنفسِ حظٌّ وعليها حق ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ [النساء: ١٢٩]، خذوا ما لها، واستوفوا ما عليها ﴿ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ﴾ [الإسراء: ٣٥]، فإن رأيتم من النفوسِ فتوراً، فاضربوهنّ بصوت الهجر ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾ [النساء: ٣٤]، عَلَى أني أوصي صبيانَ التوبة بالرفق، وبعيدٌ أن يَقَرَّ خائِفٌ أو يسمعَ العَذْلَ محبٌّ.

ليتَ شعري هل أرى في طريقي ... سَعةً تُفْسِحُ كَرْبَ المَضيقِ
قد رماني الحُبُّ في لُجِّ بحرٍ ... فخذوا يا قوم كفَّ الغريقِ
حلَّ عندي حُبُّكم في شِغافي[٥] ... حلَّ مني كلَّ عقدٍ وثيقِ
عفتُ دنيايَ اشتياقاً إليكم ... وتساوى خامُها والدبيقي[٦]
ورفَضْتُ الكلَّ شغلاً بوَجْدي ... فانجلى لي كلُّ معنًى دقيقِ

---

(١) سواهد: جمع ساهدة: قلقة أرقة.
(٢) الأنساع: جمع نِسع، وهو سير عريض طويل تشد به الحقائب ونحوها. ومارت: تحركت وتدافعت.
(٣) لعا: من لعَّ، كلمة تقال للعاثر مرة أو مرتين: أقالك الله من عثرتك.
(٤) الفدافد: جمع فدفد، وهي الصحراء الواسعة.
(٥) شغافي: الشغاف: سويداء القلب وحبّته.
(٦) دبيقي: ثياب تنسب إلى (دبيق) قرية في مصر.

يـا صـديقـي! عنـديَ اليـومَ شُغْـلٌ فَـالْـهُ عنـي واشتَغـلْ يـا صـديقـي
بَيْـدَ إنْ تـذكُـرْ لـي حِـبَّ قلبـي فـأَعِـدْ ذِكـرهـمُ يـا رفيقـي
غَصَّنـي الشـوقُ إليهـم بِـرِيقـي وَا حريقي! في الهوى وَا حريقي!

* * *

الفصل الخامس والأربعون

إخواني! البِدَار البِدَار، فما دارُ الدُّنيا بدار، إنما هي حَلْبَة لجريان الأعمار، وكم تبقى الفريسة بين النيوبِ والأظفار!.

مــا دارُ دُنيــا للنعيــم بــدارِ	وبهـا النفـوسُ فـريسـةُ الأقـدارِ
مـا بيـنَ ليـلٍ عـاكـفٍ ونهـارِه	نَفَسـانِ مُـرْتشِفـانِ لـلأعمـارِ
طـولُ الحيـاةِ إذا مضـى كقصيـرِهـا	واليُسْـرُ لـلإنسـانِ كـالإعسـارِ
والعيـشُ يُعْقِـبُ بـالمَـرارةِ حُلـوَه	والصفْـوُ فيـه مخـالِـفُ الأكـدارِ
وكـأنمـا تقضـي بنيـاتُ الـرَّدى	لفَنَـائنـا وطَـراً مـن الأوطـارِ
ويـرُوقُنـا زهـرُ الأمـانـي نضـرةً	هـدمُ الأمـانـي عـادةُ المِقْـدارِ
والمـرءُ كـالطيـفِ المُطيـفِ وعُمـرُه	كـالنَّـومِ بيـن الفجـرِ والأسْحـارِ
خطـبٌ تضـاءلـتِ الخطـوبُ لَهَـوْلِـهِ	أخطـارُه تعلـو علـى الأخطـارِ
تُلقـى الصـوارمُ والـرمـاحُ لهـولِـهِ	ونلـوذُ مـن حـربٍ إلـى استشعـارِ
إنَّ الـذيـن بَنَـوْا مَشيـداً وانْثَنـوْا	يسعَـوْنَ سعـيَ الفـاتِـكِ الجبـارِ
سُلِبُـوا النضـارةَ والنعيـمَ فـأصبحـوا	مُتَـوسِّـديـنَ وسـائـدَ الأحجـارِ
تـركـوا ديـارَهـمُ علـى أعـدائهـم	وتَـوَسَّـدُوْا مَـدَراً بغيـرِ دثـارِ
خلـطَ الحِمـامُ قـويَّهُـم بضعيفهـم	وغَنِيَّهـم سـاوى بـذي الإقتـارِ
والـدهـرُ يُعْجِلُنـا علـى آثـارهـم	لا بـدَّ مـن صبـحِ المُجـدِّ السـاري
وتعـاقـبُ المَلَـوَيـن[1] فينـا نـاثِـرٌ	بـالكـرِّ مـا نَظَمـا مـن الأعمـارِ

تالله ما صَحَّ مَنْ يطلبُه مرضُه، ولا سُرَّ مَنْ بمسيرِه حُلَّ غَرضُه، ولا استقامَ غصنٌ يَلويه كاسرُه، ولا طابَ عيشٌ الموتُ آخره، إنَّ الطمعَ لعذابٌ، وحديثُ الأملِ كَذَّاب، وفي طريقِ الهوى عقابٌ[2]، وآخر المعاصي عِقاب، فلا يَخْدَعنَّكَ

---

(١) المَلَوَين: الليل والنهار.

(٢) عقاب: جمع عقبة، مرقى صعب في الجبال.

ضياءُ ضباب، لا يطمِعَنَّك شرابُ سَراب، فمجيءُ الدنيا على الحقيقة ذهابٌ، وعمارةُ الفاني إن فهمت خـراب، وفرحُ الغرورِ ثبـورٌ واكتئاب، ودنـوُّ الشيبِ ينسخُ صبا الشباب، وكلّما نادى الأمل ﴿أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، صاح الأجل ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

يـا تائهاً في ظُلمةِ ظُلمِه، يا موغِلاً في مفازة تِيهِه، يا باحثاً عن مُدْيَةِ حَتْفه، يا حافراً زُبية[1] هُلْكِهِ، يا مُعمِّقاً مَهْواةَ مصرعِه، بئس ما اخترتَ لأحبِّ الأنْفسِ إليك.

ويحك! تطلب الجادة ولست على الطريق، كم فغر الزمانُ بوعظه فَماً، فما سمعت ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يسٓ: ٧٠].

كيف تطيبُ الدنيا لمن لا يأمن الموتَ ساعةً، ولا يتمُّ له سرورُ يومٍ؟!.

إذا كان عمرُكَ في إدبار، والموتُ في إقبال، فما أسرعَ الملتقى! لقد نُصِبَتْ لك أشراكُ الهلاك، والأنفاسُ أدقُّ الحبائل.

يا ماشياً في ظُلْمة ليل الهوى لو استضأتَ بمصباحِ الفكر فما تأمْنُ من بئر بَوار، الشهوات مبثوثة في طريق المتقين، وما يسلمُ من شرِّها شَرِهٌ.

الأولياء في حَرم التقوى ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

الدنيا مثلُ مَنَام، والعيشُ فيها كالأحلام.

قيل لنوح عليه السلام: يا أطولَ النبيين عُمُراً! كيف وجدتَ الدنيا؟.

قال: كدارٍ ذاتِ بابَيْن، دخلتُ من بابٍ وخرجتُ من باب.

فلمّـا تَفَـرَّقْنـا كـأنّـي ومـالِكـاً   لطـولِ اجتمـاعٍ لـم نَبِـتْ ليلـةً معـا

يا ثقيلَ النوم أما تُـنَـبِّهُكَ المزعجاتُ؟ الجنةُ فوقك تُـزَخْرَفُ، والنارُ تحتك تُوقَدُ، والقبرُ إلى جانبك يُحفَر، وربما يكونُ الكفنُ قد غُزِلَ.

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟!.

---

(١) الزبية: حفرة تحفر للأسد، كانوا يحفرونها في موضع عال.

يا حاضراً يرى التائبين وهو في عِداد الغائبين، واقفٌ في الماء عطشانُ، ولكن ليس يُسقى، عاتِبْ نفسك على هواها فقد وَهَاها[1]، قل لها: أُدْرُجي دَرجَ المدرج وقد لاحت منًى، لا يوقفنَّك في الطريق طاقةٌ من أمِّ غيلان[2]، فالخَبْط[3] في المنزِل مهيَّؤٌ لك، تَلمَّحْ عواقبَ الهوى يهنْ عليك التَّرْكُ، تَفكّرْ في حالِ (يوسف) لو كان زلّ مَنْ كان يكون؟ هل كانت إلا لذةَ لحظةٍ وحسرةَ الأبدِ؟! عبَرتْ والله أجمالُ[4] الصبرِ سليمةً من مَكْسٍ[5]، وبقيت مديحة ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

يا هذا! احسِب صبرَ يومك ساعةَ نومك، تحظَ في غدك برغدك، البَدارُ إلى الشهوات والندامةُ فَرَسا رهان، والتواني عن التوبةِ والخيبةُ رضيعا لبان[6]، وا عجباً! غرَّتْك حَبّةُ فخٍّ فحصلت وما حَوْصلْتَ[7]، اليومُ وا طربا للكاس، وغداً واحربا للإفلاس. آهٍ من حلاوةِ لُقَمٍ أورثَتْ مرارةَ نِقَم.

تأمُّلُ العاقبةِ لا يحصلُ إلا لناقِدٍ بصيرٍ، مَنْ تلمّحَ إذا تلا ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وعرف قدر مدح ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ علم أنه لم يُـبْقِ في فيه شيئاً من مرارة البِلى مرارةُ ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾.

ضَجَّتِ الملائكةُ حين همُّوا بإلقائه في النارِ، فقالوا: ائذن لنا حتى نُطْفئ عنه، فقال تعالى: إن استغاثَ بكم فأغيثوه، وإلا فدَعُوه، فلما أُلقي عرضَ له جبريل عليه السلام، وهو يهوي في الهواء، فأراد أن ينْظُرَ هل للهوى فيه أثر؟ فقال: ألكَ حاجةٌ؟ قال: أمَّا إليك فلا، فأقبلَ بمنشور ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

---

(١) **وهاها**: أضعفها.

(٢) **أم غيلان**: شجر السَّمُر.

(٣) **الخبط**: ما يسقط من الشجر بالضرب.

(٤) **أجمال**: جمعُ قلةٍ لجمل.

(٥) **مكس**: ما يأخذ العشّار ضريبة ممن يدخل البلد من التجار.

(٦) **رضيعا لبان**: تربان وقرينان.

(٧) **فحصلت**: الحصل: سف الفرس التراب من البقل فيجتمع منه تراب في بطنه فيقتله، وهو من أدواء الخيل. وحوصلت: حوصل: ملأ بطنه.

قـالَتْ لِطَيْفِ خَيـالٍ زَارَهـا وَمَضَى: بـالله صِفْـهُ ولا تُنْقِـصْ ولا تَـزِدِ
فقـال: خَلَّفْتُـهُ لـو مَـاتَ مـن ظمَـأً وقلتِ: قفْ عن ورودِ الماءِ لم يَرِدِ
قالت: صدقتَ، الوفا في الحُبِّ عادتُه يا بردَ ذاك الذي قالتْ على كبدي

* * *

الفصل السادس والأربعون

يا مجتنباً من الهدى طريقاً واضحاً، افتح عينَ الفِكر ترَ العلَمَ لائحاً، احذر الغفلةَ فكم غالَ ماتحاً[1]، وتَوَقَّ بحرَ الجهلِ فكم أغرقَ سابحاً.

يـا غـاديـاً فـي غفلـةٍ ورائحـا	إلـى متـى تَسْتحْسِـنُ القبـائحـا
وكَـمْ إلـى: كَـمْ لا تخـاف مـوقفـاً	يستنطِـقُ الله بـه الجـوارِحَـا
يـا عجبـاً منـكَ وأنـتَ مُبْصِـرٌ	كيـفَ تجنَّبْـتَ الطـريـقَ الـواضحـا
كيـفَ تكـونُ حيـن تَقْـرَا فـي غـدٍ	صحيفـةً قـد حَـوَتِ الفضـائحـا
وكيـفَ تَـرْضـى أن تكـونَ خـاسِـراً	يـومَ يفـوزُ مَـنْ يَكـونُ رابحـا

يا معدوماً في الأمس، فانياً في الغد، عاجزاً في الحال! مَنْ أنتَ حتى تَغْتَرَّ بسلامتك، وتَنسى حتْفَك؟ وأملُكَ بين يديك، وأجلُكَ خلفَك، وكتابُكَ قد حوى تفريطَك، كم نُهيتَ عن أمرٍ؟ فما كفَّكَ النهيُ أن تبسطَ كَفَّكَ.

يا مَنْ قد طالَ زلَلُه وتعثيرهُ، تفكَّرْ في عُمُرٍ قد مضى كثيرُه، يا قلباً مشتتاً قد قلَّ نظيرُه، كَمْ هذا الهوى؟ ولَكَمْ هوى أسيرُه؟.

أيُّها القاعِدُ عن أعالي المعالي، سبقَ الأبطالُ، والبَطَّالُ ما يبالي، ستعرفُ خبرك يوم عِتابي وسؤالي، وستقولُ عند الحساب: مَا لي وما لي، أعمالُك إذا تصفحتْ لهواك لآلي، لو أثَّرَ فيك وعظي ومقالي، لكُنْتَ لَحرِّ الحسراتِ على حرِّ المقالي.

(للمتنبي):

إلـى أيِّ حيـنٍ أنـتَ فـي زيِّ مُحـرِمٍ	وحتـى متـى فـي شَقْـوةٍ وإلـى كَـمِ

---

(١) غال: أهلك. ماتحاً: اسم فاعل من متح، والمتحُ: جذبُ رشاء الدلو، واستخراج الماء.

فإلاَّ تَمُتْ تحتَ السيوفِ مكرَّماً تَمُتْ وتقاسي الذُّل غيرَ مكرَّمِ
فَثِبْ واثقاً بالله وَثْبةَ ماجدٍ يرى المـ ـوتَ في الهيجا جنَى النَّحْلِ في الفم

ويحك! إنما يكونُ الجهادُ بين الأمثالِ، ولذلك مُنِعَ مِنْ قَتْل النساءِ والصبيانِ، فأيُّ قدرٍ للدنيا حتى يحتاجَ قلبُك إلى محاربةٍ لها؟!.

أما علِمتَ أن شهواتِها جيفٌ ملقاةٌ، أفيَحْسُنُ بباشقٍ[1] الملك أن يطير عن كفِّهِ إلى ميتة؟ مهلاً ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨].

لو علمتَ أنَّ لذةَ قهرِ الهوى أطيبُ من نَيْلِه لما غَلبَك، أما ترى الهرةَ تتلاعَبُ بالفأرة ولا تقتلها ليبينَ أثرُ اقتدارها؟! وربَّما تغافلتْ عنها، فتمْعِنُ الفأرةُ في الهَرب فتثبُ فتُدركُها ولا تقتلها إيثاراً للذة القهر على لذة الأكلِ.

من ذبحَ حَنْجرةَ الطمعِ بخنجر اليأسِ أعتقَ القلبَ من أسْرِ الرِّقِّ.

من رَدَم خندقَ الحِرْص بِسِكْرِ[2] القناعةِ ظَفَرَ بكيمياءِ السعادة.

من تَدَرَّعَ بدرع الصدق على بدن الصبر هزَمَ عسكرَ الباطِل.

من حصَد عُشْبَ الذنوبِ بمنجلِ الوَرع طابتْ له روضةُ الاستقامة.

من قطعَ فضولَ الكلامِ بشفرَةِ الصَّمْتِ وجدَ عذوبةَ الراحةِ في القلبِ.

من ركِبَ مركبَ الخوفِ مرَّتْ به رخاء الهدى إلى أرجاءِ النجاةِ.

من أرسى على ساحل الخوف لاحت به بلادُ الأمن.

ألا عزيمةٌ عُمَريّة، ألا هجرةٌ سَلْمانيّة، جاءت بمركب عمر جَنوبُ المجانبة للحق إلى دار الخيزُران، فلمّا فُتِح له الباب انقلب شمالاً، مَدَّ يده لتناول خمر الفتك، فاستحالت في الحال خلاًّ، جاء وكله كدَرٌ، فلمَّا دنا من الصفا صفا، كان ماءُ قلبه لِمَا جَنى مِلْحاً أجاجاً فلما تلقاه النذير بالعذاب عَذُبَ.

يكونُ أجاجاً دَونكم فإذا انتهى إليكمْ تَلقّى طيبَكمْ فيَطيبُ

---

(١) باشق: الجارح من الطير يصاد به.
(٢) سِكر: السِّكر ما يسد به.

سَقِمَ قلبُ **سلمان** من معاناة أمراضِ المجوس، فخرجَ إلى أوديةِ الأدوية، فالتَقَطَتْهُ يدُ ظالمٍ وما عرفت، فهان على يوسفَ البيعُ ليلقى العزيزَ، فبينا سلمانُ على نَخْلةٍ يخترِفُها[1]، قَدِمَ مخبرٌ بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام فنزل ليصعد، وصاح به: حدثني.

نـزلـوا جبـالَ تِهـامـةٍ فِـلأَجْلِهِـمْ ... يهـوى الفـؤادُ تهـامـةً وجبـالَهـا
يـا صـاحبـيّ قِفـا علـيَّ بِقَـدْرِ مـا ... أَسْقـي بِـواكِـفِ عَبْـرتـي أطـلالهـا

وا عجباً! أطلبُ الشجاعةَ من حَسّان[2]، وأسأل عن الهِلالِ ابنَ أمِّ مكتوم، وأتلو سورةَ يوسفَ على روبيل، وأستملي الفصاحةَ من باقلٍ، وأنتظرُ الوفاءَ من عُرْقوب[3]، لقد رجعتُ إذن بخُفَّيْ حُنين.

يا من نقدُه مردود، وعقله محلولٌ، نِيَّتُكَ في الخيرِ نَيّةٌ[4]، لو أَنْضَجَتْها نيرانُ خوفٍ أو شوقٍ لانتفعتَ بها.

ولـي قـوادمُ لـو أنّـي جُـذِبْـتُ بهـا ... لأنهضتنـي ولكـنْ أفـرُخـي زُغُـبُ

غَمِّضْ عينَيْكَ على الدواءِ يعمل، وافتحها لرؤيـة الهدى تُبصر، حجرُ المعصيةِ يُطَحْطِح[5] إناءَ القلب، وضَبَّةُ التوبة شِعاب[6].

يا من عزمُه في الإنابة جَزْرٌ بلا مدٍّ، وقفَتْ سفينةُ نجاتك، ليلُ كسَلِكَ قد طبَّقَ آفاقَ الترددِ، وقد طَلَبَتْ فيه أطيارُ الهمة أوكارَ الدَّعَة، فلو قد طلعتْ شمسُ

---

(١) **يخترفها**: يجني ثمارها.

(٢) ما ينسب إلى سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر النبي ﷺ من جبن لا يثبت عند المحققين من العلماء، وبنظرة عامة في ديوان شعره يجد القارئ الدلائل الكثيرة التي تدل على شجاعته وشدة بأسه.

(٣) **عرقوب**: رجل من العمالقة يضرب به المثل في خلف الوعد، يقال: «مواعيد عرقوب».

(٤) **نيّة**: أي نيئة: كل شيء شأنه أن يعالج بطبخ، أو شيٍّ فلم ينضج.

(٥) **تطحطح**: طحطح الشيء: كسره وبدده إهلاكاً.

(٦) **الضبة**: حديدة عريضة تضبب بها الكسور. **شعاب**: من: شَعَبَ المكسور؛ أي: لمه وإصلاحه.

العزيمة في نهارِ اليقظةِ لانْبَثَّ عالمُ النشاط في صحراءِ المجاهدة.

يا صبيانَ التوبة! تزوّدوا للبادية، تأهَّبُوا لحاجرٍ[1]، أنْعِلُوا الإبلَ قبل زَرُود، ولا تَنْسَوْا وقتَ تناول الزادِ جمالكم.

بيـــن العقيـــقِ والكثيـــبِ الفـــردِ　　عـــلاقـــةٌ لـــي مـــن هـــوًى وودي
سلْ هضباتِ الرَّمْل منْ جِزْع اللِّوى　　يـــومَ النَّـــوى عـــن قلقـــي ووجـــدي
واستخبـــرِ الأنجـــمَ عـــن صَبـــابتـــي　　بِسَـــاكنـــي نَجْـــد وأرض نجـــد
فمَـــنْ مُجيـــري وبمـــن أسْتَعْـــدِي　　وليـــس عنـــدَ عـــاذِلـــي مـــا عنْـــدي

* * *

(١) حاجر: واد بين بلاد عذرة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرِّمْث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.

الفصل السابع والأربعون

وا عجباً لنفس تُدعى إلى الهدى فتأبى! ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً، كم أَذْهَبتْ زَمَناً وكم أفنَت شباباً! وكم سوَّدَت في تبييض أغراضِها كتاباً!.

أستغفِرُ الله مِنْ نفسٍ طَغَتْ وأَبَتْ ... آبتْ إلى هذه الدنيا فما اتّأبتْ

جابَت ليَ الشيبَ أوقاتَ الشبابِ فما ... أجابتِ النُّصحَ لكن سيئاً جلبتْ

خانتْ فخابتْ وما طابتْ ولا سعدتْ ... وكم أرابتْ[1] ورابتْ ثم ما رأبتْ[2]

ودأبها في أمورٍ غيرِ نافعة ... ولو تُوفَّقُ أمستْ للتقى دأبتْ[3]

همّتْ بخيرٍ فلم تعزمْ وريَّثَها[4] ... خطبٌ إذا هي في غيرِ التُّقى وثبتْ[5]

أما طريق المعالي فهي واضحةٌ ... لكلِّ طرفٍ سرى عنه الكرى لحبتْ[6]

والعالمون جميعاً عالمونَ بها ... على ركائبَ عن معروفها نكبتْ[7]

ألا يسائلُ أملاكَ[8] الورى فطنٌ ... علامَ جُمّعتِ الأجنادُ واحتربتْ

إنَّ الذي طلبتْهُ لا يدومُ لها ... ولا مسرَّةَ إن فازتْ بما طلبتْ

ألم يَرَوْا دولَ الماضين قبلهمُ ... كانوا بأحسنِ ما كانوا بها ذهبتْ

لا تفرحوا بهباتٍ من زمانهمُ ... سَتَسْتَردُّ الليالي كلّ ما وهبتْ

---

(١) أرابت: أوقعت في الشك.

(٢) رأب: أصلح.

(٣) دأب: جد واجتهد.

(٤) ريّث: بطّأ.

(٥) وثبت: قفزت.

(٦) لحبت: وضحت.

(٧) نكب عن معروفها: عدل.

(٨) أملاك: جمع ملك، ويجمع جمع قلة: أملاك، وجمع كثرة: ملوك.

لو علمتْ عِلْمنا الغبراءُ[١] ما ركدتْ[٢] تحتَ الأنامِ أو الخضراءُ[٣] ما ثقبتْ[٤]

وأمُّ دَفْـرٍ[٥] إذا ميــزْتَ حــالتهــا كـأمٍّ صِـلٍّ[٦] إذا مـا عضّـتِ انقلبتْ

وكيف ترجو صلاحاً من خلائقها فكلُّ ما الناسُ فيه من أذًى جلبت

لله درُّ أقوام تأمّلوا غيَّها، وما زالوا حتى رأَوْا عيبها، نزلوا من الدنيا منزلَةَ الأضياف، أخذوا الزاد وقالوا: ما زاد إسراف، وقفوا عند الهموم، والمؤمن وقّافٌ، رمَوْا فضول الدنيا من وراء قاف[٧].

لو رأيتَهم في الدُّجى يراعون النجوم، وخَيْـلُ الفِكْرِ قد قطعتْ حَلَبـاتِ الهمومِ، يشكون جرحَ الذنوب ويبكون الكُلُوم[٨]، أحرقت أحزانُهم أجسامَهم وبقيت الرسومُ، بَلّغَتْهم البُلَغ[٩]، ورمتك التخم في التخوم[١٠]، سَكروا من مناجاة الكريم لا من بنات الكروم[١١]، أصبحتْ عليهم آثارُ الحبيب، والطيبُ نَمُوم[١٢]، هذه سلَعُ الأسحارِ من يشتري، من يسوم؟ أين قلبُك الغائبُ عنا، قل لي لمنْ تلوم؟ جسمُك في أرض العراق وقلبُك في أرض الروم.

مُهرُ الطبعِ ما رُيِّضَ، إهاب البشرية ما دُبغ، في عين البصيرة عَشا، عرائسُ

---

(١) الغبراء: الأرض.
(٢) ركدت: سكنت.
(٣) الخضراء: السماء.
(٤) ثقبت: أضاءت، أي: نجومها، وذلك أن النجوم لا تزال ثواقب ما لم ينفرط عقدها وتنكدر إيذاناً بيوم القيامة.
(٥) أم دفر: الداهية، والمقصود بها هنا الدنيا.
(٦) أم صلّ: الحية، وقد شبه الدنيا لمن عرفها بالأفعى التي تفرغُ سمها في معضوضها بالانقلاب بعد العض.
(٧) قاف: يشير إلى جبل يحيط بالأرض.
(٨) الكلوم: جمع كَلْم؛ وهو الجرح.
(٩) البُلَغ: جمع بلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.
(١٠) التخم: جمع تُخَمَة، وهو داءٌ يصيب الإنسان من امتلاء المعدة. والتخوم: جمع تَخْم: منتهى كل أرض.
(١١) كناية عن الخمر المعصورة من العنب.
(١٢) نَمُوم: صيغة مبالغة من النمّ: وهو الظهور وانتشار الرائحة.

الموجودات ترفلُ في حُللٍ مختلفةِ الصَّنْعةِ والصِّبْغةِ، والصيغة تعبُرُ إلى المعْتَبِرِ في مَعْبَرِ الاعتبار، فهل حظُّك حظُّها من النَّضارة أنْ تحظى من النَّظَرِ بحظ.

وا عجباً لك! لو دخلتَ بيتَ مَلِكٍ لم تزل تتعجبُ من رُقوش نقوشه، فَارفَعْ بصرَ التفكّرِ، واخْفِضْ عينَ البصيرةِ، فهل ترى أحسنَ من هذا الكون؟!.

تلَمّحْ مخيمَ السقفِ كيف مُدَّ بلا أطناب! ثم زُخْرِفَ نقشُه برَقْم النجوم، والهلال دُمْلوجٌ[1] في عضد السماء، فإذا جَنَّ الليلُ كُحِلتِ العيونُ بإثمدِ النوم، واجتلاها[2] أهلُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، فإذا جلّى ركبُ الدُّجى، جلا ضوء الشمس عن الأبصار رمدَ الظلام[3].

انظر إلى الأرض إذا تأيَّمت[4] من زوج القَطْر، ووَجَدَت لفَقْدِ إنفاقِه مَسَّ الجَدْبِ، كيف تُحدُّ[5] في ثياب ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت: ٣٩]، طالما لازمَتْ حبسَ الصبر، وسكنت مَسْكنَ المسْكنَة، لولا ضجيجُ أطفالِ البذر.

فإذا قويَ فَقْر القَفْر، امتدتْ أكفُّ الطلبِ، تستعطي زكاةَ السحاب، فهبت الجَنُوب من جَناب اللُّطف، فسحَبَتْ ذيلَ النَّسيم على صَحْصَح[6] الصحارى، فتحركت جوامدُ الجلاميدِ، وانتبهَ وَسْنانُ العيدان لقبول تلقيح اللواقيح، فإذا لبس الجوُّ مِطرفَه[7] الأدكَن[8]، أرسل خَيَّالة القِطرِ شاهرةً أسيافَ البرقِ، وأنذرَ بالإقدام صوتُ الرَّعْد، فقام فراشُ الهواءِ يرشُّ خَيْشَ النسيم، فاستعار السحابُ جفونَ العشّاقِ وأكفَّ الأجوادِ، فامتلأت الأوديةُ أنهاراً، كلّما لمستها كفٌّ حكى سِلسالها سلاسلَ الفِضَّة، فالشمسُ تسفِرُ وتتنقب، والغمامُ يرشُّ وينسكب،

---

(١) **دملوج**: حلية تحيط بالعضد.
(٢) **اجتلاها**: نظر إليها.
(٣) **جلى الأولى**: رحل. وجلا الثانية: أزال ومحى.
(٤) **تأيمت**: من الأيم: المرأة التي مات عنها زوجها.
(٥) من الحِدَاد.
(٦) **صحصح**: الأرض المستوية الواسعة.
(٧) **المطرف**: رداء من خز مربع ذو أعلام، وأشار به إلى السحاب.
(٨) **الأدكن**: لون يضرب إلى السواد.

فانعقد بين الزوجين عقدُ حَبِّ الحُبِّ.

فلا يزال السحابُ يسقي ذَرَّ البذر بثدي الندى، وكلّما احتاجَ إلى فضلِ قوتٍ كرَّ الركُ[1]، وشطَّ الطَّشُّ[2]، ودق الوَدْق[3]، فطَمَّ إلى أن فُطِم الطفلُ، فإذا وقتُ شمسِ الشتاء في الطَّفَل[4] ونشأ أطفالُ الزرعِ، فارتبَع الربيعُ أوسطَ بلاد الزمان، فأعارَ الأرضَ أثوابَ الصِّبا، ورَوَّح كربَها بنسيم الصَّبا، فانتبهت عيونُ النُّوْرِ من سَنَةِ الكرى، فكم نهضت من الغُروس عروس، بين يديها الأوراقُ كالوصائف، فصافحت ريحُها الخياشيم، ومنظرُها الحَدَق، فكأنَّ عينَ النَّرْجِسِ عينٌ، ووَرَقَهُ وَرِقٌ، فالشقائقُ تحكي لونَ الخَجَل، والبهارُ[5] يصف حالَ الوجل، والنَّيْلُوْفَرَ[6] يغْفَى وينتبه، والأغصانُ تعتنق وتفترق، وقد ضربَ الربيعُ جُلَّ نارِه في جُلَّناره[7]، بثَّتِ الأراييحُ أسرارها إلى النسيم فنمَّ، فاجتمعَ في عُرْسِ التواصل فنونُ القِيان، فعلا كلُّ ذي فَنٍّ على فَنَنٍ، فتطارحتِ الأطيارُ مناظرات السجوع، فأعربَ كلٌّ بلغته عن شوقه إلى إلفه، فالحمامُ يهدُرُ، والبلبل يخطُبُ، والقُمْري يرجِّعُ، والمُكَّاء[8] يُغَرِّد، والأغصانُ تتمايل، كلُّها تشكرُ ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فحينئذٍ تجدُ خياشيمُ المشوقِ ضالةً وجِدة.

لـــي بـــذاتِ البـــانِ أشجـــانُ	حبَّـــذا مِـــنْ أجلِهـــا البـــانُ
حبّـــذا ريّـــاهُ يـــوقظُـــه	مـــن نسيـــمِ الفجـــرِ رَيْعـــان
حبَّـــذا وُرْقُ الحمـــامِ إذا	رَنَّحتْهـــا منـــه أغصـــانُ

---

(١) الرك: المطر الضعيف.

(٢) الطش: الرشاش من المطر دون الوابل وفوق الرذاذ.

(٣) الودق: المطر شديده وهينه إذا كان مستمرّاً.

(٤) الطفَل: غروب الشمس.

(٥) البهار: جنس زهر من المركبات الأنبوبية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع يقال له: العرار.

(٦) النيلوفر: جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية، يزرَعُ في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار.

(٧) الجلّنار: زهر الرمان.

(٨) المُكاء: طائر صغير يألف الريف، جمعه مكاكي.

داعيـــاتٍ بـــالهـــديـــلِ[1] لهـــا | فيـــه أسجـــــاعٌ وألحـــــانُ
أعجميـــــــاتٌ إذا نطقـــــتْ | ليـــس إلا الشـــوقُ تبيـــانُ
كلّمـــا غنيتنـــي هَـــزَجـــاً | هـــاجنـــي للـــذكـــرِ أحـــزانُ
مـــالَ بـــي ميـــلُ الغصـــونِ بهـــا | طـــربـــي فـــالكـــلُّ نَشـــوانُ
يـــا حمـــامَ البـــانِ يجمعُنـــا | وَجْـــدُنـــا إذ نحـــنُ جيـــرانُ
يحـــنُّ بـــالشكـــوى إلـــيَّ فمـــا | بيـــن أهـــلِ الحُـــبِّ كِتْمـــانُ
يتشـــاكـــى الـــواجـــدونَ جـــوًى[2] | واحـــداً والـــوجْـــدُ ألـــوانُ
أنـــا مخلـــوسٌ[3] القـــريـــن وأنـ | ـتُـــنَّ أزواجٌ وأقـــرانُ
وبعيـــدُ الـــدارِ عـــن وطَـــنٍ | شـــاقَـــهُ للبَـــانِ أوطـــانُ
آهِ مِـــنْ داءٍ أكـــاتِمُـــه | والهـــوى ســـرٌّ وإعـــلانُ
لا تـــزِدْنـــي يـــا عـــذولُ جـــوًى | أنـــا بـــالأشـــواقِ سَكْـــرانُ

* * *

(١) الهديل: صوت الحمام أو خاص بوحشيِّها.
(٢) الجوى: الهوى الباطن، وشدة الوجد.
(٣) مخلوس: مسلوب ومحروم من قرينه وحبيبه.

الفصل الثامن والأربعون

مَنْ علِمَ أنَّ هبَاتِ الدنيا هَبَا[١]، حُلَّ مِنْ غُلٍّ[٢] ذُلٍّ.

الدَّهْرُ مستعجِلٌ يَخُبُّ[٣]	فاختم وطينُ الكتابِ رَطْبُ
إنَّ الذي أنتَ فيه حُلْمٌ	وسوفَ تنساهُ إذ تهُبُّ
تَوقَّ مكرَ الزمانِ واحذَرْ	ولا تَثِقْ فالزمانُ خِبٌّ[٤]
جميعُ أفعالِهِ غرورٌ	وكلُّ ما نحنُ فيه لُعْبُ
وليس يبقى عليه شيءٌ	يكرهُهُ المرءُ أو يُحِبُّ
اِسمع أحاديثَ مَنْ تَقَضَّى	يا مَنْ له ناظِرٌ وقَلْبُ

الدُّنيا تعطي تفاريق، وتسترجعُ جُمَلاً، وتُرْضِعُ أفاويق[٥]، وتقطعُ عَجَلاً، يُواني[٦] خيرُها وإنْ وَاتى لُمَعاً، ثم يأتي شرُّها حين يأتي دُفَعاً، فترى العبرات عند فقدها تُراقُ ولا ترقا[٧]، والزفراتُ عند سلبها تهدُّ ولا تهدأ، ويُحْكمُ أنَّ المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه.

إخواني! ذودوا[٨] هممَكم عن مرعى المُنى، فإنّه يزيدُها عَجَفاً[٩]، ولا

---

(١) هبا: أي هباء، وهو الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس ودقاق التراب.

(٢) غُلّ: القيدُ يوضَعُ في الرقبة.

(٣) يخب: الخبُّ: ضرب من العَدْو، وقيل: هو مثل الرَّمَل.

(٤) خِبٌّ: خَدّاع.

(٥) أفاويق: جمع فيقة: ما يجتمع من لبنٍ في الضرع بين الحلبتين.

(٦) يواني: من ونى: والونا: الفترة في الأعمال والأمور، والنسيم الواني: الضعيف الهبوب، والونا: الضعف والفتور والكلال والإعياء.

(٧) لا ترقا: لا تنقطع.

(٨) ذودوا: ادفعوا عنها، واحموها منها.

(٩) عجفاً: هزالاً.

تَوَلُّوا الهوى على مُدن الأبدان ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] .

الهوى وثنٌ يُنْصَبُ في جاهلية الشباب، فإنْ صحَّ إسلامُ العزمِ جعلَ أصنامَ الشهوات جُذاذاً.

يا معاشرَ الشباب زيدوا في سَلاسِل الهوى، فإنَّ شيطانَ الصِّبا ماردٌ، زِنُوا حَلوى المشتهى بِمُرِّ العِقاب يَبِنْ لكم التفاوتُ، إلى متى يقودُكم الهوى؟! إلى كم تستعبدكم الدنيا؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

كـم اصطبـارٌ علـى ضَيْـمٍ ومَنْقَصـةٍ ... وكَـمْ علـى الـذلِّ إقـرارٌ وإذعـانُ
ثـورُوا لهـا وَلْتَهُـنْ فيهـا نفـوسُكُـمُ ... إنَّ المنـاقـبَ لـلأرواحِ أثمـانُ

إلى متى جمودُ الإناث؟! أين حركة الرجولية؟!.

(لمهيار)[2]:

قُـمْ فـانتشطْهـا حسبُهـا أن تُعقَـلا ... ودَعْ لهـا أيـديَهـا والأرجُـلا
لا يطـرحُ الـذلَّ وراءَ ظهـرِه ... إلا فتًـى يُنْضـي المطـايـا الـذُّلُـلا

الجدَّ الجدَّ فالطريقُ طويلةٌ، دارِالناقةَ بذِكْرِ الدَّار، عَلِّلْها بصوت الحُداة، فإذا لاحَ لها المنزلُ فَشَوْقُها يسوقُها.

(لمهيار):

اِرخ لهـا زِمَـامهـا والأَنْسُعَـا[3] ... وارمِ لهـا مـن العُلـى مـن شَسَعـا
وارحـلْ بهـا مغتـرِبـاً عـن العِـدَى ... تُوطِكَ[4] من أرضِ العِدَى مُتَّسعا

---

(١) من قصيدة قالها يصف الأسد. انظر: الديوان: ٢/ ٤٤٨_٤٥٣.
(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شهاب الدولة بن ديس. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٠٠_٢٠٦.
(٣) الأنسعا: جمع نِسَع، وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال، وتجمع على نسوع.
(٤) توطك: تنزلك.

يـا رائـدَ الظَّعْـنِ بـأكنـافِ اللِّـوَى بلـغْ سـلامـي إنْ وصلـتَ لَعْلَعـا
مـاذا عليهـم لـو رَثَـوْا لسـاهـرٍ لـولا انتظـارُ طيفِهـم مـا هَجَعـا

إخواني! انبعاثُ الجوارحِ في العملِ دليلٌ على قوّةِ العلمِ بالأجرِ، فإذا حصلَ تسليمُ النفوسِ في الجهاد إلى القتلِ كان النهايةُ في كمال اليقين، فإذا وَقَعَ الفرحُ بأسبابِ التلفِ دلَّ على كمالِ المحبةِ، كما قال **عبد الله بن جحش**[1]: «اللهمَّ سلّط عليَّ غداً عدواً يبقرُ بطني، ويجدعُ أنفي، فإذا لقِيتُك قلتُ: هذا فيك ومن أجلك».

وطُعِنَ **حَرامُ بن ملحان**[2]، فنفذ فيه الرمح فقال: «فزتُ وربِّ الكعبةِ».

لـو رأيتَهـم والمعتـرَكُ قد اعتكَـرَ، وقـد تقدّمـوا في القـدموسِ[3]، فـانبلجَ الأمـرُ، وجاشَ جـأشُ الجيـشِ في أُفُـرَّةٍ[4]، فلم يتميّـز الهِلْقـامُ[5] السَّـرَعْرَعُ[6]، من القلهزم[7] الحنزقرة[8]، وإذا الغَضَنْفَرُ[9] الدَّمَكْمَكُ[10]

---

(١) أسلم عبد الله قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجرَ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، بُعثَ على سرية إلى نخلة، وفيها تسمّى أمير المؤمنين، فهو أوّلُ من دُعِيَ بذلك، وقد قال قبل أُحدٍ بيوم: «اللهمَّ أُقسِمُ عليكَ أنْ ألقى العدوَّ غدًا فيقتلوني ثم . . .» كما في (الحلية: ١/ ١٠٩)؛ وفي (الاستيعاب: ٣/ ٦٣) في القسم الأول من البدريين: «اللهمَّ إذا لاقوا هؤلاء غداً فإنّي أقسمُ عليك لما يقتلوني و . . .»؛ وترجمته في صفة الصفوة، لابن الجوزي: ١/ ٣٨٥.

(٢) كان مع من أرسلهم الرسول ﷺ إلى بئر معونة، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل، وانتدب حرام ليبلّغ رسالةَ الرسول ﷺ أهلَ ذلك الماء، فأتى الأخبيةَ، ونادى بالشهادتين، فخرجَ إليه رجل من كِسْرِ البيت برمح فطعنه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: «الله أكبر، فزتُ وربِّ الكعبةِ. . .» أخرج قصتهم ابن جرير وابن المنذر وغيرهما.

(٣) **القدموس**: الملك الضخم.

(٤) **أفرة**: بضم الهمزة والفاء وتشديد الراء: الاختلاط.

(٥) **الهلقام**: الضخم الطويل.

(٦) **السرعرع**: الطويل.

(٧) **القلهزم**: كسفرجل، الرجل المربوع.

(٨) **الحنزقرة**: بكسر الحاء، الرجل الدميم من الناس.

(٩) **الغضنفر**: الأسد الشديد.

(١٠) **الدمكمك**: الشديد القوي.

والقِنَّخْرُ[1] العلنديّ[2]، والضباضب[3] الدُّلامز[4]، كلُّهم في مقام إجفيل[5].

فلمّا انزعجت الطبائعُ تذكروا قبيح الجناية، فمدوا أيدي التسليم للودائع، فخضبت الدماءُ محاسنَ وجوهٍ طالما صبرتْ على بردِ الماء وقتَ الإسباغ، وحصدَت مناجلُ السيوفِ زروعَ رؤوسٍ طالَما أطرقتْ في الأسحارِ، وعادت خيولهم خَلِيةً عنهم، فوطئتهم بعدَ السَّنا تحت السنابك، واقتسمَ لحومَهم عُقْبانُ السماءِ وسباعُ الأرض، فكم من رِجْلٍ رَجُلٍ طالما قامَتْ فَصَلَّتْ فُصِلَتْ، وكم من يدٍ بالدعاء رُفِعت وَقَعَتْ، وكم من بطْنٍ حَمَلَ بالصيام ما شَقّ شُقّ[6]، وكم من عينٍ كانت تعينُ الحزينَ بالفيض وقعت في منقار طائر!.

هذا حديثُ الأجسام، فأما الأرواحُ ففي دار السلام، والله ما كانتْ إلا غفوةٌ حتى أعطاهم العفْو عفواً[7] عَفْوَه، وكأنكم بأجسادِهم التي تفرقت قد تلفقت[8]، وبالقبورِ التي جمعتهم قد تَشقّقَت، وقد قاموا بالسلاحِ حولَ العرشِ، ينادونَ بلسانِ الحالِ: عن صاحبه حاربنا، ولأجلِه قُتِلنا، وكُلومُهم[9] يومئذٍ قد انفجرت فجَرَت، اللـونُ لونُ الدمِ، والريحُ ريحُ المسـكِ، فيعلمُ الأشـهادُ حينئذٍ أنّهم الشهداء.

اسمع يا من لا يحارب الهوى ولا ساعةً، فلو فاتتك الغنائمُ وحدَها قَرُبَ الأمـرُ، وإنَّما لقبُ جبـانٍ قبيحٌ، أين أربابُ العزائمِ القويّةِ؟! امتلأت بالأبـرارِ البَرّيةُ[10]، رحلوا عنا وفاتوا، ونحن مِتْنا وهُمْ ماتوا.

---

(١) القنخر: الصلب الضخم والعظيم الجثة.
(٢) العلندي: الغليظ من كل شيء.
(٣) الضباضب: الرجل القوي القصير.
(٤) الدُّلامز: القوي الضخم.
(٥) إجفيل: الجبان.
(٦) شُق: مزق. ما شق: ما صعب، يريد مكابدة الجوع بالصيام.
(٧) عفواً: فضلاً منه ومنّة.
(٨) تلفقت: تجمعت وتآلفت يوم البعث.
(٩) كلومهم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(١٠) البرية: المقبرة.

خلّ طرفي والبُكا إن كنتَ خِلّي[1] | فـالحِمـى أقفـرَ مـن جـارٍ وأهـلِ
وألـحِ مَـنْ لـم يـدْرِ مـا طعـمُ الأسـى | أنـا عـن لـومِـكَ فـي أشغـلِ شغـلِ
لم يدعْ وَقرُ النوى[2] في مسمعي | واعتـراضـاتُ الهـوى بـابـاً لِعَـذْلِ[3]
غيـرَ قلبـي إنْ تـأسّـى عـاشقـاً | للتـأسّـي، أو تسلـى للتسلّـي
أأثـافٍ[4] مـا تـرى تشكـو الصِّلا[5] | أم قلـوبٌ بيـن حصبـاءٍ ورمـلِ
هـذِه مِـنْ بعـدِهـم آثـارُهـم | والتجافي عن بِلى الأطلالِ يُبلي[6]
مـا وقـوفـي فـي محـلٍّ سـاكـنٍ | فـي فـؤادِي أهلُـه لا فـي المَحـلِّ
يتمنّـى طيفَكُـم صَـبٌّ[7] لكـم | مستهـامٌ[8] والمُنَـى جَهْـدُ المُقِـلِّ
والـذي يستجلِـبُ الطيـفَ الكَـرى | مَنْ لعيني أن تَرى النومَ ومَنْ لي؟
بِغْـتُ حِلمـي طـائعـاً لا كـارهـاً | بسفـاهـي فـاشتَـروْا عِـزّي بِـذُلّـي
وانقضـى أكثـرُ عمـري فـي القِلَـى | جفـوةً منكـم فَـرُقُّـوا لـلأقـلِّ
حَمّلُـونـي الخِـفّ مـن هَجْـركـمُ | وارْحَمُـوا مَـنْ مَـا لَـهُ طَـاقـة ثِقْـل
عجبـاً لـي ولقلـبٍ ضـائـعٍ | ضـاعَ عنـي بيـن بـانـاتٍ وأَثْـلِ
سـل بقلبـي عـن خيـامٍ فـي اللِّـوى | تـاهَ قلبـي فـي حمـاهـا ضَـلَّ عَقْلِي
ذاتُ[9] طَوْقٍ مثلُ شَجْوي[10] شجوُها | غيرَ أنْ ما شَكْلُها في الحُزْنِ شَكْلي
أنـا فـي النَّـوْحِ اضطـراراً مثلُهـا | وهـي فـي غيـرِ اضطـرارٍ فيـه مثلـي

---

(١) الخِلّ: الصديق المختص، وهو بالكسر والضم، ولا يضم إلا مع الودّ، والخليل: من أصفى المودة.
(٢) النوى: البعاد.
(٣) عذل: لوم.
(٤) أثاف: جمع أثفية، وهي أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.
(٥) الصِّلا: النار.
(٦) يبلي: يتلف.
(٧) الصبّ: من الصبابة، وهو الشوق، أو رقته، أو رقة الهوى، والصب: العاشق.
(٨) مستهامٌ: شديد الحبّ، هَيْمان.
(٩) ذات طوق: كناية عن الحمامة.
(١٠) شجوي: حزني.

حَـــرّمَ الله علـــى البـــانِ الصَّبـــا وحَماهُ الغيثُ من طَلٍّ[1] ووبل[2]

مـا علـى السـائِـقِ لـو حـلَّ النَّقـا وأراحَ العِيْـسَ[3] مـن شـدٍّ وحَـلٍّ

فعســى تُـدْنـي المُنـى مِنّـي مِنًـى ولعلِّــي أنْ أرى الخَيْــفَ لعلِّــي

* * *

(١) طل: مطر خفيف أو أخف المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه ودون المطر، والجمع: طلال.

(٢) وبل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) العيس: الإبل البيض مع شُقرةٍ يسيرة، واحدها: أعيس وعيساء.

الفصل التاسع والأربعون

عجباً لراحلٍ عن قليل، غافلٍ عن زادِ الرحيل، لا يعتبر بأَخْذِ الجيلِ[1]، وإنَّما هو تأخيرٌ وتعجيل، أين النزيل؟ أزيل. أين القويم؟ أُميلَ. أينَ المطمئنُّ؟ أُغتيلَ.

إنَّ الليــالــيَ لا تَبْقـى علـى حــال ... والنَّــاسُ مــا بيــنَ آمــالٍ وآجــالِ
كيــفَ الســرورُ بــإقبــالٍ وآخـرُه ... إذا تــأمَّلْتَــه مَقْلُــوبُ إقبــالِ[2]

تيقَّظوا فالأيامُ دائبة، وتحفَّظوا فالسهامُ صائبة، واحْذَرُوا دنياكم فما هي مواتيةٌ، واذكروا أُخْراكُم فها هي آتيةٌ.

أما رأيتُم الدُّنيا فقد أبانت خُدَعها ومَكْرَها، إذ أبانت مَنْ جَمَعَها مُكرَها[3]، أينَ الارتيادُ للسلامةِ غداً؟! أين الاستعدادُ قبلَ الندامةِ أبداً؟!.

كأنكم بالمسيرِ عن الرَّبْعِ قد أَزِفَ، وبالكثيرِ من الدمع قد نَزِفَ، وبالمقيمِ قد أُبينَ مما أَلِفَ، وبالكريمِ قد أُهينَ لما تَلِفَ.

يــا طــالــبَ الــدُّنيــا دنــا فِــراقُهــا ... تــزويجُهــا أســرعُ أمْ طــلاقُهــا
ودينُ مَنْ يخطبُها صَداقُها

عبادَ الله! من تعلّقَ قلبُه بالجنّةِ لم يصلحْ لنا، فكيفَ بمَنْ يَهْوى الدنيا؟!.

أَرَدْنــاكُــمُ صِــرْفــاً فلمّــا مُــزِجْتُــمُ ... بَعُــدْتُــم بمقــدارِ التفــاتِكُــمُ عنّــا
وقلنا لكم: لا تُسْكِنوا القلبَ غيْرَنا ... فــأسكنتــمُ الأغيــارَ، مــا أنتــمُ مِنّــا

السلطانُ لا يزاحَمُ في دارِه «لا يسعني شيءٌ، ويسعني قلبُ عبدي المؤمن»[4]

---

(١) أخذ الجيل: أي بإهلاك أمة بعد أمة.
(٢) مقلوب إقبال: إدبار.
(٣) أي: إن الدنيا تفصل من جمعها عما جمعه من الدنيا مجبراً.
(٤) تقدم تخريجه.

غبتُمْ عَنِ العَيـنِ القـريحـةِ فيكـمُ وَسَكَنْتُـمُ فـي القلـبِ دارَ مُقـامِ
وسلَبتُـمُ جَلَـدي التصبُّـرَ عَنْكُـمُ فـالصَّبْـرُ أولُ راحـلٍ بسـلامِ

خرجَ المريدُ الصادقُ من ديار الهوى إلى بادية الطلَب، فجَنَّ عليه ليلُ التَّحَيُّرِ فجُنَّ، فإذا نارُ القِرى تلوح إنْ حمَلتْ رجلُ الرجل.

(لمهيار)[1]:

قد أبصرتْ حقّاً مُناها في الحِمَى وظَنَّهـا بحـاجـرٍ يَقِينـا
فَبَلَغَـتْ أدعـو لهـا وبَلَّغـتْ وخـانَنـي مَـنْ لـم يقـلْ: آمينـا

كَرْبُ المُحِبِّ بالنهارِ يَشْتَدُّ لمزاحمة رُقباءِ المخالَطة، فبُلْبُلُ بِلْبالِه يتقلقلُ في قفص الكَتْم، فإذا هبّت نسيمُ السحر، وجد روحُه روحاً يصل في قصر مصر المنى إلى أرض كنعانَ الأمل، فيقدم ركبُ الشوق يتحسس النسيمَ من فُرَج الفَرَج وَلَهُ وَلَهٌ، فنهض تَوَقُ الشوقِ، فتكلَّمَ قلمُ الشكوى، ورَقَم وصفَ القوم، وحكى ما حاكى، وكَنّى عن ما كنَى.

عـاودَ القلـبَ غـرامُـهْ وجَفـا الجفْـنَ مَنـامُـهْ
كلّمـا قلـتُ جَـوَى الشـوقِ خبَـا زادَ اضطـرامُـهْ
أنـا فـي أَسْـرِكَ والمـأسـورُ قـد يُـرعَـى ذمـامُـهْ
آهِ مـن عَتْبِـكَ فـي الليـلِ إذا جُـنَّ ظـلامُـهْ
سيـدي هـائمُـك الحيـرانُ قـد زادَ هُيـامُـهْ
هـو ميّـتٌ غيـرَ أنّ لـم تَبْـلَ فـي التُّـرابِ عظـامُـهْ
كنهـاري منـذْ فـارقْتُـكَ ليلـي لا أنـامُـهْ

إذا اعتكرَ الليلُ اعترك الهمُّ، طالَ الدُّجى على الأبدان، وقَصُرَ على القلوب.

شكَـوْنـا إلـى أَحبـابنـا طـولَ ليلنـا فقالـوا لنـا: ما أقصـرَ الليلَ عِنْدَنـا

لو رأيتَ رواحِلَ الأبدانِ قد أنضاها طولُ السهرِ وأضناها، فلمّا هبّتْ نجديّةُ

---

(١) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة بن المزرع. انظر: ديوان شعره: ٤/ ٩٣-٩٧.

السحرِ مدَّت أعناقَ الشوقِ فزالَ كلُّ الكَلال.

(الصُرَّدُرّ)[1]:

تـزاوَرْنَ عـن «أذرِعـاتٍ» يمينـا ... نـواشـزَ ليـسَ يُطِقـنَ البُـرينـا[2]

كَلِفـنَ بنجـدٍ كـأنَّ الـريـاضَ ... أخـذن لنجـدٍ عليهـا يمينـا

وأقسمـنَ يَحْمِلـن إلا نحيـلاً ... إليـه ويُبْلغـنَ إلا حـزينـا

ولمـا استمعـنَ زفيـرَ المشـوقِ ... ونـوحَ الحمـامِ تَـرَكْـنَ الحنينـا

إذا جئتمـا بـانـةَ الـواديـينِ ... فَأَرْخُوا النسوعَ، وحُلّوا الوضينا[3]

فثَـمَّ عـلائِـقُ مـن أجلهـا ... مُـلاءُ الـدُّجى والضُّحَى قد طَـوَيْنا

وقـد أنبـأتْهـم ميـاهُ الجفـونِ ... بـأنَّ بقلبِـكَ داءً دفينـا

دموع الخائفين يَحْبسُها بالنهار مراقبة الخلق، فإذا جُنَّ الليل انفتحَ سِكْرُ الدموع ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

أرواحُ الأسحار أقوات الأرواح، رقَّت فَرَقَت[4] حرَّ جدِّ الوَجْدِ، وبلَّغَتْ رسائلَ الحُبِّ، ومكروبُ الشوق يرتاحُ للرياح.

يـا نسيـمَ الـريـحِ هـلْ مـن وِقْفَـةٍ ... تُطفـئ الغُلـة[5] أو تشفـي الأُوامـا[6]

كـن رسـولاً بسـلام عـائِـداً ... نحـو مَـنْ أنفـذ لـي فيـك السـلامـا

لـم تُثِـر شجـوي حمـامـاتُ اللِّـوى ... بـل غـرامـي علَّـمَ الشجـوَ الحمـامـا

كانت (**بُردةُ العابدة**) تنادي في جَوْف الليل: غارتِ النجومُ، ونامتِ العيونُ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وقد خلَوْتُ بك يا خيرَ محبوبٍ، أفتراك تعذّبني وحُبُّك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها رئيس الرؤساء ابن المسلمة عام (٤٤٨هـ). انظر: ديوان شعره، ص ١٥.

(٢) **أذرعات**: بلد في أطراف الشام. **البرة**: حلقة تجعل في أنف البعير يكون فيها زمامه.

(٣) **النسوع**: حبل يشد به الرحل. **الوضين**: بطان عريض منسوج يكون للهودج.

(٤) **رقت الأولى**: أي لطفت. **فرقت**: من الترقية والسمو.

(٥) **الغُلة**: العطش أو شدته أو حرارة الجوف.

(٦) **الأُوام**: كالغُراب: العطش، أو حَرّهُ.

إن شئت سألتَ دمعَ عينيَ عني   يخبرْك بأنني أسيرُ الحُزْنِ
منكَ العفوُ والخطايا مني   ظني حسن فيك فحقق ظني

يا غافلَ القلب! ما هذا الكلام لك، ليسَ على الخرابِ خراجٌ، لا يعرِفُ البَرَّ إلا سائحٌ، ولا البَحْرَ إلا سابحٌ، ولا الزنادَ إلا قادحٌ.

ضَمَّنا يومَ تنادَوْا لِلِّقا   موقفٌ يعرِفُهُ مَنْ عَشِقَا

لما عَشِقَتِ اللبلابةُ[1] الشجرَ، تَقَلْقَلَتْ طلباً لاعتناقِ الرؤوس، ولثْمِ الخدودِ، فقيلَ لها: مع الكثافة لا يمكن، فرضيت بالنحولِ، فالتَفَّتْ فالتَقَتْ.

حُبيَ والوجدُ أَوْرثانيَ سُقْما   هذا جِسْمي يُعَدُّ عَظْماً عَظْما
دعنيَ والشوقُ قد كفاني خَصْما   يا سهمَ البَيْنِ قد أصبتَ المَرْمى

* * *

(١) اللبلاب: نبات عشبي معترش يلتف على المزروعات والشجر.

الفصل الخمسون

إخواني! مَنْ تفكّرَ في ذنوبه بكى، ومن تلمّحَ سيرَ السابقين وانقطاعه شكا، ولا أقلقَ القلبَ مثلُ الحزن ولاَ نَـكا(١).

عنـدَ قلبـي عـلاقـةٌ مـا تُقَضـى ... وجـوًى كلّمـا ذوى عـاد غَضّـا
وبكـاءٌ علـى المنـازلِ أبلَتْهُـنّ أيـدي الأيـامِ بَسْطـاً وقَبْضـا
مَـنْ معيـدُ أيـامِ ذي الأَثْـل أو مـا ... قـلّ منهـا دينـاً علـيّ وقَـرْضـا
سـامحـاً بـالقليـلِ مِـنْ عهـدِ نجـدٍ ... رُبّمـا أقنـعَ القليـلُ وأَرْضـى
مهـدياً لـي مـن طيـبِ أرواح نجـدٍ ... مـا يُـداوي نفـسَ العليـلِ المُنَضَّـى

إخواني! تفكّروا في ذنب أبيكم ونزوله بالزلل، ويكفيكم رَمْزٌ إلى آدم بأنك عبد، في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨]، لأنَّ العبدَ ليس له إلا ما سدَّ الجَوْعة وسترَ العَوْرة، فجاء إبليسُ يُطمِعُه في الملك، فلمَّا خرجَ إلى الطمعِ خَرجَ.

نامَ في الجنة فانتبه، وقد خلقت له حوّاء، فقال: ما هذا؟ قيل: مَنْ يريدُ النومَ يُخلَقُ له ضجيعٌ، كفى بالشوقِ مُسْهِراً، فلمَّا وقعَ في الزَّلَلِ طارَ النوم.

متى شُقَّ جَيْبُ الجُنحِ بالبارقِ الوَمْضِ ... وهَبَّتْ قَبولٌ فالسَّلامُ على الغُمْضِ

بالأمس جبريلُ يَسجُدُ له، واليوم يُجزُّ بناصيته للإخراجِ، ولسانُ حالِه يستغيثُ:

حُـداةَ العيـسِ رفقـاً بـالأسيـرِ ... ليغنَـمَ نظـرةً قبـلَ المسيـرِ
ويـا بـانَ الحِمَـى هـل فيـكَ ظِـلٌّ ... فعنـدَ حشـايَ مـزدَحِـمُ الـزفيـرِ
ويـا ريـحَ الشمـالِ بحـقِّ حِبـي ... وصدقي هل مَرَرْتِ على الغديرِ؟

---

(١) نكا: من نكأ، يقال: نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ فَنَدِيَتْ، ونكأ العدو: جرحه وقتله.

وهــلْ سَحَبْــتِ علــى شِيْــحٍ ورَنْــدٍ ذُيــولَــكِ يــا مُبَلْبَلَــةَ الضميــرِ؟

بكى من زلته ثلاثمئة حتى سالت الأودية من دموعه[1]، اسمع يا مَنْ يَضحَكُ عند المعاصي:

سلُوا بعدَكم وادي الحِمى ما أَسالَهُ دمِيْ ودمُوعي في هواكُم أمِ القَطْرُ
وهل ما أراهُ الموتُ أم حادِثُ النَّوى وهل هو شوقٌ في فؤاديَ أمِ الجمرُ؟

كان يقول لولده: يا بُنيَّ طال والله حُزْني على دارٍ أُخرجتُ منها، فلو رأيتَها زهَقَتْ نفسُك.

قِــــفْ فَتِلْــــكَ الطلــــولُ وابْكهــــا يــــا رســــولُ
واقــــرَ[2] عَنِّــــي ســــلامــــي مَــــنْ عَلَيْهــــا نــــزولُ
رُبَّ سكــــــانِ دارٍ فــــي فــــؤادي حلــــولُ
فــــاســــألِ الــــدارَ عنهــــم واستَمِــــعْ مــــا تقــــولُ
لــــي وللبيــــن فيهــــم شــــرحُ حــــالٍ يطــــولُ
قــــد كفــــانــــي غَــــرامــــي لا تَــــزِدْ يــــا عــــذولُ
لســــتُ أدري إذا مــــا لُمْتنــــي مــــا أَقــــولُ
خلَّفــــونــــي مُعَنّــــى[3] والمُعنّــــى حَمُــــول

كانت الجنةُ إقطاعَنا فَحُلَّ الإقطاعُ بجنايةِ لُقمة، فلما غَسلَ آدمُ جَنابَةَ الجِنايَةِ رُدَّ الإقطاع عليه، لولا لطف ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ [البقرة: ٣٧]، لقتله الأسف.

مَنْ لي مَنْ لي بَوصْلِ حِبٍّ نازحْ لــو بيــعَ بمُهجتــي لكنْــتُ الــرابــحْ
صالِحْ مَنْ عاشَ بالأمانيَ صَالحْ ســامِــحْ في النقــدِ يــا حبيبيَ ســامحْ

يا مَنْ جرى عليه ما جرى على أبيه، أُسلكْ طريقَه من البكاء.

خــــلِّ دمْــــعَ العيــــن يَنْهمِــــلْ بــــانَ مَــــنْ تهــــواهُ فــــاحتمــــلْ

---

(١) هذا من الإسرائيليات الباردة البعيدة.
(٢) واقرَ: أصلها واقرأ: أي: ألق السلام.
(٣) معنّى: متعب.

كــلُّ دمــعٍ صــانَــهُ كَلِــفٌ فهـــو يـــومَ البَيْـــنِ مُبْتَـــذِلْ

اكتبْ قصةَ النَّدم بِمِدَادِ الدُّموع، وابعثها مع ريح الزَّفَرات، لعلَّ الجوابَ يصلُ برفع الجوى[1]:

كيـف لا أبكـي علـى عيشٍ مَضـى بعـتُ عمـري بحقيـرِ الثَّمـنِ
كيـفَ أرجـو البُـرْءَ مـن داء الهـوى وطبيبـي فـي الهَـوَى أمـرَضَنـي

انتبه لنفسك يا مَنْ كلما تَحرَّك تَعَرْقَل، فيك جوهريةُ السَّباق، ولكن تحتاجُ إلى رائض، قَلْبُكَ محبوسٌ في سجنِ طَبْعِك، مقيّدٌ بقيود جهلك، فإذا ترنَّم حادٍ تنفَّسَ مشتاقٌ إلى الوطن، فالبَسْ لأمةَ[2] عَزْمِك، وسِرْ بجُنْدِ جِدِّك، لعلّك تُخلِّصُ هذا المُسْلِمَ من أيدي الفراعنة.

أبـالغـورِ تشتـاقُ تلـك النُّجـودا رميـتَ بقلبِـكَ مـرمًـى بعيـدا
فـــؤادُ أسيـــرِ لا يُفْتـــدى وجفـنُ قتيـلِ البكـا ليـسَ يُـوْدَى

لك الحديثُ يا مُعْرِضُ، أنتَ المرادُ يا غافلُ، يا مُستلِذّاً بَرْدَ العيشِ تَذَكَّرْ حرقةَ الفُرْقة، يا مَنْ يُسْلِمُهُ موكَلَان إلى موكَلَيْن، ما لانبساطِكَ وَجْهٌ، إنَّما تُمْلي عليهما رسالةً إلى ربك، وما أراكَ تَمَلُّ قُبحَ ما تُمْلي.

يا جامدَ العينِ اليوم، غداً تدنو الشَّمْسُ إلى الرؤوس، فَتُفَتِّحُ أفواهُ مسامِّ العروقِ، فتبكي كلُّ شَعَرةٍ بعَيْنِ عُروقِها.

يبرزُ يوسُفُ الهيبة، فيقُدُّ قميصَ الكونِ.

نفخُ الريحِ اليومَ يحرِّكُ الشجَرَ، ونفخُ الصورِ غداً يعمَلُ في الصُّوَر.

ريحُ الدنيا بَيْنَ مُثيرٍ ولاقح، تُثيرُ دفائنَ النباتِ، وتلقحُ الثمار، [وتثيرُ الأعمار][3]، وريحُ الأخرى تلقِّحُ الأشباحَ للأرواحِ لقراءةِ دفاترِ الأعمارِ.

---

(١) **الجوى**: الحرقة وشدة الوجد.
(٢) **اللأمة**: عُدة القتال.
(٣) زيادة من (ب).

أين الذين نَصَبوا الآخرة بين أعينهم فَنَصَبوا[1]، وندَبوا أنفسهم لمحو السيئات ونَدَبوا[2].

كان (**داود الطائي**) ينادي بالليل: همُّك عطَّلَ عليَّ الهموم، وحالَف بيني وبينَ السهاد، وشوقي إلى النظرِ إليكَ حالَ بيني وبين اللَّذات، فأنا في سجنك أيها الكريمُ مطلوبٌ.

يـا مـالـكَ مُهجَتـي ووَالـيَ دِينـي ... كـمْ ينشـرُنـي هـواكَ وكـمْ يطـويـنـي
هِجْـرانُـك مَـعْ مَحبّتـي يُضْنِينـي ... هـل تُـدرِكنـي بنظـرةٍ تُحْيِيْنـي

إذا جَنَّ الغاسق[3] جُنَّ العاشق.

طـالَ ليلـي دون صَحْبـي ... سَهـرتْ عينـي ونـامـوا

كانوا يتراسلون بالمواعظ لتقع المساعدةُ على اليقظة، كصياحِ الحارسِ بالحارسِ: يا نيامُ السَّحور[4].

(للمصنف):

عَـرِّجـوا بـالـرفـاقِ نحـوَ الـرّكْـبِ ... وقِفُـوا وقفـةً لأَنْشُـدَ قلبـي
وخـذوا لـي مـن النَّقيـب لِمـاظـاً[5] ... أَوْردوا بـي إلـى العُـذَيْـبِ وحَسْبـي
فهبـوبُ الـريـاح مـن أرضِ نجـدٍ ... قُـوتُ روحـي وحبَّـذا مـن مَهـبِّ
يـا نسيـمَ الصَّبـا تـرنَّـمْ علـى الـدَّوْحِ ... بصـوتٍ يُشْجِـي وإنْ طـارَ لُبـي
مَـنْ مُعيـدُ أيـامِنَـا بِلِـوى الجَـزْعِ ... وهيهـاتَ أيـنَ مِنّـيَ صَحْبـي

* * *

---

(١) **نصبوا الأولى**: جعلوا ووضعوا. **ونصبوا الثانية**: تعبوا.
(٢) **ندبوا الأولى**: من الندب، وهو الدعاء؛ أي: دعوا. **وندبوا الثانية**: من الندبة: أي البكاء.
(٣) **جَنَّ الغاسق**: أي ستر الليل بظلامه.
(٤) **السَّحور**: طعام السحر وشرابه، يشير إلى حظ الأرواح من نعمات السحر.
(٥) **لماظاً**: جمع لُمظة؛ يقال: تلمّظ، إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه أو مسح به شفتيه.

الفصل الحادي والخمسون

أين اللاهونَ بالمُزاح زَاحوا؟ أين شَارِبوا الراحِ راحُوا؟ وبكَ يا صاحِ صَاحُوا، لقد نَدَبُوا في قبورِهم على الوَنَى[1] وناحُوا:

يـا أيُّهـا الـواقِـفُ بـالقبـورِ ... بَيْـنَ أُنـاسٍ غُيَّـبٍ حُضُـوْرِ
قـد سكنـوا فـي جـدَثٍ مَعْمُـورِ ... بيـن الثَّـرى وجَنْـدلِ الصُّخـورِ
ينتظـرون صَيْحَـةَ النشـورِ ... ولا تَـكُ عـن حَظِّـكَ فـي غـرورِ

أين أربابُ المَناصبِ؟ أَبادهم الموتُ المُناصِبُ[2]، أين المتجبِّرُ الغاصبُ؟ أذلَّـه عـذابٌ واصبٌ[3]، لُفَّتْ ـ والله ـ الأكفانُ كالعَصائب، على تلك العَصائب[4]، وحلَّت بهم آفاتُ المصائب، إذ حلَّ بَلبّاتهم[5] سهمٌ صائب، فيا من يأمن هذه النوائب، أحاضرٌ عندنا أنتَ أم غائب؟!.

كم عاصٍ باتَ في ذنوبه، يَتَقَلّبُ على فراشِ عيوبه، بين مزمارٍ ومِزْهَرٍ، ومُسْكِرٍ ومُنْكَرٍ، فجاءه الموت فجأةً، فأنساهُ ولَدَه ونساءَه، وجلب مساؤه ما سَاءَه، فنُقِلَ إلى اللحدِ ذميماً، ولقي من غِبِّ[6] المعاصي أمراً عظيماً.

بينَـا تَـرَاهُ غـادِيـاً رائحـاً ... فـي نِعَـمٍ غَـادِيَـةٍ رَائِحَـهْ
إذا بيـومٍ طـالـحٍ مُخـرِجٍ ... مـن خِبْئِـه آمـالَـه الصـالحـهْ
كـم سـالـمٍ صبَّحَـهُ مـوتُـه ... وقـائـلٍ عَهْـدي بـه البـارحـهْ

---

(١) الونى: التكاسل والتباطؤ.
(٢) المناصب: المعادي.
(٣) واصب: متتابع مستمر.
(٤) العصائب: الأولى جمع عصابة، وهي كالعِمامة. والثانية: جمع عِصابة، وهي الجماعة من الناس.
(٥) لباتهم: جمع لبة، وهو موضع النحر من الصدر.
(٦) غب: عاقبة.

أمســـى وأمســـت عنـــدَه قَيْنَـــةٌ فـــأصبَحَـــتْ تَنْـــدُبُـــهُ نـــائِحَـــهْ
فكُـــنْ مـــن الـــدُّنيـــا علـــى صَيْحَـــةٍ وأيُّـــا لَيْسَـــتْ لـــه صـــائِحَـــهْ
مَـــنْ كـــانـــت الـــدُّنيـــا بـــه بَـــرَّةً فـــإنَّهـــا يـــومـــاً لـــه ذابحـــهْ

وا عجباً لمن رأى هلاكَ جنسِه ولم يتأهَّبْ لنفسِه!.

قال البازيُّ للديك: «ليسَ على الأرضِ أقلُّ وفاءً منك، أَخَذَكَ أهلُك بيضةً فحضنوك، فلما خرجتَ جعلوا مَهدَك حجورَهم ومائدتَك أُكُفَّهم، حتى إذا كبرتَ صِرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلا طرتَ ها هنا وها هنا وصِحْتَ، وأنا أُخذتُ وحشيّاً من الجبالِ فعلَّمُوني ثم أرسلوني، فجئتُ بصيدي».

فقال له الديك: «إنك لم ترَ بازياً مشوياً في سفود، وكم قد رأيتُ في سفودٍ منْ ديكٍ».

إخواني! الزهدُ في الدُّنيا زُبْدُ مَخْضِ مَحْضِ الفكر، حظُّ الحريصِ على الدنيـا في الحضيض، والقَنُوعُ في أعلى الذُّرَى، سـائقُ الحِرْصِ يضربُ ظهـرَ الحريص بعصا التَحْريضِ، فلو قد عَصَى الهوى كَفَّتِ العصـا، كلّ ما زادَ على القوتِ فهو مستخدِمُ الكاسب!.

يا موغلاً في طلب الدنيا! الحسابُ حَبْسٌ، فإن صحَّ لك الجواب تعوَّقْتَ بمقدار التَّصحيح، وإن لم يصحَّ فمطمورة[١] جهنم.

ويحك! طالِعْ دستورَ عَمَلِكَ تَرَ كلَّ فِعْلِك عليك. مَنْ وقَفَ على صراطِ التقوى، وبيده ميزانُ المحاسبةِ، ومَحَكُّ الورع، يستعرضُ أعمالَ النفس، ويردُّ البَهرجَ[٢] إلى كِيرِ التوبةِ، سَلِمَ من رَدِّ الناقدِ يوم التقبيض.

ويحك! سلطانُ الشبابِ قد تولّى، وأميرُ الضَّعف قد تولّى[٣]، ومِعْوَلُ الكِبَرِ يعرقلُ حيطانَ دار الأجل.

وحسبُك داءً أن تصحَّ وتسلما

---

(١) **المطمورة**: حفرة يطمر فيها الطعام وغيره.
(٢) **البهرج**: المزيف المغشوش.
(٣) **تولى الأولى**: ذهب وانصرف. وتولى الثانية: من التولي والتحكم.

قِفْ على ثَنيةِ الوداعِ نادباً قبل الرحيل على ديارِ الأُلفةِ.

يـا منـزلاً لـم تُبْـلَ أطـلالُـه ... حـاشـى لأطـلالِـكَ أن تَبْلـى
والعشـقُ أولـى مـا بكـاهُ الفتـى ... لابُـدَّ للمَحْـزون أن يَسْلـى
لـم أبـكِ أطـلالـك لكنَّنـي ... بكيـتُ عَيشِـي فِيْـكَ إذ وَلّـى

كان (**ثابت البُناني**) يستوحشِ لفَقْد التعَبُّدِ بعدَ موته، فيقول: «يا ربِّ إن كنتَ أذنتَ لأحدٍ أن يُصلي في قبرِه فأذَنْ لي».

وكان (**يزيد الرَّقاشي**) يقول في بكائه: يا يزيدُ مَنْ يبكي بعدَك عنك؟! من يتَرضّى ربّك لك؟!.

أحبُّكُـم مـا دمـتُ حيّـاً وإن أَمُـت ... فـوا كبـدي مَـنْ ذا يحبُّكـم بَعـدي

لمّا علم المحبونَ أن الموتَ يقطعُ التعبُّدَاتِ كرهوه لتدومَ الخدمة.

جاء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبضه فلطَمَ عينَه[1]، فإذا قامت القيامةُ بادر إلى العرش[2]، طالتْ غيبته فاستعجلَ استعجالَ مشوق.

كانوا يحبّون أماكن الذكر ومواطنَ الخلوة، والمؤمنُ أَلُوف للمَعَاهد، عهدٌ عند المُحبِّ لا ينساه، «**أسكن حراء**»[3].

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث في لطم موسى عليه السلام، وفيه: «... **أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكّه، ففقأ عينَه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريدُ الموت! قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له...**» الحديث. وللعلماء في اللطم هذا تأويلات تُراجَعُ في الشروح.

(٢) في صحيح البخاري برقم (٢٢٣٤): عن أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «**لا تخيروني على موسى، فإنّ الناس يُصعقون يوم القيامة، فأُصعقُ معهم، فأكونُ أوّلَ من يُفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله**». وانظر كذلك برقم (٣١٥٦، ٦٠٣٦، ٦٩١٨).

(٣) تكرر اهتزاز جبل أُحد وحراء تحت النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، انظر كتاب: فضائل المدينة المنورة، للدكتور خليل ملا خاطر: ٣/ ٨٧.

احْبِسَا الركبَ بوادي سَلَمِ ... فبذاك المُنْحنى طُلَّ دَمِي
وانشُدا قلبيَ في سُكَّانِه ... فمِنَ السُّكانِ أشكو أَلَمي
أخذوا قلبي، وأَبقَوْا جَسدي ... فوجودي بعدَهُ كالعَدَمِ
صِلْ مُحِبّاً جفنُه لم يَنَمِ ... وَا بَلائي إنَّ خَصْمي حَكَمي

وا عجباً لمحبٍّ يسترُ ذكرَ الحبيبِ بذكرِ المنازلِ، وما يخفى مقصودُه على السامعِ: «**أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه**»[1].

ألا اسْقِني كاساتِ دَمْعي وغَنِّني ... بذكرِ سُليمى والربابِ وتَنَعَّمِ
وإياكَ واسمَ العامريةِ إنني ... أغارُ عليها مِنْ فمِ المُتكلِّمِ

رياحُ الأسحارِ تحمِلُ الرسائلَ، وتردُّ الجوابَ.

(للخفاجي):

أفي نجْدٍ تجاوزكَ القَبولُ ... أظنُّ الريحَ تفهمُ ما تقولُ
تَغَنّتْ في رحالِ الركبِ حتى ... تَشابَهتِ الذوائبُ والذيولُ
صَحِبْنا في ديارهمُ صبَاها ... تناوبَها التنفُّسُ والنُّحُولُ
وأمطرْنا سحابَ الدَّمْعِ حتى ... حَسِبْنا أنها مُهَجٌ تَسِيلُ
وعُجْنا ذاهلينَ فما عَلمنا ... أنحنُ السائلونَ أم الطُّلولُ؟

ديارُ الأحباب درياق[2] هموم المحبين «على أنني منها استفدت سقامي».

كان قيس إذا ذَكَرَ ليلى تعلَّلَ بالآثارِ، واستشفى بالدِّمَن[3]، واستنشقَ الصَّبا، وشامَ برقَ[4] بني عامر.

أَقْتَلُ أدواءِ الرجالِ الوَجْدُ ... وَ قِ[5] نجداً فالغرامُ نجدُ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) **درياق**: لغة في الترياق: دواء السموم.
(٣) **الدمن**: جمع دمنة: آثار الديار.
(٤) **شام البرق**: نظر إلى سحابته أين تمطر.
(٥) **قِ**: فعل أمر من وقى يقي.

حيثُ الرياضُ والنسيمُ أُنُفٌ — ودَنِفٌ[1] ما يستفيقُ بعدُ
إنَّ الصَّبا إذا جرتْ قادِحةً — نارَ الغرام ففؤادي الزَّنْدُ[2]
تُعدي المحبينَ الصَّبا كأنّما — لها على أهلِ الغرامِ حِقْدُ
لا تتلق نفحةً نَجْديّةً — هَزلاً فهَزلُ النفحاتِ جِدُّ
دعِ الصَّبا فعلُ الهواء كالهوى — سِيّانَ منه قصرُه والمَدُّ
ما كبدي بعدك إلا جذوةٌ — لها بترجيع الحنينِ وَقْدُ
يسترُها الجِلْدُ ولولا أدمُعِي — ما كان يقوى سترَ نارٍ جلدُ
كيف ببرئي والطبيبُ مُمْرضي — يصدُّ والداءُ العضالُ الصَّدُّ
النَّارُ قلبي والسَّمومُ نفسي — والماءُ طَرْفي والترابُ الخَدُّ
قد كدتُ أَخْفى عن عيونِ عُذَّلي — كذا وجودُ العاشقين فَقْدُ

* * *

(١) دنف: الدنف المرض الملازم.

(٢) الزند: العود الذي يقتدح به النار.

الفصل الثاني والخمسون

العُزلةُ حميةُ البدَنِ، والمناجاةُ قوتُ القلبِ، ومن أَنِسَ بمولاه استوحشَ مِنْ سواه.

يـــا منتهـــى وحشتـــي وأُنســـي ... كـــنْ لـــي إن لـــم أكـــن لنفســـي
أطمَعَنـــي فـــي غـــدٍ نجـــاتـــي ... حلمُـــك عـــن سيئـــاتِ أمســـي

خُلِقَ القلبُ طاهراً في الأصل، فلما خالطته شهواتُ الحِسِّ تكدّرَ، وفي العزلةِ يرسبُ الكَدَرُ.

الحيوانُ المميّزُ على ثلاثة أقسام:

- فالملائكةُ خُلِقَتْ من صفاءٍ لا كدرَ فيه.
- والشياطينُ من كدرٍ لا صفاءَ فيه.
- والبشريُّ مركَّبٌ من الضدين.

فالعجبُ أن تقوى عند التقوى.

تقديس الملائكة يدور على ألسنةٍ لا تشتاق بالطبع إلى الفضول، سُبَحُ تسبيحهم عقودٌ ما نظمتها كِلفُ التكليف، ثمراتُ زروعهم نشأت لا عن تعبٍ، سقاها سيحُ العِصْمةِ، فكثر في زكوات تعبُّدِهم قدرُ الواجب ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. كانت أقدامُ تعبُّدِهم سليمةً، فاستبطؤوا سَيْر زَمْنَى[1] الهوى، فقيل: «**إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية**»[2].

واعجباً! من منحدرٍ في سفنِ التعبدِ يستبطئُ مصاعداً في الشمال.

---

(١) زمنى: جمع زَمِن، وهو المبتلى بيّن الآفة.

(٢) لم أجد هذا الحديث بنصه، انظر موطأ مالك، ففيه: «... **فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية**» وهذا مروي عن المسيح عليه السلام.

سمعوا بيوسف الهوى وما رأوه، فأخذوا يلومون زليخا الطبعِ من جنسِ عتب ﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾ [يوسف: ٣٠]، فلمّا قالت الدنيا يوم هاروت وماروت: ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف: ٣١]، قطعوا أكفَّ الصبر، وصاحَ في تلك المواقف مَواقفُ ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٠].

«إنَّ للحـرب رجـالاً خـلقـوا»

أَلَهُم أنينُ المذنبين، أو خلُـوف الصائمين، أو حُرقة المحبين؟!.

لما عبَّ[1] بحرُ الأمانة يوم ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، توقفتِ الملائكةُ على الساحل، ونهضت عزيمةُ الآدمي لسلوك سبيل الخطر، بل لأقدام المحبِّ إقدام.

يغلبُني شـوقـي فـأطـوي السُّـرى ... ولـم يـزلْ ذو الشـوقِ مغلـوبـا

لا نحتاجُ أن نناظرَ الملائكة بالأنبياء، بل نقول: «هاتوا لنا مثل عمر، كلُّ الصحابة هاجروا سرّاً، وعمرُ هاجر جهراً، وقال للمشركين قبل خروجه: ها أنا ذا، على عزم الهجرةِ، فمن أرادَ أن يلقاني فليلقني في بطنِ هذا الوادي».

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي

مذ عزم عمر على طلاق الهوى، أَحَدَّ أهلُه عن زينة الدنيا.

وعــزمــةٍ بعثَتْهــا همــةُ زُحَــلْ ... من تحتها بمكان التراب مَنْ زَحَلْ

لما ولي (**عمر بن عبد العزيز**) خَيَّرَ النساءَ، فقال: «من شاءت فلتُقِم، ومن شاءت فلتذهب، فإنّه قد جاء أمرٌ شغلني عنكنّ».

(المهيار)[2]:

أقسَـــمَ بـــالعفـــةِ: لا تيّمـــه ... ظبــيٌ رنـــا أو غصـــنٌ تـــأوَّدى
وكلّمـا قيـلَ لــه: قِـفْ تسترخ ... جُزْتَ المدى قال: وهل نلتُ المدى

---

(١) عب البحر: ارتفع موجه واصطخب.

(٢) من قصيدة يهنئ فيها الوزير أبا المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره، ص٣٣٢ـ٣٣٦.

للعزائمِ رجالٌ ليسوا في ثيابنا، وطّنوا على الموتِ، فحصلت الحياةُ.

إذا ما جررتُ الرمحَ لم يثنني أبٌ مُلِحٌّ ولا أمٌّ تصيحُ ورائي
وشيّعني قلبٌ إذا ما أمرتُه أطاعَ بعزمٍ لا يروغُ ورائي

يا مختار القدر! اعرف قَدْرَ قدرِكَ، فإنما خُلِقَتِ الأكوانُ كلُّها لأجلك.

يا خزانة الودائع! يا وعاءَ البدائع! يا من غُذِيَ بلبانِ البر، وقُلِّبَ بأيدي الأيادي، يا زَرْعاً تَهمِي عليه سُحُبُ الألطاف، كل الأشياء شجرةٌ وأنت الثمرةُ، وصورٌ وأنت المعنى، وصدَفٌ وأنت الدُّرُّ، ومخضةٌ وأنت الزُّبدُ.

مكتوبُ اختيارنا لك واضحُ الخطِّ، غير أنَّ استخراجَك ضعيفٌ، متى رمتَ طلبي فاطلبني عندك.

ساكنٌ في القلبِ يعمُرُه لستُ أنساهُ فأذكُره
غابَ عن سمعي وعن بصري فسُويدا القلبِ تُبْصِرُه

ويحك! لو عرفتَ قدر نفسِكَ ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبعدنا إبليسَ لأجلك، لأنّه لم يسجد لك، فالعجبُ منك كيفَ صالحته وهجرتنا؟!.

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى حفظنا له الوُدَّ القديمَ فضيَّعا
وواصلتَ قوماً كنتُ أنهاكَ عنهمُ وحَقِّكَ ما أبقيتَ للصلحِ مَوْضِعَا

يا جوهرةً بمضْيَعةٍ، يا لُقَطةً تُداسُ، كم في السماوات مِنْ مَلَكٍ يُسبِّح! ما لهم مرتبة ﴿ نَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، لا يعرفونَ طَعْمَ طعام، وما لهم مقام «**ولخلُوفُ**»[1]، أنينُ المذنبين عندنا أوفى من تسبيحهم، سبحان من اختارك على الكلِّ، وجادلَ عنك الملائكةَ قبل وجودِكَ: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ ﴾ [البقرة: ٣٠]، خلق سبعةَ أبحرٍ، واستَقْرضَ منكَ دمعةً، له ملك السماوات والأرض، واستقرض منك حَبّة.

(للشريف الرضي):

---

(١) من حديث الصيام: «**ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

المـــاءُ عنـــدَكِ مبـــذولٌ لـــوارِدِه   وليس يرويكِ إلا مَدْمَعِي الباكي

كانت الأمتعةُ المُثَمَّنة واللآلئُ النفيسةُ تباعُ بمصر، فلا ينظرُ إليها **يوسف**، فإذا جاءت أحمالُ صوفٍ من كنعان لم تُحلَّ إلا بين يديه «لا تسأل عن عبادي غيري».

(للخفاجي):

لاحَ وعِقْـــدُ الليـــلِ مسلـــوبُ   بـــرقٌ بنـــارِ الشَّـــوقِ مشبـــوبُ

أســـألـــه عنكـــم وفـــي طيِّـــهِ   سطـــرٌ مـــن الأحبـــابِ مكتـــوبُ

لو كان في قلبك محبة، لبان أثرُها في جسدِكَ، «**عَجِبَ ربُّنا من رجلٍ ثار على وطائه ولحافه إلى صلاته**»[1]، تلمّحْ معنى «**ثار**» ولم يقل قام؛ لأنَّ القيامَ قد يقع بفتور، فأما الثوران فلا يكونُ إلا بالإسراع حذراً من فائت.

إذا هـزّنـا الشـوقُ اضطـربنـا لهـزِّهِ   على شُعَبِ الرَّحْلِ اضطرابَ الأراقمِ

فَمِـــنْ صبَـــواتٍ تسْتَقِيْـــمُ بمـــائـــلٍ   ومـــن أريحيـــاتٍ تَهُـــبُّ بنـــائـــمِ

إخواني! من ناقَرَهُ الوجْدُ، نافرَهُ النوم.

قال (**سفيان الثوري**): بِتُّ عند **الحجاج بن الفرافصة** إحدى عشرة ليلة، فما أكلَ وما شربَ ولا نامَ.

اســـأل عينـــي كيـــفَ طعـــمُ الكـــرى   عُـــلالـــةَ وهـــو ســـؤالُ محـــالِ

وكيـــفَ بـــالنـــومِ علـــى الهجْـــرِ لـــي   والنـــومُ مـــن شـــرطِ ليـــالـــي الـــوصـــالِ

* * *

---

(١) حديث رواه الإمام أحمد في المسند.

الفصل الثالث والخمسون

يا طويلَ الأملِ في قصيرِ الأجل، يا كثيرَ الزَّللِ في قليلِ العمل، خلاَ لَكَ الزمانُ وما سدَدْت الخلل، أفما عندك وجلٌ من هجوم الأجل؟!.

تجهَّزْ إلى الأجداثِ ويحكَ والرَّمْسِ[1] جَهازاً من التقوى لأطول من حبسِ
فإنَّك ما تدري إذا كنتَ مصبحاً بأحسن ما ترجو لعلّك لا تُمْسِي
سأُتعِبُ نفسِي كي أُصادِفَ راحةً فإنَّ هوانَ النفسِ أكرمُ للنفسِ
وأزهدُ في الدُّنيا فإنَّ مقيمَها كظاعنها ما أشبَهَ اليومَ بالأمسِ

يا معاشر الأصحّاء! اغتنموا نعمتَيِ السلامة والإمهال، واحذروا خديْعتَي المنى والآمال، قد جربتم النفس وتبذيرَها في بضاعةِ العمر، فانتبهوا لانتهاب الباقي: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

الدنيا حُلم والموت يقظة، ويوم الحساب تفسيرُ الأضغاثِ، أيامٌ معدودة وسيفنى العدد، وطريق صعبة على قلة العدد، وقد سار الركب ولاح الجُدَدُ[2]، أترى تظن أن تبقى إلى الأبد؟! أما يَعتبِرُ بالوالدِ الولد؟! أين المتحرِّكُ في الهواءِ؟ هَمَد، أين اضطرامُ تلك النار؟ خمد، أين ماءُ الأعراض[3] الجاري؟ جمد، تساوى في المماتِ الثعلبُ والأسد، وشارك الوَهي[4] بين الحديدِ والمسد! وجمع التلفُ بين عنقاء[5] مَغرب والصُّرَد[6]، واستقام قياسُ النقض للكلِّ واطرد، أفلا ينتبه من رقدته من قد رَقَد؟!.

---

(١) **الرمس**: الدفن والقبر.

(٢) **الجدد**: طرائق.

(٣) **الأعراض**: جمع عِرْض؛ وهي الأودية ذات الشجر.

(٤) **الوَهي**: الشق والتخرق.

(٥) **عنقاء**: طائر متوهم لا وجود له.

(٦) **الصُّرد**: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد الحشرات.

يا شاربين من منهل الهوى شربَ الهِيْم[1]، يا جاعلين نهار الهُدى كالليلِ البهيم، يا مقيمين على الدَّنَس وليس فيهم مُقيم، يا سالمين من أمراضِ البدنِ وكلّهم سليم[2]، أتعمرون ربوعَ النُّعَم بِرُتوع النَّعَم؟ وتستبدلون بالقرآنِ محرّمات النَّغَم، وقد توطنتم ناسين تُروحَ[3] النزوح، فلم تذكروا الممات حتى تروحَ الروح، تالله ليعودن المستوطِنُ في أهلِهِ غريباً، والمُغتبِطُ بفرحه مَغيظاً كئيباً ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج] .

أين أرباب البِيضِ والسُّمر، والمراكب الصفر والحمر، والقباب والقب[4] الضمر؟ ما زالوا يفعلون فعلَ الغُمرِ[5]، إلى أن تَقَضّى جميعُ العمر.

يا مَنْ عمرُه قد رحل وولّى، كأنّك بك تندَمُ وتتقلّى، والسمع والبصر للموت قد كَلاّ، ويد التناول للتوبة قد شلاّ[6]، والعين تجري وابلاً[7] لا طلا[8]، وعصافيرُ الندم قد أنضجها القلا[9]، وأنت تستغيثُ ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيقال: ﴿ كَلَّآ ﴾ ألا كان هذا قبل هذا الا؟![10].

يا ثقيل النوم، يا بطيءَ اليقظةِ، يا عديمَ الفهمِ، أما ينبّهك الأذانُ؟! أما تزعجك الحُداة؟! أترى نخاطب عُجماً، أو نُكَلِّمُ صُمّاً؟! كم نريكَ عيبَ الدنيا! ولكن عينَ الهوى عوراء، كم تكَشَّفَ للبصرِ قِصَرُ العمر! ولكن حَدقَةَ الأمل حولاء.

ليسَ في الدنيا سرورٌ ... إنّما الدنيا غرورُ

---

(١) الهيم: الإبل المهيومة التي تصاب بداء العطش فلا تُروى مهما شربت.
(٢) سليم: ملدوغ.
(٣) تروح: جمع ترح، وهو الألم.
(٤) القب: الفحل من الإبل.
(٥) الغُمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور.
(٦) شلاّ: أي شلاء من الشلل.
(٧) الوابل: المطر الكثير.
(٨) الطل: أضعف المطر.
(٩) القلا: الهجر والبغض.
(١٠) هذا الأولى: إشارة للندم والتوبة. وهذا الثانية: إشارة إلى الموت.

ومـــــآتيـــــمٌ إذا فكَّـــــر ... تَ فيهـــــا وقبـــــورُ

يا من شاب وما تاب ولا أصلح! يا مُعرِضاً عن ما يؤدي إلى الأصلح، ليتَ شعري بعد الشباب بماذا تفرح؟! ما أشنعَ الخطايا في الصِّبا وهي في الشيبِ أقبح، إذ نزل الشيبُ ولم يَزُلِ العيبُ فبعيدٌ أن يبرح.

(للبحتري)[1]:

وإذا تكـامـلَ للفتـى مـن عُمْـرِه ... خمسونَ وهو إلى التُّقى لا يَجْنَحُ[2]
عَكَفَـتْ عليـه المخـزيـاتُ فمـا لـه ... متـأخِّـرٌ عنهـا ولا مُتَـزَحْـزَحُ[3]
وإذا رأى الشيطـانُ[4] غِـرَّةَ وجهـهِ ... حَيَّـى وقـال: فَـدَيـتُ مَـنْ لا يُفْلِحُ

إخواني! فتّشوا أحمالَ الأعمالِ قبلَ الرحيل ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، يا مطْلِقي النواظر في محرّم المنظور ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، لا يغرنكم إمهالُ العصاةِ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]، يا من عاهدناه من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، لا تحلَّنَّ عَقْد العهدِ بأنامل الزَّلل، فما يليقُ بشرفِ قدرك خيانة.

بِحُـــرمـــةِ الـــوُدِّ الـــذي بيننـــا ... لا تُفْسِـــدِ الأوّلَ بـــالآخـــرِ

اذكر ملازمةَ المطالبةِ بالوفاءِ في أضيق خناق، يا منكر ويا نكير انزلا إلى الخارج من بساتين الأرواح فانظرا، هل استصحبَ وردةً من اليقينِ أو شوكةً من الشك؟.

قِفوا سَـائِلوا بـانَ العقيـقِ هل الهـوى ... على مـا عَهِدنـا فيـه أم حـالَ حالُـهُ؟

استنكها فمه الذي قال به: ﴿بَلَىٰ﴾ يوم ﴿أَلَسْتُ﴾؛ هل غيَّر طيبه طولُ رقادِ الغفلةِ؟ هل أنجاسُ زللِه مما يدخلُ قليلُها تحتَ العفوِ؟ هل معرفتُه في قليبِ قلبه

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٨٢.
(٢) في الديوان: «وإذا مَضَى لِلْمَرْءِ مِنْ أَعْوَامِهِ * خَمْسُونَ وَهوَ عَنِ الصِّبا لَمْ يَبْرَحِ».
(٣) في الديوان: «عَكَفَتْ عَلَيْهِ المُخْزِيَاتُ وَقُلْنَ: قَدْ * أضحكتنا وسررتنا لا تبرح».
(٤) في الديوان: «إبليس».

يبلغُ قلتين؟ أنا مقيمٌ له على الوفاء في كلِّ حالٍ، فانظر إلى حاله هل حال[1]؟.

(لقيس المجنون):

ألا حبَّذا نجدٌ وطِيْبُ ترابِهِ	وأرواحُه إنْ كان نجدٌ على العهدِ
ألا ليتَ شعري عن عُوَيْرِضَتَيْ قبا	بطولِ الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن عَلويَّاتِ الرياحِ إذا جرتْ	بريحِ الخُزامى هل تهبُّ على نجدِ

المعرفة غرسٌ في القلب، والتذكار ماء، ومتى جفّتِ المياه عن الغروس جفت، شجراتُ ﴿أَلَسْتُ﴾ تسقى من مياه « **هل من سائل؟** »[2].

إذا مَرِضْنَا أتيناكُمْ نَزُوْرُكُمُ	وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيْكُمْ فَنَعْتَذِرُ

العقلُ ما ينسى إنّما الحسُّ مغفل، سببُ النسيانِ أمراضٌ من التخليطِ، في مطاعم الهوى عَقَدتْ بُخاراً في هام الفهمِ، فإذا عالجها طبيبُ الرياضةِ تحلّلتْ فذكر ما نسي من عهد ﴿أَلَسْتُ﴾.

قيل **لذي النون**: أين أنت من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾؟ قال: كأنّه الآن في أذني.

(لمهيار)[3]:

سلْ أبرقَ الحنان واحبس به	أينَ لياليْنا على الأبرقِ؟
وكيفَ باناتٌ بسقط الهوى	ما لم يَجُدها الدمعُ لم تورقِ؟
هل حملَتْ لا حملَتْ بعدنا	عنك الصَّبا عَرْفاً لمستنشقِ؟
يا سائقَ الأظعانِ رفقاً وإن	لم يُغنِ قولي للعَسوفِ: ارفقِ
لولا زفيري خلفَ أجمالهم	وحرُّ أنفاسيَ لم تنشقِ
سمَّيتَ لي نجداً على بُعْدِها	يا وَلَهَ المُشْئِمِ[4] بالمُعْرِقِ[5]

* * *

(١) **حال**: تغيّر.

(٢) حديث شريف رواه الإمام أحمد في (المسند)، ومسلم.

(٣) في قصيدة يهنئ بها عميد الدولة أبا طالب بالعيد. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٧٧.

(٤) **المشئم**: الذي يأتي الشام، من أشأم.

(٥) **المعرق**: الذي يأتي العراق، من أعرق.

الفصل الرابع والخمسون

أيها القائمُ على سُوق الشهوات في سُوق الشبهات[١]، ناسياً سَوْقَ[٢] المُلِمّات إلى ساقي الممات، إلى كم من الخطأ بالخطواتِ إلى الخطيئات، كم عاينتَ حيّاً فارق حيّاً![٣] وكفّاً كُفَّتْ بالكِفات![٤].

(للشريف الرضي)[٥]:

مـا أقـلَّ اعتبـارَنـا بـالـزّمـانِ	وأشـدَّ اغتـرارَنـا بـالأمـانـي
وقفـاتٌ علـى غُـرورٍ وأقـدا	مٌ علـى مَـزلـقٍ مـن الحـدَثـانِ
فـي حـروبٍ مـن الـردى وكـأنـا	اليـومَ فـي هُـدنـةٍ مـع الأزمـانِ
وكفـانـا مُـذكِّـراً بـالمنـايـا	عِلْمُنـا أننـا مـن الحيـوانِ
كـلُّ يـومٍ رزيـةٌ فـي فـلانٍ	ووقـوعٌ مـن الـردى بفـلانِ
قـل لهـذي الهَـوَامِـل استـوثقـي	للسيرِ واستبـدلـي[٦] عـن الأعطـانِ
واستقيمـي قـد ضمَّـكِ اللَّقَـمُ النهجُ	وغَنّـي وراء كَـالحـاديـانِ
كـم مَحيـدٍ عـن الطريـقِ وقـد صـر	رَح خَلْجُ[٧] البُرَى[٨] جَذْبُ العِنان[٩]
هـل مجيـرٌ بـذابـلٍ أو حُسـام	أو معيـنٌ بسـاعـدٍ أو سنـانِ
قـد مـررنـا علـى الـديـارِ خشـوعـاً	ورأينـا البِنـا فـأيـن البَـانـي

(١) سُوق الأولى: جمع ساق. والثانيةُ: مكان البيعِ والشراءِ.

(٢) سَوق: قيادة.

(٣) حياً الأولى: الإنسان الحي. وحيّاً الثانية: الحي والمكان الذي يعيش فيه الإنسان.

(٤) كُفت: منعت. الكِفات: الموضع الذي يكفت فيه، أي يضم، وهو إشارة للقبر.

(٥) قاله يرثي صديقاً له من بني العباس، هو ابن الإمام المنصوري، الذي توفي سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٥٩.

(٦) في الديوان: «واستنشزي».

(٧) خلج: جذب وغمز.

(٨) البُرَى: جمع بُرَة، وهي حلقة تجعلُ في أنف البعير.

(٩) العنان: سير اللجام. وفي الديوان: «العران».

أين ربُّ السديرِ[1] والحيرةِ[2] البيضاءِ ... أم أيـنَ صـاحِـبُ الإيـوانِ[3]
والسيـوفُ الحـدادُ مـن آلِ بـدرٍ ... والقنـا الصُّـمُ مـن بنـي الـريّـانِ
ليـس يبقـى علـى الـزمـانِ جَـرِيءٌ ... فـي إبـاءٍ وعـاجـزٌ فـي هَـوَانِ

يا عاصياً بالأمسِ أين الالتذاذ؟ يا مُطالَباً بالجُرْمِ أين المعاذ؟ يا مُتَمسِّكاً بالدنيا وحبلُها جُذاذ[4]، ما راعتْ مَنْ راعتْ من المحبين ولا الشذّاذ، بل ساوت في الهلاك بين الفقيرِ وكسرى بن قُبّاذ، تخلّص من أسرِها قبل أن يعِزَّ الإنقاذ، وقبل أن تجري دموعُ الأسى بينَ وَبْلٍ ورذاذ، إذا نبذوكَ في القبرِ انتبذوا أيَّ نَبْذٍ وأيِ انتباذ، فتذكّر ضمةً ما نجا منها **سعدُ بن معاذ**، ألا يلينُ القلبُ؟ أصخرٌ أم فولاذ؟ تدّعي العجزَ عن الطاعةِ وفي المعاصي أستاذ، وتؤثِرُ ما يفنى على ما يبقى وأنت ابن بغداذ[5].

يا مستلَباً عن أهلِه ومالـه! يا خالياً في القبر بـأعماله! ليته خـلاّك ما منـه تخليت، ليته ولّى عنك إثمُ ما عنه توليت، وا أسفاً من حالة حيلتُها ليت.

وكــلُّ غنــيٍّ يتيــهُ بــهِ غنــاهُ ... فمــرتجَــعٌ بمــوتٍ أو زوالِ
وَهَبْ جَدِّي[6] زوى لي الأرضَ طيّاً ... أليـسَ المـوتُ يطـوِي مـا زوى لـي

إذا اخضرّ الربيعُ ناحَ الهزارُ، ونَدب القُمْري[7] وأنت تعتقده غناء، إنّما هو بكاء على انتظارِ التكديرِ، ولا يغرنّك صفو العيشِ، فالرسوبُ في أسفلِ الكأسِ، مَنْ لم يسمعْ كلامَ الصامتِ، ولم يسمع عبارة الجامد[8]، فليس بفطنٍ.

---

(١) **السدير**: بناء، فيه قبة في ثلاث قباب متداخلة.
(٢) **الحيرة**: بلد ملكها النعمان بن المنذر، وفيها القصور البيضاء.
(٣) **الإيوان**: قصرٌ عظيمٌ لكسرى، ورد أنه ارتجّ فسقطت منه أربعَ عشرةَ شُرْفةً مع علامات أخرى ليلة مولد الرسول ﷺ. انظر: الإصابة، لابن حجر: ٦/ ٥٢٤، برقم (٨٩٣٤).
(٤) **جذاذ**: مقطوع.
(٥) **بغداذ**: اسم من أسماء بغداد. ويقال: تبغدد عليه: زها وتكبر.
(٦) **جَدِّي**: حظي.
(٧) **القُمري**: طائر حسن الصوت.
(٨) **الصامت من المال**: الذهب والفضة. **والجامد**: الحد بين الأرضين والدارين، إشارة إلى عالم القبر، لأنه الحد الفاصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

قال (**أحمد بن أبي الحواري**): رأيتُ شابّاً قد انحدرَ عن مقبرةٍ، فقلتُ: من أين؟

فقال: من هذه القافلة النازلة.

قلت: وإلى أين؟.

قال: أتزوّدُ لألحقها.

قلت: فأيَّ شيءٍ قالوا لك؟ وأيَّ شيء قلتَ لهم؟.

قال: قلتُ: متى ترحلون؟ فقالوا: حتى تَقْدُمون.

وكم مِنْ عِبْرةٍ أصبحتَ فيها ... يلينُ لها الحديدُ وأنتَ قاسِ
إلى كم والمعادُ إلى قريبٍ ... تُذكَّرُ بالمعادِ وأنتَ ناسِ

ويحك تلَمّحْ عاقبتَك بعينِ عقلكَ فإنَّها سليمةٌ مِنْ رَمَد، العقلُ مُحْتَسب، إذا وقع بميزانِ الهوى كسر العَلاقة.

يا صبيان التوبة! قد عرفتم شرورَ أعطانِ الهوى، فرحلتم طالبين ريفَ التقى، فحثوا مطايا الجدّ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]، كلّما شَرُفَ المطلوبُ طالت طريقه.

الهرة تحمل خمسينَ يوماً، والخنزيرةُ أربعة أشهرٍ، والخفُّ[١] والحافرُ[٢] سنةً، فأما الفيل فسبعُ سنين، عمومُ الشجر يحمل في عامه، والصنوبر بعد ثلاثينَ سنة، شرفُ النسل يوجِبُ القِلّة، الشاةُ تلد واحداً أو اثنين، والخنزيرةُ تلدُ عشرين.

وأمُّ الصقر مُقلاّت نَزُور[٣]

يا هذا! ينبغي أن تكون همتك على قدرك، ولك قدر عظيم لو عرفته.

---

(١) **الخف**: مجمع فرسن البعير، وقد يكون للنعام.

(٢) **الحافر**: واحد حوافر الدابة، وهو للخيل، وفي الحديث: **«لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر»**.

(٣) هذا عجز بيت صدره: «بغاثُ الطيرِ أكثرُها فراخا».

إنما خُلِقَتِ الداران لأجلك، أمّا الدّنيا فَلِتَتزوّدَ، وأما الأخرى فَلتَتَوطن، أفتراك تعرف مكانة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أو قيمةَ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، أو مرتبةَ «وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً»[١].

تشاغلتمُ عنّا بِصُحْبَةِ غيرنا

إذا صعدت الملائكةُ عن مجلس الذكر، قال الحق: «**أين كنتم، فيقولون: عند عبادٍ لك يسبحونك ويمجدونك، فيقول: ما الذي طلبوا ومما استعاذوا؟...**»[٢].

يـا مَـنْ يُسـائِـلُ عنّـي القـادميـنَ إذا ... ما كنْتَ بي هكذا صبّاً فكيفَ أنا؟

يا من كان في رفقة ﴿ تَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦]، فصار اليومَ في حزب أهل النوم.

(للشريف الرضي)[٣]:

يـا ديـارَ الأحبـابِ كيـفَ تغيّـرتْ ... ويـا عهـدُ مـا الـذي أَبـلاكَـا؟
هل تولى[٤] الذين عهدي بهم فيك ... علـى عهـدهـم وأيـن أولاكـا؟
الـذّميـلَ الـذميـلَ[٥] يـا راكـبُ إنّـي ... لضميـنٌ أن لا يخيـبَ سُـراكـا

يـا هذا! لا تجزع من ذنـبٍ جرى، فَـرُبَّ زلّـةٍ أورثتْ تقويماً، «**لـو لـم تذنبوا...**»[٦].

مَـنْ لـم يَـذُقْ مـرارةَ الفـراقِ ... لـم يـدْرِ مـا حـلاوةَ التـلاقـي

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، ولكن ذكره الديلمي في (مسند الفردوس) من حديث أبي الدرداء دون أن يذكر له سنداً.
(٢) روى هذا الحديث بألفاظ متقاربة الإمامان البخاري ومسلم.
(٣) قاله في مدح بهاء الدولة عام (٣٩٧هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٩٩ـ١٠٢.
(٤) في الديوان: «أولاك».
(٥) **الذميل**: ضرب من السير السريع.
(٦) رواه أحمد في (مسنده) والترمذي والطبراني، وحسنه السيوطي.

ما لم يقع سهمٌ في مَقْتلٍ فالعلاجُ سهلٌ. انحناءُ القوسِ ركوعٌ لا اعوجاجٌ، كانت محبّةُ آدمَ للحبيبِ أصليّةً، وتعبُّدُ إبليسَ تكلُّفاً، والعِرْقُ نزّاع ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وإنّما يعالَجُ الرَّمِدُ لا الأكمه[١].

تأمّلوا خسة همّة إبليس إذ رضي بعدَ القرب من السدة بالتقاط القُمامة ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الحجر: ١٨]، إنه ليهجمُ على ساحةِ الصَّدْرِ، فيأخذُ في حديثِ الوسوسةِ، فيصيحُ به حراسُ الإيمان من شرفات قصر «ويسعني»، فيرجع بلقب الخنّاس.

فضائل بني آدم خفيتْ على الملائكة يوم ﴿أَنۢبِئْهُم﴾ [البقرة: ٣٣]، فكيف يعرفها إبليس؟!.

صعد إلى السماء منّا إدريس وعيسى، وجالَ في مجالهم محمد ﷺ، ونزل منهم هاروت وماروت[٢]، وتديَّرَ[٣] عندنا إبليس، لو علم المُتَديِّرُ ما قد خُبّئ له من البلايا ما سأل الإنظار!.

كلّما غلبَ صاحبَ معصيةٍ، وجلسَ يَقسم[٤] في تقواه، صدرتْ عن التائبِ نشابةُ ندمٍ، فوقعت في صدرِ إبليس.

أعظم ما على إبليس مجلسي[٥]، ما من مجلس أعقِدُه إلا ويقلقُ لما يرى من النفع، واليومَ يُغشى عليه! ما علم أنَّ الجنةَ إقطاعنا، وإنما أُخرجنا عنها مسافرين، كُتُبُ ديارنا تصل إلينا، ورسائلنا تصل إليهم، ويا قرب اللقا!.

كان (**فتحُ بن شخرف**) يقول: قد طالَ شوقي إليك، فعجّلْ قدومي عليكَ.

(لمهيار)[٦]:

---

(١) **الرمد لا الأكمه**: الرمد من بعينه هيجان والتهاب، والأكمه من ولد أعمى.

(٢) سبق التعليق على قصة هاروت وماروت، وأنها لا أصل لها.

(٣) **تديّر**: صارت الأرض له داراً.

(٤) **يقسِم في تقواه**: يجزئ ويجفف.

(٥) **مجلسي**: أي مجلس الشيخ ابن الجوزي في الوعظ.

(٦) مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب بن أيوب. انظر: ديوان شعره: ٢/١٦ـ٢٢.

تُمـــدُّ بـــالآذانِ والمنـــاخـــرِ «الحـاجـرِ» أنَّى لهـا «بحـاجـرِ»[1]؟
أرضٌ بهـا السـائـغُ مِـنْ رَبيعهـا وشـوقُهـا المكنـونُ فـي الضمـائـرِ
سـارتْ يمينـاً والغـرامُ شـامَـةٌ يا سِرْ بها يا «ابنَ الحُداة» ياسرِ[2]

* * *

(١) حاجر: في لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو أيضاً موضع قبل معدن النَّقرة، ومنزل من منازل الحاج في البادية.

(٢) في الديوان: «يا بن رواح».

الفصل الخامس والخمسون

يا من شابَ وما تاب! أموقنٌ أنت أم مرتاب؟ مَنْ آمن بالسؤالِ أعدَّ الجواب.

فخُـذْ للسيـرِ أُهبتَـه وبـادِرْ وجـوِّدْ جَمْـعَ رحْلِـكَ للـذّهـابِ
فقـدْ جَـدَّ الـرحيـلُ وأنـتَ ممَّـنْ يسيـرُ علـى مُقـدَّمـةِ الـرِّكـابِ

أمَا أنذرك بياضُ الشَّمَط؟![1] أما يُبكيك قبحُ ما منكَ فرَط؟![2] إلى متى تجري في الهوى على نَمَط؟! إلى متى تُضيِّعُ وقتاً ما مثله يُلتقَط؟! لقد أحاطَ بك المنون وها أنتَ في الوسط، واستلَّ التَّلَفُ سيفَه عليك سريعاً واخترط[3]. يا من يهفو وينسى، والملَكُ قد ضَبَط. يا منفِقاً نِعَمَ المولى على العصيان ما هذا الشطط؟! امحُ باعترافِك قبحَ اقترافِكَ وقد انكشط، وقُمْ في الدُّجى والليلُ قد سجى، فربَّ عفوٍ هبط، قد نصحتُك بما أسمعتُك وقد أوقفتك على النُّقَط.

يا مغموراً بالنعم معدومَ الشُّكر، كلّما لَطَفنا بك قابَلْتنا بالمخالفةِ، إنَّه لا عَجَبَ، مِنْ تَرْكِ الشكر إنفاقُ النعم في مخالفة المنعم، هو العجبُ.

هذا عُودُ العنبِ يكون يابساً طولَ السنة، فإذا جاء الربيعُ دبَّ فيه الماء، فاخضَرَّ وخرجَ الحِصْرِمُ، فإذا اعتَصَرَ الناسُ منه ما يحتاجون إليه طول السنة، قُلِبَ في ليلة خَلاًّ، فبانقلابه يوجِبُ للعقلِ الدَّهَش من صنع صانعه، وقدرةِ خالِقه! فينبغي أن يُفَرغَ العقلُ للتفكر، فيأخذُ الجاهلُ العنبَ فيجعله خمراً، فيغطِّي به العقلَ الذي ينبغي أن يَحسُرَ عن رأسِه قناعَ الغفلة ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

---

(١) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده.
(٢) فرط: تقصير في الأمر وتضييع حتى فات.
(٣) اخترط: استل.

ويحك! قد أطعمتك إياه حِصرِماً وعنباً وزبيباً وخلاً، فدع الوصف الخامس لي[1]، فقد سمعتَ في كلامي ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] .

أيُّها الضالُّ في بادية الهوى، احذر من بئرٍ بَوَار، وليسَ في كلِّ وقتٍ تتَّفِقُ سيارة[2].

ليل الصِّبا مرخى السُّدْفة[3]، وبخارُ الأماني يعقد دواخنَ الكسل، فانهضْ عن حِفْشِ[4] الكسل، واستنطق ألسن الحِكَم من موضوعاتِ المصنوعات، يُمْلِ عليكَ كَلِماً في دستورِه.

يا مقتولاً ما له طالب ثأر، بريد الموت مطلق الأعنّة في طلبك، وما يُخْفيك حصن.

ثوبُ حياتك منسوجٌ من طاقات[5] أنفاسك، والأنفاسُ تسلبُ ذرات ذاتك، وحركات الزمان قويةٌ في النَّسْج الضعيفِ، فيا سرعةَ التمزيق!.

آن الرحيلُ وما في مزادتك[6] قطرةُ ماء، ولا في مزود[7] عملك قبضةُ زادٍ، وقد أحَلْتَ ناقتَكَ على ما تلقى من العُشب، والجدْبُ عامٌ في العام، ويحك عش ولا تغتر.

يا رابطاً مُناه بخيط الأمل! إنه ضعيف الفَتْل، صياد التلف قد بثَّ الصقور، وأرسل العُقْبان[8] ونصبَ الأشراك[9]، وقطع الجوَادَّ[10]، فكيف السلامةُ؟ تهيَّأ

---

(١) **الخامس**: أي الخمرة. لي: أي من أجل النهي الذي ورد عن الله.

(٢) **سيارة**: جماعة تسير في الصحراء.

(٣) **السُّدفة**: الظلمة.

(٤) **الحفش**: البيت الصغير.

(٥) **طاقات**: جمع طاقة وهي كُبة الخيطان.

(٦) **المزادة**: آلة يستقى بها الماء كالقربة.

(٧) **مزود**: وعاء الزاد.

(٨) **العقبان**: جمع عُقاب، من جوارح الطير وكواسرها.

(٩) **الأشراك**: جمع شَرَك، وهو الأحبولة تنصب للاصطياد، والفخ.

(١٠) **الجواد**: جمع جادة، وهو الطريق التي لا تخفى عليك، وهي معظم الطريق.

لصرعة الموت، وأشد منها قَلَتُ[1] القلب، فليت شعري إلى ماذا يؤول الأمر؟.

(للحارثي):

والله ما أدري أيغلبُني الهوى إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أم أنا غالبُهْ
فإن أستطعْ أَغْلِبْ وإن يَغلبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يغلبُ صاحِبُهْ

آهِ من تأوُّهٍ حينئذٍ لا ينفع، ومن عيونٍ صارت كالعيونِ ممّا تدمع.

(لمهيار)[2]:

ولمّا خلا التوديعُ مما حَذرْتُه ولم يَبْقَ إلا نظرةٌ تُغْتَنَمُ
بكيتُ على الوادي فحُرِمْت ماءَه وكيفَ يحلُّ الماءُ أكثرُه دَمُ؟

نُقْلَةٌ إلى غير مَسْكنٍ، وسفرٌ من غير تزودٍ، وقدومٌ إلى بلدٍ ربحٍ بلا بضاعة.

ولمّا تيقنا النوى لم يدعْ لنا مسيلُ غروبِ[3] الدمعِ جفناً ولا خَدّا
فلا صفوةٌ إلا وقد بُدِّلتْ قذًى[4] ولا راحةٌ إلا وقد قُلِبتْ كَدّا
فوالله ما أدري وقد كنتُ دارياً أغوَّرَتِ[5] الأظعانُ أم طلبتْ نَجْدَا؟

يا لَساعةِ الموتِ ما أشدَّها، تتمنّى أن لو لم تكن عندَها، وأعظم المِحَنِ ما يكونُ بعدها...

ولم أنسَ موقِفَنا للوداع وقد حانَ ممنْ أُحبُّ الرحيلُ
ولم تَبقَ لي دمعةٌ في الشؤونِ[6] إلا غدَتْ فوقَ خدي تسيلُ

---

(١) قَلَت: القلت الهلاك.

(٢) الديوان: ٣/ ٣٤٤.

(٣) غروب: الغَرب عرق في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع كالناسور، يقال: بعينه غرب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها، والغُروب: الدموع حين تخرج من العين، ومجاري الدمع.

(٤) قذى: ما يقع في العين من تراب دقيق وغيره، مفرده: قذاة.

(٥) غوّرت: دخلت في الغور ونزلت فيه، وهو ما انخفض من الأرض.

(٦) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين.

فقــالَ نصيــحٌ مــن القــومِ لــي وقــد كــادَ يــأتــي علــيَّ الغَلِيْــلُ:
تــأنَّ بــدمعِــكَ لا تُفْنِــهِ فبيــنَ يــديــكَ بكــاءٌ طــويــلُ

تقسَّم الصالحون عند الموت، فمنهم من صابرَ هجيرَ الخوفِ، حتى قضى نحبه، **كعُمَرَ**، كان يقول عند الرحيل: «الويل لعُمَرَ إن لم يُغْفرْ له».

ومنهم من أقلقه عطشُ الحذرِ، فيبرده بماء الرجاءِ **كبلالٍ**، كانت زوجتُهُ تقول: «وا حَرَاباه»، وهو يصيح: «وا طرباه، غداً نلقى الأحبة محمّداً وحِزْبه»، علمَ بلالٌ أنَّ الإمامَ لا ينسى المؤذِّنَ، فمزجَ كربَ الموتِ براحة الرجاء في اللقاء.

بشَّــرَهــا دليلُهــا وقــالَ: غــداً تَــرَيْــنَ الطَّلْــحَ والجِبَــالا

قال **سليمان التيمي** لابنه عند الموت: اقرأ عليَّ أحاديثَ الرُّخَص لألقى الله وأنا حَسَنُ الظنِّ به.

إلى متى تُتْعِبُ الرواحل؟ لابد من مَنَاخٍ.

رفقــاً بهــا يــا أيُّهــا الــزاجــرُ قــد لاحَ سَلْــعٌ ودنــا حَــاجِــرُ[1]
فَخَلِّهَــا تخلــعُ أرســانَهــا علــى الــرُّبَــى لا راعَهــا ذاعِــرُ
واذكــر أحــاديــثَ ليــالــي مِنًــى لا عُــدِمَ المــذكــورُ والــذاكِــرُ

كان (**أبو عبيدة الخواص**) يستغيث في الأسواق وينادي: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

جــاء بهــا قــالصــةً عــن ســاقِ تحــنُّ والجِنَّــةُ للمشتــاقِ
مــا أولــعَ الحَنيــنَ بــالنيــاقِ تــذكــري رَمْــلَ النَّقــى واشتــاقــي

* * *

(١) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية.

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ

يا مَنْ أيامُ عمُره في حياته معدودة! وجسمُه بعدَ مماته مع دودة!.

رأيتُكَ في النّقصانِ مُذْ أنتَ في المهدِ ... تقرِّبُكَ الساعاتُ من ساعةِ اللَّحْدِ
ستضحَكُ سِنٌّ بعدَ عينٍ تعصَّرتْ ... عليكَ، وإن قالتْ: بكيتُ من الوَجْدِ
أتطمحُ أن يشجَى لفقدِكَ فاقدٌ ... لعلَّ سرورَ الفاقدينَ مع الفَقْدِ

يا من عمرُه يمضي بالساعة والساعة، يا كثيرَ التفريطِ في قليلِ البضاعة، يا شديدَ الإسرافِ يا قوي الإضاعة؛ كأنّي بك عن قليلٍ تُرمى في جوفِ قاعة، مسلوباً لباسَ القدرةِ وبأسَ الاستطاعة، وجاء منكر ونكير في أفظع الفظاعة، كأنّهما أَخَوان في الفظاظة من لبَان[١] الرضاعة، وأمسيتَ تجني ثمارَ هذي الزراعة، وتمنيتَ لو قَدرتَ على لحظةٍ لِطاعة، وقلت: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وما لكَ كلمةٌ مطاعة، يا متخلفاً عن أقرانه قد آن أن تلحقَ الجماعة.

يا ساهياً لاهياً عَمّا يُرادُ بهِ ... آنَ الرحيلُ وما قدَّمتَ مِنْ زادِ
ترجو البقاءَ صحيحاً سالماً أبداً ... هيهاتَ أنتَ غداً فِيمَنْ غَدا غادِ

مركبُ الحياةِ تجري في بحر البدنِ برُخاءِ الأنفاسِ، ولابد من عاصفٍ قاصفٍ [تفككه][٢] وتُغرق الركاب.

حكمُ المنيةِ في البريةِ جارِ ... ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ
جُبِلَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تريدُها ... صفواً من الأقذارِ[٣] والأكدارِ
فاقضوا مآربَكم عِجالاً إنما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ[٤]

---

(١) اللبان: الرضاع، والحاجات من غير فاقة، جمع لِبانة.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في الديوان: «الأقذاء».
(٤) الأبيات لأبي الحسن علي بن محمد التهامي المقتول سنة (٤١٦هـ)، من قصيدة في غاية=

يا لُقَمَ الآجال! يا أشباه الرجال، أما تسمعونَ صريفَ أنيابِ الصروف[١]؟! كم غافل وأكفانُه عند القصّار ولِبْنُ قبره قد ضُرب.

يا سخنةَ[٢] عينٍ قرّت بالغرورِ، يا خرابَ قلبِ عُمِّر بالمُنى، العمرُ زادٌ في بادية، يُؤخذُ منه، ولا يُطرح فيه.

يا من أجله يذوبُ ذوبانَ الثلج، توانيك[٣] أبرد.

كان بعضُ من يبيع الثلجَ ينادي عليه: ارحموا من يذوبُ رأسُ ماله.

يا مؤخِّراً توبته حتى شابَ، خرج وقتُ الاختيار.

يا ابن السبعين لقد أُمهل المتقاضي، البدارَ البدارَ فنَقَّاضُ البدنِ قد عَرْقَبَ[٤] الأساس.

ولـم يبـقَ مـن أيـامِ جَمْـعٍ إلـى منًـى ... إلـى مـوقـفِ التجميـرِ غيـرُ أمـانـي

بادرْ بالتوبةِ من هفواتك قبل فواتك، فالمنايا بالنفوسِ فَوَاتك.

أعجبُ خلائقِ الخلائق، محسِنٌ في ليل شبابه، فلمَّا لاحَ الفجرُ فَجَر.

آه لموسـمٍ فاتَكَ، لقد مـلأ الأكيـاسُ الأكياسَ[٥]، رَحَلت الربّـاحة[٦] فالْحَقْهُم في المنزل...

= الجودة، يرثي بها ولده. وقد طبع ديوانه، وطبعت مرثيته هذه في كتاب «بلوغ الأرب بشرح قصيدة من كلام العرب».

(١) **الصريف**: صوت ناب البعير، وإذا كان من الفحول فهو النشاط، وإذا كان من الإناث فهو من الإعياء. والصروف من الدهر: حدثانه ونوائبه.

(٢) **سخنة العين**: نقيض قرتها، أي: شقاؤها وحزنها.

(٣) **توانيك**: تكاسلك.

(٤) **عرقب**: يقال: عرقب الدابة: قطع عرقوبها، والعرقوب منها ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

(٥) **الأكياس الأولى**: العقلاء. **الأكياس الثانية**: الأوعية.

(٦) **الرباحة**: الرابح في التجارة.

وكـمْ وقفـتُ وأصحـابـي بمنـزلـةٍ | يبيـتُ يقظـانُهـا ولهـانَ[1] وهْـلَانـا
فهـاجَنـا حيـن حيَّـانـا النسيـمُ بمـا | سُقْنـاه يـومَ النقـا بـالجـزعِ أحيـانـا
نبكي وتسعدُنا كومُ[2] المطيِّ فهل | نَحْـنُ المشـوقـونَ فيهـا أم مَطـايـانـا
فلا ومن[3] فطرَ الأشياءَ ما وَجَدَتْ | كوَجْدِنا العيسُ[4] بل رقَّتْ لبلْوَانا

يا هذا! عقلُك يحثُّكَ على التوبةِ وهواكَ يمنعُ! والحرب بينهما، فلو جهزتَ جيشَ عزمٍ فرّ العدو، تنوي قيامَ الليلِ فتنام، تحضرُ المجلسَ فلا تبكي، ثم تقول: ما السبب! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، عصيتَ بالنهار فنِمتَ بالليل، أكلتَ الحرامَ فأظلمَ القلبُ، فلما فُتِحَ بابُ الوصول للمقبولين طُردْتَ.

ويحك! فِكْرُ القلبِ في المباحات يحدِثُ له ظلمة، فكيف في تدبير الحرام؟!.

إذا غيّرَ المسكُ الماءَ مُنعَ التوضؤ به، فكيف النجاسة؟!.

متى تُفيقُ من خُمار[5] الهوى؟! متى تَنْتَهي من رُقادِ الغفلة؟!.

(للشريف الرضي)[6]:

يـا قلـبُ مـا أطـولَ هـذا الغـرام | يـوم نـوى الحـيِّ ويـومَ المُقـامِ
متـى تَفيـقُ اليـومَ مـن لـوعـةٍ | وأنـت نشـوانُ بغيـر المُـدامِ

أين أنتَ من أقوامٍ كُشِفتْ عن أبصارِ بصائِرهم أغطيةُ الجهلِ؟ فلاحتْ لهم الجادةُ، فجَدُّوا في السلوك.

كان (مسروق) يصلي حتى تتورم قدماه، فتقعد امرأته تبكي مما تراه يصنَع بنفسِه.

---

(١) **ولهان**: من الوله، وهو الحزن وذهاب العقل. **ووهلان**: من الوهل، وهو الضعف والفزع.
(٢) **كوم**: جمع كوماء، وهي الناقة مشرفة السنام عاليته.
(٣) **ومن فطر الأشياء**: هذا قسم بفاطر الكون سبحانه.
(٤) **العيس**: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.
(٥) **خمار**: بضم الخاء، بقية السكر.
(٦) من قصيدة طويلة قالها في ذم الزمان في عام (٣٩٢هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣١٣ـ٣١٧.

أُمسي وأُصبحُ من تذكاركُمْ قَلِقاً ... يَرْثي ليَ المُشفِقانِ: الأهلُ والولدُ
قد خدَّدَ الدمعُ خدِّي من تذكّرِكُمْ ... واعتادني المُضنيانِ: الشوقُ والكَمَدُ
وغابَ عن مقلتي نومي فنافرَها ... وخانني المُسْعِدَانِ: الصبرُ والجلدُ
لا غَرْوَ للدمعِ أن تجري غواربُه[1] ... وتحته الخافقان: القلبُ والكَبِدُ
كأنما مُهْجتي نِضْوٌ[2] بَبَلْقَعةٍ ... يعتادُه الضاريان: الذئبُ والأسدُ
لم يبقَ إلا خَفِيُّ الروحِ من جسدي ... فِداؤكَ الباقيانِ: الروحُ والجَسَدُ

يا هذا أولُ الطريق سَهْل، ثم يأتي الحَزن[3].

في البِداءة إنفاقُ البدن، وفي التوسط إنفاقُ النفس، فإذا نزل ضيفُ المحبةِ تناولَ القلبَ فأملق[4] المنفق.

قلقُ القومِ بلا سكون، انزعاجهم بلا ثبات، حلَفتْ جفونُهم على جفاء النوم، فلو سمِعْتَ ضجيجَهم في دياجي الليل.

مَنْ لقلبٍ يألفُ الفِكر ... ولعينٍ لا تذوقُ كَرَى
ولِصَبٍّ بالغرامِ قَضَى ... ما قَضَى من حُبّكمْ وَطَرا

أُحْصِرَ القومُ في سبيلِ المحبةِ، فأقعدتْهم عن كلِّ مطلوب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

رأيتُ الحبَّ نيراناً تَلَظَّى ... قلوبُ العاشقينَ لها وَقودُ
فلو كانت إذا احترقتْ تفانَتْ ... ولكنْ كلَّما نَضِجَتْ تعودُ

لاحتْ نارُ ليلى ليلاً فنهض المجنونُ، فخَبَتْ فضَلَّ، فضَجَّ.

ردُّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحَشا ... والمقلتين إلى الكَرَى ثم اهجروا

* * *

---

(١) غواربه: الغرب: الدلو العظيمة، وعِرق في العين أو في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع.
(٢) النضو: البعير المهزول.
(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.
(٤) أملق: افتقر.

الفصل السابع والخمسون

إخواني! قد كفَتِ الكِفاتُ[1] في العبر، ووعَظَ من غَبَر من عبَر، وقد فَهِمَ الفَطِنُ الأمرَ وخَبَر، وما عند الغافل مِنْ هذا خبر.

يـا أيهـا النـاسُ أيـنَ أولُكـم	أَمَـا أتـاكُـمْ للـذاهبيـن خَبَـرْ
اعتبـروا فـالمقـدَّمُـون خَلَـوا	وكلُّهـم للمـؤخَّـريـن عِبَـرْ
تعبـرُ بـالمِصْـرِ عـابـراً فـإذا	سـألـتَ عمَّـنْ تـودُّ قيـل عَبَـرْ
اصبر على العُسْرِ في الزمانِ فكَمْ	عُسْـرٌ ويُسْـرٌ أتـاك ثمـتَ مَـرْ
والصبـرُ أولـى بكـلِّ مَـنْ صحِـبَ	العيشَ، ومـن جرَّبَ الـزمـانَ صَبَرْ
يَـرفَـعُ شـأنَ الكـرامِ فعلُهُـمُ	والفعـلُ إن خـالـفَ الجميـلَ حُـذِرْ
كـادتْ شخـوصٌ فـي الأرضِ بـاليةٌ	تنطِـقُ حقّـاً إذا المَقـالُ غَـدَرْ
بـالأمـسِ كُنَّـا مـن الأنـامِ فـأمّـا	اليـومَ فـي تُـربِنـا فَنَحـنُ مَـدَرْ

ابكِ على نفسك قبل أن يُبكَى عليك، وتَفكّرْ في سهمٍ قد صُوِّب إليك، وإذا رأيتَ جِنازةً فاحْسِبْها أنتَ، وإذا عاينتَ قبراً فتوهَّمْه قبركَ، وعُدَّ باقي الحياة ربحاً.

(لِمُتَمِّمِ بن نُوَيرة):

لقـد لامني عنـدَ القبـورِ علـى البُكـا	رفيقـي لتـذرافِ الـدموعِ السـوافـكِ
فقـال: أتبكـي كـلَّ قبـرٍ رأيتَـه	لقبـرٍ ثـوى بيـن اللِّـوى والـدكـادِكِ
فقلتُ له: إنَّ الشَّجا يبعثُ الشجا	فَـدَعْنـي، فهـذا كلُّـه قبـرُ مـالـك

يا بعيدَ التيقُّظِ والموتُ منه قريب! يا من هو عمّا قليلٍ في القبور غريب!

---

(١) **الكفات**: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويقبض، ومنه قولهم للمنازل: كفات الأحياء، وللمقابر: كفات الأموات.

يا راكباً بحرَ الهوى وفي يديه جنيب[1]، يا مارّاً على وجهِه قل لي متى تُنيب؟ ألا تأخذُ قبل الفوْتِ بعضَ النصيب؟ ألا تتزودُ ليومٍ شرُّه شرٌّ عصيب؟ ألا تخرجُ عن وادي الجدب إلى الربع الخصيب؟ أحاضر أنت؟ قل لي: ما أكثرَ ما تغيب! ألا مريضٌ لبيبٌ يقبَلُ رأيَ الطبيب؟!.

إنَّ الرحيل بلا عُدَّةٍ فج، فكيف به على بعد الفج[2]؟! أَحْرِمْ عن الحرام، وقدِّرْ أنّه حَجٌّ، واسكُبْ دموعَ الأسى واحسبه ثج[3]، واستَغِثْ من الزلل ومَثِّلْهُ العَجّ[4]، وبادروا فقد تفوتُ الوقفةُ أهلَ وَجّ[5]، اقبل نصحي فمثل نصحي لا يُمَجُّ، كم فَهِمَ وَعْظي ذو فطْنةٍ فهَجّ[6].

يا من يقول: إذا شئتَ تبتُ.

اليوم عهْدُكُمُ فأينَ الموعدُ ... هيهاتَ ليسَ ليومِ عهدِكمُ غَدُ

إن خرجتَ اليومَ ولم تَتُبْ، خرجْتَ من أولي الفهم.

لأي مَرْمَى تزجُر الأيانِقا[7] ... إنْ جاوزَتْ نجداً فلستَ عاشقا

وقوعُ الذنبِ على القلبِ كوقوع الدُّهن على الثوبِ، إن لم تُعجّل غسلَه، وإلا انبسطَ [﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ [النساء: ٧٢].

يدي في قائمِ العضبِ[8] ... فما الإبطاءُ بالضربِ

ما دامتْ نفسُك عند التوبيخ تنكسرُ، وعينُك وقتَ العتابِ تدمعُ، ففي قلبِكَ

---

(١) جنيب: المقود إلى الجنب من الخيل وغيرها.
(٢) الفج: الطريق الواسع.
(٣) ثج: إراقة الدماء في الحج.
(٤) العج: رفع الصوت بالتلبية.
(٥) وج: اسم واد في الطائف.
(٦) فهج: ثار في غفلته وتنبه.
(٧) الأيانقا: جمع نوق.
(٨) العضب: السيف.

بَعدُ حياةٌ، إنّما المعاصي أوجبتْ سكْتَةً، فأنشِقْ][1] هواكَ حُرَّاق التخويفِ وقد عَطَس.

يا من قدْ أبعدتْهُ الذنوبُ عن ديارِ الأنسِ، ابكِ وطرَ الوطنِ عساكَ تُرَدُّ.

قال بعض السلفِ: رأيتُ شاباً في سفح جبلٍ عليه آثارُ القلقِ، ودموعُه تتحادرُ، فقلت: من أين؟.

فقال: آبقٌ من مولاه.

قلت: فتعود فتعتذر.

فقال: العذرُ يحتاجُ إلى حُجَّةٍ، ولا حجةَ للمفرِّط.

قلت: فتتعلق بشفيعٍ؟.

قال: كلُّ الشفعاء يخافونَ منه.

قلت: مَنْ هو؟.

قال: مولًى ربَّاني صغيراً فعصيتُه كبيراً، فوا حيائي من حسنِ صنعه وقبحِ فعلي.. ثم صاح فمات، فخرجت عجوزٌ فقالت: مَنْ أعانَ على قتل البائس الحيران؟.

فقلت: أقيمُ عندَك أُعينك عليه، فقالت: خلِّهِ ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراهُ بغيرِ مُعينٍ فيرحَمَه.

بالله عليكَ يا فتى الأعرابِ ... إنْ جُزْتَ على مواطنِ الأحبابِ
فاشرحْ سَقَمِي وقلْ لهم عَمّا بي ... ذاك المضنى يموتُ بالأوصابِ

أيُّها التائبون بألسنتهم، ولا يدرون ما تحت نطقهم، لا يُحْكَمُ بإقراركم ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

---

(١) ما بين معقوفتين زيادة من (ب). وأنشق: النشوق: السعوط، والعاطوس: ينشق في الأنف سالته، وهز الدماغ، وهنا يجعل الهوى أنفاً دعاه فيه إلى إشباعه بسعوط الخوف عسى أن يمسه عطاس فيحمد ويشمت ويستقم.

متى صَدَقَتْ توبـةُ التائب بنى بيت التعبـد بصخور العزائم، ولـم ينتـه في أساسِه دون الماء.

ما ضُرب بسيف العزيمة قط إلا قط[1].

التوبةُ الصادقةُ تقلعُ آثار الذنوب.

إذا قرئَ على التائب عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ذكر الإقرارَ، وعرف الشهودَ، فخجِلَ من الخيانة، فجرتِ العينُ، وأطرقَ الرأسُ، إنَّ التائبين كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرونَ الجوابَ.

يـا حـاديَ الأظعـانِ عُـجْ متـوقفـاً	وانظـر دَمَ العُشّـاقِ كيـف يـراقُ
صبـروا علـى أَلـمِ التهـاجُرِ والقِلـى	وتجـرَّعـوا مُـرَّ الفِـرَاقِ وذاقـوا

يا معاشر التائبين مَنْ أقامكم وأقعدنا؟! مَنْ قرَّبكمْ وأبعدنا؟! ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، قفوا لأجل زَمِنٍ، ارحموا مَن قد عُطِب.

ردُّوا المطـايـا وإلا رَدَّهـا نَفَسـي	وأدمُعـي فهمـا سَيْـلٌ ونيـرانُ
يا سائقَ الظعنِ قلبي في رحالهمُ	أمـانـةٌ رعْيُهـا والحفـظُ إيمـانُ

يخيّلُ لي أنَّ الحيطانَ تبكي معنا، وأنَّ النسيمَ قد رقَّ لحزننا.

فـلا وَمَـنْ فَطَـرَ الأشيـاءَ مـا وجَـدَتْ	كَـوَجْـدِنـا العِيْـسُ بـل رقَّـتْ لبلـوانـا

ما أحسـنَ هؤلاء التـوَّاب! ما أذلّ وقوفهم على الباب فاعتبروا يا أولي الألباب.

بمـا بيننـا مـن حـرمـةٍ هـل رأيتـمُ	أرقَّ من الشَّكوى وأقْسَى مِنَ الهَجْرِ
وأفضـحَ مـن عيـنِ المحـبِّ لسـرِّه	ولا سيَّمـا إن أَطْلقـتْ عبـرةً تجـري

وجوههم أضوأُ من البدر، جباهُهم أنورُ من الشمسِ، نَوحُهم أفضلُ من

(١) قط الأولى: ظرف لما مضى من الزمان. وقط الثانية: انقطع.

التسبيحِ، سكوتُهم أبلغُ من فصيحٍ، لو علمتِ الأرضُ قدرَ خوفهم تزلزلتْ، لو سمعتِ الجبالُ ضجيجهم تقلقلت.

(لابن المعتز):

اسقنـــي فـــاليـــومَ نشـــوانُ[1]	والـــرُّبـــى صـــادٍ[2] وريّـــانُ
ونـــدامَـــى كـــالنُّجـــوم سَطَـــوْا	بـــالمُنـــى، والـــدّهـــرُ جـــذلانُ
خطـــروا، والسُّكـــر ينفضُهـــم	وذيـــــولُ القـــــومِ أردان

كلّما رأيتُ تقلقُل التائبين تقَلْقَلَ قلبي، وإذا تلمَّحْتُ اصفرارهم تبلبل لُبي، وإذا شاهدتُ دموعَهم زادَ كربي، وإذا سمعْتُ حنينَهم تبدَّدَ ماءُ عيني.

مـــا نـــاحَ فـــي البـــانِ الحَمـــامُ	إلا وَرَنَّحَنِـــــــي الغَـــــرَامُ
فكـــأننـــي ثَمِـــلٌ تَمشَّـــتْ	فـــي مفـــاصِلِـــهِ المُـــدام[3]
ومـــا لـــي وبـــانـــاتِ الحِمَـــى	لـــولا الصَّبـــابـــةُ والهُيـــامُ

* * *

---

(١) نشوان: سكران وجَذِل.

(٢) صاد: ظمآن.

(٣) المدام: الخمر.

الفصل الثامن والخمسون

ما زالت المنونُ ترمي عن أقواس، حتى طاحت[1] الجسومُ والأنفس، وتبدلت النَعَمُ بكثرة الأبؤس، واستوى في القبورِ الأذنابُ والأرؤس، وصار الرئيسُ كأنّه قطُّ لم يرؤس.

قُـــلْ للمفـــرِّطِ يستعـــد	مـــا مِـــنْ ورودِ المـــوتِ بُـــدُّ
قـــد أخلـــقَ الـــدَّهـــرُ الشبـــابَ	ومـــا مَضَـــى لا يُستَـــرَدُّ
فـــإلامَ يشتغـــلُ الفَتَـــى	فـــي لَهْـــوِه والأمـــرُ جِـــدُّ
والعمـــرُ يقصـــرُ كـــلَّ يـــومٍ	بـــي وآمـــالـــي تُمَـــدُّ

لقد وعظَتِ الدُّنيا فألغَتْ وقالتْ، ولقد أخبرَتْ برحيلها قبل أن يُقال: زالتْ، وما سقطَتْ جُدرانُها حتى أنذرتْ ومالت.

قَرُبَ الاغترابُ في التُّراب، ودنا سَلُّ السيفِ من القِراب، كم غنَّت ربابُ برباب[2]، ثم نادت على البابِ بتباب[3].

يا من زمانُه الذي يمضي عليه: عليه، يا طويلَ الأملِ وهو يرى الموتى بعينيه! يا مَنْ ذنبُه أوجبَ أن لا يُلتفتَ إليه، قد مُزجتْ لكَ كأسُ كُربة، ولا بُدَّ واللهِ من تلك الشَّرْبة، يا منقولاً بعد الأُنسِ إلى دارِ غُربة، يا طينَ تربةٍ وهو يطلبُ في الدنيا رتبة، هذا مجلس (ابن زيد) فأين (عُتبة)؟.

أتلهو برَنْدِ الصَّبا وبَانِه؟ ويروقُكَ برقُ الهوى بلَمَعانِه، وتغتَرُّ بعيش في عُنْفوانه، فتمدُّ يدَ الغفلة إلى جَنْي أغصانِه، وتنسى أنَّكَ في حريمِ خطره وامتحانِه، أما لُقْمةُ أبيك[4] أخرجَتْه من مكانِه؟ أما نودي عليه بالفطر في رَمَضانه؟ أما شأنه

---

(١) طاح: هلك وسقط.

(٢) رباب: آلة وترية ذات وتر واحد.

(٣) تباب: هلاك.

(٤) يشير إلى أكلة آدم عليه السلام من الشجرة.

شانه[1] لولا وَكْفُ شانه[2]؟ أما يُسْتدلُّ على نارِ العقابِ بدخانه؟ .

نزل آدمُ عن مقام المراقبةِ درجةً فنزَل، فكان يبكي بقيةَ عُمرِه ديار الوَفَا، بردُ النفسِ بالهوى لحظةً أثمرَ حرارةَ القَلَقِ ألف سنة، فاعتبروا، سالت من عينيه عيون، استحالت من الدماء دموع، شغلته عن لذات الدُّنيا هموم.

(لمهيار)[3]:

هـل بعـدَ مُفتـرقِ الأظعـانِ مجتَمَـعُ	أم هل زمـانٌ بهم قد فـاتَ مرتَجَعُ
تحمَّلـوا تَسَـعُ البيـداءُ ركبَهُـمُ	ويحمِلُ القلبُ منهم فـوقَ ما يَسَـعُ
الليـلُ بعـدهُـمُ كـالهَجْـرِ متصـلٌ	ما شـاء والنومُ مثلُ الـوصلِ منقطِعُ
أشتـاق نَعمْـانَ لا أرضـى بـروضتِـه	داراً، وإن طـابَ مُصْطـافٌ ومـرتَبـعُ

كان آدمُ كلَّما عاينَ الملائكةَ تنزلُ، تذكَّرَ المُرتَبَع في الرَّبْع، فتأخذُ العينُ في إعانة الحزين.

رأى بـارقـاً مـن نحـو نجـدٍ فـراعَـه	فباتَ يَسُحُّ الدّمعَ وجداً على نجدِ
هل الأعصرُ اللاتي مضيْنَ يعُدنَ لي	كما كُـنَّ لي، أَمْ لا سـبيلَ إلى الـرَّدِّ

ما أمَـرَّ البُعدَ بعد القربِ، ما أشدَّ الهجْرَ بعد الوصلِ، يا مطـروداً بعد التقريب، أبلغُ الشافعين لكَ البُكاء.

(للمتنبي)[4]:

وكيف التذَاذي بالأصائلِ والضُّحى	إذا لـم يَعُـدْ ذاكَ النسيـمُ الـذي هبّـا
ذكـرتُ بـه وصـلاً كـأنْ لـم أفُـزْ بـهِ	وعَيْشـاً كـأنّـي كنـتُ أقطعُـه وثْبـا

كان لقوم جارية، فأخرجوها إلى النَّخاس، فأقامت أياماً تبكي، ثم بعثت

---

(١) شانه: عابه.

(٢) وكف: سيل الدمع. شانه: مجرى دمعه، وقد خففت الهمزة فيها فيقال: شانه.

(٣) مطلع قصيدة يصف فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٨١ ـ ١٨٤.

(٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة. انظر: الديوان، شرح العكبري: ١/ ٥٧.

إلى ساداتها تقولُ: بحرمةِ الصُّحبة رُدُّوني فقد أَلِفْتُكم.

يا هذا! قف في الدياجي وامدُدْ يدَ الذُّل، وقلْ: قد كانت لي خدمة، فعرَضَ تفريطٌ وأوجَبَ البُعدَ، فبحرمة قديمِ الوصل ردوني فقد ألفتكم.

عَلِّلُونا بوصالٍ نافعٍ	إنَّنا للبُعْدِ كالشيءِ اللَّقا[1]
أو خذوا أرواحَنا خالصةً	أو ذَرُوا في كلِّ جسمٍ رَمَقا
وارحموا من تنقضي أيّامُه	غمراتٍ والليالي أرَقا
ويحَ قلبي ما لِقَلْبي كُلَّما	خفقَ البرقُ اليماني خَفَقا

يا هذا! لا تبرحْ من البابِ ولو طُرِدْتَ، ولا تَزُلْ عن الجنابِ ولو أبعِدْتَ، وقلْ بلسان التَّمَلق: إلى مَن أذهبُ؟!.

يا رَبْعُ إن وصلوا وإنْ صَرمَوا	فهمُ الأُولى مَلَكوا الفؤاد هُمُ
شغلوا بحسنهم نواظِرَنا	وعلى القلوبِ بحبِّهِمْ خَتَموا
أتبعْتُهُم نظراً فعادَ جوًى	ومن الشفا لذي الهوى سَقَمُ
تمحو دموعي وَسْمَ إبْلهمُ	وزفيرُ أنفاسي لها يَسِمُ

كان (**الحسنُ**) شديدَ الحزن، طويلَ البكاء، سُئِل عن حاله، فقال: أخافُ أن يطرحني في النّار، ولا يبالي.

يَعُزُّ عليَّ فراقي لكم	وإنْ كان سهلاً عليكم يسيرا

يا مَنْ كان له قلبٌ فمات، يا مَنْ كان له وقتٌ ففات، استغث في بَوَادي القلق.

رُدُّوا عَلَيَّ لَيَاليَّ الَّتِي سَلَفَتْ

أُحضرْ وقت السَّحَر، فإنّه وقت الإذنِ العام، واستصْحِبْ رفيق البكاء، فإنه مساعدٌ صبورٌ، وابعث سائل الصُّعَداء، فقد أقيمَ لها من يتناول.

(للمصنف):

---

(١) **اللَّقا**: الملقى لهوانه.

عَبَـرتْ بـريحِكـمُ الصَّبـا سَحَـراً　　فـارتـاحَ قلبـي المـدنَـفُ الحَـرِضُ
مـــا لـــي أرَاكِ سقيمـــةً بهـــمُ　　يـا ريـحُ عنـدي لا بِـكِ المَـرَضُ
أتبْعتُهـــا نَفَســـاً أُشيّعهـــا　　فـإذا جـروحُ القلـبِ تنتقـضُ
قِـفْ صـاحبـي إن كنـتَ تُسْعِـدُني　　عنـدَ الكثيـبِ فثَـمَّ لـي غَـرَضُ
وانشـدْ فـؤاديَ عنـد كـاظمـةٍ　　فـي كـلِّ ركـبٍ راحَ يعتـرِضُ
أشكـو ومنـي مبتـدَى ألَمـي　　عينـي رمـتْ وفـؤاديَ الغَـرَضُ
فَـرَضُـوا علـى الأجفـانِ إذ هجـروا　　لا تلتقـي فـاصبـرْ لِمَـا فـرضـوا
كيـف اصطبـاري بعـد فُـرقتِهـمْ　　يـا جيـرةً مـا عنْهـمُ عِـوَضُ

* * *

الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ

يا مَنْ سيَّبَ قلبَه في مراعي الهوى، وألقى حَبْلَه على الغاربِ، ستعلمُ من يطول نشدانُه للضُّلّالِ!.

(لمهيار)[1]:

دعْ ملامي بالحِمَى أو رُحْ ودَعْني	واقفاً أنشُدُ قلباً ضاعَ مِنّي
ما سألتُ الدارَ أبغي رَجْعَها	رُبَّ مسؤولٍ سواها لم يُجِبْني
أنا يا دارُ أخو وَحْشِ الفلا	فيكِ مَنْ خَانَ فَعَزْمِي لم يَخُنّي
ولئن غالَ مغانيكِ البِلَى	عادةُ الدَّهرِ فشخصٌ منكِ يُغْنِي
إن خَبَتْ نارٌ فهذي كَبِدي	أو جَفَا الغيثُ فهذا لَكِ جَفْني

أكثرُ فسادِ القلبِ من تخليط العَيْنِ، ما دامَ بابُ العين موثقاً بالغضّ فالقلبُ سليمٌ من آفة، فإذا فُتِح البابُ طارَ طائرهُ وربما لم يَعُدْ.

يا متصرّفين في إطلاقِ الأبصار، جاء توقيع العَزْل ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، إطلاقُ البصر ينقُشُ في القلب صورةَ المنظورِ، والقلبُ كعبةُ «ويسعني»، وما يَرضَى المعبودُ بعبادة[2] الأصنام.

عينايَ أعانتا على سفكِ دمي	يا لذةَ لحظةٍ أطالَتْ ألَمي
كم أندمُ حين لَيسَ يُغني ندمي	وَيْلي ثَبَتَ الهوى وزلَّتْ قَدَمي

يا مطلقاً طَرْفَه لقد عَقَلَك، يا مرسِلاً سَبُعَ فمِهِ لقد أكَلَك، يا مشغولاً بالهوى مَهْلاً قتلك، بادِرْ رَمقَك فقد رمَقَك[3] بالرحمة مَنْ عذلَك.

---

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة في النيروز. الديوان: ٤/ ٧٢ ـ ٧٧.

(٢) في (ب): بمزاحمة.

(٣) رمقك الأولى: بقية الشيء. ورمقك الثانية: نظر إليك.

(لمهيار)[1]:

عثرتَ يومَ العُذيبِ فاسْتَقِلِ ... ما كلُّ ساعٍ يُحسُّ بالزَّلَلِ
ما سلمتْ قبلك القلوبُ على ... الحُسنِ ولا الراجمونَ بالمُقَلِ
سافرَ قلبي يومَ الظَّعائنِ ... بالسَّفحِ وآبَ الفُؤادُ بالخبَلِ
نظرةُ غِرٍّ جنَتْ مُقارَعَةً ... يفتكُ فيها الجبانُ بالبَطَلِ
حصلتُ منها على جِراحتها ... واستأثرَ الظاعنون بالنَّفَلِ

إذا لاحَتْ للتائبِ نظرةٌ لا تَحِلّ، فامتدتْ عينُ الهوى، فزلزلتْ أرضَ التُّقى، ونهضَ معمارُ الإيمان ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

لاحَتْ نظرة لبعض التائبين، فصاح:

حَلَفتُ بدينِ الحُبِّ لا خُنتُ عهدَكُم ... وتلك يمينٌ لو علمتَ غَمُوسُ

إذا خَيَّمَ سلطانُ المعرفة بقاعِ القلبِ، بثَّ جندَهُ في بِقاع البَدَن، فصارتْ السباخُ رياضاً لرياضة.

ساكنٌ في القلبِ يعمرُه ... لستُ أنساه فأذكره

إذا نزل الحبيبُ ديار القلبِ لم يبقَ فيه نَزَّالة[2].

وكان فؤادي خالياً قبل حبكمُ ... وكان بذكرِ الخلقِ يلهو ويمرَحُ
فلمَّا دعا قلبي هواكَ أجابَه ... فلستُ أراهُ عن فِنائِكَ يَبْرَحُ
رُميتُ ببعدٍ منك إن كنتُ كاذباً ... وإن كنتُ في الدُّنيا بغيرك أفرَحُ
فإن شئتَ واصلني وإن شئتَ لا تَصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيرِكَ يَصْلُحُ

أول منازل القوم: «عزفت نفسي عن الدُّنيا»[3]، وأوسطها: «لو كشف

---

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة أبي سعد عبد الرحيم في النيروز. انظر: ديوانه: ٣/ ٨٧.

(٢) نزالة: كثير النزول.

(٣) أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، راجع: كنز العمال، المجلد (١٣)، برقم (٣٦٩٨٨).

الغطاء»[١]، ونهايتها: «ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللهَ فيه».

وما تطابقتِ الأجفانُ عن سِنَةٍ إلا وجَدْتُكَ بين الجفنِ والحدقِ
وهل ينامُ حزينٌ موجَعٌ قَلِقٌ جفونُه وُكِلَتْ[٢] بالسُّهدِ والأرقِ
شغَلْتَ نفسي[٣] عن الدُّنيا ولذتِها فأنتَ والروحُ شيءٌ غيرُ مُفتَرِقِ
فَلِمْ تُعذِّبُها بالصَّدِّ يا أملي؟ ارحمْ بقيةَ ما فيها مِنَ الرَّمقِ

أرواحُ المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العاداتِ، وهي في حواصلِ طيرِ الشوقِ ترفرفُ على أطلالِ الوَجْدِ، وتسرحُ في رياضِ الأنسِ، عند المحبين شغلٌ عن الجنة، فكيف يلتفتون إلى الدُّنيا؟! ما ترى عينُ المحبين إلا المحبوبَ «فبي يسمع وبي يبصر»[٤].

أنتَ عينُ العينِ إنْ نظرتْ ولسانُ الذِّكرِ إن ذكَرا
أنتَ سمعي إنْ سمعتُ به أنتَ سرُّ السرِّ إن خطرا
ما بقَى للنفس جارحةٌ كلُّها يا قاتلي أُسِرَا[٥]

باتت قلوبُهم يُقْلقُها الوجدُ، فأصبحتْ دموعُهم يستُرها الجَفْنُ[٦]، فإذا سمعوا ناطقاً يهتفُ بذكرِ الحبيبِ، أخذَ جَزْرُ الدمع في المَدِّ.

مَنْ أقلقه الخوفُ كيفَ يسكُن؟! من أنطقَه الحبُّ كيف يسكت؟! من آلمه البعد كيف يصبر؟! سل عنهم الليلَ فعنده الخبرُ، أتدري كيف مرَّ عليهم؟ أبَلَغَكَ ما جرى لهم؟ «أيعلَمُ خالٍ كيف باتَ المتيَّمُ»، افترشوا بساط قيس، وباتوا بليل

---

(١) المشهور أنّه من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. راجع: شرح سنن النسائي، للإمام السندي، بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله: ٨/ ٩٦، الحديث برقم (٤٩٨٨): «ثلاث من كن فيه».
(٢) في (ب): أجفانه وكحلت.
(٣) في (ب): قلبي.
(٤) رواه البخاري في «صحيحه».
(٥) أسرا: أي أسرى.
(٦) في (أ): تستر بفنا الجفن.

النابغة، إن ناحوا فأشجى من مُتَمِّم، وإن ندبوا فأفصح من خنساء.

اجتمعت أحزابُ الأحزان على قلب الخائف، فرمَتْ كبدُ[1] الخوف الكبد، فوصلَ سهمُ نَصْل القلق ففلَقَ حَبّةَ القلبِ فانْقَلب، فصاح الوجْدُ: مَنْ شاء اقتطع، فلو رأيتَ فعلَ النّهّابة[2] لرحمتَ المتمَزِّق.

(لمهيار)[3]:

أيُّها الرامي وما أجرى دماً	لا تجنب قد أصبتَ الغرضا
أُطلبوا للعينَ في أثنائِه	نظرةً تكحِلُها أو غُمُضا

طالَ حبسُ المحبين في الدُّنيا عن الحبيب، فضجَّتْ ألسنُ الشوق، فلو تيَقَّظْتَ في الدُّجى سمعتَ أصواتَ أهلِ الحبوس.

(للمصنف):

طالَ ليلي وداما	وحُرِمْتُ المناما
وجدَ الوجدُ عندي	منذ بانوا مقاما
ليتهم حين راحوا	وَدَّعُوا مستهاما
سارَ قلبي وجِسْمي	لم يَسِرْ بَلْ أقاما
لستُ أدري فُؤادي	إذ غَدوا أينَ هاما
حبُّهُم قُرَّةُ قلبي	منْذُ كنتُ غلاما
حمَّلوا ضَعْفَ قلبي	يَذْبُلاً وشَمَاما[4]
كم رموني برشقٍ	وأحَدُّوا سِهَاما
ما لعينيَ تبكي	إنْ سمِعتُ حَماما
كلّما ناحَ رشَّتْ	فظننتُ الغماما
هل نسيمٌ لكربي	أين ريحُ الخُزامى

---

(١) كبد: القوس يملأ اليدَ مقبضها.

(٢) النهّابة: الذين يجتمعون على نهب الشيء وأخذه.

(٣) من قصيدة كتبها في النيروز إلى عميد الرؤساء أبي طالب. انظر: ديوانه: ٢/ ١٥٣ـ١٥٤.

(٤) يذبل وشمام: جبلان.

هجركم يا حبيبي كانَ موتاً زُؤاما

أكلَ اللحمَ مني ثم أَبلى العظاما

صارَ ليلي نهاراً ونهاري ظَلاما

إنّما بتُّ أشكو لوعتي والغراما

فاعذروا أو فلوموا ما أُبالي المَلاما

أَفرِجوا عن طريقي قد خَلَعْتُ اللجاما

ورمَيْتُ سلاحي وكشفتُ اللثاما

أسعدوني[1] فإنّي قد فنيت سقاما

* * *

(١) الإسعاد: الإعانة.

الفصل الستون

إخواني! تفكّروا في الذين رحلوا، أين نزلوا؟ وتذكّروا أنَّ القومَ نُوقِشوا وسُئلوا، واعلموا أنكم كما تُعذَلون عُذِلوا، ولقد وَدُّوا بعد الفواتِ لو قُبلوا.

(لأبي العتاهية)[1]:

سألتُ الدّارَ تُخبرني ... عن الأحبابِ ما فعلوا

فقالتْ لي: أناخَ القومُ ... أياماً وقَدْ رَحَلوا

فقلتُ: فأينَ أطلبُهم ... وأيَّ منازلٍ نزلوا

فقالتْ: بالقبورِ وقَدْ ... لقوا واللهِ ما عَمِلوا

أُناسٌ غرَّهم أملٌ ... فبادَرَهُم به الأجلُ

فَنَوا وبَقِي على الأيّامِ ... ما قالوا وما عملوا

وأُثبِتَ في صَحَائِفِهِمْ ... قبيحُ الفِعْلِ والزَّلَلُ

فلا يُستَعْتَبون ولا ... لَهُمْ مَلْجَا ولا حِيَلُ

ندامى في قبورِهِمُ ... وما يُغني وقد حَصَلوا

أين مَنْ كانتِ الألسنُ تهذي بهم لتهذيبهم، وأصبَحتْ فُلْكُ الاختبار تجري بهم لتجريبهم، أقامت قيامتَهم مناداةُ خَيْلِ الرحيل لتُغري بهم لتَغْريبهم، فباتوا في القبور وحْداناً لا أنيسَ لغريبهم.

أين أهلُ الوداد الصافي في التَّصافي؟ أين الفصيحُ الذي إن شاء أنشأ في القول الصافي؟ أين قصورُهم التي تضَمَّنَتْها مدائحُ الشعراء، صار ذكرُ القوى في القوافي؟ لقد نادى الموتُ أهلَ العوالي والقصورِ العوالي الطوافي: تأهّبوا لقدومي فكم غرثانَ[2] طوَى في طوافي[3]، رحل ذو المال وما أوصى في تفريق كدَرٍ أو صَافِي،

---

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوانه.

(٢) الغرث: الجوع. والغرثان: الجائع.

(٣) طوى: مات جائعاً. طوافي: تجوالي عليه.

ولقيَ في مَرّه أمراً مُرّاً لا تَبْلُغُه أوصافي، ذاقوا الآمال فانْتزِعَ من أفواههم يوم المآل، وعادَ الخَوى في الخوافي[1]، عَوى في ديارهم ذئبُ السِّقام بتكذيب العَوَافي، وانقطعتْ آمالُهم، وصار كلُّ المنى في دفع المُنافي، تزلزلَ ودُّ أحبابِهم والتوى، وبثُّ ألتوي في التوافي[2]، تالله لقد نال الدودُ والبِلى ما أرادَ منهم وأَلْفَيا فِيْ الفيافي، آلت قبورُهم إلى الخراب أوّلاً، فلا يُدرَى أهذا قبر المولى أوْ لا، وهم سواء في السَّوافي[3]، كم أعرضوا عن نصيحٍ، ورفضوا ما تلا في التَّلافي[4]، كم ندموا على ضياع زمانهم الذي خَلا في خِلافي، كم رأيتُ عاصيَهم قد أعرَض عنّي إلى عدوي والتجأ إلى التَّجافي، أما أخبرتُهم بوصفِ النار أنها ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج: ١٦] في الشوافي، فاعتبر بحالهم، فإنه يكفُّ كفَّ الهوى، وهو الواعظ الكافي[5].

أين الأبصارُ الحدائدُ قبل إحضار الشدائد؟ أما اسْتُلِبَتِ القلائد من ترائب الولائد؟ لابدّ من إزعاج هذا الراقد، فيقعُ الفراقُ بين فريق الفراقد، يا موثَقاً في حَبالةِ[6] الصائد، واللهِ ما كذَبكَ الرائد، يا عَمِيَّ البصيرة ولا قائد، كم أضربُ في حديدٍ بارد.

أليلى وكلٌّ أصبحَ ابنَ مُلَوَّحٍ ولُبنى وما فينا سوى ابنِ ذَريحِ

ذهبتْ أعماركم في طِلاب الشهوة، والموتُ قد دَنا، فما هذه السهوة، والقلوب غافلةٌ، فإلامَ القسوة؟!.

والصُّلحُ معروضٌ فحَتّامَ الجفوة؟ أين ربُّ المال؟ أين ذو الثروة؟ أما فرَسَ الموتُ ذا الفرسِ[7] وأخلى الصهوة؟ طوبى للمتَيقظين إنّهم لقدوة، علموا عيبَ

---

(١) الخوى: الضعف. الخوافي: ما خفي من باطن الإنسان.

(٢) التوافي: لم نجد معنى لهذه الكلمة بعد الرجوع للقواميس المعتمدة.

(٣) السوافي: الرياح.

(٤) يريد ما تلى من ذكر يحثُّ على المبادرة والرجوع وترميم ما أفسد.

(٥) في (أ): الشافي.

(٦) حبالة: شَرَك، الأحبولة التي ينصبها الصائد لتقع فيها الفريسة.

(٧) ذا الفرس: ذا قتل، وكل قتل: فرس.

الدُّنيا فما أمسكوا عُرْوة، وأنت في حُبِّها كقيسٍ وعُروة، أيحسنُ بعد الشيبِ لهوٌ وصَبْوة، ألبقى نأْيُ الزمانِ طيبَ ناي وقهوة؟ قُرِّبتْ نوقُ الرحيلِ مساءً وغُدْوة، جَذبتْ أيدي المنون كُرْهاً وعُنوة، يا قليلَ التدبير ولا عقولَ النسوة، إلى كم عيبٌ وعتبٌ أما فيكم نخوة؟ وا عجباً لتاجرٍ يرضى بتعب شهر ليتمتّع بربحه سنة! فكيف لا يصبر أيام عُمُره القليلة ليلتذ بِربْحها أبداً.

يا من يروحُ ويغدو في طلب الأرباح، ويحك اربَحْ نفسك.

يا أطفال الهوى طال مكثكم في مكتبِ التعليم، فهل فيكم من أنجب؟ اقرؤوا أدلة التوحيد من ألواح أشباحكم، وتلقفُوها من أنفاس أرواحكم قبل أن يَستلِبَ الموتُ من أيدي اللاهين ألواحَ الصور، ويمحو مسطورَ التركيب بكفِّ البِلى، وما فُهم المكتوبُ بعدُ، كم يلبثُ مصباحُ الحياةِ على نكباء النكبات.

من رأى بعيْنِ فكرِه معاولَ النقض في هدم المنزلِ ناحَ على السكان.

يا هذا! مشكاةُ بدنك في مهابِّ قواصف الهلاك، وزجاجةُ نفسِك في معرض الانكسار، فاغتنم زمانَ الصفوِ فأيامُ الوصل قصارٌ، كم يلبثُ قنديلُ الحياة على عواصف الآفات، أنفاسُ الحيِّ خطاه إلى أجله، درجاتُ الفضائِل كثيرةُ المراقي وفي الأقدامِ ضعفٌ، وفي الزمانِ قِصَرٌ، فمتى تنال الغاية؟.

وقف قومٌ على راهب، فقالوا: إنا سائلوك أفَمُجيبُنا أنت؟.

قال: سلوا ولا تكثروا، فإنَّ النهار لن يرجعَ، والعمرَ لن يعودَ، والطالب حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد.

قالوا: فأوْصِنا.

قال: تزوّدوا على قدْرِ سفركم، فإنَّ خيرَ الزادِ ما بلَّغَ البُغية.

إخواني! الأيامُ صحائفُ الأعمار فخلّدُوها أحسنَ الأعمال.

الفرص تمرُّ مرَّ السحاب، والتَّواني من أخلاق الخوالف[1].

من استوطأ مركبَ العجزِ عثرَ به.

---

(١) **الخوالف**: النساء.

تزوّجَ التَّواني البطالة[١] فوُلِد بينهما الخسران.

كان **عمرُ وعائشة** يسردان الصوم، وسرد **أبو طلحة** أربعين سنة، وصام **منصور بن المعتمر** أربعين سنة وقام ليلها.

وكان **عامر بن عبد الله** يصلّي كل يوم ألف ركعة، وختم **أبو بكر بن عياش** في زاوية بيته ثمانية عشر ألف ختمة، وكان **لِكَهْمَس** في كلِّ شهرٍ تسعون ختمة، وكان عمير بن هانئ يسبّح كلَّ يوم مئة ألفَ تسبيحة:

صافحوا النجمَ على بُعدِ المنازِل ... واستطابوا القيظَ من بَرْد الظلالِ
واستذلّوا الوَعْرَ من أخطارِها ... إنَّما الأخطارُ أثمانُ المعالي
ركبوا الضرَّ إليها رُبَّما ... صَحَّتِ الأجسامُ يوماً بالهزالِ
وجرَوْا يوماً إلى غايتها ... بالطوالِ السُّمْرِ والقبِّ[٢] العوالي

وكان **الأسودُ بن يزيد** يصومُ حتى يخضرّ ويصفرّ، وكان **ابنُ أدهم** كأنّه سَفود[٣] من العبادة، وكانت **رابعة** كأنها شَنٌّ[٤] بالٍ، ومات **حسّان بن أبي سنان** فكان على المغتسل كالخيط، وكان **محمد بن النضر** لو كُشِطَ جميعُ لحمه لم يبلغ رطلاً.

جَزَى اللهُ المَسِيْرَ إلَيْهِ خَيْراً ... وَإنْ تَرَكَ المَطَايَا كَالمَزَادِ[٥]

أكبرُ دليل على الحبِّ نحولُ الجسمِ واصفرارُ اللونِ.

(للحارثي):

سلبتِ عظامي كلَّها فتَركْتِها ... مجردةً تُضحي لديكِ وتخضُرُ
وأخلَيْتِها مِنْ مُخِّهَا فكأنَّها ... أنابيبُ في أجوافِها الريحُ تصفرُ

---

(١) في (ب): بالكسل.
(٢) **الطوال السمر**: الرماح. **القب**: الفحل من الإبل.
(٣) **سفود**: حديدة يشوى بها اللحم.
(٤) **شن**: قربَة خَلَق.
(٥) **المزاد**: جمع مزادة، وهي الراوية من الجلد.

إذا سمِعَتْ باسمِ الحبيب تقعقعتْ   مفـاصلُهـا مـن خـوفِ مـا تنظـرُ
خُذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ تنظري   ضَنَـى جسـدي لكنني أَتستَّـرُ
وليسَ الذي يجري من العين ماؤها   ولكنّهـا روحٌ تـذوبُ فتقْطُـرُ

قال الجُنيد: دخلتُ على سَري السَّقطي فمدّ جلدة ذراعه وقد يبست على العظم فما امتدت، فقال: واللهِ لو شئتُ أن أقول هذا من محبته لقلتُ:

وهـواكَ مـا أبقـى هـواكَ   علـيَّ فيـكَ ولا تَـرَكْ
أيلـومُنـي فيـكَ الـذي   يُـزْرِي علـيَّ ولـم يَـرَكْ
رِفقـاً بعبـدِك سيّـدي   هـذا عُبَيْـدُك قَـدْ هَلَـكْ

* * *

الفصل الحادي والستون

يا مَنْ أيَّامُه تَعِظُهُ! حينَ تبنيه وتنقضُه، يا من صحته تمرضه! وسلامتُه تُحْرِضُه[١]، يقرُضُ عمره فيفنيه ومَنْ يُقْرِضُه:

أرى الدهرَ أغنى خطْبُه عن خِطابِهِ ... بوعظٍ شَفَى ألبابَنا بِلُبابِهِ
لـه قلبٌ تُهدى القلوبُ صواديـاً ... إليها وتعمى عن وشيكِ انقلابِهِ
هو الليثُ إلا أنّه وهو خادرٌ ... سطا فأغابَ الليثُ[٢] عن أنس غابِهِ
وهيهاتَ لم تسلمْ حلاوةُ شَهْدِهِ ... لصَابِ إليه من مرارةِ صابِهِ[٣]
مبيدٌ مَباديه تغرُّ وإنّما ... عواقبُه مختومةٌ بعقابِهِ
ألم ترَ مَنْ ساسَ الممالك قادراً ... وسارت ملوكُ الأرضِ تحتَ ركابِهِ
ودانتْ له الدُّنيا وكادتْ تُحلُّه ... على شُهْبها لولا خمودُ شهابِهِ
لقد أسلمَتْه حصنُهُ وحصونُه ... غداةَ غدا عن كَسْبِهِ باكتسابِهِ
فلا فضةٌ أنجتْهُ عند انقضاضِهِ ... ولا ذهبٌ أغناهُ عند ذهابِهِ
سلا شَخْصَه ورَّاثُه بتُراثِهِ ... وأفردهُ أترابُه بترابِهِ

كم دارسٍ عليك أنَّ الرابع[٤] دارس، كم واعظٍ ناطقٍ وآخرَ هامسٍ، كم غَمَستْ حبيباً في الثرى كفُّ رَامس[٥]، كم طمسَ وجهاً صبيحاً من البِلى طامس، تاللهِ ما نجا بطبِّه بقْراطُ ولا أرسطا طالس، صاحَ الموتُ بالقومِ فنُكِسَ الفارس، أين الفطنُ اللبيب؟ أين اليقظ القائس[٦]؟ أتشتري أخسَّ الخسائس بأنفس النفائس؟

---

(١) تحرضه: تهلكه.
(٢) الليث الأول: تشبيه الدهر بالليث. والليث الثاني: الأسد الحقيقي.
(٣) صاب: مائل من الشوق. صابه: الصاب عصارة شجر مر.
(٤) الرابع: هو النازل في الربع ويقيم معهم.
(٥) رامس: من يتولى دفن الموتى.
(٦) القائس: من القياس، وهو الذي يقدر الأمور.

أتؤثر لَذَّةَ لحظةٍ تَجْني حربَ البسوسِ وداحِس؟ يا مُقتِرين[1] من التُّقى بل يا مفالس، يا مُنْهمكين في الخطايا ما تنفعُ الملابس، اشتروا نفوسَكم عن الذنوبِ تشتروا لها السنادس[2].

إخواني! لو ذكرتم أنكم تُبَادون ما كنتم بالمعاصي تبادون[3]، لقد صَوّتَ فيكم الحادون[4] وما كأنكم للخير تُرادون، وا عجباً تُصادُّون المواعظ ولا تُصادون[5]، إلى متى تراوِحُون الذنوب وتغَادرون؟! يا مقيمين وهُمْ حقّاً غادون، أتعادُون مَنْ يقول: إنكم تعادُون[6]؟! كأنكم بكم تقادُون إلى مقام فيه تُقَادون[7]، أما سمعتم كيف نادى المنادون: كلُّ شيء دون المنى دُون؟!.

يـا نـائـمَ الليـلِ تَنَبَّـهْ للتُّقـى	وانهـضْ فقـد طـالَ بـكَ القُعـودُ
بيـنَ يـديْـكَ حـادِثٌ لمثلِـهِ	يُغسَـلُ عـن أجفـانـه الـرُّقـودُ
مـا جحـدَ الصـامِـتُ مـن أنْشـأه	ومـن ذوي النطـقِ أتـى الجحـودُ

الدَّهرُ خطيبٌ كافٍ، والفكرُ طبيبٌ شافٍ.

كم قُطِعَ زرعٌ قبلَ التمامِ، فما ظنُّ المستَحْصَد[8]؟ مَنْ عرفَ الستينَ أنكرَ نفسَه، من بلغ السبعين اختلفَ إليه رسلُ المنيَّة.

عواري[9] الزمان في ضمان الارتجاع، **يوسُف** العقل ينظر في العواقِب، **وزليخا** الهوى تتلمحُ العاجل.

يا مُقْدمين على الحرام أنتم بعينِ من حَرَّمَ.

---

(١) **مقترين**: يقال: قتر على عياله: ضيَّق في النفقة، وهنا كناية عن القلة.

(٢) **السنادس**: إشارة إلى ثياب الجنة.

(٣) **تبادون الأولى**: تهلكون. **وتبادون الثانية**: تعالنون وتظاهرون.

(٤) **الحادون**: الحداة في القوافل.

(٥) **تصادون الأولى**: من الصد والإعراض. **ولا تصادون**: أي لا تؤثر فيكم المواعظ.

(٦) **تعادون الأولى**: من العداة. **تعادون الثانية**: من الإعادة بعد الموت.

(٧) **تقادون الأولى**: من السوق والأخذ. **وتقادون الثانية**: من القَوَد، أي: الحساب.

(٨) **المستحصد**: حان وقت حصاده.

(٩) **عواري**: جمع عارية.

ينبغي لمن أُلبِسَ ثوبَ العافية أن لا يدنِّسَه بوسخِ الزلل.

زرعُ النِّعَمِ مفتِقرٌ إلى دوران دولابِ الشكر، فإذا فَتَحَ القلبُ سِكرَ[1] الاعترافِ بالعجزِ، صارَ السقيُ سَيْحاً.

هذا اليومُ يقول: أرضني وعليَّ رضا أمس، السكونُ بالبلادةِ أصعبُ من التحرُّكِ بالهوى، إذا رآكَ عقلُك وقد تولّى حسُّك تدْبيرَك تولّى[2].

ويحك لا تؤمّر حسَّكَ على عقلك، فإنَّه عكسُ الحكمة. العقل نور والحسُّ ظلمة. الحسُّ أعشى[3] والعقلُ عينُ الهدهد[4]. الحسُّ طفلٌ والعقل بالغ.

العقل يدخلُ في الحقائِق والحسُّ أَبْلَه، الحسُّ لا يرى إلا الحاضر، والعقلُ يتلمّحُ الآخِر. الصَّبرُ عن الأغراضِ صَبْرٌ[5]، غير أنّ الحازمَ يجعلُ مراقبةَ العواقِب تقويةً. ما خلا قطُّ وجهُ سرورٍ من تَعَبُّسِ مكروهٍ، ولا سلمتْ كأسُ لذةٍ من شائبةِ نَغْصة[6].

(للمتنبي)[7]:

فذي الدارُ أخونُ من مُومسٍ	وأخدَعُ من كِفةِ الحابِلِ[8]
تَفانَى الرِّجالُ على حُبِّها	وما يحصلونَ على طائِلِ

كلُّ صَافٍ من الدُّنيا مقرونٌ بكدرٍ، حتى إنّه في الغيثِ عيثٌ[9]، أتريدُ أن لا تنعكس لك غرضٌ؟ فما هذا موضعه، الهباتُ ذاهباتٌ، والليالي مُناهباتٌ، الدُّنيا قنطرةٌ، واستيطان القناطرِ بَلَهٌ.

---

(١) سِكر: ما يسد به النهر أو غيره.

(٢) تولّى الأولى: من الولاية والتحكم. وتولّى الثانية: انصرف وذهب.

(٣) أعشى: ضعيف البصر.

(٤) عين الهدهد: ترى الخَبءَ في باطن الأرض.

(٥) الصبر الأولى: حبس النفس. والصبر الثانية: الدواء المر.

(٦) نغصة: الكدر الذي ينغص حياة الإنسان.

(٧) ختام قصيدة يمدح بها سيف الدولة، الديوان، شرح العكبري: ٣/ ٣٣.

(٨) مومس: المرأة الفاجرة. كِفة: كل مستدير. الحابل: الصائد ذو الحبالة.

(٩) عيث: فساد.

هـــل نَجْــدُ إلا منـــزلٌ مفـــارَقٌ ووطـنٌ فـي غيـرِه يُقْضـى الـوطـرْ

الهمُّ فيها أكثر من الفرح، والسرورُ أقلُّ من الحُزْنِ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

يا مجتهداً في طلب الدُّنيا، اجعل عُشْرَ اجتهادِكَ للأُخرى، جَهَّزتَ البنات، وزوَّجت البنين، فأنت بماذا تجهزْتَ للرحيل؟.

يا متقاعداً عن أوامرِ الربِّ، احذر أن يقْعِدَك عن نَهضاتِكَ تَزَمُّنٌ[1]، واعجباً! إن حُرِّكْتَ إلى الطاعة فَزُحَل، وإن لاحَ الهوى فعُطارد، عينُك قد استرقَّها المنظور، ولسانُك يتصرَّفُ فيه اللغو، ويدُك يُحرِّكُها الزَّلل، وخُطَا أقدامِك إلى الخطأ، ثم قد أسكنْتَ الهوى قلبَك، فأينَ يكونُ المَلَكُ؟ «وهل ترك لنا عَقيلٌ من منزل»[2].

ويحك! إنَّ الإنسانَ يَشُدُّ في إصبِعِه خيطاً يتذكَّر به حاجتَه، وهل في جسدك عرق أو شعرة إلا وهي تُذَكِّرُ بالخالق؟! فما وَجْهُ هذا النسيان البارد؟!.

يا من باعنا نفسَه ثم ماطلَ بالتسليم، لا أنتَ ممن يَفْسخ العقدَ، ولا ممن يُمْضي البيع، تَدَّعي الرحلةَ إلى دار الحبيب، ودهليزُ سرادِقِك إلى بلد الهوى، هيهاتَ لا يُدرِكُ علمَ الربانية إلا مَنْ رُبِّي فيه.

(لمهيار)[3]:

يــا قلـبُ مـا أنـتَ وأهـلُ الحمـى وإنَّمــا هُــمْ أَمْسُــكَ الــذَّاهِــبُ
دونَ نجـــدٍ وظبـــاءِ الحِمَـــى أن يَقـــرَحَ المنسِـــمُ والغـــارِبُ[4]

لابدَّ في سلوكِ الطريقِ من مُصابَرةِ رفيقٍ، البلاءُ له خُلُقٌ صعبٌ، فَاصْبِرْ على مداراته، البلايا ضيوفٌ فأحْسِن قِرَاها، لتَرْحل عنك إلى بلدِ الجزاءِ مادحةً لا قادحةً، من حَكَّ بأظفارِ شكواه جِلْدَ عيشه أدمى دِينَه، البلاءُ ظُلْمةُ غَبَش، ويا سرعةَ طلوع

(١) تزمن: مرض مزمن مقعد.
(٢) رواه أبو داود في كتاب الفرائض، برقم (١٠) بلفظ: «هل ترك لنا عقيل منزلاً».
(٣) من قصيدة يمدح بها عميد الدولة ابن عبد الرحيم. الديوان: ١/ ١٣٦.
(٤) المنسم: خف البعير. الغارب: ما بين السنام إلى العنق.

الفجر، اللهمَّ أَعِنْ أطفالَ التوبة على ما ابتُلُوا به من جوع شديد، فإذا أُعِدَّ قرصُ الإفطار نزلَ ضيفُ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، فزاحم، فَأَزَاح ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾ [العنكبوت: ٢].

إنَّ هــــواكَ الـــــذي بقلبــــي	صَيَّـــرنـــي ســـامعـــاً مطيعـــا
أخــذْتَ قلبـــي وغمْـــضَ عينـــي	سلبْتنـــي النـــومَ والهُجُـــوعـــا
فــذَرْ فـــؤادي وخُـــذْ رُقـــادي	فقـــال لا بـــلْ هُمـــا جميعـــا

فإذا تمكَّنَتْ قدمُ المريد، وطابَ له ارتضاعُ ثَدْيِ الوصَال، قُطِعَ عنه في أهنأ ما كان، يُرادُ منه زيادةُ القلق، في الحديث: «يوحي الله تعالى إلى جبريل عليه السلام، أَسْلبْ عبدي حلاوةَ مناجاتي، فإنْ تضرَّعَ إليّ فرُدَّها»[1]، فلو سمعتَ استغاثة المحبين، لأَوْرَثَتْكَ القلقَ:

علـــى بُعْـــدِكَ لا يصبـــرُ	مَـــنْ عـــادَتُـــهُ القُـــرْبُ
ولا يقـــوى علـــى هَجْـــرِكَ	مَـــنْ تَيَّمَـــهُ الحُـــبُّ
فمهـــلاً أيّهـــا الســـاقـــي	فقـــد أسكـــرنـــي الشُّـــرْبُ
فـــإن لـــم تَـــرَكَ العَيْـــنُ	فقـــد يشهـــدُكَ القلـــبُ

* * *

(١) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث وبرامج الحاسوب.

الفَصْلُ الثَّانِي والسِّتُّونَ

يا مَنْ قد غَلبتْهُ نفسُه! وبطشَ بعقلِه حِسُّه، استدركْ صُبابَة اليقظةِ، وصِحْ في سمعِ قلبك بموعظة.

يا نفسُ! توبي فإنَّ الموتَ قد حانا ... واعْصِي الهوى فالهوى ما زالَ فَتَّانا
أما تَرَيْنَ المنايا كيفَ تَلْقطُنا ... قَسْراً وتُلْحِق أُخرانا بأُولانا
في كلِّ يوم لنا مَيْتٌ نُشيّعُه ... نرى بمصرعِه آثارَ موتانا
يا نفسُ ما لي وللأموالِ أَتْرُكُها ... خلفي وأَخرجُ من دنياي عُريانا
أبعدَ خمسينَ قد قضَّيْتِها لَعِباً ... قد آن أن تَقْصُري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامَى عن مصائرنا ... نَنْسى بغفلتنا مَنْ لَيْسَ يَنْسانا
نزدادُ حِرْصاً وهذا الدّهرُ يَزْجُرنا ... كأنَّ زاجرَنا بالحرص أغرانا
أين الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَنْ ... كانتْ تَخِرُّ له الأذقانُ إذْعَانا
صاحت بهم حادثاتُ الدَّهْر فانقلبوا ... مستبدِلين من الأوطانِ أوطانا
خَلَّوا مدائنَ كانَ العِزُّ مَفرشَها ... واستفرشوا حُفَراً غُبْراً وقِيْعانا
يا راكضاً في ميادينِ الهوى مَرِحاً ... وَرَافلاً في ثيابِ الغَيِّ نَشْوانا
مضى الزمانُ وولَّى العُمْرُ في لَعِبٍ ... يكفيكَ ما قد مضى قد كان ما كانا

أين الزادُ يا مسافر؟! أين دِرْعُ التقوى يا سافر؟! لقد أنشبَ الموتُ فيك الأظافر، ولا تَشُكَّنَّ أنه ظافر، هذا النَّبْلُ فأين المغافِر[1]؟ كيف تصنعُ إذا غضِبَ الغَافِر؟! يا مبارزاً بالقبيح أمؤمنٌ أنت أم كافر؟!.

إن قُمْتَ سَدَلتَ من ثيابِ كِبْرِك، وإن أقمتَ سدَرْتَ[2] من شراب خمرك، اصْطَفَقَتْ أبوابُ المواعظ وما استفقتَ، تقفُ في الصلاة بغير خضوع، وتقرأُ التخويفَ وما ثَمَّ خشوع، يا نائماً عن صلاحه كم هذا الهُجوع؟! يا دائمَ الحضورِ

---

(١) **المغافر**: جمع مغفر، وهو زرد يُنسج على قدرِ الرأس يلبسُ تحت القلنسوة.

(٢) **سدرت**: من سدر، أي: لم يهتم بما صنع.

عندنا هل عمرُك إلا أسبوع؟! إنَّ لنَجْمِ الحياةِ الأُفول، ولشمْسِ المماتِ الطُّلوع، أين أبوك؟! أين جدّك؟! السيف قَطُوع، كيف تبقى مع كسرِ الأصولِ ضعافُ الفروع؟! تَتَمَلَّقُ الدُّنيا بِقَلبِكَ وتعتذر بلفظٍ مصنوع، إصرارُك كالصحيحين[1]، وإقلاعُك حديثٌ موضوع. مَزِّقْ أملك فالعمرُ قصير، حَقِّقْ عملك فالناقد بصير، زِدْ زادَ سَفَرك فالطريق بعيد، ردِّد نظر فكرك فالحساب شديد.

صِحْ بالقلبِ لعلَّه يَرْعَوي[2]، سلِّمْه إلى الرائضِ[3] عساه يَستوي.

يـا مؤثرَ البطالةِ! عالمُ الهوى دَنس، عاشـقُ الهوى جامدُ الفكرِ، فلو ذاب ما ذابَ[4].

سهـرُ العيـونِ لغيـرِ وَجْهِـكَ ضـائِـعُ ... وبكـاؤهـنَّ لغَيْـرِ وَصْلِـكَ بـاطِـلُ

يا هذا! وجِّهْ ناقتَك إلى بادية الزيارةِ، فإنَّ لها بنسيمِ نَجْدٍ مَعْرِفةً، قِفْها على الجادةِ، وقد هبَّ لها نسيمُ الشيحِ من الحجازِ، إنْ أَعْوزَكَ في الطريق ماءٌ فتمِّمْ مَزادَتَك بالبكاء.

(لعلي بن أفلح):

دَعْهـا لـكَ الخيـرُ ومـا بَـدا لهـا ... مِـن الحنيـن نـاشطـاً عقـالَهـا
ولا تُعلِّلْهـا بجـوٍّ بـابـلٍ ... فهُـو أَهـاجَ بـالجَـوَى بَلْبـالَهـا
ولا تُعقْهَـا عَـنْ عقيـقِ رَامـةٍ ... فـإنَّهـا ذاكـرةٌ آمـالهـا
نَشَـدْتُـكَ الله إذا جئـتَ الـرُّبَـى ... فَـرُدْ أَضَـاهـا[5] واستظِـلَّ ضَـالَهـا[6]

---

(١) **كالصحيحين**: أي البخاري ومسلم، ويقصد أنّ الإصرار على المعاصي ليسَ فيه ضعف البتة.

(٢) **يرعوي**: ينزجر.

(٣) **الرائض**: من راض النفس إذا وطأها وذللها، أو علّمها ما به تتزكى، فتصبحُ مرتاضة منقادة، والمقصود هنا من الرائض: شيخ التربية والسلوك إلى الله عزَّ وجل.

(٤) **ذاب**: نحل وضعف. **ما ذاب**: ما حصل له مراده.

(٥) **أضاها**: الأضاة الغدير. **ورُدْ**: من الفعل يرود ماضيه راد، وأصله الرائد الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.

(٦) **ضالها**: الضال الواحد ضالة: شجر من فصيلة النبقيات.

ونـاوِحِ الـوُرْقَ بَشَجْـوِ[1] ثـاكـلٍ أطفـا[2] لهـا ريْـبُ الـردى أطفَـالهـا

بكى آدمُ في طريقِ ابتلائِـهِ ثملاثمئة سنة، وعامَ نوح في دمعه ثلاثمئة عام، وضجَّ داود من دائه حتى ذوى، كان كلّما هاجَ حَرُّ الحزنِ هاجَ نباتُ الفرحِ، فحالت الحال دمعاً، فأجدبَ البصرُ، وأعشبَ الوادي، فلو وُزِنت دموعُه بدموع الخلائق لرجحت.

(للشريف الرضي)[3]:

عنـدي مـن الـدمـع مـا لَـوْ أنَّ واردَه مطـيُّ قومِـك يـومَ الجَزْعِ ما نَـزَحَا
غـادَرْنَ أسـوانَ[4] ممطـوراً بعبـرتِـهِ ينحـو مـع البـارقِ العُلـويِّ أيـن نَحَـا
هـل تَبْلغُنَّهـمُ النفسُ التـي تلفَـتْ[5] فيهم شـعاعاً أو القلبُ الذي قَـرِحا
إنْ هانَ سفحُ دمي بالبينِ عندهُمُ فواجبٌ أن يهونَ الدمعُ إن سُفِحا

كان (يحيى بن زكريا) يبكي حتى رَقَّ جلدُ خَدِّه وبدت أضراسه، هذا! وقَدْ كـان على الجادة فكيف بِمَنْ ضلَّ؟! واعجباً مِنْ بكائه وما ثَمَّ[6] مأثم، فكيف بِمنْ ما انقضى يومٌ إلا وثمَّ مأثم؟!.

يا هذا إن كان قد أصابك داء داود[7]، فنُح نَوْحَ نُوحٍ تحيى حياةَ يحيى.

لا تَحبِسَـنْ مـاءَ العيـونِ فـإنَّـه لـك يـا لـديـغَ هـواهـمُ دريـاقُ[8]

---

(١) الشجو: الحزن، والأصل فيه: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.
(٢) أطفا: أصلها أطفأ وخففت الهمزة، والمعنى: على المحب أن يناوحَ الورق بحزن مَنْ أخذ ريْبُ الردى أطفالها فثكلها بفقدهم.
(٣) من قصيدة له قالها في مدح أبيه عام (٣٨٧هـ). انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٤٣.
(٤) أسوان: من الأسى وهو الحزن.
(٥) في الديوان: «ذهبت».
(٦) ثَمّ: اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤].
(٧) داء داود عليه السلام: لا تُلْقِ بالاً لما جاءت به الإسرائيليات عن دواد عليه السلام مما لا يليق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
(٨) درياق: هو الترياق: دواء السموم.

شَنُّوا الإغـارةَ فـي القلـوبِ بَـأسْهُـمٍ ... لا يُــرتجــى لأسيــرِهــا إطــلاقُ
واستعــذَبُــوا مــاءَ الجفــونِ فعــذَّبــوا ... الأســـــرارَ حتَّـــــى دَرَّت الآمـــاقُ

كان (عمر بن عبد العزيز) و(فتح الموصلي) يبكيان الدم، وقليل في جنب ما نطقَ به لسانُ الوعيد.

إذا خلا الفكرُ باليقينِ، ثارتْ عَجَاجةُ الدمع، فإذا أقرحَ الحزنُ القلبَ استحالتِ الدموعُ دماً.

(لمهيار)[1]:

أجـارتَنـا بـالغَـوْرِ والـركـبُ مُتْهِـمُ ... أيعلـمُ خـالٍ كيـفَ بـاتَ المتيَّـمُ؟
تنـاءيتُـمُ مِـنْ ظـاعنيـنَ وخَلَّفـوا ... قلـوبـاً أبَـتْ أنْ تعـرِفَ الصبرَ عنهُـمُ
ولمَّـا انجلى التوديعُ عمَّا حَذِرتُه ... ولـــم يَبْـــقَ إلا نظـــرةٌ تُغْتَنَـــمُ
بكيتُ على الـوادي فحرَّمْتُ مـاءَه ... وكيـــفَ يَحِـــلُّ المـــاءُ أكثُـــره دَمُ؟

وا عجباً! أُطارِحُكُمْ حديثَ العُذَيبِ، وأنتم من وراءِ النهرِ! يا منقطعينَ عن الأحباب تَعالَوْا نمشي رِفقَةً، فمَجْمَعُنا مأتمُ الأسى، موعدنا مقابر الأسَف.

تعـــاليـــنَ نعـــالـــجْ زفـــرةَ ... البَيْـــــنِ تعَـــــالَيْنـــــا
نُـــــزوّدُ أُذُنـــــاً شكـــــوى ... ونُـــــودعُ نظـــــرةً عَيْنـــــا
ونبكـــــي مـــــن يـــــدِ البيـــــنِ ... عســـــانَـــــا نَعْطـــــفُ البينـــــا
فمـــــا زادَ النَّـــــوى إلا ... لجـــاجـــاً مـــا تبـــاكينـــا
إلـــى أيـــن أمـــا تـــألـــم ... يـــا ســـائقهـــا الأينَـــا
إذا عـــرَّسْـــتَ بـــالجـــرعـــاءِ ... وسْطـــاً بَيْـــن مـــا بينـــا
فحـــــيَّ اللهُ يبـــــرينَـــــا ... وعيـــنُ الـــرَّمـــلِ حيينـــا

* * *

---

(١) مطلع قصيدة يعاتب فيها الكافي الأوحد. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧.

الفَصْلُ الثَّالِثُ والسِّتُّونَ

يا هذا! عاتِبْ نفسَكَ على تفريطها، ثم حاسبْها على تخليطها، حَدِّثْها بما بينَ يديها وأخبِرْها، أشِرْ عليها بمصلحتها ودبِّرْها.

اسْتَعِدِّي للمَوْتِ يَا نَفْسُ واسْعَيْ ... لِنَجَاةٍ فَالحَازِمُ المُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ للحَيِّ ... خُلُودٌ ولا مِنَ المَوتِ بُدُّ
أيُّ مُلْكٍ فِي الأَرْضِ أوْ أيُّ حَظٍّ ... لامرئٍ حَظُّهُ مِن الأرضِ لحدُ
كيفَ يَهْوى امرؤٌ لذاذَةَ أيَّامٍ ... عليهِ الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

آه لنفوسٍ بغرور هذه الدُّنيا تُخْدَعْنَ، فإذا فاتهنَّ شيءٌ من فانٍ توجَّعْنَ، شربنَ من مياهِ الغفلةِ وتجرَّعْنَ، فلما بانَت حبةُ الفخِّ أسْرَعْنَ، فما انجلتْ ساعةُ التفريطِ حتى وقَعْنَ، أما عَلِمْنَ أنهنَّ يحصُدْنَ ما زرعنَ، أما تَيقَّنَّ أنهنَّ في هلاكهنَّ يشرعْنَ، يا قلةَ ما تَنَعَّمْنَ، ويا احتقار ما تمتَّعْنَ، أما هُنَّ عن قليلٍ في اللَّحْدِ يُضْجَعْنَ، أينَ تلك الأقدام المشيِّعةُ لهنَّ تصدَّعْنَ؟! بئسَ حافظُ الأجسادِ ترابٌ يقولُ: دَعْهُنَّ لما أودِعْنَ، طالَ ما كنَّ يوترْنَ الذنوبَ وَيشْفِعْنَ، فلو رأَيْتَهُنَّ بعدَ الموتِ يتضرَّعنَ ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، لا والله لا يرجِعْنَ، يا عجباً هذه الآفاتُ لهنَّ ويَهْجَعْنَ، وهذا الحبسُ الشديدُ ويرتَعْنَ، يا لها من مَواعِظَ فهل أثَّرْنَ أو نَجَعْنَ؟.

يا هذا! أُخْلُ بنفسِكَ في بيتِ الفِكر، واعْذُلها في الهوى، فإنْ لم تَلِنْ فاخرجْ بها على عسكرِ المقابرِ، فإن لم تَرْعَوِ فاضربها بسَوْطِ الجُوْعِ.

يا هذا! العزلةُ تجمَعُ الهمَّ، والمخالطةُ نَهَّابة، الهوى مرضعٌ كثيرُ التخليطِ، فهذا طفلُ قلبِكَ كثيرُ المرضِ، عَجِّل فِطَامَه وقد صحَّ.

العزلةُ والقناعةُ والصبرُ والعِفَّةُ والتواضعُ عقاقيرُ كيمياءِ النجاةِ، يبْلُغْنَ بمستعملهنَّ مرتبةَ الغِنَى، والحرصُ والشرَهُ والغضبُ والعُجْبُ والكِبْرُ كلُّهم مجانينُ في مارستان العقل، وهو القيِّمُ عليهم، فلتحذرِ الغفلةَ عنهم، فإنّه إنْ أفلَتَ مجنونٌ حَلَّ الباقين.

يا هذا! حِصْنُ السلامةِ العزلةُ، أقلُّ ما في الخروج منه من الأذى مصادمةُ الهواء المختلِفِ المهابِّ في بادية الشهوات، وقد أعْقَبَتْهُ جَنُوبُ المجانَبةِ للصوابِ، فصارَ وباءً. وإياك أن تتعرّضَ للهواء الوبيء مُغتَرّاً بصحّة مزَاجك، فإنّك إن سَلِمتَ من فضول الفِتن لم تأمن من زُكْمَةٍ، ومتى تمكّنَتْ زكمةُ الهِمّةِ لم تَشَمّ الفضائل.

يــا قلــبُ إلامَ لا يفيــدُ النُّصْــحُ | عُمُــرٌ ولّــى وقــد تَــوالــى القُبــحُ
جُــرحٌ دامٍ وقـــد تَبـــدَّى جــرحُ | مــا تشعــرُ بــالخُمــارِ[1] حتّى تصحو

لمَّا انقشعَ غيمُ الغفلةِ عن عيونِ أهلِ اليقين، لاحَ لهم هلالُ الهدى في صحراءِ اليقظةِ، فبيّتُوا نيةَ الصومِ عن الهوى على عزم «**عزَفت نفسي عن الدُّنيا**»[2].

دخل (**محمد بن كعب القُرَظي**) على **عمرَ بن عبد العزيز** وقد غيَّره الزهدُ فأنكره، فقال: «يا بنَ كعب! فكيفَ لو رأيتني بعد ثلاثة أيام في قبري؟».

لم تُبْقِ فيهم حراراتُ الهوى وجَوى[3] الأحــزانِ غيــرَ خيــالاتٍ وأَشبــاحِ
تكــادُ تُنكُــرهــم عيــنُ الخبيــرِ بهــم | لـــولا تـــرَدُّدُ أنفـــاسٍ وأرواحِ

كان (**وُهَيْب بن الورد**) قد نحل من التَّعبُّدِ، فكانت خُضْرَةُ البقلِ تَبِيْنُ تحتَ جلدةِ بطنِه.

(لمهيار)[4]:

زَعَمْــتَ لا يُبلــي هــواكَ جَسَــدي | بَلَــى وحُبِّــي بكــم لقــد بَلــي
دارُكَ تــدري أنَّــه لــولا الهــوى | مــا طُــلَّ دَمْــعُ مقلتــي فــي طَلَــلِ
أو مَــا رأيــتُ أصمــى[5] سهمُــه | مــن مقلــةٍ قــد فُــوِّقَــتْ[6] للمقتــلِ

---

(١) **الخُمار**: ألم الخمرة وصداعها وأذاها، وبقية السكر.

(٢) رواه البزار والطبراني.

(٣) **الجوى**: الحرقة.

(٤) من قصيدة كتبها إلى الصاحب بن عبد الرحيم في عيد النحر. الديوان: ٣/ ٣٢ـ٣٤.

(٥) **أصمى**: أصابه في مقتل.

(٦) **فوّقت**: يقال: فوّقت السهم: وضعته في الوتر لأرمي به.

إخواني! من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

(لصُرَّدُر)[1]:

وكم ناحلٍ بينَ تلكَ الخيامِ ... تحسبُه بعضَ أطنابِها[2]

أنضى القومُ رواحلَ الأبدانِ في سفرِ الشوقِ حُبّاً لتعجيلِ اللقاءِ، فكم طَوَوْا منزلاً على الظَّمأ، حتى كَلَّ[3] كَلُّ المطيِّ بتلك الجعجعة، ورفيق الرفق يصيحُ بهم.

(لمهيار)[4]:

دَعُوْها تَرِدْ بعدَ خمسٍ شروعاً ... وارخوا أزمَّتَها والنُّسُوْعا[5]

وقولوا دعاءً لها: لا عُقِرْتِ ... ولا امتدَّ دَهْرُكِ إلا رَبيعَا

حَمَلْنَ نشاوَى[6] بكأسِ الغرامِ ... فكلٌّ غدا لأخيه رَضِيْعا

إذا أجدبوا خَصَّهم جَدْبُهُمْ ... وإنْ أَخْصَبُوا كان خِصباً مَريعا

طِوالُ السواعدِ شُمُّ الأنوفِ ... فطابوا أصولاً وطابوا فُرُوْعا

أحبُّوا فُرادَى ولكنَّهم ... على صيحةِ البَيْنِ ماتوا جميعا

حَمَوْا راحةَ النومِ أجفانَهم ... وَلَفُّوا[7] على الزفراتِ الضلوعا

أسكَّانَ رامة هل من قِرًى ... فقد دفعَ الليلُ ضيفاً قنوعا

كفاه من الزادِ أن تَمهُدوا ... له نظراً أو حديثاً وسيعا

قيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت: اشرب قليلاً من الماء.

---

(١) من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن رضوان. انظر: الديوان، ص١٢٩.

(٢) **أطناب**: جمع طنب: وهو حبل الخيمة.

(٣) **كلَّ**: الكلّ الإعياء والتعب، وكلّ البعير إذا أعياه، وأكله السير: أضعفه.

(٤) من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعيد بن عبد الرحيم يهنئه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦.

(٥) **النسوع**: جمع نسع: حبل من أدم تشد به الرحال.

(٦) **نشاوى**: جمع نشوان، وهو السكران في أول أمره.

(٧) في الديوان: «وشدوا».

فقال: حتى تغربَ الشمسُ.

(لمهيار)[1]:

نَفَّـرَهـا عَـنْ وِرْدِهَـا بحـاجـرِ شـوقٌ يعـوقُ المـاءَ فـي الحنـاجـرِ
ورَدَّهـا علـى الطـوى[2] سـواغبـاً[3] ذُلُّ الغـرامِ وحنيـنُ الـذاكـرِ[4]

وا شوقاه إلى تلك الأشباح، سلامُ الله على تلك الأرواح.

هـا إنّهـا منـازلٌ تَعَـوَّدَتْ منِّـي إذا شـارفْتُهـا التَّسْليمـا
وقفتُ فيهـا سـالِمـاً رَأْدَ الضُّحَى[5] وَرُحْـتُ مـن وجـدٍ بهـا سَلِيْمـا
يـا نفحـةَ الشَّمـالِ مِـنْ تلقـائهـا رُدّي علـيَّ ذلـك النَّسِيْمَـا

يا هذا! إن أردتَ لَحاقَ السادةِ فخلِّ مخالَلَة الوِسادة، واجعل جلدتك بُرْدتَك، وحِدْ عن الخلق والزمْ وِحْدتكَ، أكْحِلْ عينيكَ بالسهرِ والدمع، وضعْ على قروحِ الجوعِ مَرهمَ الصبرِ، وتزوَّدْ للسيرِ زادَ العزم، واقطعْ طريق الدُّنيا بقدمِ الزُّهد، واخرجْ إلى خِصْبِ الأخرى عن ضَنْكِ المَحْلِ، وسُحْ في بوادي التقى لتنزلَ بوادي الفخر، فإن وصلتَ إلى دوائِك تناولتَه من يَدِ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإن مُتَّ بدائك فمقابرُ الشهداء ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥].

* * *

---

(١) مطلع قصيدة كتب بها إلى عميد الرؤساء أبي طالب في المهرجان. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٦٣ـ٦٦.

(٢) **الطوى**: الجوع.

(٣) **سواغب**: جمع ساغبة، وهي الجائعة.

(٤) في الديوان: «ذل الغريب وحنين الزاجر».

(٥) **رأد الضحى**: رائده وأوله.

الفصل الرابع والستون

يا مشغولاً بتلفيق مالِهِ عن تحقيق أعماله، مَنْ خَطرَ ذكرُ الرحيلِ بباله قنعَ بالبُلَغِ[1] ولم يُبالِهِ.

مالُكَ للحادثاتِ نَهْبٌ	أو للذي حازه وِرَاثَه
أوْلك أن تتَّخِذهُ ذُخْراً	فلا تكنْ أعجزَ الثلاثَه

لا بدَ واللهِ مِنَ العبورِ إلى منزلِ القبورِ، يَسْفي عليك الصَّبا والدَّبور، وأنتَ تحتَ الأرضِ تبور، آهِ من طول الثبور، بَعْدَ طيبِ الحُبورِ، يا لَكْسرٍ بعيدِ الجبُور، لا ينفعُ فيه صبرُ الصبور، يندمُ على عثرته العَثُور. ويفترش الدَّثُورَ حتى يثور، أينَ كسرى وبهرامُ جُور؟! أين المتقلِّبون في حِجْرِ الفجور؟! أين الحليمُ؟! أين الضجور؟! أين المهرُ العربي والناقةُ العيسجور[2]؟! أين الظباءُ الكُنَّس والأتراب الحور؟! كُنَّ يُـزَيِّنَّ دُرَّ البحورِ بالنحورِ، غرقَ الكلُّ في يمٍّ من التلف زَخُور، واستوى الوضيعُ والفخورُ تحتَ الصخور، لا فرق بين ذوات الإماء وذوات الخدور، في ذلك المهبط الحَدُور.

لقد بان للكل أنَّ الدُّنيا غرور، وعرفوا أنَّ في المصيرِ شرورَ السرور، وتَيقَّنوا أن تزويرَ الأمل للخُلد زور، وتفصّلت أعضاؤهم ولا تفصيلَ لحمِ الجزور، ودُكّت بهمُ الأرض ولا كما دُكَّ الطور، وبانَتْ حسباناتُهم وفيها قصور[3]، وتأسفوا على مُساكَنةِ القصور في مساكن القصور[4]، وهذا المصيرُ ولو عُمِّرتُم عُمْرَ النسور، والرامي مصيبٌ وما يدْفَعُ السُّور[5].

---

(١) **البلغ**: جمع بلغة: ما يتبلّغ به من العيش.

(٢) **العيسجور**: الناقة الصلبة. وقيل: السريعة القوية.

(٣) **قصور**: من التقصير.

(٤) **القصور الأولى**: من التقصير. **والقصور الثانية**: الأبنية الفخمة.

(٥) **وما يدفع السور**: أي لا يستطيع السور والبرج المشيد أن يمنع الإنسان من الموت.

فإذا انقضت بعده تلك العصور ونفخَ في الصور، وخرجت أطيارُ الأرواح من أعجبِ الوُكور، وباتت الأرض تموجُ والسماءُ تمور، ولقي الكَفُور ناراً تلتهِبُ وتفور، انزعجَ الخليلُ والكليم، فَمَنْ **بِشرٌ وطيفور**[1]؟!.

كَـمْ للمَنَـايَـا فـي بَنِـي آدم	تـوسـعٌ مِنْـهُ تَضِيْـقُ الصـدور
فـالـوقـتُ لا تُحـدِثُ سـاعـاتُـهُ	إلا الرَّدى المحضَ بوَشْكِ المروز
أيَّـامُنـا السَّبعـةُ أيسـارُنـا[2]	وكلُّنـا فيـه شبيـهُ الجـزوز
طهَّـرتَ ثـوبـاً واهيـاً ثـم مـا	قلْبُـكَ إلا عـادِمٌ للطَّهـوز
لـو فَطِـنَ النـاسُ لـدنيـاهُـمُ	لاقْتَنَعـوا منهـا اقتنـاعَ الطيـوز

ويحك إنّ الدُّنيا تَغرّ، ولا بدّ لك منها، فخُذْ قدرَ الحاجة على حذر، أما ترى الطائر كيف يختلس قوته؟!.

هذا العصفور يألفُ الناس فلا يسكنُ داراً لا أهلَ بها، وهو مع هذا الأنسِ شديدُ الحذرِ ممن جَاور.

هذا الخُطّافُ يقطعُ البحرَ لطلَبِ الأُنسِ بالإنسِ، ثم يتخذُ وَكْرَه في أحصنِ الأماكنِ في البيتِ، ولا يحملُه الأُنسُ بهم على تركِ الحذرِ منهم، بل يُعطي الأُنسَ حقَّه، والحزمَ حقَّه.

أما عرفتَ أدبَ الشرعِ في تناولِ المطعمِ، ثُلثٌ طعامٌ، وثلثٌ شرابٌ، وثُلثٌ نَفَسٌ.

شره الحِرص يعبئ بلاَغِمَ البلادة، ولا يسهل شربُ المُسهل إلا على مَنْ تأذّى بحركاتِ الأخلاط، لا يقدِرُ على الحمية إلا من تلمَّحَ العافيةَ في العاقبةِ. شُغلُ العقل النظَرُ في العواقب، فأما الهوى فإيثارُه لذة قليلة تُعْقبُ ندامةً طويلةً، فمُلبّس في قضاياه.

المؤمن بين حربٍ ومِحراب، وكلاهما مفتقِرٌ إلى جمع الهمِّ، ويريدُ

---

(١) بشر: هو بشر الحافي. وطيفور: هو أبو يزيد البسطامي.

(٢) أيسارنا: من يَسرتُ الناقة: قطعتها أجزاء.

المحرابُ القيام بأشراط الوضوء، والدُّنيا في مقامِ امرأة واللمْسُ ناقضٌ، طريقُ المتقين تفتقر إلى رواحل، وإبلُ عزائِمكم كلُّها كالٌّ، إنّما يَصْلحُ للمَلِك قلبٌ فارغٌ ممن سواه.

وقلبُــكَ خــانٌ كــلَّ يــومٍ وليلــةٍ يفــارِقُــه ركــبٌ وينــزلُــه ركــبُ

في كلِّ يوم تَرْهُنُ قلبَك على ثمنِ شهوةٍ، فيستعملُه المُرتهِن، فقد أخْلَق[1]، أنتَ توقدُ نارَ التوبةِ في المجلس في الحَلفَاء[2]، فإذا أردتَ منها قَبساً بعد خروجِكَ لم تجِدْ، تَبْكي ساعةَ الحضورِ على الخيانة والمسروقُ في جيبك.

يا مُظهراً من الخيرِ ما ليسَ فيه! لا تَبعْ ما ليسَ عندك، كم نهاكَ عن نظرةٍ وتعلم أنّه بالحضرة، أفلا تراقبُ الناظرَ بردَّ الناظرِ[3]، وكأنّك لا تعرفُ أنَّ الحاضرَ حاضرٌ.

وا عجباً لك! تَعُدُّ التسبيحَ بسبحةٍ، فهلا جعَلتَ لعدِّ المعاصي أخرى، يا مَنْ يَختارُ الظلام على الضوء! الذباب أعلى همةً منك، متى أظلمَ البيتُ خرجَ الذبابُ إلى الضوء، أما ترى الطفلَ في القِماط يناغي المصباح؟!.

ويحك! خُذْ بتلابيبِ نفسِكَ قبل أن يجذبها ملكُ الموت، وقُلْ: أيتها النفس الحمقاء! إن كان محمد ﷺ صادقاً[4] فالمسجدُ، وإلا فالدَّير.

النــاسُ مِــنَ الهــوى علــى أصنــافِ هــذا نَقَــضَ العهــدَ وهــذا وافِ
هيهاتَ مـن الكُدورِ تَبْغي الصافـي لا يصلُــحُ للحضــرةِ قلــبٌ جــافِ

يا هذا! أكبرُ دليل لك علينا أنك كنتَ مُبَدَّداً في ظهورِ الأصول[5]، فنُظِمْتَ بالقُدرة نظماً عجيباً خالياً من العيب، فما تَنْقُضُ إلا لأمرٍ هو أعجبُ منه، مُدَّت

---

(١) **أخلق**: بلي.

(٢) **الحلفاء**: نبت في الماء.

(٣) **الناظر الأولى**: الرقيبُ المطلع عليك وهو الله. **بردِّ الناظر**: أي بغض البصر.

(٤) يريدُ إذا اعتقدتَ بصدق رسالة الرسول ﷺ فاعمل باعتقادك والزم طاعته، ولو قال: (إذا كان) أولى من (إن كان) لإفادة «إذا» التحقق، دون «إن».

(٥) **ظهور الأصول**: أصلاب آبائك.

أطنابُ العروق، وحُفِرتْ خنادقُ الأعصابِ، وضُربت أوتادُ المفاصلِ، وأقيمَ عُمُد الصُّلْبِ، ثم مُدَّ السرادقُ، فنُصِبَ سريرُ القلب في الباطنِ للملك **«ويسعني قلب عبدي المؤمن»**[1].

إذا لم يجدْ صَبٌّ على النَأْيْ مُخْبِراً	على الحيِّ بَعْدَ البَيْنِ أينَ أقاموا
فعندَ النَّسيمِ الرَّطْبِ أخبارُ منزل	به لسُليمى بالعقيقِ خِيامُ

يا هذا! إن كنتَ محبّاً؛ فحبيبُك معك في كلِّ حالٍ، حتى عند الموت، وفي بطن اللحد.

(للغزِّي):

يا حبَّذا العَرْعَرُ النجديُّ والبانُ	ودارُ قومٍ بأكنافِ الحِمَى بَانُوا
وأطيبُ الأرضِ ما للقلبِ فيه هوًى	سَمُّ الخياطِ مع الأحبابِ مَيْدانُ

إذا أقفرَ قلبُك مع ساكنِ **«ويسعني»**، فَتَحتِ النفسُ باباً لعناكبِ الغفلةِ، فنسجَتْ في زواياه من لُعابِ الأمَلِ طاقاتِ المُنى.

اللهمَّ أجرِ القلوبَ من جَوْرِ النفوس، يا سُلطان القلبِ، نشكو إليك النازلة.

* * *

(١) لا أصل له، وقد مرّ.

الفصل الخامس والستون

إخواني! اعرفُوا الدُّنيا وقد سلمتم، ثم اعملوا بما علمتم، لا يغرنَّكُم منها الوَفْر، فإنَّكم فيها على سَفْر، أَمَا بعدَ توطِئةِ المِهادِ الحُفَر؟ أتتوطن مِنًى وتنسى النَّفْرَ؟!.

أرى الــدُّنيــا ومــا وُصِفَــت بِبِــرٍّ ... متــى أَغْنَــتْ فقيــراً أرهَقَتْــهُ
إذا خُشِيــتْ لشــرٍّ عَجّلَتْــهُ ... وإن رُجِيَــت لخيــرٍ عَــوَّقَتْــه
تعلقَهــا ابــنُ جهــلٍ فــي صِبَــاهُ ... فهــامَ بفــارِكٍ[1] مــا عَلِقَتْــهُ
سقتْــهُ زمانَــه مَقْــراً[2] وصَــابــا[3] ... وكــأسَ المــوتِ آخــرَ مــا سَقتــه
أبــادتْ قصــرَ قيصــرَ ثــم جــازت ... بــإيــوانِ ابــنِ هــرمــزَ فــارتَقَتْــهُ
أمــا افتَتَحَــتْ لــه فــي الأرضِ بيتــاً ... فــآوتــهُ النــزيــلَ وأطبقتــه
إذا انفلــتَ ابنُهــا عنهــا بِــزُهْــدٍ ... ثَنَتْــهُ بــزُخْــرفٍ قــد نَمّقتْــه

أتُرى لم تنفعِ التجارب؟ أما تَرَوْنَ الدُّنيا كيف تحارب؟ ألا تُلْقون حَبْلها على الغارب؟ أمّا سَيفُ الهلاكِ في يدِ الضارب؟ تالله لقد جلا صبحُ اليقينِ ظلامَ الغياهِب، ألاَ عَزْمُ زاهِدٍ يتوكأ على عصا راهب.

ودنيــاكَ إنْ وَهَبَــتْ بــاليميــنِ ... يســارَ الفتــى سلبــتْ بــاليســارِ

إخواني! احذروا الدُّنيا، فإنّها أسحرُ من هاروت وماروت، ذانك يفرّقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرّقُ بينَ العبدِ وربه، وكيفَ لا؟ وهي التي سحرت سحَرة بابل، إن أقبلت شَغَلت، وإن أدبرت قتلت.

نَظَرتْ فأقصَدتِ[4] الفؤادَ بَسَهْمها ... ثــم انثنــتْ عنــهُ فكــادَ يَهِيْــمُ

---

(١) فارك: مبغض.

(٢) مقراً: السم.

(٣) الصاب: عصارة الشجر المرّ.

(٤) أقصدت: طعنت أو رمت السهم فأصاب مقتلاً.

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هِيَ أعرضتْ وَقْـعُ السهـامِ ونَــزْعُهــنَّ أليـمُ

كم في جَرْعٍ[1] لذّاتها مِنْ غُصَص، طالبُها معها في نَغَص.

بكـى عليهـا حتّى إذا حصلتْ بكَـى عليهـا خـوفـاً مِـنَ الغِيَـرِ[2]

إنّها إذا صفَتْ حلالاً كدَّرت الدينَ، فكيفَ إذا أُخذتْ مِنْ حرام؟! إنَّ لحمَ الذبيحـةِ ثقيلٌ على المِعاءِ، فكيفَ إذا كان مَيْتةً؟!.

الظَّلَمَةُ في الظُّلْمةِ يمشون في جَمْعِ الحطامِ، يصبحونَ ويمسونَ على فراش الآثام ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

مَنْ نبتَ جسمُه على الحرام، فمكاسبُه كبريتٌ به يوقَدُ، الحجرُ المغصوبُ في البناءِ أساسُ الخراب، أتراهم نسُوا طيَّ الليالي سالفَ الجبّارين، وما بلغوا معشارَ ما آتيناهم؟! فما هذا الاغترار ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد: ٦]، فهم ينتظرون مَنْ لهم إذا طَلبُوا العَوْدَ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]؟، كم بكتْ في تنعُّم الظالم عينُ أرْمَلة، واحترقَتْ كبدُ يتيم ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [صٓ: ٨٨].

ما ابيضَّ لونُ الرغيفِ حتّى اسودَّ وجهُ الضعيفِ، ما تروّقت المشاربُ حتى ترنَّقَتِ المكاسب[3]، ما عَبل[4] جسمُ الظالمِ حتّى ذَوَتْ دوابُّ ذاتُ قُوَّة.

لا تحتقر دعاء المظلوم، فشررُ قلبِه محمولٌ بعجيج صوتِه إلى سقفِ بيتك، نبالُهُ مصيبٌ، ونَبْله غريبٌ، قوسُه حُرَقُه، ووتره قلقه، ومرماه هدف **«لأنصرنك»**[5]، وسهمُ سهمِه الإصابة.

---

(١) جرع: الجرعة من الماء: حَسوة منه، وجَرِع الماء: بلعه.
(٢) **الغير**: تقلبات الزمان وتصاريف الدهر.
(٣) **تروقت**: تصفت. **ترنقت**: تكدرت.
(٤) **عبل**: امتلأ.
(٥) رواه الترمذي في باب الدعاء، برقم (١٢٨)؛ والإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٣٠٥-٤٤٥ بلفظ: **«اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»**.

وقـد رأيـتُ وفـي الأيَّـام تجريـب

كم مِنْ دارٍ دارَت بنَعِمِ النِّعَم، دارتْ عليها دوائرُ النِّقَم ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤]، كم جارٍ في حلَبَةِ المُنَى قد استولى طرفه على الأمد، صدَمَه قهرُ عقوبة، فألقاه أسرعَ من طَرْف، بَيْنَا القوم ينْبَسطونَ في بسيطةِ البسطِ، كُفَّتْ أكفُّهم بمقامعِ القَمْعِ، لسبتهم[1] عقاربُ ظلمهم، نفخَ عليهم ثعبانُ جَوْرِهم، عقرتْهُم أسودُ بطشِهم، نَسَفَتْهم عواصِفُ كِبْرِهم، وفي الغِيَر[2] عِبَر.

ويحك! إذا كانت راحةُ اللذةِ تُعقب تَعَبَ العقوبة، فدع الدَّعَةَ تمضي في غَيْرِ الدَّعة، واللهِ ما تساوي لذةُ سنةٍ غَمَّ ساعة، فكيفَ والأمر بالعكس؟ كم في يمّ الغرور من تمساحٍ فاحذرْ يا غائص، يا مَنْ قد أمكنَهُ الزمان من حركات التصرّف في العدل لا تجُر، فما يؤمن من الزَّمن الزمِن.

ومتى بلغتَ إلى الرئاسةِ فاستلب كـرةَ العُلـى بصـوَالـجِ المعـروفِ

كان عمرُ يخافُ مع العدلِ، يا مَنْ يأمنُ مع العدول، رُئي بعد موته باثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلّصت من حسابي، واعجباً! أُقيْمَ أكثرَ من سِني الولاية، أفينتبهُ بهذا راقدُ الهوى؟!.

أحسنُ شعائر الشرائع العدلُ، الظلمُ ظُلمةٌ في نهار الولاية، وجَدْبٌ يرعى لحومَ الرعية، والعدلُ صوتٌ في صُورِ الحياة، يُبعث به موتى الجَوْر.

أيُّها الظالِمُ! تذكَّرْ عند جَوْرِك عدلَ الحاكِم، تَفَكَّرْ حين تصرفِك في سَرَفِك، عجباً لك! تدَّعي الظَّرف[3] وتأخذ المظروف والظَّرْف، كلا، أَوَ في الظَّرافةِ رأفة؟! ستعلمُ أيُّها الغريمُ قدر غرامِكَ إذا يلتقي كلُّ ذي دين وماطِله، من لم يتتبّع بمنقاشِ العدلِ شوكَ الظُّلمِ من أيدي التصرف، أثّرَ ما لا يؤمن تعديه إلى القلب.

يا أربابَ الدول! لا تُعربدوا في سُكْرِ القدرةِ، فصاحِبُ الشُّرَطَةِ بالمرصاد.

---

(١) **لسبتهم**: لسب أي لدغ.

(٢) **الغير**: التغيرات وتقلبات الزمان.

(٣) **الظرف**: الكياسة.

سليمانُ الحُكم قد حَبَس آصِفَ العُقوبة في حصنِ ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [مريم: ٨٤]، وأجرى رُخاء الرجاء ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ [النساء: ١٦٥]، فلو قد هبّت سمومُ الجزاءِ من مهبٍّ ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ﴾ [الأنبياء: ٤٦].

قلعت سُكْرَ ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، فإذا طوفانُ التلف ينادي فيه نوح ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣]، فالحذرَ الحذرَ قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ [ص: ٣]، وأنتَ أيُّها المظلومُ فتذكَّر مِنْ أين أُتيتَ؟ فإنّك لا تلقى كَدَراً إلا من طريقِ جنايةٍ ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

كان لبّانٌ[1] يخلطُ اللبنَ بالماء، فجاء سَيْل فذهبَ بالغنمِ، فجعلَ يبكي ويقولُ: اجتمعت تلكَ القطرات فصارت سيلاً، ولسانُ الجزاءِ يناديه «يداك أوكتا وفوكَ نفخ»[2].

اذكر غفلتَك عن الآمرِ والأمْر وقت الكسب، ولا تنسَ اطِّراحَ التقوى عند معاملة الخلق، فإذا انْقَضَّ غاصِبٌ فسمعتَ صوتَ سَوْطه يضربُ عِقْدَ الكسبِ جزاءً لخيانة العقود، فلا تستطرف ذلك، فأنتَ الجاني أولاً و«البادي أظلم».

* * *

---

(١) لبّان: صاحب اللبن.

(٢) يداك أوكتا: مثلٌ يضرَبُ لمن يجني على نفسه الهلاك، وأصلُه ـ كما قال المفضَّل ـ أنَّ رجلاً كان في جزيرة، فأراد أن يعبر على زقّ نفخ فيه فلم يحسنْ إحكامه، حتى إذا توسَّطَ البحرَ خرجت من الزق الريحُ لانفلاتِ الوعاء، فغرقَ الرجلُ، فلما غشيه الموتُ استغاثَ برجلٍ رآه حين نفخَ وربطَ، فقال له: يداك أوكتا وفوك نفخ. انظر: مجمع الأمثال، للميداني: ٢/ ٤١٤، رقم (٤٦٥٥).

الفصل السادس والستون

يا مشغولاً بأملِه عن ذكرِ أجلِه، راضياً في صلاح خِلالِه بخَلَلِه[1]، هل أُتيَ المُساكن لكَسله إلا مِنْ قِبَله؟!.

أَضْحَى لكَ في قبضةِ المطامعِ آمالُ ترجو دَرَكاً والرّدَى لعُمْرِكَ مُغْتَال
هـل أنـتَ مُعِـدٌّ ليـوم حشـرِكَ زاداً يـومـاً يجـدُ الفـوزَ بـالقيمـة عمّـال
إن أغفلـك الـدَّهْـرُ بـرهـةً فسيـأتيـ ـكَ علـى غفلـة بحتْفـكَ معْجـال
بـادِرْ بمتـابٍ فـربَّمـا طـرقَ المـو تُ بسهـمٍ مِـنَ المنيـةِ قَتَّـال
أيـنَ المتحـامُـون عـن زخـارفِ دنيـا إن أوطنـتِ المـرءَ أعْقَبَتْـهُ بتـرحـال
خـلابـةُ عقـلٍ ببـاطـلٍ متمـادٍ غـرارةُ صـادٍ رأى المطامعَ كـاللآل
إن شِيمَ[2] سحابٌ لها فذاك جَهَامٌ[3] أو ظُنَّ بها وابلٌ[4] فذلك خال[5]
دعْ عنك حديثَ الركابِ أينَ تولّتْ أو ذِكْرَ ديارٍ بها العِفَاء[6] وأطلال
يـا حسـرةَ مـن أنفـقَ الحيـاةَ غـروراً قد باعَ لها الفرصةَ الرخيصةَ بالغال
لا تحتقر الذنبَ فالصحائفُ تُحصي ما كنت تَنَاسيتَ من قبائحِ أفعال

ياضاحكاً ملءَ فيه سروراً واغتباطاً، وقد ارتبطتْ له المنونُ خَيلَ التَّلفِ ارتباطاً، أمَا بَسَط الإنذار على بابِ الدَّارِ بساطاً؟! أما الحادي مجدٌّ فما للمنادَى يتباطا؟! أيحسُنُ بالكبير أن يتمرسَ[7] باللهو أو يتعاطى؟! عجباً لعالمٍ بقربِ

---

(١) خِلاله: جمع خلة وهي الخصلة. خلله: من الخلل، وهو الفساد في الأمر.
(٢) شيم: شام البرق: نظر إليه أين يقصد؟ وأين يمطر؟.
(٣) جهام: السحاب الذي فرغ ماؤه.
(٤) وابل: مطر شديد.
(٥) خال: يقال: نستخيل الجهام. أي: لا نتخيل في السحاب خالاً إلا المطر وإن كان جهاماً لشدة حاجتنا إليه.
(٦) العفاء: ذهاب الأثر أو التراب.
(٧) يتمرس: يتعود، يصير محنكاً.

المنايا كيف لا ينتهب التُّقى التقاطاً؟ ولجسدٍ بالٍ جرَّ بالعجبِ والرِّياءِ رِيَاطاً[١].

إلى كمْ هذا الإسراعُ في الهوى والوجيف[٢]؟! وباب البقاءِ في الدُّنيا قد سُدَّ وجِيْفَ[٣]، إن الأمن في طريقٍ قد أُخيف، رأيٌ رذيلٌ، وعقلٌ سخيف، يا من يَجْمعُ العيبَ إلى الشيبِ ويُضيف، لا الماءُ باردٌ ولا الكوزُ نظيف، إنَّ إيثارَ ما يَفْنى لمُزَيَّفٌ لا ظَريف، كم أتى خريف، وكم أناخ ريفٌ[٤]، ويكفي مِن الكلِّ كلَّ يومٍ رَغيف، أيجوعُ بِشْرُ الحافي ويشبعُ وصيف[٥]؟! ويَذِل هذا ويَخدُم هذا مئة وصيف، وما أدرك هذا مُدَّ هذا ولا النَّصيف، ألا أريبٌ ألا لبيبٌ ألا حَصِيف؟! لا يُعْجِبنَّكم استقامةَ غصنِ الهوى، فالغُصنُ قَصِيف[٦]، ها نحن قد شَتَوْنا ولعلّنا لا نَصِيف.

سَلِ الأيامَ ما فعلَتْ بكسرى	وقيصرَ والقصورَ وساكنيها
أما استدَعتْهُمُ للموتِ طُرّاً[٧]	فلم تدعِ الحليمَ ولا السَّفيها
دنَتْ نحو الدَّنيِّ بسهمِ خَطْبٍ	فأصمَتْهُ وواجَهَتِ الوَجيها
أما لو بِيعتِ الدُّنيا بفَلْسٍ	أَنِفْتُ لعاقلٍ أن يَشْتريها

يا من عُمُره يذوبُ ولا يتوبُ، إذا خرَقْتَ ثَوْبَ دينِكَ بالزللِ فارقعه بالاستغفار، فإنَّ رفّاء[٨] الندم صَناعٌ[٩] في جَمْع المُتمزق.

يا هذا إنّما يَضِلُّ المسافِرُ في سَفَره يوماً أو يومين، ثم يقعُ على الجادةِ، وا عجباً من تيه خمسين سنة!.

يا واقفاً مع الصُّوَرِ خالِطْ عالَمَ المعنى، أما علمتَ أن تغريدَ الحمامِ نياحةٌ،

---

(١) رياطاً: جمع ريطة: وهي المُلاءة وكل ثوب لين رقيق.
(٢) الوجيف: ضَرْبٌ من سيرِ الإبل والخيل.
(٣) جيف: أُغلق.
(٤) ريف: السعة في المأكل والمشرب.
(٥) الوصيف: الخادم.
(٦) قصيف: مكسور.
(٧) طرّاً: جميعاً.
(٨) رفاء: خياط.
(٩) صناع: ماهر.

أنتَ تظنُّ البلبلَ يُغنّي، وإنّما يبكي على أحبابه.

ليت شعري عن الذين تَرَكْنا	بعدَنا بالحجازِ هل يذكرونا
أم لعلَّ المدى تطاولَ حتّى	بَعُدَ العهدُ بيننا فَنَسُونا
أزْجعوا حُرْمَةَ الوصالِ فإنّا	لهم في الهوى كما عهدونا

لو صفَتْ لك فِكْرةٌ، كان لك في كلِّ شيءٍ عِبْرة، كلُّ المخلوقاتِ بين مَخوفٍ ومَشوقٍ.

حَرُّ الصيف يُذكّر حَرَّ جهنم، وبردُ الشتاءِ مَحذِّرٌ من زمهريرها، والخريفُ ينبّه على جني ثِمارِ الأعمارِ، والربيعُ يحثُّ على طلب العيشِ الصافي.

أوقاتُ الأسحارِ ربيعُ الأبرارِ، وقوةُ الخوفِ صيفٌ، وبرودة الرجاء شتاء، وساعاتُ الدُّعاء والطلب خريفٌ.

إذا استحَرَّ[١] الحرُّ تَقَحَّم القَحلُ، فطلّق القَطْرُ الأرضَ، فَلَبِسَتْ سِرْبالَ الجدب، وأَحَدَّت في حِفْشِ[٢] الذُّلِّ، فلما طَالت أيامُ الأيمة[٣] أَوْمأَ إلى المُراجعة الرجعُ[٤]، فبكت قطراتُه لطولِ الهجرِ، فضحكَ لكثرةِ بُكائه رَوْضُ الأرضِ، فبنى البَنّاءُ ريعَ[٥] الربيع، فنهضتْ ماشِطَةُ القدرةِ، لإخراج بناتِ النباتِ من مَخْدرِ الثّرَى، فَفرشَتِ الحُلَلَ بمصبغات الحُلل، فسمع الوردُ هُتافَ العندليبِ، وحَنينَ الدواليبِ، ففتحَ فاهُ مُشتاقاً إلى مشروبٍ، فإذا الطلُّ[٦] صَبوحٌ[٧]، فقالَ: ألا مُنادم؟ فأبتِ الأزهارُ مصاحبةَ مَنْ لا يقيم، فأجابه بعدَ اليأسِ الياسمين، فقال: أنا نظيرُكَ في قِصَرِ العُمر، والمؤانسةُ في المجانسة، فأشِرْ أنتَ إلى المُذنب بإحمرارِ الخجلِ، حتى أُشيرَ أنا إلى الخائفِ باصفرارِ الوَجَلِ.

---

(١) **استحرّ**: اشتد.

(٢) **حفش**: البيت الحقير القريب السقف من الأرض.

(٣) **الأيمة**: من التأيم ومفارقة الزوج.

(٤) **الرجع**: المطر.

(٥) **ريع**: النماء والزيادة.

(٦) **الطل**: أخف المطر وأضعفه.

(٧) **الصبوح**: كل ما أكل أو شرب غدوة، وهو خلاف الغبوق.

فرأى البُلْبُلُ طيبَ الاجتماعِ فغَنّى، فَرَنَّتْ ديارُ اللهو، فدخلَ الناطورُ والصيادُ، فاقتطفَ الناطورُ رأسَ الوردِ، واختطفَ الصيادُ البُلْبُلَ الوَغْد[1]، فَذُبحَ في الحال العصفورُ، وحُبِسَ الورد في قوارير الزُّور[2]، وقيل للياسمين: لم اغتَرَرْتَ بزُورٍ؟!: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فلمَّا بكى الوردُ بكاءَ نادمٍ على الاغترار صَلَحَ للمُتَطَيِّبين «أنينُ المذنبين أحبُّ إلينا من زَجَلِ المسبِّحين»[3].

فانتبه يا مخدوع، فالعُمْرُ الوَرْدُ، والزجاجةُ القبرُ، والنفسُ البُلبلُ، والقَفَصُ اللَّحْدُ.

* * *

(١) الوغد: ضعيف الجسم.

(٢) الزُّور: مجلس اللهو والغناء.

(٣) انظر: كشف الخفاء، برقم (٨٠٥). وقال بعد أن أورده: «لينظر»، ولم نستطع الوقوف عليه.

الفصل السابع والستون

إخواني! المستقرُّ يزول، والمقيمُ منقول، والأحوالُ تحول، والعتابُ على الفاني يطول، وكم نَعْذُلُ وكَمْ نقول؟!.

سيقطَعُ رَيْبُ البَيْنِ بَيْنَ الفريقينِ ... لكلِّ اجتماعٍ فرقةٌ من يَدِ البَيْنِ[1]
وكلٌّ يقضي ساعةً بعدَ ساعةٍ ... تُخَاتِلُهُ عن نفسِه ساعةُ الحَيْنِ
وما العيشُ إلا يومُ موتٍ له غدٌ ... وما الموتُ إلا رقدةٌ بَيْنَ يومينِ
وما الحشرُ إلا كالصَّباحِ إذا انجلى ... يقومُ له اليَقْظانُ مِنْ رَقْدةِ العَيْنِ
أيا عجباً منِّي ومن طولِ غَفْلتي ... أُؤَمِّلُ أنْ أبقى وأنّى ومِنْ أينَ؟

أينَ قُطّانُ الأوطان؟ أينَ الأطفالُ والشُّمْطان[2]؟ أينَ الجائعُ والمِبْطان؟ أين حَطَّان وقحطان؟ أين العبيدُ والسلطان؟ أين الباني وما طان[3]؟ أين السقوفُ والحيطان؟ أين المروجُ والغيطان؟ أين المهاري والأشطان[4]؟ أين الآجال والخيطان[5]؟ أين المُحب والحبيب في الثرى خطان؟ تَعرفُ وتَصْدِفُ[6] ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص: ١٥].

الطريقُ الهاديةُ واسعةُ الفجاج، والدليل ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج، وأمَّا بحرُ الهوى فما يفارقه ارتجاج، ما فيه ماءٌ للشربِ بل كلُّه أُجاج، والعَجَبُ من

---

(١) **البين الأولى**: الفراق. والبين الثانية: الوصال.
(٢) **الشمطان**: جمع أشمط، وهو الرجل الكبير.
(٣) **ما طان**: أي ما طيّن وبناه.
(٤) **المهاري**: نجائب تسبق الخيل. **الأشطان**: الحبل الذي تشد به الدابة، وهو جمع شَطَن.
(٥) **الآجال**: جمع إجل: القطيع من بقر الوحش والظباء. **الخيطان**: جمع خيط، وهي الجماعة من البقر والنعام والجراد.
(٦) **تصدف**: من صدف أي أعرض.

راكبٍ فيه يتَّجرُ في الزجاج، كم مزجورٍ عنه غرَّقتْه في لُجّةِ لُجاج.

يا معاشرَ العصاةِ! قد عمَّ الجدْبُ أرضَ القلوب، وأشرفت زروعُ التقوى على التَّوى[1]، فاخرجوا من حُصُر الذنوب إلى صَحراء الندم، وحوِّلوا أرديةَ الغَدْرِ عن مناكب العهود، ونكِّسوا رؤوس الرياسة على أذقان الذُّل، لعلَّ غيومَ الغُموم على ما تَلف تأْتلف.

إخواني! قد بشّر الرَّشَاش فاثبُتوا، وقد سال الوادي.

واحبسِ الركبَ علينا ساعةً	نَنْدُب الرَّبعَ ونَبْكِ الدِّمَنا
فلذا الموقفِ أعدَدْنا البُكا	ولذا اليومِ الدموعُ تُقْتنى
زَمَناً كان وكُنَّا جيرةً	يا أعادَ اللهُ ذاكَ الزَّمَنا
بيننا يومُ أُثَيْلاتِ النَّقا	كان عن غيرِ تراضٍ بيننا

إذا خرجَت القلوبُ بالتوبةِ من حَبْس الهوى إلى بيداءِ الإنابةِ، جَرت خيولُ الدمع في حلبات الوجد كالمرسَلات عُرفاً.

إذا استقامَ زرعُ الفكرِ، قامتْ العبراتُ تَسقي، ونهضت الزّفراتُ تَحصُد، ودارت رحا التحيُّر تَطْحن، واضطرمت نارُ القلقِ تُنْضِج، فحصلت للقلب بُلَّةٌ، يتقوّى بها في سَفَرِ الحُبِّ.

يا من لم يصبِرْ عن الهوى صبرَ يوسُف، تعيَّنَ عليكَ حُزْنُ يعقوب، فإن لم تُطِقْ فذلُّ إخوته يوم ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨].

خوفُ السابقةِ؛ وحذَرُ الخاتمة قَلْقَلَ قلوبَ العارفين، وزادهم إزعاجاً ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، كلّما دخلوا سِكَّةً من سِكَكِ السكون، شرعَ بهم الجزعُ في شارعٍ من شَوارع القلق، كلّما حركَ نسيمُ السَّحرِ أغصانَ الشجر، أخذتْ ألسنُ قلوبِهم في بَثّ القَلَقِ، فكاد نفَسُ النَّفْسِ يقطعُ الحيازيم[2]، لولا حَزْمُ التمسُّك.

---

(١) التوى: الهلاك.

(٢) الحيازيم: جمع حيزوم: وسط الصدر.

(للشريف الرضي)[1]:

وإنّي لأُغرى بالنسيم إذا سَرَى ... وتُعْجِبُني بالأبرَقَينِ ربوعُ
ويَحْني على الشوقِ نجديُّ مُزْنَةٍ ... وبَرْقٌ بأطرافِ الحجازِ لمُوعُ
ولا أعرِفُ الأشجانَ حتّى تَشُوقَني ... حمائمُ ورقٍ في الديارِ وقوعُ[2]

في كلِّ الليل تهبُّ الرياح، ولكنْ لنسيمِ السحرِ خاصّيّة، ما أظنُّه تعطَّرَ إلا بأنفاسِ المستغفرين، لِنَفَسِ المُحبِّ عِطْريةٌ تنمُّ على قَدْرِ طِيْبِه.

أحبُّ الثرى النجديَّ مِنْ أَجْرعِ الحِمَى ... كأنِّي لِمَنْ بالأجرَعينِ نَسيبُ
إذا هبَّ علويُّ الرياحِ رأيتَني ... أغضُّ جفوني أنْ يُقالَ مُريبُ

المحبون على شواطئ أنهار الدمع نُزول، فلو سِرْتَ عن هواك خطوات لاحَت لك الخيام:

وصلوا إلى مولاهمُ وبَقِينا ... وتَنَعّمُوا بوصالِهِ وشَقِينا
ذهبتْ شَبِيبَتُنا وضاعَ زمانُنا ... ودَنَتْ منيتُنا فمن يُنجينا
فتجمَّعوا أهلَ القطيعةِ والجَفا ... نَبكي شهوراً قدَ مَضَت وسنينا

كان بعضُ السلف يقول: اللهم إنْ منعتني ثوابَ الصالحين، فلا تحرمني أجرَ المصابِ على مصيبتِه.

وكان آخرُ يقول: إن لم ترضَ عني فاعفُ عني.

كان القوم زينةَ الدُّنيا، فمُذْ سلبوا تسلبت[3].

خلت والله الديار وباد القوم، وارتحل أربابُ السهر، وبقي أهلُ النوم، واستبدل الزمانُ آكلي الشهوات بأهل الصوم:

كَفَى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يَرى ... منازلَ مَنْ يَهْوى معطَّلةً قَفْرا

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٦٢١.
(٢) الشطر الثاني في الديوان: «حمام ببطن الواديين سجوع».
(٣) تسلبت: أي لبست السلاب: وهو ثوب أسود أو أبيض تلبسه المرأة في الحداد والحزن.

يا مَنْ كان له في حديثِ القومِ ذوقٌ، أين آثار الوجدِ والشوق؟! إذا طال لبثُ الطين في حافّاتِ الأنهار تكاملِ ريُّه، فإذا نَضبَ الماءُ عنه استلبت الشمسُ جميعَ ما فيه من رطوبةٍ، فيَقوى شوقُه إلى ما فارق، فلو تَرَكْتَ قطعةً منه على لسانِك لأمسكته شوقاً إلى ما فارقَت من رطوبةٍ.

أشدُّ الناسِ حُبّاً لحديث الحجاز مَنْ سافر:

فكانتْ بالفُراتِ لَنَا ليالٍ　　　سَرَقْنَاهُنَّ مِنْ رِيَبِ الزَّمانِ

يا هذا! كنْتَ تدَّعِي حبّنا، وتؤثرُ القُرْبَ منّا، فما هذا الصبر الذي قد عنَّ[1] عنا؟!.

كنتَ تستطيبُ رياحَ الأسحارِ، وما تغيَّرَ المهبُّ، ولكن دخلَ فصلُ بَرْدِ الفتور ولم تحترز، فأصابكَ زُكامُ الكَسَلِ.

كنْتَ في الرّعيلِ الأول، فما الذي ردّك إلى الساقةِ[2]؟!.

قف الآن على جادَّةِ التأسُّفِ والزم البكاء على التخلّف، فأحقُّ الناسِ بالأسى من خُصَّ بالتعويقِ دونَ الرُّفقاء:

يا صاحِبَيّ أطيلا في مؤانَسَتي　　　وعلِّلاني بِخِلّاني وعُشّاقي
وحَدِّثاني حديثَ الخَيْفِ إنَّ لَهُ　　　روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقي
ما ضرَّ ريحَ الصَّبا لو نَاسَمَتْ حُرَقي　　　واستَنْقَذَتْ مُهجتي من أسرِ أشواقي
داءٌ تقادمَ عندي، مَنْ يُعالجُه؟　　　ونَفْثَةٌ بلَغَتْ مني، مَنِ الرَّاقي؟
يَمضي الزمانُ وآمالي مُصَرَّمَةٌ　　　مِمَّن أُحبُّ على مُطْلٍ وإملاقِ
وَا ضيْعَةَ العُمْرِ لا الماضي انتفعتُ بهِ　　　ولا حَصَلْتُ على عِلْمٍ منَ الباقي
بلى علمتُ وقد أيقنْتُ يا أسفاً　　　أني لكلِّ الذي قدَّمْتُهُ لاقِ

* * *

(١) عنَّ: طرأ.
(٢) الساقة: المؤخرة.

الفَصْلُ الثَّامِنُ والسِّتُّونَ

إخواني! مَنْ عاملَ الدُّنيا خَسِر، ومن حَمَل في صفِّ طلبها كُسِر، وإنَّ خلاصَ مُحبِّها منها عَسِر، وكُلُّ عاشقيها قد قُبِرَ وأُسِرَ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أرى الشهـدَ يـرجـعُ مثـلَ الصَّبـرِ	فمـــا لابـــن آدمَ لا يَعْتَبِــرْ
ومُخبِـرُه صـادقٌ فـي الحـديـثِ	فـإن شـكَّ فـي ذاك فليختبِـرْ
ودنيـاكَ فـالْـقَ بطـولِ الهـوان	فهـلْ هـي إلا كَجِسْـرٍ عُبِـرْ

يا طالباً ما لا يُدرَك، تَمنَّى البقاء وما تُتْرك، كأنك بالحادي قد أَبرك[1]، وهل غير الحصاد لزرع قد أفرك؟![2].

وكيـفَ أُشيـدُ فـي يـومـي بنـاءً	وأَعلـمُ أنَّ فـي غـدٍ عنـه ارتحـالـي
فـلا تَنصُـبْ خيـامَـكَ فـي محـلٍّ	فـإنَّ القـاطنيـنَ علـى احتمـالِ[3]

يا من أعماله رياءٌ وسمعة، يا من أعمى الهوى بصرَه وأصمَّ سمعَه، يا من إذا قام إلى الصلاة لم يُخلص ركعة، يا نائماً في انتباهه إلى متى هذه الهَجعة؟! يا غافلاً عن الموتِ كم قلعَ الموتُ قَلْعة! كم دخل دارَك فأخذ غيرك وإنَّ له لرجعة! كم شَرى شخصاً بنقد مَرَض وله الباقون بالشُّفعة[4]! كم طرَق جباراً فشتت شَمْلَه وأخْرَبَ ربعه، أفلا يتَّعِظُ البيدق بسلب شاه الرقعة[5].

يا عامرَ الدُّنيا! إنّما الدُّنيا دار قُلْعة[6]، كم مزَّقت قلباً بُحبِّها فرجع ألفَ

---

(١) **أبرك**: يقال: أبرك في عدوه: أسرع فيه مجتهداً.

(٢) **أفرك**: صار صالحاً للحصاد.

(٣) **احتمال**: رحيل.

(٤) **الشُّفعة**: مصدر بمعنى التملك، وقد عرفها الفقهاء بأنها تمليك البقعة جبراً على المشتري بما قام عليه، أو هي حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض.

(٥) **بيدق**: بيدق الشطرنج: الجندي. **وشاه الرقعة**: الملك.

(٦) **دار قُلْعة**: دار تحول وارتحال.

قطعة، إنْ خُصَّتْ بطيب المَذاقِ أَغَصَّتْ وسْطَ الجُرعة، يومُ تَرحِها سنة، وسنةُ فَرحِها جمعة، إنَّها لمُظلمةٌ، ولو أوْقدت ألفَ شَمْعة، وهي مع هذا خائنةٌ، ولو حلفت بِرَبَعة[1]، [والمطبوع على طبعه فمن يُغيِّر طبعه][2].

كم دَرَّسَتْ عليكم مُجلدات تقولُ: ما هذه الأنفُس مُخلّدات! أين الأقاربُ، أين اللِّدات[3]؟! أفلا روائدُ ذهنٍ للأخبار مُنْتَسِمات! آهِ للقاعدينَ عن طلبِ المكْرُمات، آهِ للمستريحين لقد رضوا بمؤلِمات.

يـــا أسيـــرَ الشهـــوات	ذهـــبَ العمـــرُ وفـــات
ومضَـــى وقتُـــك فـــي	لهـــوٍ وسهـــوٍ وشتـــات
بينمـــا أنـــتَ علـــى غيِّـــكَ	حتـــى قيـــل مـــات

إخواني! ما لقلب العزمِ قد غَفَل، ولنَجم الحَزْمِ قد أفَل، مهلاً فشمسُ العمرِ في الطَّفَل[4]، ومن لم يحضر الوغى لم يُحرِزِ النَّفَل:

ثَـــوَانــيَ[5] هَـــمٌّ فَلـــم أُقْـــرِه	أوائـلَ مـن عـزمتـي أو ثـوانـي[6]
فيـا هنـدُ وانٍ[7] عـن المكـرمـات	مَـنْ لا يسـاور بـالهُنـدوانـي[8]

يا معاشرَ العلماءِ! أتقنعونَ من الصفات بالأسماء؟! أتؤثرون الأرضَ على السماء؟! أفي السُّكرِ أنتم أم في الإغماء؟! أترضون بالثريّا الثرى؟! أتغمضون العيونَ مِنْ غير كرى؟! أتنامون فمن يحمَدُ السُّرى؟!.

أتحيدون وفي الأنفِ البُرَى[9]؟! أتحلّون عقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ [التوبة:

---

(١) ربعة: صندوق أجزاء المصحف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) اللدات: جمع لدة: من ولد معك في وقت واحد.

(٤) الطفل: الوقت قبيل غروب الشمس، أو بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب.

(٥) ثواني: من الثواء: الإقامة.

(٦) ثواني: ما يأتِ ثانية.

(٧) وانٍ: ضعيف فاتر متباطئ.

(٨) هندواني: السيف.

(٩) البرى: جمع برة: حلقة من نحاس في أحد جانبي أنف البعير للتذليل.

١١١]؟! إنكم لأحقُّ بالحزن فيما أرى، أَحْضِروا نائحة لا تُكَفِّكُمُ الكِرا[١].

يــا قــومَنــا هــذه الفــوائــدُ جَمَّــةٌ فتخيّــروا قبــلَ النّــدامــةِ وانْتقُــوا
إنْ مسَّكــم ظمــأٌ يقــولُ نــذيــرُكُــمْ: لا ذنبَ لي قد قلتُ للقومِ اسْتَقُوا

يا معاشرَ العلماء! قد كتبتم ودرستم، ثُمَّ إنْ طَلَبَكُم العلمُ فَلسْتُم في بيتِ العمل، ثم لو ناقَشكم الإخلاصُ لأفْلَسْتُم.

شجرةُ الإخلاص أصلُها ثابتٌ، لا يضرُّها زَعْزعٌ[٢] ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: ٢٧]، وأما شجرة الرياء فاجْتُثَّتْ عند نَسْمةٍ ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الصافات: ٢٤].

كم متشبِّهٍ بالمخلصين في تَخَشُّعِه ولِباسه، وأفواهُ القلوبِ تنفرُ من طَعْم مذاقه! وا أَسَفي ما أكثر الزُّور!

أمّا الخِيامُ فإنَّها كخيامهم

ليسَ كلُّ مستديرٍ يكون هلالاً، لا لا، وما كلُّ مَنْ أَوْمَى إلى العزِّ نالَه.
ودون العُلى ضربٌ يُدَمِّي النَّواصيا

كم حولَ معروفٍ من دفينٍ، ذهب اسمُه كما بَليَ رسْمُه، ومعروفٌ[٣] معروف:

فمــا كــلُّ دارٍ أَقْفَــرتْ دارةُ الحِمــى ولا كــلُّ بيضــاءِ التَّــرائــبِ زينــبُ

ريحُ المُخلصينَ عطريةُ القبول، والمرائي سموميُّ النسيم، نفاقُ المنافقين صَيَّرَ المسجدَ مَزْبلةَ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وإخلاص المخلصين رفع قدر الوَسَخ «ربَّ أشعثَ أغبر»[٤].

أيُّها المرائي قلبُ من ترائيه بيدِ مَنْ تَعْصِيه[٥]، لا يُنْقَشُ على الدرهم الزائفِ

---

(١) الكراء: بالقصر والمد: الأجر.
(٢) زعزع: الريح الشديدة.
(٣) أي: معروف الكرخي.
(٤) رواه مسلم.
(٥) ترائيه: أي من تعمل لأجله من الناس. بيد من تعصيه: أي بيد الله عزَّ وجلَّ.

اسمُ الملك، فما يتبهرجُ الشحمُ بالورمِ، المرائي يتَبَرْطل[1] على بابِ السلطان، يدّعي أنّه خاصٌّ وهو غريب! أتدرون ما ذنب المرائي؟ دعا باسم ليلى غيرَها فيا أسَفي! ذهبَ أهلُ التحقيق وبقيت بُنَيات الطريق، خَلَتِ البقاعُ من الأحباب، وتَبدَّلت العمارةُ بالخراب، يا ديارَ الأحباب عندك خبرٌ! المخلصُ يُبَهْرِجُ على الخلقِ بستر الحال، وبَبِهْرَجته يَصحُّ النقدُ.

كان في ثوبِ أيوب السختياني بعضُ الطولِ لسَتْرِ الحال، وكان إذا وَعَظ فَرَقَ، فَرَقَ قلبه من الرياءِ فيَمْسحُ وجهَه ويقول: ما أشدَّ الزكام.

(لِصُرَّدُرّ)[2]:

أحبـــسُ دمعـــي فينِـــدُّ شـــارِداً	كـــأنَّنِـــي أحبـــسُ عبـــداً آبقـــا
ومِـــنْ محـــاشـــاةِ الـــرقيـــبِ خِلتُني	يـــومَ الـــرحيـــلِ فـــي الهـــوى منـــافقـــا

كان (أيوبُ) يُحيي الليلَ كلَّه، فإذا كان عند الصباح رفعَ صوته كأنه قام تلك الساعة:

(لِصُرَّدر)[3]:

أُكَلِّـفُ القلـبَ أن يَهْـوى وأُلـزِمُـهُ	صبـراً وذلـكَ جمـعٌ بيـن أضـدادِ
وأكتمُ الركبَ أوطاري[4] وأسألُه[5]	حـاجـاتِ نفسي لقدْ أتعبتُ رُوَّادي
هـل مـدلِـجٌ عنـدَه مـن مُبكِـرٍ خبـرٌ	وكيـفَ يعلـمُ حـالَ الـرائـحِ الغـادي
وإنْ رويتُ أحاديثَ الذين مَضَوْا[6]	فعـن نسيـمِ الصَّبـا والبـرقِ إسنـادي

كان (إبراهيم النخعي) إذا قرأ في المصحف فدخل داخلٌ غطّاه.

وكان (ابن أبي ليلى) إذا دخل داخلٌ وهو يصلي اضطجع على فراشه.

---

(١) يتبرطل: أي لبس البُرطل، أي القلنسوة.
(٢) قاله يمدح عفيفاً القائمي. انظر: الديوان، ص١٤٩.
(٣) قاله في مدح الوزير أبي نصر بن جهير، وهو آخر شعر قاله. انظر: الديوان، ص١٠٥.
(٤) في الديوان: «أسراري».
(٥) في الديوان: «وأسألهم».
(٦) في الديوان: «نأوا».

أَفـدي ظبـاءَ فَـلاةٍ مـا عَـرَفْـنَ بهـا مضغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجِبِ[1]

مرض (ابنُ أدهم) فجعلَ عند رأسِه ما يأكله الأصحّاء، لئلا يتشبه بالشاكين، هذه والله بَهْرجةٌ أصحُّ من نقدك.

(للعباسِ بن الأحنفِ)[2]:

قد سـحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفـرّقَ النـاسُ فينـا قـولهـم فِـرَقـا
فكـاذبٌ قـد رَمَـى بـالظّـن غيـركُـمُ وصـادقٌ ليـس يـدري أنَّـه صَـدَقـا

اشتُهِرَ (ابن أدهم) ببلد، فقيل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناسُ يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوفُ معهم ويقول: أين إبراهيم ابن أدهم.

(المهيار)[3]:

ضناً بأنْ يعلمَ الناسُ الهوى ولمَن وهبـتُ للسـرِّ فيـه لـذَّةَ العَلَـنِ
عـرَّض بغيـري ودَعْنـي فـي ظنـونهـمُ إنْ قيلَ: من يَكُ يُخفي الحقُّ في الظَّنَنِ

قرئ على (أحمد بن حنبل) في مرضِهِ أنَّ طاووساً كان يكره الأنين، فما أنَّ حتى مات.

(لِصُرَّدُرّ)[4]:

تفيـضُ نفـوسٌ بـأوصـابِهَـا وتكتـمُ عـوّادَهـا مـا بهـا
ومـا أنصفـتْ مهجـةٌ تشتكـي هـواهـا إلـى غيـر أحبـابهـا

لما همَّ الطبعُ بالتأوُّه من البلاء كشفت الحقائقُ سُجُفَ المحبوبِ، فلم يبقَ

---

(١) يريدُ بالظباء نساءَ العرب، وأنهن فصيحات لا يمضغن الكلام، ولا يصبغن حواجبهن كعادة نساء الحضر، فهو تفضيل للعربيات.
(٢) انظر: ديوان شعره، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٣) مطلع قصيدة يمدح بها الوزير ابن أردشير. الديوان: ٤/ ٢٧ ـ ٢٩.
(٤) من قصيدة يمدح بها أبا القاسم بن رضوان. انظر: ديوان شعره، ص١٣٨.

لتقطيع الأيدي أثر:

بـدا لهـا مِـنْ بعـدِ مـا بـدا لهـا　　　روضُ الحِمَـى أن تشتكـي كَـلالَهـا

رحل ـ والله ـ أولئك السادة، وبقِيَ والله قرناء الرياء والوسادة.

ذمَّ المنـازلَ بعـد منـزلـة اللـوى　　　والعيـشَ بعـد أولئـك الأقـوام

أسمع أصواتاً بلا أنيس، وأرى خشوعاً أصله من إبليس.

(لمهيار)[1]:

تشبهـتْ حـورُ الظبـاءِ بهـم　　　إذ سكنـتْ فيـكَ ولا مثـلُ سكـنْ

أصـامِـت بنـاطـقٍ، ونـافـرٌ بـآنـسٍ　　　وذو خـلاً بـذي شَجَـنْ

مُشْتَبَـهٌ أعـرفُـه وإنّمـا　　　مغـالطـاً قلـتُ لصَحْبـي: دارُ مَـنْ؟

قِـفْ بـاكيـاً فيهـا وإن كنـتَ أخـاً　　　مُـؤانسـاً فبكِّهـا عنـك وعـن

لـم يُبـقِ لـي يـومُ الفـراقِ فضلـةً　　　مِـنْ دمعـةٍ أبكـي بهـا علـى الـدِّمَـنْ

* * *

---

(١) من قصيدة أنشد بها ابن هرثمة الكاتب. الديوان: ٤/ ٤٧.

الفصل التاسع والستون

التفكُّر في عجائب خلق الله

يا مَنْ قد أُرخيَ له في الطِّوَل[1]، وأُمْهِلَ له بِمَدِّ الأجل، اخلُ بنفسِكَ وعاتبْها، وخُذْ على يدها وحاسبها، لعلَّها تأخُذُ عدَّتَها قبل أن تستوفيَ مُدّتها:

وجـدتُ أيـامـي بـي رَواحـلاً ... متى تـرى ينحطُّ عنها الـراحـلُ
وصيحَ بي: عَرِّس[2] فقد طالَ المدى ... وكـل ركـبٍ فـي التّـرابِ نـازلُ
يهـدِّدُ الحَيْـنُ[3] فهـل مـن سـامـعٍ ... وجـاءَ بـالنصـحِ فـأيـنَ القـابـلُ
وكـلُّ شـيءٍ زاجـرٌ مُحـدِّثٌ ... يفهـمُ مـا قـالَ الحصيـفُ العـاقِلُ

إخواني! بادروا قبل العَوائق، واستدركوا، فما كلُّ طالبٍ لاحق، واشكروا نعمةَ من سَتَرَكُم عن الذُّنوب، واعرفوا فضلَه فقد أعطاكم كلَّ مطلوب، ما أعمَّ جودَه لجميع خلقه! وما أكثرَ تقصيرَهم في حقّه! عمَّ إحسانُه الآدميَّ والبهائمَ، والمستيقظَ والنائمَ، والجاهلَ والعالمَ، والمتّقي والظالم.

من تأمَّلَ حسنَ لطفه لخليقتِه حيَّرَهُ الدَّهَش، خلقَ الجنينَ في بطنِ الأمِّ فجعل وجهه على ظهرِها لئلا يجري الطعامُ عليه، وجعل أنفَه بين ركبتيهِ ليتنفَّس في فَراغ[4]، وسيق قوتُه في مِصْران السرة، وليس العجبُ تَغذِّيه لأنَّه متّصلٌ بحيٍّ، إنما العجبُ خلقُ الفرخِ في البيضةِ المنفصلةِ، فإنَّه من البياضِ يخلَقُ ومن المُحِّ[5] يغتذي، فقد هيَّأ له زادَ الطريقِ قبل سيرِ الإيجاد.

---

(١) الطِّوَل: الحبل يرخى للدابة لترعى. وهنا كناية عن فسحة الأجل.

(٢) عرّس: هو نزول القوم في السفر من آخر الليل، وفي (أ): عرج.

(٣) الحين: الهلاك.

(٤) هذه المعارف كانت شائعة في عصرهم، ولا تصح.

(٥) المح: ما في جوف البيضة من صفرة.

إذا تفقأت بيضةُ الغرابِ خرجَ الفرخُ أبيض، فتنفرُ عنه الأمُّ لمباينته لونها، فيبقى مفتوحَ الفمِ لطلبِ الرزقِ، فيسوقُ القدرُ إلى فيه الذباب، فلا يزالُ يغتذي به حتى يسوَدَّ، فتعود أمه إليه.

خلق الطيـر ذا جؤجؤ[1] مخدد، لتجري سـفينة طيرانـه في بحر الهوى، وجعل في جناحه وذنبه ريشاتٍ طوالاً لينهض للطيران، ولمَّا كان يختلِسُ قوتَه خوفاً من اصطياده، جُعِلَ منقارُه صلباً لئلا ينسحج[2]، ولم يُخلق له أسنان، لأنَّ زمانَ الانتهاب لا يحتمِلُ المضغَ، وجُعِلَتْ له حَوْصلة كالمِخْلاة، فينقل إليها ما يسـلُبُ، ثم ينقلُه إلى القانصـة في زمان الأمن، فإن كانت له فراخٌ أسْهَمهم قبل النَّقْل.

كلَّما طالَتْ ساقا الحيوان طالَ عنُقُه، ليمكنه تناولَ طُعْمِه من الأرض.

هذا طائرُ الماءِ لا يقف إلا في ضحضاح[3]، فيتأمّل ما يَدُبُّ في الماء، فإذا رأى ما يريدُ خطا خطواتٍ على مهل فيتناول، ولو كان قصيرَ القوائم، كان حين يخطو يضرب الماء ببطنه فيهربُ الصيدُ.

هذه العنكبوتُ تبني بيتها بصناعة يعجزُ عنها المهندس، إنَّها تطلبُ زاويةً فجعلت فيها خيطاً، ووصلت بين طرفيها بخيطٍ آخر، وتُلْقي اللعابَ على الجانبين فإذا أحكَمَتِ المعاقدَ، ورتَّبت القُمُط[4] كالسدى أخذت في اللُّحمة[5]، فيظنُّ الظانّ أنَّ نسجَها عبثٌ، كلا، إنّها تصنعُ شبكةً لتصيدَ قوتَها من الذباب والبقِّ، فإذا أتمَّت النَّسجَ انزوت إلى زاويةٍ ترصدُ رصْدَ الصائِدِ، فإذا وقع صيدٌ قامت تجني ثمارَ كسبها فتغتذي به، فإذا أعجزَها الصيدُ طلبتْ زاويةً ووصلت بين طرفيها بخيط، ثم علَّقَتْ نفسَها بخيطٍ آخر، وتنكّست في الهواءِ تنتظرُ ذبابةً تمرُّ بها، فإذا

---

(١) **جؤجؤ**: صدر.
(٢) **ينسحج**: من سحج جلده فانسحج، أي: قشره فانقشر.
(٣) **ضحضاح**: ماء قليل قريب القعر.
(٤) **القمط**: جمع قماط، وهو الحبل ونحوه يقمط به.
(٥) **السدى**: ضد اللحمة وهو ما يمد طولاً في النسيج. **اللُّحمة**: ما ينسج عرضاً.

دنَتْ منها دبت إليها، واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها، أفتراها عَلِمَتْ هذه الصنعة بنفسها؟ أو قرأتها على بعض جِنْسِها؟ أفلا يُنظَرُ إلى حكمةِ مَنْ علَّمَها وتثقيف من ألهمها؟!.

فإن لم يكن لك نظرٌ يُعجبُك منها فتعجَّبْ من عدم تَعَجُّبِكَ، فإنَّ أعجبَ أفعالِ القَدَر ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

القلبُ جوهرٌ في مَعْدِن البدن، فاكشف عنه بمعوَلِ المجاهدة، ولا تُطَيِّنْهُ بترابِ الغفلةِ، رَمَيْتَ صخرةَ الهوى على يَنْبوع الفِطنة، فاحتبسَ الماءُ، انقُبْ تحتَها إن لم تُطِقْ رفعها لعلّ الجُرفَ[1] ينهار.

في قُربنا نَيْلُ المنى	فتنبّهُوا يا غافلينا
عَجَباً لقومٍ أَعْرَضوا	عَنّا وقِدْماً واصلونا
نَقضُوا العهودَ وبارزونا	بالصدودِ وكاشفونا
واستعذَبُوا طَعْمَ القطيعةِ	والجفا حتى نسُوْنا
يا ويحهم لو قد رأوا	ما فاتهم لاستعطفونا

إلٰهي! ما أكثر المعرضين عنك والمعترضين عليك! وما أقلَّ المُتعرضين إليك يا روحَ القلوب! أين طُلَّابك؟ يا نور السماوات! أين أحبابُك؟ يا ربَّ الأربابِ! أين عُبَّادُكَ؟ يا مُسَبِّبَ الأسباب! أينَ قُصَّادُكَ؟ من الذي عاملك بلبه فلم يربَح؟ مَنْ الذي جاءَك بكربه فلم يفرح؟ أي صدْرٍ صدَرَ عن بابك ولم يَشْرَح؟ مَنْ ذا الذي لاذَ بجنابك فاشتهى أن يَبْرح؟ يا مُعْرِضاً عنه إلى مَنْ أعرضتَ؟ يا مشغولاً بغيرِه بمَنْ تعوّضت؟!.

مُتْ على مَنْ غبتَ عنه أسفا	لستَ عنه بمصيبٍ خَلَفا
لن ترى قُرَّةَ عينٍ أبدا	أو تُرى نحوَهُمُ مُنْصرَفا

بِعْتَ قيامَ الليلِ بفضلِ لُقمة! شربتَ كأسَ النعاسِ ففاتَكَ الرفقة، ضُرِبَ على أذنك لا في مرافقة أهلِ الكهفِ، تناولتَ خَمْرَ الرُّقاد، فوقعَ بكَ صاحِبُ

---

(١) الجرف: شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

الشرطة، فعمل في حقك بمقتضى «أقم وأنِمْ»، فجعل حدَّكَ الحبسَ عن لحاقِ المتهجدين.

والله لو بعتَ لحظـةً من خلوةٍ بنـا بِعُمْرِ نوح في ملك قارون لَغُبِنْتَ، لا بل بما في الجنان كلِّها ما ربحتَ، ومن ذاقَ عَرَف.

إخواني! اسمعوا بحُرمةِ الوفاء، فما كلُّ وقتٍ يطلعُ سُهَيل[1]، فإذا خرجتم من المجلسِ، فاقصدوا المساجد الخراب، وضعوا وجوهكم على التـراب، وابعثوا أنفاسَ الأسَـفِ، وكفى بها شـفيعاً في الزَّلل، فإن وجدتُم قلوبَكم قـد حضَرَتْ فاذكروني معكم.

(للشريف الرضي)[2]:

وقولوا لجيران على الخَيْفِ من مِنًى ... تـراكُـمْ مَـن استبْـدَلْتُـمُ بِجِـواريـا

ومَـنْ وَرَدَ المـاءَ الـذي كُنْـتُ وارداً ... به وَرَعَى العُشبَ[3] الذي كنتُ راعيا

فوا لهفتي! كم لي على الخَيْفِ شهقةً ... تـذوبُ عليهـا قطعـةٌ مـن فـؤاديـا

* * *

(١) سهيل: نجم يماني، قيل: عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي الغيظ.

(٢) من قصيدة قالها عند توجّه الناس إلى الحج عام (٤٠٠هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١.

(٣) في الديوان: «الروض».

الفصل السبعون

يا تائهاً في بوادي الهوى، انزل ساعة بوادي الفكر، يخبرْكَ بأنَّ اللذةَ قصيرةٌ والعقابَ طويل، واعجباً لمن يشتري لذّةَ ساعةٍ بَغَمِّ الأبد! كانت المعصيةُ ساعةً، لا كانت، فكم ذلَّت بعدها النفسُ! وكم تصاعدَ لأجلها النَّفَسُ! وكم جرى لتَذْكارِها دمعٌ.

(للشريف الرضي)[1]:

قَضَتِ المنازلُ يومَ كاظمةٍ ... أنَّ المَطِيَّ يطولُ موقفُها

سبقتْ مدامعُنا برَشَّتها ... من قبلِ أن يُومي مُكفكفُها

إن كنتُ أنفدتُ الدموعَ بها ... فالوجدُ بعدَ اليومِ يَخلُفُها

لا تنشُدَنَّ الدارَ بعدهُمُ ... إنِّي على الإقواء أعرِفُها

رفقاً بقلبيَ لا تُعذِّبْه[2] ... العينُ منك وأنتَ تَطرِفُها

في القلبِ منكَ جراحةٌ عَظُمَتْ ... ما زلْتُ أُدمِلُها وتقرِفُها[3]

هل يعطِفنّكمُ توجُّعُها ... أو يُقْبِلَنّ بكُمْ تلهُّفُها

يا من قد هبّتْ على قلبه جَنوبُ المجانبة، فلفَّقَتْ غيمَ الغَفْلة، فأظلمَ أُفُقُ المعرفة، لا تيئس فالشمسُ تحت الغيم.

لو تصاعدَ نفسُ أَسِفٍ، دارَتْ شمالاً فتقطعَ السحاب.

أنفعُ دواءٍ أجدُه لكَ نقض أخلاطِ التخليط بالدموع.

بضاعةُ المُذنِبِ دمعُه، رأسُ مال المُقِرِّ حُزنُه، راحةُ الأوّابِ قلَقُه، عيشةُ التوّاب حُرَقُه.

---

(١) من قصيدة قالها في معاتبة صديق له. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٠-٣٣.

(٢) في الديوان: «رفقاً بقلبي يا أبا الحسن».

(٣) تقرفت: يقال: تقرفتْ القرحة: تقشرت.

كان آدم عليه السلام يبكي بعد هبوطه حتى يخوض في دمعه، فكان جبريل يأتيه فيقول: كم هذا البكاء؟! ولسان حاله يجيب:

(للشريف الرضي)[1]:

يا عاذلَ المشتاقِ دَعْهُ فإنَّهُ	يطوي على الزفراتِ غيرَ حشاكا
لو كان قلبُكَ قلبَهُ ما لُمتَهُ	حاشاكَ مما عندَهُ حاشاكا

يا جبريل! ما تغيَّرَ عليكَ أمرٌ، وأنا نُقِلْتُ من بردِ عيشٍ إلى حر، ما سَكَنْتَ قط مَسْكَني، ولا توطّأْتَ موطني، فاقرأ على ربعي سلامي، وقل له: لا تنسَ أيّامي.

(للمصنّف):

إذا جزْتَ بالغَوْرِ عرّجْ يمينا	فقد أخذَ الشوقُ منّا يَمينا
وسلّم على بانةِ الواديينِ	فإنْ سَمِعَتْ أوْشَكَتْ أنْ تبينا
وروِّ ثرى أرضهم بالدموع	وخلِّ الضلوعَ على ما طُوِيْنا
وصحْ في مغانيهم أينَ هُمُ	وهيهاتَ أمُّوا طريقاً شَطُونا
أراكَ يشوقُكَ وادي الأراكِ	أللدارِ تبكي أم الساكنينا
سقى اللهُ مرْتَعَنا بالحِمَى	وإن كانَ أورثَ داءً دفينا
وعاذلةٍ فوقَ داءِ المُحِبِّ	رويداً رويداً بِنَا قَدْ بُلينا
فمَنْ تعذلينَ أما تعذُرينَ	فلو قَدْ نَفَقْتِ دفعتِ الأنينا
إذا غلبَ الحُبُّ ضاعَ العتابُ	تعبتِ وأتعبتِ لو تَعْلمينا

ما زال آدم يشيمُ[2] برقَ العفوِ، فلمّا طالَ عليه الزمانُ، حمَّلَ صُعَداءَ[3] الوجْدِ رسالةَ الجوى، ما علمتْ بمضمونها الرياحُ.

إذا بدا البرقُ من نجدٍ طربتُ له	وكِدْتُ من طربي أقضي لذكرهمُ

---

(١) انظر: ديوان شعره: ٢/١٠٩.

(٢) يشيم: ينظر إلى البرق أين يقصد، وأين يمطر سحابه.

(٣) صعداء: يقال: تنفس الصعداء: نفساً ممدوداً من توجع.

وتحمِلُ الريحُ إنْ هبَّتْ شآميةً ... منّي السلامَ إلى أطلالِ ربعهمُ
فرضٌ عليَّ أراعيهم وأحفظهم ... على البِعادِ ويرعوني بفضلهمُ

يا معاشر المذنبين! تَأسَّوا بأبيكم في البكاء، تفكَّرُوا كيف باع داراً قد رُبِّيَ فيها وضاعَ الثمن، لا تبرَحُوا من باب الذلِّ، فأقربُ الخطائين إلى العفو المعترِف بالزَّلَلِ.

ما انتفعَ آدمُ في بلية ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ [طه: ١٢١] بكمال ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: ٣١]، ولا ردّ عنه عزّ ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤]، وإنما خلّصه ذلُّ ﴿ظَلَمْنَآ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال سَرِيّ: بتُّ ببعضِ قرى الشام، فسمعتُ طائراً على شجرةٍ يقول طوال الليل: أخطأتُ لا أعود، فقلتُ لأهل القرية: ما اسم هذا الطائر؟ فقالوا: فاقدُ إِلْفِه.

(لمهيار)[1]:

تأوَّهتْ تأوّهَ[2] الأسيرِ ... ورقاءُ ذات وَرَقٍ نضيرِ
تنطقُ عن قلبٍ لها مكسورِ ... كأنَّها تنطِقُ عن ضميرِ
لبيكِ يا حزينةَ الصفيرِ ... إن استجرتِ بي فاستجيري
لكِ الخيارُ أنجدي أو غوري ... وحيثما صارَ هواكِ صيري
قصَّ جناحي زمنٌ فطيري

إخواني! نفترقُ على هذه الحال، غفلةٌ شاملة، ودموعٌ جامدة، لا، بالله لا تفعَلوا.

يا حاديَ العيسِ لا تَعجَلْ بنا وقِفِ ... نُجري دموعَ هواهُم ثم ننصرف
فما يزالُ نسيمٌ من يمانيَّةٍ ... يأتي إلينا بِريّا[3] روضةٍ أُنُفِ[4]

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٥.
(٢) في الديوان: «ترنمت ترنم».
(٣) ريّا: الرائحة الطيبة.
(٤) روضة أنف: جديدة النبت لم ترع.

إذا رأيتم باكياً في المجلس فارحموه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه، لا تعجبوا من واجدٍ ما لم تجدُوه.

(لابن المعتز):

دعْوهُ ليُطْفِي بالدموعِ حرارةً ... على كَبِدٍ حَرَّى دَعُوهُ دَعُوهُ
سلوا عاذليه يعذروه هُنَيْهَةً ... فبالعَذْلِ دونَ الشوقِ قد قَتَلُوهُ

لا تلوموا صاحبَ الوجد فما يرى بحضرتِه أحداً.

ظنَّ الأراكَ لدى واديه أَظْعانا ... فما استطاعَ لما أَخْفاه كِتمانا
فبان للرَّكْبِ ما قد كان يسترُه ... عن كلِّ مستخبِرٍ عن حُبِّ مَنْ بَانا

كان (**أبو عبيدةَ الخواص**) يمشي في الطريق ويصيح: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه.

هذا وَلَهي وكم كتمتُ الولَها ... صوناً لحديثِ مَنْ هوى النفس لها
يا آخرَ مِحْنَتي ويا أوّلها ... أيّامُ عَنايَ فيك ما أطولَها

ليسَ للمحبِّ قرار، ولا من الحبِّ فرار، تعرقَلَ وفات، وخُنِقَ فمات.

ولي عبراتٌ تَسْتَهِلُّ صبابةً ... عليكم إذا بَرْقُ الغمامِ تألَّقا
أَلِفتُ الهوى حتى حَلَتْ لي صروفُه ... وربَّ نعيمٍ كان جَالِبُه شَقَا
وأذهلُ حتى أحسَبَ الصدَّ والنوى ... بمعتركِ الذِّكرى وصالاً وملتقى
فها أنا ذو حالين أما تلذُّذي ... فحيٌّ وأما سَلْوَتي فلَكَ البَقا

لو أشرَفْتَ على وادي الدُّجى، لرأيتَ خيمَ القومِ على شواطئ أنهار الدموع، خلَوْا - والله - بالحبيب، وطالَ الحديث، عينٌ تبكي من المحبوب، وأخرى تبكي عليه، لفظةٌ تشكو منه، وأخرى تشكو إليه، ريٌّ تام بمحبّته، وعطشٌ مُحرِقٌ إلى رؤيته.

(للمصنف)

الماءُ عندي قد طَمَا ... وأنا الذي أشكو الظَّمَا

جِسْمِـــي معـــي لكـــنَّ قلبـــي عنـــدَ سكّـــانِ الحِمـــى
واهـــاً لهـــمْ لـــو أنّهـــم عـــادُوا وجـــادُوا لـــي فمـــا
أرجـــو نَـــوَال ســـواهُـــمُ هيهـــاتَ هـــمْ حَسْبـــي ومـــا
مَيْلـــي إلـــى غيـــرِ الأُلـــى سلبـــوا فـــؤادي إنّمـــا
أشكُـــو إليهـــم منهـــمُ كَلْمـــاً يـــزيـــدُ وكُلّمـــا
هجـــروا تَفَـــاقَـــم أمـــرُهُ يـــا ليتهـــم داوَوْا كَمـــا
جَـــرَحـــوا فلـــو طَبُّـــوا شَفَـــوْا هيهـــاتَ لـــولاهُـــم لمـــا
ذهـــبَ الـــزمـــانُ بـــأنْ أقـــول عســـى وأرجُـــو رُبّمـــا
يـــا أيهـــا المضنَـــى بهـــم لـــم يبـــقَ منـــكَ ســـوى الـــذّمـــا[1]
فـــألَـــذُّ مـــا كـــانَ الـــوصـــالُ فعـــادَ مُـــرًّا علقَمـــا
تـــركـــوكَ بعـــدَ فـــراقهـــم متحيِّـــراً تبكـــي دَمَـــا
يـــا بـــانَـــةَ[2] الـــوادي ارحمـــي مَـــن لا يـــزالُ مُتَيّمـــا
يـــا نسمـــةَ الـــريـــحِ الشمـــالِ ألا ابلِغيهـــم بعـــضَ مـــا
ألقـــى فحـــرُّ سمـــائـــمِ الـ أنفـــاسِ يكفـــي مَعْلَمـــا
نفســـي تكـــابـــدُ وجـــدَهـــا بكـــمُ فمـــا فغَـــرت فمـــا
لكـــنّ آثـــارَ المحبـــةِ ليـــسَ تَخْفـــى أيـــن مـــا
كـــانـــت فـــلا زالَ الفـــؤادُ بهـــا طـــولَ الـــزمـــانِ منعّمـــا

* * *

(١) **الذما**: بقية الروح.
(٢) **بانة**: ضرب من الشجر.

الفصل الحادي والسبعون

إخواني: ألا ناظرٌ لنفسه قبل الموت؟! ألا مُستدرِكٌ زادَ رَمْسِه قبل الفوت؟! ألا مُزدَجِرٌ بواعظِ أمسِه؛ فقد أسمعه الصوت؟!.

مـــا ضـــرَّ عبـــدٌ نَفْسَـــه	قبـــلَ خـــروجِ نفسِـــه
هـــل يـــومُـــه أو غـــدُه	إلا نظيـــــرَ أمْسِـــه
وعلَّـــه يلقـــى الـــرَّدى	قبـــل غـــروبِ شمسِـــه
كـــمْ مـــدلِـــجٍ[1] مُهجِّـــرٍ[2]	يسعـــى لبَغْـــلِ عُـــرْسِـــه
وأكيـــسُ النـــاس امـــرؤٌ	جَـــدَّ ليـــوْمِ رَمْسِـــهِ

إخـواني! حبال الآمـال رِثاث[3]، وساحرُ الهوى نَـفَّاث، والأمانيُّ على الحقيقة أضغاث[4]، والمال المُدَّخَرُ رِزْقُ الوُرَّاث، عجباً لأجسامِ ذكورٍ وعقولِ إناث.

إلامَ الرواحُ في الهوى والتغليس؟! وحَتَّامَ السعي في صحبة إبليس؟! وكم بَهْرجَةٍ في العملِ وكم تدليس! أين الأقران؟! هل لهم من حسيس[5]؟! أما تعلمُ أنهم نَدِموا على إيثار الخسيس؟! تَاللهِ لقد وَدُّوا طلاق الدنيا قبل المَسيس.

لقد أسمعَكَ الموتُ وعيدَك، وكأنَّكَ به قد ضَعْضعَ مَشِيْدَك، وأخلى منك دارَك، وملأ بك بِيْدَك، لقد أمرضَكَ الهوى وفي عزمه أن يزيدك.

---

(١) مدلج: اسم فاعل من أدلج: سار أول الليل.

(٢) مهجّر: من الفعل هجّر: أي سار في الهاجرة، وفي الحديث: «المهجّر إلى الجمعة كالمهدي بدنة».

(٣) رثاث: مهترئة مقطوعة.

(٤) أضغاث: جمع ضِغْث، وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، ويقال عن الرؤيا التي لا يصحُّ تأويلها لاختلاطها: أضغاث أحلام.

(٥) حسيس: صوت خفيض.

هل لَذَّتْ لذةُ الدنيا فضفَتْ؟! هل عافت إلا وعافت وعَفَتْ[1]؟! هل تبعت غرَضاً و قفت فوقفت[2]؟! هل سقت[3] رشفةً من رُضابها[4] فشفت؟! بينا محبُّها يناجيها بألفاظ المنى خَفَت[5]، ما بلغَ المرادَ إلا مَنْ صدَّ عنها والتفت.

عيـنُ المنيَّـةِ يَقْظَـى غيـرُ مُطـرِفَـةٍ　　وطَـرْفُ مطلـوبِهـا مُـذْ كَـانَ وسنـانُ
جهـلاً تمكَّـنَ منـه حيـنَ مـولـدِه　　فالنُّطقُ صاحٍ، ولبُّ المرءِ سكرانُ

كم نرمي هدفَ سمعِكَ برشْقِ كلام، كم نلدغُ أصلَ قلبك بحُمة[6] مَلام، لا تنفعُ الرياضةُ إلا في نجيب، لو سُقِيَ الحنظلُ بماءِ السكر لن يخرج حلواً، شَجَرُ الأَثل ـ وإن دام الماءُ تحته ـ لم يُثْمِرْ، سحابُ الهدى قد طَبَّقَ بيدَ الأكوان، وأظنُّ أرضَ قلبك سَبْخاً! إنّما يغلِبُ هذا على ظنّي لبعد صلاحك، وقد يستحيلُ الخمرُ خلاً، كم تحضر المجلسَ وتخرج وما علقتَ بشيء!.

ويحك! هذا البنفسجُ يُطرَحُ في الشيرج فَيَعْبَقُ به طولَ السنة، وكذلك الورد في الأشنان:

ومِـنَ البليـةِ عَـذْلُ مَـنْ لا يـرعـوي　　عـن غَيِّـهِ وخِطـابُ مَـنْ لا يفهـمُ[7]

ويحك! إلى كم تعدو خَلْف موكب الهوى وما تربح إلا الغبارَ، دعْ حبلَ الرعونة من يد التمسُّك، فإنّه لا مِرّة[8].

ما قُتِلَ أحدٌ بأحدَّ من سيف سوف، ومواهب الأعمارِ مسترجَعَةٌ بالأنفاسِ حتى تُسْتَوْفى، ألستَ نقضْتَ عهدَ ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعد عَقْدِ عُقَدِه؟! فكيف حلَّ لك الحَلُّ؟!.

---

(١) عافت الأولى: من العافية. وعافت الثانية: كرهت. عَفَتْ: مَحَتْ.
(٢) قفت: من القفو وهو الإدبار. فوقفت: ثبتت ولم تتماد.
(٣) في (ب): أرشفت.
(٤) رضابها: الرضاب: الريق.
(٥) خفت: سكن وضعف.
(٦) حُمة: حُمة العقرب: سمها وضرها.
(٧) للمتنبي.
(٨) مرّة: قوة.

بحرمةِ ما قَدْ كان بيني وبَيْنكُمْ   من الوَصْلِ إلاّ ما رجعتُم إلى الوصْلِ

نحنُ لك على الوفاءِ ما زلنا، وأنت ما ثَبَتَّ يومين.

(لكثيِّر):

وكنا ارتقينا في صعودٍ من الهوى   فلمّا عَلَوْناهُ ثَبَتُّ وزلّتِ
وكُنّا عَقَدْنا عُقدةَ الوصلِ بيننا   فلمّا توافينا شَدَدْتُ وحلّتِ

وا عجباً! تتنبّهُ الحيواناتُ بالليل فَتُصَوِّت، وأنت غافل، ويحك! إذا فتحتَ عينيك في الدجى فَصِحْ بقلبِك.

قمْ بنا يا أخي لمَا تَتَمنّى   واطردِ النومَ بالعزيمةِ عنّا
قمْ فقد صاحتِ الديوكُ ونادَتْ   لا تكونُ الديوكُ أطربَ منّا

إخواني! مصيبتُنا في التفريطِ واحدةٌ، وأهلُ الأحزانِ أهلُ:

إنّا ليجمعُنا البُكاءُ وكلُّنا   نبكي على شَجَنٍ[1] من الأشجانِ

مجلسُ الذكر مأتمُ الأحزانِ، هذا يبكي لذنوبه، وهذا يندُبُ لعيوبِه، وهذا على فواتِ مطلوبِه، وهذا لإعراضِ محبوبِه.

يتشاكى الواجدونَ جوًى   واحداً والوجْدُ ألوانُ

يا نائحَ الفكرِ نَضِّدْ[2]، يا نادبَ الحُزْنِ عدِّدْ، يا لائمَ النفسِ شدِّدْ، يا راميَ القلبِ سدِّد، يا جامعَ الدمعِ بدِّد، يا مطربَ السرّ ردِّد.

(لمهيار)[3]:

نَشَدْتُكِ يا بانةَ الأجرعِ   متى رفَعَ الحيُّ من لَعْلَعِ
وهل مرَّ قلبي في التابعينَ   أم حارَ ضعفاً فلم يَتْبَعِ

---

(١) شجن: همٌّ وحزن.
(٢) نضد: يقال: دار منضد، أي: مرصف، ورأي منضد كذلك مرصف، أي: محكم رصين.
(٣) من قصيدة طويلة كتبها للوزير ذي السعادات. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٥٠.

وأَنَّـةٌ لـكِ بيـن تلـك القلـوبِ إذا اشتبهـتْ أنَّـةُ الموجَـعِ
أدرْ يـا نـديمي كـأسَ الحـديثِ[1] فكـأسـي مـن بَعْـدِهـم مـدمَعـي

يـا مقيّداً عن السيرِ بقيودِ الشواغل! أيطمعُ في لَحاقِ الطَّيْـرِ مقصوصُ القوادم[2]؟!.

صَوِّتْ في الأسحارِ بالسائرين، لعلّ عطفاً ينعطِفُ إليك رحمة، فقد تَرِقُّ الساقة[3] لأهل الفاقة.

(لمهيار)[4]:

ردُّوا لنـا يـومـاً ولـو سـاعـةً علـى الغضـا مـن عيشِنـا الـزائـلِ
لـي ذلـةُ السـائـلِ مـا بينكـم فـلا تَفُتْكُـمْ عِـزَّةُ البـاذِلِ

سلِ الليلَ عن الأحبابِ فعندَه الخبرُ، خلا الفكرُ بالقلبِ في بيت التلاوة، فجَرَتْ أوصافُ الحبيب، فنهض قلقُ الشوقِ يضرِبُ بطوْنَ الرواحل، لينْهَرَ السهرَ، فلا وجْهَ لنومِ القومِ.

(للخفاجي):

أتَـرى طيفَكُـمُ لمَّـا سـرى أخـذَ النـومَ وأعطـى السهـرا
مـا نلـومُ الليـلَ بـل نَعْـذُرُه إنَّمـا طـوَّلَـه مَـنْ قَصَّـرا
يـا عيـونـاً بـالغضـا راقـدةً حـرّمَ اللهُ عليكـنّ الكَـرى
لـو عَـدَلْتُـنَّ تَسـاهَمْنَـا جـوًى مثـلَ مـا كُنّـا اشتـركنـا نَظَـرا
حبَّـذا فيـكَ حـديـثٌ بـاطِـنٌ فَطِـنَ الـدمـعُ بـه فـانتشـرا

مَنْ لم يكن له مثلُ تقواهم، لم يعلم ما الذي أبكاهم؟.

---

(١) في الديوان: «المدام».
(٢) **القوادم**: جمع قادمة، كبار ريش الطير، ويقابلها الخوافي، وهي الريش الصغار.
(٣) **الساقة**: مؤخرة الجيش، وفيها مَنْ يجمع ويتتبع ما سقط منهم من أمتعة الجيش فيُلحقه بهم.
(٤) من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن. الديوان: ٣/ ٢١٨.

من لم يشاهدْ جمالَ يوسفَ، لم يعلم ما الذي آلمَ قلبَ يعقوب؟.

مَنْ لم يَبِتْ والحُبُّ حشْوُ فؤادِه ... لم يدرِ كيفَ تَفَتُّتُ الأكبادِ

لو دمْتَ على سلوكِ البادية طابَتْ لك ريحُ الشِّيحِ.

تقرُّ لعيني أن أرى رَملَةَ الحِمى ... إذا ما بَدَتْ يوماً لعيني قِلالُها
ولسْتُ وإن أحببْتُ مَنْ يسكُن الغضا ... بأوّلِ راجٍ حاجةً لا ينالُها

* * *

الفصل الثاني والسبعون

يا مَنْ كانت له معنا معاملة، وطالت بيننا وبينَهُ المواصلة، ثم اختارَ الهجرَ والمفاصلة، إنْ لم يكن جميلٌ، فلتكن مُجاملة، تفكَّرْ! تعرِفْ قدرَ ما فاتَكَ، وابكِ لذنْبٍ حرَمَكَ القربَ وأفاتَكَ.

اسكُبْ دموعَ أسفِك، فربَّ دمٍ بالأسى سُفِك، واندُبْ أطلالَ مألَفِكَ، لعلكَ تُغاثُ في موقفك.

(لمهيار)[1]:

تظـــنُّ ليــاليـنــا عُـــوَّدا	علـى العهـدِ مِـنْ بَـرْقَتـيْ ثَهْمَـدا
ويـا صـاحبـي أيـن وجـهُ الصبـاحِ؟	وأيـنَ غـدٌ؟ صِـفْ لعينـي غـدا
وخَلْـفَ الضلـوعِ زفيـرٌ أبـى	وقــد بَــرَدَ الليــلُ أن يبــرُدا
خَليلـيَّ، لـي حـاجَـةٌ مـا أخـفَّ	بـرامَـةَ لـو وَجَـدَتْ مُسْعِـدَا
أريـــدُ لأكتُـــمَ وابـــنُ الأراك	يفضَحُهــا كلَّمَــا غَــرَّدا
أُحـبُّ وإن أخصَـبَ الحـاضـرون	ببــاديــة الــرمــل أن أخْلُــدَا
أرى كبـــدي قُسِّمَـــتْ شُعْبَتَيْـــنِ	مـعَ الشـوقِ غَـوَّرَ أوْ أنجَـدَا
تمنّـــاكَ عينـــي وقلبـــي يَـــراك	بشـــوقـــي حـاشـاكَ أن تَبعُـدا

اللهمَّ نَوِّرْ دُنيانا بنورٍ من تَوْفيقِك، واقطع أيامَنا في الاتصال بك، وانظم شَتَاتنا في سِلْكِ طاعتِك، فأنتَ أعلمُ بتلفيق المُقترِف.

اللهمَّ قوِّ مُنَنَ[2] أطفالِ التوبةِ بلبَان الصَّبر، ارفُق بمرضى الهوى في مارستان البلاء، افتحْ مسامعَ الأفهام لقبول ما ينفع، سلِّمْ سيارةَ الأفكار من قاطِعِ طريق، أَحْرُسْ طلائعَ المجاهدةِ من خديعة كمين، احفظ شجعانَ العزائم من شرِّ هزيمة، وقِّعْ على قصص الإنابة بقلم العفو، لا تُسَلِّطْ جاهلَ الطبعِ على عالِمِ

(١) من قصيدة قالها للكاتب أبي الحسين بن عبد الله متشوقاً أيام اجتماعه ومستوحشاً لبعده. انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٧.

(٢) مُنَن: جمع مُنة، وهي: القوة.

القلب، لا تُبَدِّلْ نعيم عيشِ الروح بجحيم حِرصِ النفس، لا تُمِتْ حيَّ العِلْمِ في حيِّ الجهل، أخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام، لا تجعلْنا ممن رأى الصبحَ فنام، لا تؤاخذْنا بقدرِ ذنوبنا، فإنَّكَ قلت: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، واعجباً لمن عَرَفَكَ ثم أحبَّ غيرَك، ولمن سمِعَ مناديَك ثم تأخَّرَ عنك!.

حرامٌ عليَّ العيشُ ما دمتَ غضبانا	وما لم يَعُدْ عني رضاكَ كما كانا
فأحْسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ	تُعَوِّدُني عند الإساءةِ غُفرانا

إلهي! لا تُعذِّبْ نفساً قد عذَّبَها الخوفُ منك، ولا تُخْرِسْ لساناً كُلٌّ ما يَروي عنك، ولا تُقْذِ بصراً طالما يَبْكي لك، ولا تُخيِّبْ رجاءً هو منوطٌ بك.

إلهي! ضَع في ضَعْفي قوةً من مَنِّك[1]، وَضَعْ في كَفِّيَ كَفِّي عن غيرك، ارحم عَبْرَةً تَترَقْرَقُ على ما فاتَها منك، بَرِّدْ كَبِداً تحترق على بعدِها عنك.

(للشريف الرضي)[2]:

أشكو إليكَ مَدامِعاً تَكِفُ[3]	بعد النوى وجوانِحاً تَجِفُ[4]
ما كان أسرعَ ما نَبَا[5] زمنٌ	وتكدّرتْ مِنْ وُدِّنا نُطَفُ[6]
حبلٌ غدا بأكُفِّنا طَرَفٌ	منهُ، وفي أيدي النَّوى طَرَفُ
لَهَفِي على ذاكَ الزمانِ وهَلْ	يَثْني زماناً ماضياً لَهَفُ

وا أسفي لمنقطِعٍ دونَ الرَّكب، متأخِّرٍ عن لحاقِ الصَّحْبِ، يَعُدُّ الساعاتِ في متى ولَعَلَّ، ويخلو يُفَكِّرُ في عسى وهل.

(لقيس المجنون):

---

(١) مَنِّك: إنعامك.

(٢) من قصيدة قالها في الوزير أبي علي الحسن بن أبي الريان عاتباً عليه. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢١ـ٢٤.

(٣) تكف: تسح وتنزل.

(٤) تجف: تضطرب وتخفق.

(٥) نبا: تجافى وتباعد.

(٦) نطف: جمع نُطفَة: اللؤلؤة الصغيرة الصافية.

أعـدُّ الليـالـي ليلـةً بعـدَ ليلـةٍ وقـد عِشْـتُ دَهْـراً لا أَعُـدُّ الليـاليـا
وأخـرجُ مِـنْ بيـن البيـوتِ لعلَّنـي أحدِّثُ عنـكِ النفـسَ بـالليل خاليـا
إذا سـرتُ أرضـاً بـالفضـاءِ رأيتُنـي أصـانِـعُ رَحْلـي أن يميـلَ حِيـاليـا
يمينـاً إذا كـانـت يمينـاً وإن تكـنْ شِمَالاً ينازِعُني الهوى عن شِماليا
ألا يـا حَمـامَـيْ بطـنِ نَعمَـانَ هِجْتُمـا علـيَّ الهـوى لمـا تَغنَّيْتُمـا لِيـا
وأبكيتُماني وَسْطَ صحبي ولـم أكُـنْ أُبـالي بِـدَمْعِ العيـنِ لـو كنتُ خاليـا
ذكتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصبَحَتْ لهـا وَهَـجٌ مستضْـرَمٌ فـي فـؤاديـا
خليليَّ ما أرْجو مِنَ العَيْشِ بَعْدَما أرى حاجتي تُشْرى ولا تُشْتَرى لِيا
وقـد يجمـعُ اللهُ الشتيتيـنِ بعـدمـا يظنـانِ كـلَّ الظَّـنِّ ألاَّ تَـلاقِيـا

أيها المتخلِّفُ في أعقابِ الواصلين استغث بهم، علِّق على قطارهم، فلعلَّ جَمَلَكَ يَصِل.

يـا صـاحِ والصـاحـبُ لا يُـدْعـى بـه إلاَّ إذا لَـجَّ الغـرامُ واعتـدى
خـذْ بيـدي مـن سَطْـوَةِ البيـنِ فمـا أظـنُّ أنَّ البَيْـنَ أبقـى لـي يَـدا
أيـن ليـالينـا القِصَـارُ بـالحِمـى وا كبـداً علـى الحِمـى وا كبـدا

يا مَن قد مضتْ له ليالي مناجاة، ثم طبق الدستورَ[1]، وقطع المعاملة، اندُبْ زمانَ الوصال لعلَّ حالاً حالٌ يعودُ.

(لمهيار)[2]:

يـا ليلتـي بحـاجـرٍ إنْ عـادَ مـاضٍ فـارجعـي
بِتْنـا علـى الأحقـافِ[3] تَنْـ ـهـالُ بكـلِّ مضجَـعِ
قـالـوا الصبـاحُ فـانتبـه فقـالَ لـي الطيـفُ اسمَـعِ
فقُمْـتُ مخلـوطـاً أظـنُّ البـازلَ ابـنَ الـرُّبَـعِ[4]

---

(١) الدُّستور: بضم الدال: النسخة المعمولة للجماعات، وهي معربة.
(٢) من قصيدة كتبها للأستاذ أبي طالب. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٠٤ ـ ٢١١.
(٣) الأحقاف: جمع حقف: ما اعوجَّ من الرمل واستطال، والأحقاف أيضاً: بلاد معروفة في اليمن كانت ديار عاد قوم هود عليه السلام.
(٤) البازل: المسن من الإبل. والربع: الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج.

حيـــرانَ طـــرفـــي دائـــرٌ   أطلـــبُ مـــا ليـــسَ معـــي
أرضـــى بـــأخبـــارِ الـــريـــا   حِ والبـــروقِ اللُّمَّـــعِ
وأيـــنَ مِـــنْ بَـــرْقِ الحِمَـــى   شـــائمـــةٌ بلَعْلَـــعِ
أفـــرشنـــي الجمـــرَ وقـــا   ل: إنْ أردْتَ فـــاهْجَـــعِ

ذكرُ الوصالِ في زمانِ الهجرِ تلفٌ، خصوصاً إذا لم يكن للحبيب خَلَف.

قال **ابن مسروق**: كنتُ أمشي مع **الجُنيد** في بعض دروب بغداد، فسمع منشداً يقول:

منـــازلُ كُنْـــتَ تهـــواهـــا وتـــألفُهـــا   أيـــامَ أنـــتَ علـــى الأيـــامِ منصـــورُ

فبكى الجنيد بكاءً شديداً، وقال: ما أطيبَ منازلَ الأُلفةِ والأُنس، وأوْحشَ مقاماتِ المخالفة! لا أزالُ أحنُّ إلى أول بدءِ إرادتي وجِدَّةِ سعيي.

(لمهيار)[1]:

يـا ليلتـي بـذاتِ الشّيـحِ والضّـالِ   ومَنْبَتِ البـانِ مـن نَعمـانَ عُـودا لِيْ
ويـا مـرابِـعَ أطـلالـي بـذي سلَـمٍ   لهْفي على ما مضى من عَصْرِكَ الخالي
ويـا مـآربَ نفسـي والـذيـنَ هـمُ   بالوَصْلِ والهَجْرِ إعْلالي وإبلالي
قد كان قلبي بكم مأوى السرور فَمُذْ   نـأيْتُـمْ صـارَ مـأوى كـلِّ بَلْبَـالِ[2]
فلو شربْتُ بعمري ساعةً سَلَفَتْ   من عيشَتي معكم ما كان بالغالي
ما لي أُعلِّلُ نفسي بالوقوفِ على   منـازلَ أَقْفَـرَتْ منكُـم وأطـلالِ
مَـنْ لـي بكِتْمـانِ مـا ألقـاهُ مـن ألَـمٍ   وظاهري مُعْرِبٌ عن باطنِ الحالِ
قـالـوا تَشـاغَـلَ عنَّـا واصطَفـى بـدلاً   منّا وذلكَ فعلُ الخائنِ السالي[3]
وكيـفَ أُشغـلُ قلبـي عـن مَحَبَّتِكـم   بغيـرِ ذِكْـرِكُـمُ يـا كُـلَّ أشغـالـي

❋ ❋ ❋

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوان مهيار الديلمي.
(٢) بلبال: شدة الهم والوسواس.
(٣) السالي: من سلا، يقال: سلاه، أي: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

الفصل الثالث والسبعون

وا شوقاه إلى أرباب الإخلاص! وا تَوْقاه إلى رؤيةِ تلكَ الأشخاص، إنّي لأَحْضُرُ ذكركم فأغيب، وإنَّ وقتي بِتَذَكُّرِكُم ليطيب.

(للشريف الرضي)[1]:

إذا هَزَّنا الشوقُ اضطربنا لهزِّهِ ... على شُعَبِ الرَّحْلِ اضطرابَ الأراقِمِ[2]
فمِنْ صَبَواتٍ تستقيمُ بمائلٍ ... ومن أريحاتٍ تهبُّ بنائمِ
وأستشرفُ الأعلامَ حتى يَدُلَّني ... على طِيْبِها مَرُّ الرياحِ الهواجِمِ
وما أنسمُ الأرواحَ إلا لأنَّها ... تهبُّ[3] على تلك الرُّبا والمعالِمِ

الإخلاصُ مِسْكٌ مصونٌ في مَسْكِ[4] القلب، تُنَبِّه[5] ريحُه على حامله.

العملُ صورةٌ والإخلاصُ روح. المُخْلِصُ يَعُدُّ طاعتَه لاحتقاره لها عَرَضاً، وقَلَم القبول قد أثْبَتَها في الجَوْهَرِ خالصاً، الإخلاصُ اليسيرُ كثيرٌ، ووجودُ عملِ الرياءِ عدم. قَرَّاضةُ[6] الأماني لا تقف، وصحيح الشُّبَهِ مردود، خليجٌ صافٍ أنفعُ من بحرٍ كدر، إذا لم تَخلِصْ فلا تَتْعَبْ، لا يكثِّرُ الجوزُ بالعفصِ[7]. أتحدُو وما لكَ بَعير؟! أتمدُّ القوسَ وما لها وتر؟! أَتَتَجَشَّأُ من غيرِ شبعٍ؟! وا عجباً من وَحْمَى[8]

---

(١) من قصيدة قالها مفتخراً. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٥.
(٢) **الأراقم**: جمع أرقم: حية فيها سواد وبياض.
(٣) في الديوان: «تجوز».
(٤) **مِسْك الأولى**: الطيب. ومَسك الثانية: الجلد.
(٥) **تنبه**: من نبَّه باسمه: نوَّه به.
(٦) **قرَّاضة**: دويبة تقرض الصوف وتسمى (العث).
(٧) **العفص**: ثمر شجرة البلوط، وكذلك هو دواء قابض مجفف، وربما اتخذوا منه حبراً أو صبغاً.
(٨) **وحمى ولا حبل**: مَثَلٌ يُضرب في الشهوان أنه لا يُذْكَرُ له شيءٌ إلا اشتهاه.

بلا حَبَل! كم يُذِلُّ نفسَه مُراءٍ لتمدحَه الخلق! فذهبت والمدحُ، ولو بَذَلها للحقِّ لبَقِيَتْ والذكرُ، عملُ المرائي بَصلةٌ كلُّها قشور، المرائي يحشو جِرابَ العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه، ريحُ الرياءِ جيفةٌ، تتحاماها مشامُ القلوب، وما يخفى المرائي على مَسانِحِ[1] الفَطِنِ.

لمَّا أخذ دودُ القزِّ ينسجُ، أقبلتِ العنكبوتُ تَتَشَبَّه، وقالت: لك نسجٌ ولي نسج.

فقالت دودة القزِّ: ولكنَّ نسجي أرديةٌ للملوك، ونَسْجُكِ شبكة للذباب، وعند مسِّ النسيجين[2] يَبِيْنُ الفرق.

إذا اشتبكــتْ دمــوعٌ فــي خــدودٍ تَبَيَّــنَ مَــنْ بكَــى ممــن تبــاكــا

شجرةُ الصنوبرِ تثمِرُ في ثلاثين سنة، وشجرة الدُّباء[3] تصعَدُ في أسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر: إنَّ الطريقَ التي قَطَعْتِها في ثلاثين سنة قد قطعتُها في أسبوعين، فيقال لي: شجرة، ولكِ: شجرة.

فتجيبُها: مَهْلاً إلى أن تَهُبَّ ريحُ الخريف!.

قال الدُّبُّ للآدمي: أنتَ تمشي على رجلين وأنا أيضاً.

فقال الآدمي: ولكنَّ صَدْمَةً تردُّكَ إلى أربع، وكم أُصدَمُ وأنا مُنْتَصبٌ.

كان الأشياخُ في قديمِ الزمان أصحابَ قَدَمٍ[4]، والمريدون أرباب ألمٍ، فذهبَ القدمُ والألمُ.

كان المريدُ يسألُ عن غُصَّة، والشيخ يعرف القصة، فاليوم لا غُصَّة ولا قِصّة.

كان الزهدُ في بواطن القلوب، فصار في ظواهر الثياب.

كان الزُّهدُ خِرْقة فصار اليومَ خُرقة، ويحك! صَوِّفْ[5] قلبكَ لا جِسْمَك،

---

(١) مسانح: خواطر، من سنح: عرض وخطر.

(٢) في (ب): الحاجة.

(٣) الدُّباء: القرع.

(٤) القدم هنا: السابقة في الأمر، والمرتبة في الخير.

(٥) صوِّف: من التصوّف، أي: صفِّ قلبك ولا تكتفِ بلباس الصوف، تشبّهاً بالزهّاد العبّاد.

وأصلح نيّتكَ لا مُرَقَّعَتَكَ، غَيِّرْ زيّكَ أيها المرائي فهو يصيحُ: خذوني، لا تَحْمِلَنَّ السيفَ وما تُحسنُ القتال! سيفٌ ودرعٌ لزَمِنٍ هُتْكَةٌ، يا ثاراتِ لمُقْعَدٍ[1] فضيحةٌ، البَهْرجُ يتبيّنُ عند الحَكِّ، إذا كان العَلَويُّ ثابتَ النَّسَبِ لم يحتج إلى ضفيرتيْن، ولا يصيرُ المخنَّثُ تُركياً بلبس القِباء، ولا المرائي وليّاً بلبس العباء، هذه من النكت الخفايا، وفي الزوايا خبايا.

واعجباً ما للدواعي إلى الدعاوي[2]، الباطن ينطق.

لمّا علمَ الصالحون خطرَ البَيَات، أدلجوا بأجملِ الأعمالِ في ليلِ الكَتْمِ[3]!.

كان البُكاءُ إذا غلبَ **أيوب** قال: ما أشدَّ الزكام!.

هَبينــــي أستُـــرُ النَّجْـــوى	أليــسَ الـــدَّمْـــعُ يَفْضَحُنـــي
لســـانـــي فيـــكِ أَمْلكُـــه	ودمـــعُ العيـــنِ يملِكُنـــي

صام **(داود بن أبي هند)** أربعين سنة لم يعلم به أحد، كان يأخذُ غداءَه ويخرج إلى الدكان، فيتصدَّق به في الطريق، فيظنُّ أهلُ السوق أنه قد أكل في البيت، ويظنُّ أهلُه أنّه قد أكل في السوق.

(لجابر الجرمي):

ومُسْتَخبِـرٍ عــن سـرِّ ليلـى رَدَدْتُـهُ	فــأصبـحَ فــي ليلـى بغَيْـرِ يقيـنِ
يقـولـونَ: خَبِّـرْنـا، فـأنـتَ أمينُهـا	ومــا أنــا إن أخبـرتُهـم بــأميـنِ

كان **ابنُ سيرين** يتحدَّثُ بالنهارِ وَيَضحك، فإذا جاء الليلُ أخذَ في البكاء والعويل.

نَهَـاري نهـارُ النـاسِ حتـى إذا بـدا	لـيَ الليـلُ هَـزَّتْني إليـكَ المضـاجـعُ

---

(١) **المقعد**: العاجز الذي أقعده المرض، والفضيحة تتأتّى من حيث إنه على عجزه ينادي بالأخذ بالثأر، وهو لا يطيق حتى القيام، بله الانقضاض!.

(٢) **دواعي**: جمع داعية وهي الباعث. **دعاوي**: جمع دعوى، أي: ما الداعي للدعوة للرياء والمظاهر.

(٣) **الكتم**: كتمان العمل والخفاء وعدم حب الشهرة.

أُقَضِّيْ نهاري بالحديثِ وبالمُنى ويجمعُني والهمُّ بالليلِ جامعُ

كان خوفُهم من الرياءِ يوجِبُ مدافعةَ النهار، فإذا خَلَوا بالحبيبِ لم يصبر المشوقُ.

أَجِنُّ بأطرافِ النهارِ صبابةً وبالليلِ يدعوني الهَوى فَأُجيبُ

لو قدروا على استدامةِ الكتمان ما أذاعوا.

وكم يقدِرُ المشتاقُ أنْ يكْتُم الوجدا

إذا جنَّ الليلُ وظلامُه، ثارَ شَجَنُ المحبِّ وسِقَامُه، ورمى الوجدَ فأصابَتْ سِهامُه، واستطلقَ مَزادُ العَينِ فانهلَّ سِجامُه، وطال بالحزين قعودُهُ وقيامُه.

كمْ بذكراكَ ولُوعي يا جوًى بين الضلوعِ
هجَعَ العاذِلُ لكِنْ مَنْ لِعيني بالهُجوعِ
هي في شُغْلٍ عن النَّوْ م بِمُزفَضِّ الدُّموعِ
أتَغَنَّى بكَ في الحيْ يِ كورقاءَ سَجوعِ

لو أبصرْتَ طلائعَ الصديقين في أوائل القوم، أو شاهدتَ ساقةَ المستغفرين في أواخر الركب، أو سمعْتَ استغاثةَ المحبين في وسط الليل.

مَنْ رأى البرْقَ بِنَجْدٍ إذْ تراءى سلبَ النَّومَ وأهدى البُرَحاءَ
فاضَ فيضاً كجفني ماؤُه والتظى وَهْناً كأنفاسِي التظَاءَ
نامَ سُمَّارُ الدُّجى عن ساهرٍ اتّخذَ الهمَّ سميراً والبكاءَ
أسعَدَتْه أدمعٌ تَفْضَحُه وإذا ما أحْسَنَ الدمعَ أساءَ

إذا رأيتم حزيناً فارحَمُوه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعْذُروه، وإذا رأيتم باكياً فوافقُوه.

الدَّمعُ يخونُ كلَّ كاتِم والحُبُّ يُحَلِّلُ العزائمْ
القلبُ بحبّكم لديغ ما أقلقني مِنَ الأراقمْ
والوَجْدُ يغالِبُ المقاوي والسالمُ فيه مَنْ يُسالِمْ

هــذا وَلَعَيــن فــي هــواكــم ... سَلِمَــتْ لكــم فمــا أخُــاصِــمْ
ســالَــتْ بكــم دمــوعُ عينــي ... والــدَّمْــعُ بِمُقلَتــي يُــزاحِــمْ
أبكــي أثــرَ الحبيــبِ عنــدي ... والحــزنُ تُهيجُــه المعــالِــمْ
يــا مــانــعَ مُقْلتــي كَــرَاهــا ... مَــرَّ الليــلُ ولَسْــتُ نــائــمْ
قـد صُمْـتُ عـن الهـوى لأحْظَـى ... فـي الحُـبِّ لكـم بـأجـرِ صـائـمْ
هــل يُبْــذَلُ وردُكــم[1] لظــامِ[2] ... حيــرانَ علــى الــورودِ حــائــمْ
نــاحَــتْ فــزَجَــرَتْهــا حمــامٌ ... مــا بــالــي تــزعجنــي الحمــائــمْ
يَــزقَيْــنَ إلــى ذرى غُصــونٍ ... أنَّــى تحمِلُــكِ القــوائــمْ
تبكيــنَ ومــا شجــاكَ شــوقٌ ... شكــواكِ إذاً مِــنَ العَظــائــمْ
إنْ كنـتِ صَـدَقْـتِ فـأسعـدينـي ... لا نَسْمَــعُ لــومــةَ اللــوائــمْ
طــارتْ وبَقِيــتُ فــي ضَمــانــي ... لا أبــرَحُ والــزعيــمُ غــارِمْ[3]

* * *

---

(١) وِردكم: الوِرد: الماء الذي يورد.

(٢) ظام: اسم فاعل من ظمي، اشتدّ عطشه.

(٣) غارِم: الزعيم هنا الكفيل، وكونه غارماً يعني التزامه بما ضمنه وتكفّل به أن يؤديه.

الفصل الرابع والسبعون

إخـواني! سـار المتقون ورجَعْنا، وَوَصلوا وانقطعنا، وأجابـوا الدَّاعي وامتنعنا، ونجوا من الأشْراكِ ووَقعنا، تعالَوْا ننظرْ في آثارهم، ونَدْرُس دارسَ أخبارهم، ونبكي من التفريطِ ما نَابَنا، ونندُب ما لحِقَنا وأصابنا.

(للمصنف):

وَدَّعــوا يــومَ النَّــوى واستَقَلُّــوا ... لَيْـتَ شِعْـرِي بعـدَهـا أيـنَ حَلُّـوا

يـا نسيـمَ الـرِّيـح بلِّـغْ إليهـم ... أنَّ عَقــدي معهـــم لا يُحَــلُّ

لـي مِـنَ الـريـحِ الشَّمـالِ انتهـالٌ ... فـإذا هبَّــتْ سُحيـراً فَعَــلُّ[1]

عَـرَّضـوا قلبـي لِسُقْـمٍ طـويـلٍ ... بــاطــنٍ يظهــرُ منــه الأقــلُّ

لو بكتْ عيني على قَدْرِ الجَوَى[2] ... صــارَ واديهــم دَمــاً لا يَحِــلُّ

سافر القومُ على رواحلِ الصدقِ، فقطعوا أرضَ الصبرِ حتّى وقعوا برياضِ الأُنسِ، فعبَقَتْ قلوبُهم بِنَشْرِ القُرْبِ، وتَعَطَّرَتْ بنسيمِ الوصلِ، فعادَتْ سَكْرَى من صِرْفِ[3] سُلافِ[4] الوجدِ، وعربدَتْ على عالمِ الجسمِ، فكلما رَبَا الحُبُّ ذابَ.

خُذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ فانظري ... ضَنَـا جسَـدي لكنَّنـي أَتَستَّـرُ[5]

حمائمُ أَرْواحِهم محبوسةٌ[6] في أقفاصِ أشباحهم، تُصوِّتُ لشَجْوِ شوقها، وتَقْلَقُ لضيقِ حَبْسِها.

---

(١) **فعلّ**: من العَلّ: وهي الشربة الثانية. **والانتهال**: أول الشرب.

(٢) **في (ب)**: وجدي.

(٣) **الصرْف**: الصافي الخالص.

(٤) **سُلاف**: الخمر.

(٥) **في (ب)**: أتكتم.

(٦) **في (ب)**: مسجونة.

(لمهيار)[1]:

بـــالغَـــوْرِ دارٌ وبنجـــدٍ هـــوًى يـــا لهـــفَ مـــن غـــارَ بِمَـــنْ أنجـــدا
يـــا حبَّـــذا الـــذكـــرى وإن أسْهـــرتْ بَعْـــدكِ والـــدَّمْـــعُ وإنْ أرْمـــدا

البكاء دأبُهم، والدَّمْعُ شرابُهم، والجوعُ طعامُهم، والصَّمْتُ كلامُهم، فلو رأيتَهم وعُذَّالَهم، وقد زادوا بالعَذْلِ أثقالهم.

سَلِمْـتَ ممَّـا عنانـي فـاستَهَنْـتَ بـهِ لا يعرفُ الشَّجْوَ إلا كلُّ ذي شَجَنِ
شتَّـانَ بيـن خَلـيٍّ مُطلَـقٍ وَشَـجٍ في رِبْقَةِ الحُبِّ كالمصفودِ في قَرَنِ
[أمسيتَ تشهدُ بادٍ من ضنى جسدي بداخلٍ من جَوًى في القلبِ مكتمِنِ][2]
إنْ كـانَ يـوجِـبُ ضُـرِّي فـرضَـى بسـوءِ حـالـيَ وحَـلَّ للضنى بَـدنـي
منحتُـكَ القلـبَ لا أبغـي بـه ثمنـاً إلاَّ رضـاكَ وَوَافَقْـري إلـى الثمـنِ

أعندك من حديثهم خبر؟ ألك في طريقهم قدم[3]؟.

(لخالد الكاتب):

رَقَـدْتَ ولـم تَـرْثِ للسَّـاهـرِ وليـلُ المُحـبِّ بـلا آخـرِ
ولـم تَـدْرِ بعـدَ ذهـابِ الـرُّقـا دِ مـا فَعَـلَ الـدَّمْـعُ بـالنَّـاظِـرِ

نازلهم الخوفُ فصاروا وَلِهِيْن، وفاجأهُمْ الفِكْرُ فعادوا متحيّرين، وجُنَّ عليهم الليلُ فرآهم ساهرين، وهبَّتْ رياحُ الأسحارِ فمالوا مستغفرين، فإذا رجعوا وقتَ الفجرِ بالأجرِ نادى منادي الهجرِ: يا خيبةَ النائمين!.

ولمَّـا وَقَفْنـا والـرسـائـلُ بَيْنَنـا دمـوعٌ نهـاهـا الـوَجْـدُ أنْ تتـوقَّفـا
ذكـرنـا الليـالـي بـالعقيـقِ وظِلهـا الأنيـق فقطَّعْـنَ القلـوبَ تـأسُّفـا

جُلِيَتْ أوصافُ الحبيبِ في حليةِ الكمالِ، فقاموا على أقدامِ الشوقِ يَسِيْحون

---

(١) في قصيدة كتبها إلى صاحب أبي القاسم في عيد الفطر. انظر: الديوان: ١/ ٢٤٣.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): أثر.

في فَلَواتِ الوجدِ، فلو رأيتموهُم لقلتُم: مجانين.

هيهاتَ مَنْ لا يعرفُ مناسكَ الحجِّ، نَسَبَ المُحْرِمِين إلى الخَبَل، الناسُ يضحكونَ وهم يبكون، ويفرَحونَ وهم يحزنون، وينامون وهم يسهرون.

تـركْـتُ ليلـى أمـدَّ مـن نفسـي   وا أسفـي للفـراقِ وا أسفـي

لما تمكنتِ المعرفةُ من قلوبهم أثَّرَتْ شدةَ الخوفِ، فارتفعَ ضجيجُ الوجدِ يتمنون العدم.

رأى **الصدِّيقُ** طائراً فقال: طوبى لك يا طائرُ! تقعُ على الشجرِ، وتأكلُ من الثمرِ، ولا حسابَ عليك، ليتني كنْتُ مثْلَك.

وقال **عمر**: ليتني كنتُ تِبْنَـةً، وليتَ أمي لم تَلِدْني.

وقال **ابن مسعود**: ودِدْتُ أني إذا مِتُّ لا أُبعَثُ.

وقال **عمران بن حصين**: ليتني كنتُ رماداً.

وقال **أبو الدرداء**: ليتني كنتُ شَجرةً تُعْضَدُ.

وقالت **عائشة**: ليتني كنتُ نسياً مَنْسياً.

ودخلوا على **عطاء السُّلمي** وحوله بَلَل، فظنوه قد توضأ، فقالت عجوزٌ في دارِه: هذه دموعه.

(لِصُرَّدُر)[1]:

كـلُّ سحـابٍ أمطـرتْ أرضَكُـم   حـاملَـةٌ للمـاءِ مِـنْ أَدْمُعـي
وكـلُّ رِيـحٍ زَعْـزَعَـتْ تُـرْبَكُـم   فـإنَّهـا الـزفـرةُ مِـنْ أضْلُعـي

أتاهم من عندِ اللهِ وعيدُ وَقْدِهِمْ، فباتوا على حُرَق، وأكلوا على تَنْغيص، فنَوْمُهم نومُ الغرقى، وأكلُهم أكلُ المرضى، عَجَزَتْ أبدانُهم عمّا حملتْ قلوبُهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال **(فرقد)**: دَخَلَتْ بيتَ المقدسِ خمسمئة عذراء، لباسُهنّ الصوفُ

---

(١) في قصيدة كتبها إلى رئيس بن المطلب. انظر: ديوان شعره، ص١٦٢ـ١٦٦.

والمسوحُ، فتذاكرْنَ ثوابَ اللهِ وعقابَه، فَمِتْنَ جميعاً في مقامٍ واحدٍ.

قال (**أبو طارق**): شهدْتُ ثلاثين رجلاً دخلوا مجالِسَ الذكر يمشون بأرجلهم صحاحاً إلى المجلس، وأجوافُهم واللهِ قَرِحَةٌ، فلمّا سمعوا الذكرَ، انصدَعَتْ قلوبهم.

قُصُّوا عَلَيَّ حديثَ مَنْ قَتَلَ الهوى | إنَّ التأسِّي روحُ كلِّ حزينِ

قال (**عبد الواحد بن زيد**): لو رأيتَ **الحسنَ** لقلتَ: قد بُثَّ عليه حُزْنُ الخلائقِ، ولو رأيتَ **يزيدَ الرقاشي** لقلتَ مُثْكَلٌ.

أقبلَ **يزيدُ** يوماً يعاتبُه على كثرة بكائه، فجعل يصرخ ويبكي حتى غُشيَ عليه. فقالت أمُّه: يا بني ما أردْتَ بهذا؟ فقال: إنَّما أردتُ أن أهوّنَ عليه.

صِحّةُ الشوقِ أحدثَتْ عِلّةَ الصبرِ | وبُعْدُ المَزَارِ أدنى السُّهادا
كمْ عذولٍ عليكُم رامَ إصلاحي | فكانَ الملامُ لي إفسادا
كلّما زادَ عَذْلُهُ زادَ وَجْدِي | فكلانا في أمرِهِ قَدْ تمادَى
مَنْ لِقَلْبٍ أصلَيْتُموهُ لظَى الجمرِ | وجَنْبٍ أفرشتموه القَتادا

المحبُّ إن تذكّرَ الرَّبْعَ حَنَّ، وإنْ تفكّرَ في البعدِ أنَّ، وإن جُنَّ عليه الليلُ أظهر ما أجنّ، قُطِعَ عليه رضاعُ الوصالِ فلم يَتَهَنَّ.

(**للمصنف**):

يا بريْقَ الحيِّ حَرّمْتَ المناما | فانقضى ليلي قعوداً وقياما
أتَرى ما قَدْ أرى يا صاحبي | كيفَ والشوقُ بروحي يترامَى
يا سقى اللهُ حماهُمْ مُزْنَةً | حَلَبَتْ أشْطُرَها[1] أيدي النَّعامى[2]

---

(١) **حلبت أشطرها**: يقال: حلب فلانٌ الدهرَ أشطرَه: مرَّ به خيره وشرّه، وشطّر بناقته تشطيراً: صرَّ خِلْفَيْها، وترك خِلْفَين، وشاة شطور: يبس أحد خِلْفيها، فالأشطر: جمع شَطْر وهو خِلْف الناقة، وللناقة أربعة، وعليه فيقال: حلب فلان الدهرَ أشطرَه: اختبر ضروبه من خيره وشره تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حَفِلاً وغير حَفِل، ودارّاً وغير دارٍّ، وحلبُ أشطرِ الرجلِ: عجمه واختباره وسبر أغواره للتعرف عليه.

(٢) **النعامى**: ريح الجَنوب، أو بينه وبين الصّبا، وهذه الريح أبلّ الرياح وأرطبها.

يـا نسيـمَ الـريـحِ بَلِّـغْ وأعِـدْ
إنَّ نفسي مع أنفاسِ الخُزامى[1]

آهِ لـو عـادَ زمـانـي بِهِـمُ
عندَ جَرْعاءِ الحمى عَوْداً لِماما[2]

يـا ليالينـا بـذي الأثْـلِ[3] ارجعي
أسفـاً لـو أنَّـه يَشْفـي النَّـدامـا

يـا صحـابـي بلِّغـوا إنْ جُـزْتُـمُ
بنقـا الرَّمـلِ عـن الجسـم السلامـا

إنَّ قلبـي يـومَ ظُعِنّـا بـاللِّـوى
ورَحَلْنـا عنـه بـالـوَجْـدِ أقـامـا

ما غرامي إنْ شَدَتْ[4] وُرْقٌ، وهَلْ
عَلَّمَ الوُرْقَ سوى وجدي الغراما؟

قلقـي فـي حُـرَقـي مِـنْ أرَقِـي
يَـرْتَقِـي بـلْ يَنْتَقِـي منّـي العِظَـامـا

طَـرَبِـي فـي كُـرَبِـي مـن حَـرَبـي
تـاهَ بـي فيكـمْ ولـم أشْـرَبْ مُـدَامـا

لـو جَـرَتْ عينـي علـى قَـدْرِ الأسَـى
رجَـعَ المـاءُ بـواديهـم حَـرَامـا

* * *

(١) الخزامى: نبتٌ طيِّبُ الريح، وقال أبو حنيفة الدِّيْنَوَري: هو عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة، لها نَوْر كَنَوْرِ البنفسج، قال: لم نجد من الزهر زهرةً أطيبَ نفحةً من نفحتها.

(٢) لماماً: تقول: فلان يزور لماماً: أي في الأحايين.

(٣) الأثل: شجر، واحده أثلة، وذي الأثل: مكان قرب المدينة.

(٤) شَدَتْ: من الشدو: النشيد والغناء.

الفصل الخامس والسبعون

إخواني! الخلوةُ مَهْرُ بكرِ الفكرِ، وسُلَّمُ معراجِ الهِمَّةِ، حريمُ العزلةِ مصونٌ من عَيْبِ غَيْثِ عَبَث، [إذا خَلَتْ دارُ الخلوةِ عن الصور، تفرَّغَ القلبُ لملاحظةِ المعاني](1).

أوحشتنـــــي خَلـــــواتــــي	بــــكَ مِــــنْ كــــلِّ أنيـــسِ
وتفـــــرَّدتُ فعـــــايَنْتُـــــكَ	بـــــالغيـــــبِ جليســـــي
ودَعَـــانــــي الـــوجـــدُ والحُـــبُّ	إلـــــى المَغْنـــــى النفيْـــسِ
فبـــدا لـــي أنَّ مَهْـــرَ الحُـــبِّ	أنفـــــاسُ النفـــــوسِ
فكتبـــــتُ العهـــــدَ للحِـــــبِّ	علـــى طِـــرْسِ الـــرَّسِيْـــسِ(2)

يا هذا! إذا رُزِقْتَ يقظةً فَصُنْها في بيتِ عزلة، فإنَّ أيدي المُعاشرة نَهَّابَة، احذر معاشرةَ الجُهَّال، فإنَّ الطبعَ لِصٌّ، لا تصادقَنَّ فاسِقاً، فإنَّ مَنْ خانَ أولَ مُنْعِمٍ عليه لا يفي لك.

يا أفراخَ التوبةِ! لازموا أوكارَ الخلْوة، فإنَّ هِرَّ الهوى صَيُود، إيَّاكَ والتقرُّبَ من طرَف الوَكْر، والخروجَ من بيت العُزلةِ، حتى يتكاملَ نباتُ الخوافي(3)، وإلا كنتَ رزقَ الصائد.

الأُنسُ بالإنسِ دَبَق(4)، المخالطةُ توجب التَّخليط، وأيسرُ تأثيرِها تَشْتيتُ الهمِّ.

---

(1) زيادة من (ب).

(2) **الطرس**: الصحيفة. **رسيس**: الثابت الذي لزم مكانه.

(3) **الخوافي**: جمع خافية: ما دون الريشات العشر من مقدَّم الجناح في الطائر.

(4) **دبق**: مادة كالغراء لازقة تلزق بجناح الطائر فيُصادُ بها.

أقلُّ ما في سُقوطِ الذِّئبِ في غَنَمٍ إنْ لم يُصبْ بعضها أنْ ينفِرَ الغنمُ

قطعُ العلائقِ أصلُ الأصولِ، فَرِّغْ لي بيتاً أسكنه، إنَّ الطائرَ إذا كان زاقّاً لم يُرْسَل في كتاب.

تأمّلوا إلى الفَرَسِ إذا قدمَ إلى الماء الصافي كيف يضربُ بيديه فيه حتى يتكدّر! أتدرون لِمَ؟ لأنه يرى صورة نفسِه في الماء الصافي وصورةَ غيره، فيكدره حتى لا تَتَبَيَّنَ فيه الصورُ فيتهنّى بالشرب، لا يظهر في خلوة المتيقِّظِ إلا الحق.

كان أويسُ يهربُ من الناسِ فيقولون: مجنون، وصفَ الرسولُ ﷺ لأصحابِهِ حِلْيَةَ حُلَّتِه[1]، فقويَ تَوْقُ[2] عمر، وكان في كلِّ عامٍ يسألُ عنه أهلَ اليمنِ.

ألا أيُّها الركبُ اليمانون عَرِّجُوا علينا فقد أمسى هوانا يمانِيَا
نُسَائِلْكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمانُ بعدَنا وحَبَّ إلينا بطنُ نَعمانَ واديا

لما كانت آخرُ حجةٍ حجَّها عمر، قام على أبي قُبَيْس فنادى بأعلى صوته: أفيكم أويس؟.

(للشريف الرضي)[3]:

وإنِّيَ للشَّوقِ مِنْ بعدِهِمْ أُراعي الجَنوبَ مراحاً ومَغْدى
وأفرحُ من نحوِ أوطانِهِمْ بِغَيْثٍ يُجَلْجِلُ برقاً ورعدا
إذا طلعَ الرَّكْبُ يمّمْتُهم أحيِّي الوجوهَ كهولاً ومُرْدا
وأسألُهمْ عن عقيقِ الحِمَى وعن أرضِ نجدٍ ومَنْ حَلَّ نَجْدَا
نشدتُكُم اللهَ فليُخبرَنَّ مَنْ كانَ أقربَ بالرملِ عَهْدا
هل الدارُ بالجزعِ مأهولةٌ أثارَ الربيعُ عليها وأسْدَى
وهل جَلَبَ الغيثُ أخلافَه[4] على مَحضَرٍ من زَرُودٍ ومبدا؟

---

(١) حلية: زينة. حُلَّته: الثوب الجيد الجديد.

(٢) توق: شوق.

(٣) من قصيدة قالها يفتخر بقريش ونزار عل قحطان واليمن. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(٤) أخلاف: جمع خِلف: ما يخلفه الغيثُ من آثار.

كـان (أويـس) يأتي المزابل إذا جـاع، فأتاها يوماً فنبحَ عليه كلبٌ، فقال: يا كلبُ! لا تؤذِ من لا يُؤذيك، كُلْ مما يليك، وآكل مما يليني، فإنْ دَخَلْتُ الجنةَ فأنا خيرٌ منك، وإنْ دخلتُ النارَ فأنت خيرٌ منِّي.

ذلُّ الفتـى فـي الحُـبِّ مَكْـرُمـةٌ وخضـوعُـهُ لحبيبِـه شَـرَفُ

كان الصبيانُ يرمونه بالحجارة، والعُقلاء عند نفوسهم يقولون: مجنون، والمحبةُ تنهاهُ أنْ يُفَسِّرَ ما استُعْجِمَ.

أبثُّهـم وجـدي وهـمْ بـي أعلـمُ وأرجـو شِفَـائـي منهـمُ وهـمُ هـمُ
وكمْ كِدْتُ مِنْ شَوْقٍ أُبَيِّنُ مَنْ هُمُ ويمنَعُنـي مِـن ذاكَ خـوفـي منهـمُ
وكـم عـذَلـونـي فيهـمُ غَيْـرَ مـرةٍ فقلـتُ لهـم، واللهُ بـالصدقِ أعلـمُ:
إذا كـانَ قلبـي مُـوْثَقـاً فـي حِبَـالكـم وجسمي لديكم كيفَ أَفْهَمُ عَنْكُمُ
فـإن شِئْتُـمُ أنْ تَعْـدِلـوا فَتَـوَصَّلُـوا إلـى أن يعـودَ القلـبُ ثـم تكَلَّمـوا

صاحِبْ أهلَ الدِّينِ وصَافِهِم، واستَفِدْ من أخلاقِهم وأوصافِهِمْ، واسكُنْ معهم بالتأدّبِ في دارهم، وإن عاتبوكَ فاصبرْ ودَارِهم، إن لم يكن لكَ مَكنَةُ البَذْرِ، ولَمْ تُطِقْ مراعاةَ الزرع، فقِفْ في رفقة ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٨]، أنتَ في وقتِ الغنائمِ نائمٌ، وقلبُكَ في شهواتِ البهائمِ هائمٌ.

وإن صدقتَ في طِلابهم فانهضْ وبَادِرْ، ولا تستصعب طريقَهم، فالمُعينُ قادر.

تَعَرَّضْ لمن أعطاهم، وسَلْ، فمولاكَ مولاهم، رُبَّ كنزٍ وقعَ به فقير، ورُبَّ فضلٍ فازَ به صغير، عَلِمَ الخضرُ ما خَفِيَ على موسى، وكُشِفَ لسليمانَ ما غُطِّيَ عن داود.

يا هذا! لا تَحْتَقِرْ نفسكَ فالتائبُ حبيبُ اللهِ، والمنكسِرُ مستقيمٌ، إقرارُكَ بالإفلاسِ غنًى، اعترافُكَ بالخطأ إصابة، تنكيسُ رأسِكَ بالندمِ رِفْعَةٌ.

عُرِضتْ سِلْعَةُ العبودية في سوق البيع، فبذلتِ الملائكةُ نَقْدَ ﴿ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ ﴾ [البقرة: ٣٠]، فقيل: ما تُؤَثِّرُ سَكةُ[1] دراهمكم، فإنَّ عُجْبَ الضاربِ بسرعة الضربِ أوجب طمساً في النَّقْشِ، فقال آدم: ما عندي إلا فلوسُ إفلاسٍ نقشُها ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فقيل: هذا الذي ينفق على خزَانة الخاص، أنين المذنبين أحبُّ إلينا من زجل المسبحين.

واستعـذبـوا مـاءَ الجفـونِ فعـذَّبـوا الأســـرارَ حتّـــى دَرَّتِ الآمـــاقُ

يا معاشرَ المذنبين! إنْ كانَ يأجوجُ الطبْعِ، ومأجوجُ الهوى، قد عاثوا في أرضِ قلوبكم، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥]، اجمعوا لي عزائِمَ قوية، تشابِهُ زُبَرَ الحديدِ، وتَفَكَّروا في خطاياكم، لتثور صُعَداءُ الأسَفِ، فلا أحتاجُ أن أقولَ ﴿ ٱنفُخُوا۟ ﴾ [الكهف:٩٦]، شَيِّدوا بنيان العزائم بِهَجْرِ المألوف ليَسْتَحْجِر البناء، فَنَسْتَغْني أن نُفرِغَ عليه قطراً[2]، هكذا بناءُ الأولياء قبلكم، فجاء الأعداء ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ [الكهف: ٩٧].

ليسَ عَـزْمـاً مـا مَـرِضَ المـرءُ فيـه ليـسَ همّـاً مـا عـاقَ عنـه الظـلامُ

الجدَّ الجدَّ، فما تَحْتَمِلُ الطريق الفتور، ضاقتْ أيامُ الموسمِ، فجعجعوا بالإبل[3].

كان (أُسيد الضَّبّي) إذا عوتب في كثرة بكائه يقول: كيف لا أبكي وأنا أموتُ غداً؟! واللهِ لأبكِيَنَّ، فـإنْ أدركتُ بالبكـاءِ خيراً، فَمِنْ مَـنِّ اللهِ عليّ، وإن كانتِ الأُخرى فما بكائي في جَنْبِ ما ألقاه؟!.

كانت عابدةٌ لا تنامُ من الليل إلا يسيراً، فعُوتِبَتْ في ذلك فقالتْ: كَفَى بطولِ الرَّقدةِ في القبورِ رُقاداً.

أيُّهـــا العُـــذَّالُ لا تَعْـــذلُـــوا إنَّمـــا العَـــذْلُ لمَـــنْ يَقْبَـــلُ
وأرى ليلـــــيَ لا ينقضِـــــي طـــالَ ليلـــي والهَـــوى أطـــولُ

---

(١) سكّة: حديدة منقوشة تُضْرَبُ عليها النقود.
(٢) القطر: النحاس الذائب، أو ضرب منه.
(٣) جعجع بالإبل: حركها للنهوض.

تزوّجَ رَباحُ القيسيُّ امرأةً، فَرَأَتْهُ قائماً طولِ الليلِ، فقالت: ليت شعري من غَرَّني بك يا رباح؟.

يـا عقيـقَ الحِمَـى اللهُ مَغْنـاكَ ورَوَّى ثـراكَ مـن مُـزْنِ دَمْعِـي
مَـن لصَـبٍّ يشـوقُـه لامـعُ البَـرْقِ فيـرتـاحُ قلبُـه للجـزْعِ
يـا خَلِيلـيْ مـا أنـتَ لـي بخليـلٍ ورفيـقٍ إن لـم تَقِـفْ بـالـربـعِ

هذه طريقُهم فأينَ السالكُ؟ هذه صفاتهم فأينَ الطالبُ؟.

هـذه المنـازلُ والعقيـقُ فـأيـنَ سلمـى والخيـامُ
لـم يَبْـقَ مـذْ صـاحـوا النـوى لمُتَيَّـمٍ فيهـا مقـامُ

* * *

الفصل السادس والسبعون

أيها المُقَصِّرُ عن طلبِ المَزاد، كيفَ تُدْرِكُ المعالي بغيرِ اجتهاد؟ أينَ أهلُ السَّهَرِ من أهلِ الرُّقاد؟ أينَ الراغبونَ في الهوى من الزُّهَّاد؟ رحلَ المتيقّظون مستظهرينَ بكثرة الزاد، كلُّ جوادٍ لهم يعرِفُ الجَوادّ[1]، فساروا فزاروا والكسلانُ عاد.

(للشريف الرضي)[2]:

يا قلبُ ما أنتَ مِنْ نَجْدٍ وساكِنِه ... خلَّفْتَ نجداً وراءَ المُدْلِجِ الساري

أهفو إلى الركبِ تَعلُو لي ركائبهم ... من الحِمَى في أُسَيْحاقٍ[3] وأطْمارِ

تفوحُ[4] أرواحُ نَجْدٍ مِنْ ثيابِهِمُ ... عندَ القدومِ[5] لقُرْبِ العهدِ بالدارِ

يا راكبانِ قفا لي فاقضيا وَطَرِي ... وحَدِّثاني[6] عن نجدٍ بأخبارِ

هل رُوِّضَتْ قاعةُ الوعْساءِ[7] أم مُطِرَتْ ... خَميلةُ الطَّلْحِ[8] ذاتِ البانِ[9] والغارِ[10]

أم هل أبيتُ ودارٌ عند كاظمةٍ ... داري وسُمّارُ ذاك الحيِّ سُمّاري؟

فلم يزالا إلى أن نَمَّ بي نَفَسي ... وحدّثَ الركبَ عني مدمعي الجاري

لما صَفَتْ خلواتُ الدُّجى، نُودي آذِنُ الوصول: أقم فلاناً وأنِمْ فلاناً. خرجَتْ بالأسماءِ الجرائد، وفازَ الأحبابُ بالفوائد.

---

(١) الجوادّ: جمع جادة، وهي الطريق.

(٢) قصيدة قالها متغزلاً. انظر: ديوان شعره: ١/ ٥١٧.

(٣) أسيحاق: مصغر إسحاق، وهي الثياب البالية.

(٤) في الديوان: «تضوع».

(٥) في الديوان: «عند النزول».

(٦) في الديوان: «وخبراني».

(٧) الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل تنبت البقول الجيدة.

(٨) الطلح: شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل.

(٩) البان: ضرب من الشجر سبط القوام لين، ويشبّه به الحسان في الطول واللين.

(١٠) الغار: شجر طيب الرائحة، ورقه دائمُ الاخضرار، وخشبُه عَطِرٌ.

قال (أحمد بن أبي الحواري): قلت لامرأتي رابعة ـ وقد قامتْ من أولِ الليل ـ: قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه، ما رأينا مَنْ يقومُ من أول الليل، فقالت: سبحان الله! مثلُكَ يقول هذا؟! إنَّما أقومُ إذا نُوديت.

(للمتنبي):

تقولينَ: ما في الناسِ مثلُكَ وامقٌ[1]
جِدي[2] مثلَ مَنْ أَحْبَبْتُه تجِدي مثلي

ذرِيني أَنَلْ ما لا يُنالُ مِنَ العُلى
فَصَعْبُ العُلَى في الصَّعْبِ، والسَّهْلُ في السَّهْلِ

تريدينَ لقيانَ المعالي رَخِيْصَةً
ولا بدَّ دونَ الشَّهْدِ مِنْ إبَرِ النَّحْلِ

لما دارتْ كؤوسُ النومِ على أفواهِ العيونِ، فسكرت بالشرابِ الألبابُ، فطُرِحَت الأجسادُ على فراش ﴿يَتَوَفَّى﴾ [الزمر: ٤٢]، صاحت فصاحةُ الحُبِّ بالمُحِبِّ «كلُّ مُسكرٍ حرام»[3]، فلمَّا نُفِخَ في صورِ الإيقاظِ في إبّان ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [الزمر: ٤٢]، قامَ أمواتُ النوم، وقد رحَلَ سَفْرُ[4] الوصال، فلم يرَوْا إلا آثار القُرْبِ في مَناخِ الأحباب، وأثَافيَّ[5] ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦].

سترَ القومُ قيامَهم بالليل، فسترَ جزاءَهم أن يطَّلعَ عليه الغير ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [السجدة: ١٧]، فلو عاينتهم وقد دارت كؤوسُ المناجاةِ بين مَزاهِرِ التلاوة فأسكرتْ قلبَ الواجد، ورقَمَتْ في صحائفِ الوَجَنات ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) وامق: محب.
(٢) جِدي: فعل أمر من المضارع (يجد) ماضيه (وجد).
(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب والأحكام والمغازي؛ ومسلم في الأشربة: ٣/ ١٥٨٧؛ وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.
(٤) السَّفْر: المسافرون إلا أنها جمع لسافر، كصحب وصاحب، ومسافرون جمع مسافر.
(٥) أثافي: جمع أثفية، حجارة يوضع عليها القِدْر، وهي ثلاث، ثالثها القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان، فتكون القطعة متصلة بالجبل، ويقال: رماه بثالثة الأثافي، بالشر كله، جعل الشر أثفية بعد أثفية، حتى إذا رماه بالثالثة لم يترك منها غاية.

وتَمَشَّتْ في مفاصلهم كتَمَشّي البُرْءِ في السَّقَمِ

اشتُهرَ بقيامِ الليلِ كلِّه، وصلاةِ الفجرِ بوضوء العشاء: سعيدُ بن المسيب، وصفوانُ بن سليمان، ومحمد بن المُنكَدر المدنيون، وفُضَيْلُ ووهب المكّيان، وطاوُس ووهب اليمانيان، والربيع بن خُثيم والحكم الكوفيان، وأبو سليمانَ الداراني وأبو جابر الفارسيان، وسليمان التميمي ومالك بن دينار ويزيد الرقاشي وحبيب العجمي ويحيى البكّاء وكهمس ورابعة البصريون.

قالت أمُّ عمرو بن المنكدر: يا بُني أشتهي أراك نائماً.

فقال: يا أُمّاه إنَّ الليلَ ليرِدُ عليَّ فيَهُولني، فينقَضي عنّي وما قضيتُ منه مآربي.

وصحبَ رجلٌ رجلاً شهرين، فما رآهُ نائماً، فقال له: ما لَكَ لا تنام؟.

فقال: إنَّ عجائبَ القرآنِ أطْرَنَ نومي، ما أخرُجُ من أعجوبةٍ إلا وقعتُ في أخرى.

لا تَلْحُهُ إنْ كنتَ من سُجَرائه[1] عَذْلُ المحبّ يزيدُ في إغرائِهِ
ودعِ الهَوَى يقضي عليهِ بِحُكْمِهِ ما شاءَ فهو مسَلِّمٌ لقضائِهِ
فشَقَاؤُه فيما يراهُ نعيمُه ونعيمُه في ذاك عينُ شقائِهِ
كُحِلَتْ مآقيه بطولِ سُهادِهِ وحَنَتْ أضالعُه على بُرَحائِه
دَنِفٌ ببابلَ جِسْمُهُ، وفؤادُه بالخَيْفِ وا عجباً لطولِ بقائِهِ

قال سفيانُ: إنَّ للهِ ريحاً تُسمَّى الصُّبْحيَّة، مخزونةً تحتَ العرشِ، تهبُّ عند الأسحارِ، فتحملُ الأنين والاستغفار.

(لمهيار)[2]:

يا نسيمَ الرِّيحِ مِنْ كاظِمةٍ شَدَّ ما هِجْتِ الأَسَى والبُرَحا

---

(١) سجرائه: أصحابه وأصفياؤه.
(٢) كتبها إلى أبي المعمر بن الموفق علي بن إسماعيل في النيروز سنة (٤١٤هـ). انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٠٢ـ٢٠٥.

الصَّبـا إنْ كـانَ لا بـدَّ الصَّبا ... إنَّهـا كـانـتْ لِقَلْبـي أزوحـا
اذكـرونـا ذكْـرَنـا عهـدَكُـمُ ... ربَّ ذِكْـرَى قَـرَّبَـتْ مَـنْ نَـزَحـا
وارحمـوا صَبّـاً إذا غنَّـى بِكُـمْ ... شَـرِبَ الـدَّمْـعَ وعـافَ القَـدَحـا

يا طويلَ النوم، فاتتكَ مِدْحةُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، وحُرِمْتَ منحةَ ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧]، ولست من أهل عِتابِ «فإذا جَنَّهُ[1] الليلُ نامَ عَنِّي»، ليس في ليلِ الهجرِ منامٌ، ومتى رأيتَ محبّاً ينامُ؟!.

(للمتنبي)[2]:

فـإنَّ نهـاري ليلـةٌ مُـدْلَهِمَّـةٌ ... على مُقلـةٍ مِنْ فَقْدِكُم في غَيَاهبِ
بعيـدةِ مـا بَيْـنَ الجفـونِ كـأنَّمـا ... عَقدْتُـمْ أعالي كـلِّ هُـدْبٍ بِحَاجِبِ

ثَوَّرت في الليلِ الحُداةُ، وعُكِمَتْ[3] أحمالُ الأعمالِ، وسارتْ رفقةُ المتهجّدين، وترنَّمَ كلُّ ذي صوتٍ بشجوٍ، وأنتَ في الرقدةِ الأولى بعدُ.

لم يخلُ مَرْجَـانُ دمعٍ مِنْ عَقيـقِ دمٍ ... شـوقٌ بـلا عَبْـرَةٍ سـاقٌ بـلا قَـدَمِ

يا هذا! كيفَ تُطِيْقُ السَّهَرَ مع الشِّبعِ؟! كيف تزاحِمُ أهلَ العزائمِ بمناكِبِ الكَسَلِ؟!:

دعِ الهَـوى لأُنـاسٍ يُعـرَفُـونَ بـهِ ... قد مارسوا الحُبَّ حتى لانَ أصعبُه
بَلَـوْتَ نَفْسَـكَ فيمـا لسـتَ تَخْبُـرُه ... والشيءُ صعبٌ على مَنْ لا يُجرِّبُه
فاقْنَ اصطباراً وإن لم تستطع جَلَداً ... فَـرُبَّ مـدرِكِ أمـرٍ عـزَّ مطلَبُـه
أَحْنُو الضلوعَ على قلبٍ يُحيِّرُني ... فـي كـلِّ يـومٍ ويُعْيِينـي تقلُّبُـه
تَنـاوُحُ الـريـحِ مِـنْ نَجْـدٍ يُهَيِّجُـهُ ... ولامِـعُ البـرقِ مِـنْ نَعْمـانَ يُطْـرِبُـه

* * *

---

(١) جنه: ستره.
(٢) من قصيدة طويلة له. انظر: ديوان شعره، ص٢٠٩.
(٣) عكمت: ربطت.

الفصل السابع والسبعون

إذا هبَّتْ رياحُ المواعِظِ، أثارتْ من قلوبِ المتَيقظين غيمَ الغَمِّ على ما سلفَ، وساقتهُ إلى بدلِ الطبعِ المُنحَرِفِ برعدِ الوعيدِ وبرقِ الخشيةِ، فتترقى دموعُ الأحزانِ مِنْ قَعْرِ بحرِ القَلْبِ إلى أَوْجِ الرأسِ، فتسيلُ في ميازيبِ الشؤونِ على سطوحِ الوجناتِ، فإذا أَعْشَبَ السِّرُّ اهتزَّ فرحاً بالإنابة.

مَحَتْ بعدَكم تلك العيونُ دموعَها	فهل مِنْ عيونٍ بعدَها نستعيرُها
رَحَلْنا وفي سِرِّ الفؤادِ ضَمَائرٌ	إذا هَبَّ نجديُّ الصَّبا يستثيرُها
أتنسى رياضَ الغَوْرِ بعد فراقها	وقد أخَذَ الميثاقَ منك غديرُها
يُجعِّدُه مَرُّ الشَّمالِ وتارة	يغازِلُه كرُّ الصَّبا ومرورُها
ألا هَلْ إلى شَمِّ الخُزامى وعَزْعَرٍ	وشيح بوادي الأَثْلِ أرضٌ نسيرُها
ألا أيها الركبُ العراقيُّ بلِّغوا	رسالَةَ محزونٍ حواهُ سطورُها
إذا كَتَبَتْ أنفاسُه بعضَ وَجْدِها	على صفحةِ الذِّكرى محاهُ زفيرُها
ترفَّقْ رفيقي هل بدَتْ نارُ أرضِهم	أم الوجدُ يُذْكِي نارَه ويُثيرُها؟
أعِدْ ذكرَهم فهو الشفاءُ وربَّما	شفَى النفسَ أمرٌ ثم عادَ يَضيرُها
ألا أينَ أزمانُ الوِصالِ التي خَلَتْ	خلا ما خَلا منها وجاءَ مَريرُها
سقى اللهُ أياماً مَضَتْ ولياليا	تَضوَّعَ ريَّاها وفاحَ عبيرُها

مَنْ تفكَّرَ في تفريطِهِ أنَّ، ومَن تذكَّرَ أيامَ وصلِه حَنَّ، ومَنْ سمعَ صوتَ الحَمامِ ظنّه لِحُسْنِ الصوتِ[1] . . .

. . . كلا بل لَذَكَرَ ما مرَّ من العيشِ[2].

إذا نظر الأسيرُ إلى نفسِه في ضيق القِدِّ[3]، ولم يَقْدِرْ على فَكِّ القيد، قطع

---

(١) يوجد نقص في الجملة كما لا يخفى.

(٢) يوجد نقص في صدر الجملة.

(٣) القِدّ: سيرٌ من جلد غير مدبوغ يربط به الأسير.

حُزْنُه حيازيمَ القلب، فَنَفسُه بالأَسَفِ في آخر نَفَسٍ.

تهيـمُ ريـحُ الصَّبـا نَسَمَـتْ لهـا   وتبكي إذا الوَرْقاءُ في الغُصْنِ غنَّتِ
إذا جـذَبَ الصبـحُ اللثـامَ تـأوَّهَـتْ   وإنْ نشـرَ الليـلُ الجنـاحَ أرَنَّـتِ

كان داودُ يؤتى بالإناء ناقصاً، فلا يشربُه حتى يُتمَّه بالدموع.

يا ساقيَ القومِ إنْ دارَتْ عليَّ فلا   تَمْزُجْ فإنِّي بدَمْعي مازجٌ كأسي

كان في خَدِّ (عمرَ بن الخطاب) خطَّان أسودانِ من البكاءِ، وكان في وجه (ابن عباس) كالشِّراكَيْنِ الباليين من الدمع.

(لمهيار):

ألا مَنْ لِعَيْنٍ من بُكاها على الحِمَى   تجفُّ ضروعُ المُزْنِ وهي حَلُوبُ
بكَتْ وغَديرُ الحَيِّ طامٍ وأصبحتْ   عليهِ العِطَاشُ الحائماتُ تلوبُ
ومـا كنـتُ أدري أنَّ عَيْنـاً رَكِيَّـةٌ   ولا أنَّ مـاءَ المـآقِيَيْـنِ شَـرُوبُ

كان (الحسن) يبكي حتى يُرْحم.

وكان (الفضيلُ بن عياض) يبكي في النوم حتى ينبّه أهلَ الدار ببكائه.

وكان (عطاءُ السُّلمي) يبكي في غرفة له حتى تجري دموعُه في الميزاب، فقطرَتْ يوماً إلى الطريقِ على بعض المارّين، فصاحَ يا أهلَ الدار: أماؤكم طاهِرٌ؟ فصاحَ عطاء: اغسلْهُ، فإنَّه دمْعُ عينِ مَنْ عَصَى الله.

ومَـنْ لُبُّـهُ مـعْ غيـرِهِ كيـفَ حـالُـه   ومَـنْ سِرُّهُ فـي جَفْنِـه كيـفَ يكْتُـمُ؟

وقالوا لعطاء السُّلمي: ما تشْتَهي؟.

فقال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدرَ أن أبكي.

وإنَّ شفـائـي عبـرةٌ مُهْـراقـةٌ   فهـل عنـدَ رسـمٍ دارسٍ مِـنْ مُعـوَّلِ

كان أشعثُ الحرّاني وحبيبُ العَجمي يتزاوران فيبكيانِ طولَ النهارِ.

وكان حزام وسهيل وعبدُ الواحد كلُّ واحدٍ في بيتٍ يتجاوبون بالبكاء.

(للخفاجي):

رَكْبُ هوًى تجاذبُوا حديثَه فأتْرَعوا[1] من الغرام أكؤسا
وأسبَلوا من الجُفونِ أدْمُعاً ظَنَنْتُها ماءً وكانَتْ أنفُسا
لقد سمِعْتُ في الرِّحالِ أنَّةً أظنُّها نَشْطَةَ[2] وَجْدٍ حُبِسا

البكاءُ موكل بعيون الخائفين، كلّما همَّتْ بفَتْح طَرْفٍ لتنظرَ إلى طَرَفٍ من طُرَفِ الدنيا طَرَفَتْهُ دمعة[3].

قال عليه الصلاة والسلام: **«عينان لا تمسُّهما النارُ أبداً، عينٌ بكتْ مِنْ خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتَتْ تحرسُ في سبيلِ اللهِ»**[4].

قال الحسن: لو بكى عبدٌ من خشية الله لرُحِمَ مَنْ حولَه ولو كانوا عشرين ألفاً.

وقيل لثابت البُناني: عالِجْ عينيكَ ولا تبكِ. فقال: أيُّ خيرٍ في عينٍ لا تبكي.

(لصُرَّدُر):

إذا لم أفُزْ منكم بوعْدٍ ونَظْرَةٍ إليكم فما نَفْعني بسمعي وناظري
متى غَنَّتِ الوَرْقاءُ كانتْ مُدامتي دموعي وزفَراتي حَنينَ مَزاهري

البُكاءُ لأجل الذنوب مقامُ المُريد، والبكاءُ على المحبوب مقام العارف.

رُوحي إليكَ بِكُلِّها قدْ أجمَعَتْ لو كانَ فيكَ هلاكُها ما أقْلَعَتْ
تبكي عليك بكلِّها عن كلِّها حتى يقالَ: من البُكاءِ تَقَطَّعَتْ
فانظرْ إليها نظرةً بتعطُّفٍ قد طالما متَّعْتَها فتمتَّعتْ

---

(١) أترعوا: ملؤوا.
(٢) نَشْطة: انطلاقة.
(٣) الطَّرْف: العين. طَرَف: جانب، وطائفة من الشيء. طُرَف: جمع طُرْفة: كل مستحدَثٍ عجيب. طرَفته: أصابته فأطبقت أحدَ جَفْنَيه على الآخر.
(٤) رواه أبو يعلى في (مسنده)، والضياء عن أنس رضي الله عنه، وصححه السيوطي. انظر: الجامع الصغير، برقم (٥٦٤٧)؛ ورواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما دون قوله: «أبداً» وقال: حديث حسن.

إخواني! حرُّ الخوفِ صيفُ الذَّوَبان، وبرودةُ الرَّجاء شتاءُ الغفلة، ومَنْ لُطِفَ به كان زمانُه كلُّه فصلاً.

عيـنٌ تُسَـرُّ إذا رأتْـكَ وأُخْتُهـا ... تبكِـي لطـولِ تبـاعُـدٍ وفِـراقِ
فـاحفـظْ لـواحـدةٍ دوامَ سُـرورِهـا ... وَعِـدِ التـي أبكيتهـا بتـلاقِ

سبحانَ من روَّحَ أرواحَ الخائفين بريحِ الرجاءِ الضعيفِ، إذا لم يُتلافَ تَلِف لا بدَّ للمكروبِ من نسيمٍ بارد.

بـالله يـا رِيـحَ الشّمـالِ ... إذا عَـزَمْـتِ علـى الهُبُـوبِ
فتحمّلـي شكـوى المُحِـبِّ ... المستهـامِ إلـى الحبيـبِ
قَـرُبَ الضَّنَـى[1] مِـنْ مُهْجَتـي ... لمـا بعُـدْتُ عـن الطبيـبِ

وقف (عتبةُ الغلامُ) ليلةً على ساحلِ البحرِ إلى الصباحِ يقول: إنْ تُعَذِّبني فإنّي لك محبٌّ، وإن ترحَمْني فإنّي لك محب.

يا قومَنا! المحبُّ مع بَذْلِ روحِه يرتاحُ إلى المنى والتعليل[2]، لأنَّه لا يرى ما بذلَ يصلحُ ثمناً لما طلَب:

بِقَلْبـي منهُـمُ عُلَـقٌ[3] ... ودمعـي فيهـمُ عَلَـقُ[4]
وبـي مِـنْ حُبِّهِـمْ حُـرَقٌ ... لهـا الأحشـاءُ تحتَـرِقُ
ومـا تـركـوا سـوى رَمَقـي[5] ... فليتَهُـمُ لـهُ رَمَقـوا[6]

كان (عبد الواحد) يقول لعتبة: ارفُقْ بنفسِك، فيبكي ويقول: إنَّما أبكي على تقصيري.

---

(١) الضنى: المرض والتعب والهزال الشديد.
(٢) في (ب): عسى ولعل.
(٣) عُلَق: محبة ملازمة.
(٤) عَلَق: دم.
(٥) رمقي: الرمق: بقية الحياة.
(٦) رمقوا: نظروا.

قالوا: تصبَّرْ فما هذا الجنونُ بِهِمْ فقلتُ: يا قومِ ليسَ القلبُ من قِبَلي

واعجباً! أوَيقدِرُ المحبُّ على التصرُّفِ في قلبه؟ كلاّ، دينُ المحبِّ الجَبْرُ[1].

(لأبي الشيص الخزاعي):

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ
أجدُ الملامَةَ في هواكِ لذيذةً حُبّاً لِذِكْرِكِ فليلُمْني اللُّوَّمُ

دخلوا على رابعةَ فقالَتْ: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ بالشوقِ إلى لقاءِ الله تعالى.

ودخلوا عليها مرّةً أخرى فقالوا: أتشتاقين إليه؟.

فقالت: هو حاضرٌ معي.

قالوا: يا رابعةُ! هذا ضدُّ الأول.

أجابَتْ بلسان الحالِ: هكذا تحيُّرُ المُحبِّ.

ومِنْ عجبٍ أنّي أحنُّ إليهمُ وأسألُ شوقاً عنهُمُ وهمُ معي
وتطلُبهمْ عيني وهم في سوادِها ويشتاقُهم قَلْبي وهمْ بَيْنَ أضلُعي

إذا بدَتْ رابعةُ في يوم القيامة مُخَمَّرة، وقعتْ لهيبةِ خمارِها طيالسةُ[2] العلماء.

كان سفيانُ يتأدّبُ لرابعةَ، وكان هو صاحبَ مَخزنِ العلمِ، فتردَّدَ إلى القَهرَمانة[3]، لأنَّ لها دخولاً أكثر منه.

رحلَ المُلاَّكُ وبقي المُدَّعون، أترى أيَّ طريقٍ سلكوا؟ نحن مُلِكْنا والقوم مَلَكوا.

(للشريف الرضي، ولمهيار)[4]:

---

(١) الجبر: أن المحبّ لا اختيار له مع محبوبه.

(٢) طيالسة: جمع طيلسان، وهو كساء من خَزّ غليظ، (فارسي معرب).

(٣) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه، (فارسية معربة).

(٤) من قصيدة قالها الشريف الرضي خلال ذهابه إلى المدينة عام (٣٩٤هـ). انظر: ديوان=

يـــا صـــاحِبَـــيْ رَحْلـــي قِفَـــا فسَـــائِـــلا لـــي الـــدِّمنـــا
وأمطـــــرا دمعَكمـــــا[١] ذاك الكثيـــبَ الأيمَنـــا
مـــا الـــدارُ عنـــدي سكـــنٌ إذا عَـــدِمْـــتُ السَّكَنـــا
كـــانَ فـــؤادي وهُـــمُ فظَعَنـــوا فَظَعَنـــا
مُنًـــى لعينـــي أن تـــرى تلـــك الثَّـــلاثَ مـــن «منـــى»
ويـــومَ «سَلْـــعٍ» لـــم يكـــن يـــومـــي «بسَلْـــعٍ» هيِّنـــا
ويـــومَ «ذي البـــانِ» تبـــا يعنـــا فحُـــزْتُ الغَبَنـــا[٢]
كـــان الغـــرامُ المشتـــري وكـــان قلبـــي الثمنـــا
وبـــارقٌ أُشِيمُـــهُ[٣] كـــالطَّـــرْفِ أغضـــى وَرَنـــا[٤]
ذكَّـــرَنـــي الأحبـــابَ والـــذ كـــرى تُهيـــجُ الحَـــزَنـــا
مِـــنْ بطـــنِ مـــروٍ والشُّـــرى تـــؤمُّ عُسْفـــانَ بنـــا
وبـــالعـــراقِ وطَـــري يـــا بُعْـــدَ مـــا لاحَ لنـــا

* * *

= شعره: ٢/ ٤٨٠، وفي قصيدة قالها مهيار يهنئ كمال الملك أبا المعالي. انظر: الديوان: ٤/ ١٤٢.

(١) في الديوان لمهيار: «من سائل لي بالحمى».

(٢) الغَبْن: يقال: غبنه في البيع: خَدَعَهُ وأوقعَ به ضرّاً، ويكون في البيع والشراء. والغَبَن: يكون في الرأي.

(٣) أشيمه: أنظر إلى البرق أين يقصد؟ وأين يمطر؟.

(٤) رنا: أطال النظر.

الفصل الثامن والسبعون

المُحِبُّ يتعلَّقُ بكلِّ شيء، ويهيمُ في كلِّ وادٍ، على القلَقِ يَمشي، وعلى الحُرَقِ يُمسي:

بقيتُ على الأطلالِ مِنْ بعدكُمْ مُلْقَى ... أهيـمُ بكـمُ وأطلبُكُـمْ شـرقـا
وأسـألُ أنفـاسَ الـريـاحِ إذا جَـرَتْ ... يمـانيـةً عنكـم وأسْتَنْبِـئُ البَـرْقـا

كان رسولُ اللهِ ﷺ يَخرجُ إلى حِراء، ويبدو إلى التلاع[1]، مقاساةُ الخلق ظلمة، والحبيبُ لا يَتجلّى إلا في خلوة.

وأخـرجُ مِـنْ بيـنِ البيـوتِ لَعلّنـي ... أحدّثُ عنكِ النفسَ في الليلِ خاليا

المحبُّ مقتولٌ بلا سيفٍ، مُلقًى في مِنَى المُنى لا عندَ الخَيْفِ[2]، إذا سمع صوتَ منشدٍ قد غَرَّد، خلعَ لجامَ الصبرِ وتَشَرَّد.

ولمّـــا غـــرَّدَ الحـــادي ... وســارَ القــومُ فــي الــوادي
وراحَ القلـــبُ يَتْبَعُهـــم ... بِـــلاَ مـــاءٍ ولا زادِ
رأيـــتُ قتيـــلَ بَيْنِهـــمُ[3] ... صـــريعـــاً مـــا لَـــه فـــادِ[4]

---

(١) التلاع: ما ارتفع من الأرض وما انهبط، وهو من الأضداد كما في (مختار الصحاح). وحديثُ: كان رسولُ الله ﷺ في أول أمره يتبتل في غارِ حراء وينعزلُ إليه. رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: «فكان يخلو بغار حراء يتحنّثُ فيه. . .». وفي (الجامع الصغير) برقم (٦٩٥٨): «كان يبدو إلى التلاع» رواه أبو داود وابن حبان في (صحيحه) عن عائشة، ورمز له السيوطي بالحسن.

(٢) الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وغرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وبها سمي مسجد الخَيْف، وهو في ناحية من منى.

(٣) بينهم: من البَيْنِ، وهو البعد.

(٤) فاد: أي من يدفع ديته، وهو اسم فاعل من فدى يفدي، أي: دفع الدية.

أولُ علاماتِ المحبّةِ دموعُ العينِ، وأوسطُها قلقُ القلبِ، ونهايتها احتراقه.

(لقيس بن ذريح):

هـل الحُـبُّ إلا زفـرةٌ بعـد زَفْـرَةٍ ... وَحَـرٌّ عـلى الأحشـاءِ ليسَ لـهُ بَـرْدُ
وفيـضُ دمـوعٍ تَسْتَهِـلُّ إذا بـدا ... لنا عَلَمٌ من أرضكمْ لمْ يكنْ يبدو

قال ذو النون: لقِيتُ امرأةً متعبّدةً فوعظتني فبكيتُ.

فقالت: لمَ تبكي؟.

قلت لها: والعارفُ لا يبكي؟.

قالت: إذا بكى استراحَ، ولا راحةَ للمؤمن دونَ لقاءِ ربِّهِ.

لا وحُبِّيـكَ لا أصـافـحُ ... بـالـدَّمْـعِ مَـدْمعـا
مَـنْ بكـى شَجْـوَهُ استـرا ... حَ وإنْ كـان مُـوجَعـا
كَبِـدِي فـي هَـواكَ أهـ ... ـونُ مـن أنْ تَقَطَّعـا
لـم تـدع سَـوْرةُ[1] الضَّنـى[2] ... فِـيَّ للسُّقْـمِ مـوضِعـا

المحبةُ نَـزَّالةٌ، وقُوتُها المُهَجُ.

كانت أضلاع (عمرَ بن عبد العزيز) تُعَدُّ، وكان جَسَدُ سَرِيٍّ كالشَّنِّ[3].

وقف أبو يزيد في المحراب فكبّر فتقَعْقَعتْ عظامُه.

وإنّـي لَتعـرُونـي لـذكـراكِ لـوعـةٌ ... لهـا بيـن جلـدي والعظـامِ دبيـبُ
فمـا هـو إلا أنْ أراهـا فجـأةً ... فـأُبْهَـتُ حتـى لا أكـادُ أُجيـبُ

إذا رأيتَ محباً ولم تدرِ لمن؟ فضع يدكَ على نَبْضِه، وسَمِّ كلَّ من تظنُّهُ المحبوب، فإنَّ النبضَ لا ينزعِجُ إلا عندَ ذكره ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) سَوْرة: شدة.
(٢) الضنى: المرض والتعب.
(٣) الشن: القِربة الخَلقة.

(لمهيار)[1]:

ألا فتَــى يســأَلُ قلبــي مــا لَــهُ ... يَنْــزو إذا بَــرقُ الحِمَــى بَــدَا لَــهُ
فهــبَّ يــرجــو خبــراً مــن الحِمــى ... يُنْشِــدُهُ عنــه فمــا رَوَى لَــهُ
أرادَ نجــداً معــه بيــابــلٍ ... إرادةً هــاجَــتْ لــه بَلْبــالَــهُ
وانتســم الــريــحَ الصَّبــا ومَــنْ لــهُ ... بِنَفْحَــةٍ مــن الصَّبــا طُــوبــى لــهُ

المحبُّ في قلقٍ لا سكونَ له، والعجبُ أنه يَتكَلَّفُ الثباتَ.

الــوجــدُ يُحْــرِقُــه، والليــلُ يُقْلِقُــه ... والصبــرُ يُسْكِتُــه، والحــبُّ يُنْطِقُــه
ويستــرُ الحــالَ عَمَّــنْ ليــسَ يعــذُرُه ... وكيــفَ يستــرُهُ والــدَّمْــعُ يَسْبِقُــه

المحبُّ يُبالِغُ في كِتمان وجْدِهِ، غيرَ أنَّ الدَّمْعَ نمَّامٌ.

آفَــةُ الســرِّ مِــنْ جُفــو ... نٍ دوامٍ[2] دَوَامِــع
كيــفَ يَخْفَــى مِــنَ الــدمــو ... عِ الهَــوامــي[3] الهــوامــعِ[4]

كان أكثرُ القومِ إذا جاءَه البكاءُ دافعَه اتقاءً للاحي[5] له، فيغلبُه ولا حيلة.

(للمتنبي)[6]:

حــاشــى الــرقيــبَ فخــانتْــه ضمــائــرُه ... وغَيَّــضَ الــدمــعَ فــانهلَّــتْ بــوادرُهُ
وكــاتــمُ الحــبِّ يــومَ البَيْــنِ مُفْتَضَــحٌ ... وصاحِبُ الوَجْدِ لا تَخْفَى سرائِرُهُ

إذا أقلقه الحب ضجَّ، وإذا أَرَّقَهُ الشوقُ عَجَّ، وكلَّما حبس دمعَةً ثَجَّ[7]، وإذا

---

(١) مطلع من قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٢٧.
(٢) دوام: جمع دامية.
(٣) الهوامي: جمع هامية، من همى يهمي، وهمت العين: صبَّت دمعها.
(٤) الهوامع: جمع هامعة، من همع يهمع، وهمعت العين: أسالت الدمع.
(٥) اللاحي: المنازع المخاصم.
(٦) مما قاله في صباه. انظر: الديوان، ص٣٦.
(٧) ثجّ: سال.

استوحشَ من الخَلْقِ هَجَّ[1]، فالهموم تنوبُه من كلِّ فجٍّ.

حُشِيَتْ قلوبُ المحبين بالغُموم، حشوَ الورْدِ في قوارير الزَّوْر[2]، وكلما التهبتْ نارُ الحَذَرِ جَرَتْ عيونُ الدَّمْعِ في جداولِ العيونِ، فَرَشَّتْ على الخدودِ ماءً، [ما] مَاءُ الوردِ عِنْدَه بِطيب.

(لابن المعتز):

أسَرَ القلبَ فأمسى لـديْـهِ	فَهْـوَ يَشْكُـوه ويشكـو إليـه
عـذَّبَ الأحبـابَ بـالهجـرِ حينـاً	فهـمُ يبكـونَ بيـنَ يـديـهِ

وا عجباً لضَعْفِ بدنِ العارفِ كم يَحْمِل! وا أسفاً لقلبِ المحبِّ كم يَصْبِرُ!.

نعم تُحملُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ[3]	ويمشـي الهـوى والنـاقـلاتُ قُعُـودُ

ما أقوى جَلَدَ جِلْدِ القلبِ على نارِ الحُبِّ، كأنّه قد أُلبسَ السَّمَنْدل[4]، على أنَّه لا بدَّ من لَذْعٍ يَبينُ أثرُه، في صُعُودِ الصُّعَداءِ، دلالةٌ تدلُّ على الحريقِ، اشتطَّ اللهيبُ فشاطتِ القلوب، لولا أنَّ القومَ على شواطئِ بحرِ الدموع نزول.

(للشريف الرضي)[5]:

خُذي حديثَكِ في نَفْسٍ من النَّفَسِ	وَجْدُ المَشوقِ المعَنَّى غيرُ مُلْتبِس
الماءُ في ناظري والنارُ في كَبدي	إنْ شئتِ فاغترفي أو شئتِ فاقتبسي

أشدُّ ما على المُحبِّ من مقاساة الحُبِّ سماعُ اللَّوْم، وا عجباً من خليٍّ يعذِلُ ذا شجًى، ويحك! خلِّ شأنَه وشانه.

---

(١) هجّ: لعله يريدُ: شرد منهم وفرّ عنهم ونأى، وإن لم نجد معنى لكلمة هجَّ في المعاجم.

(٢) الزور: وسط الصدر، أو ما ارتفع منه إلى الكتفين.

(٣) ظَلَّع: من ظلع أي: عرج وغمز في مشيه.

(٤) السمندل: طائر في الهند لا يحترق في النار فيما زعموا، أو نسيجٌ منه ريش بعض الطيور لا يحترق.

(٥) مطلع من قصيدة قالها في شكوى الزمان. انظر: ديوان شعره: ١/ ٥٥٧.

فيا حُبَّهُم زدني جوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلْوةَ الأيامِ موعدُكِ الحَشْرُ

لما أسلم سعدُ بنُ أبي وقاصٍ قالت له أمُّه: واللهِ لا آكلُ ولا أشربُ، ولا يُظلُّني سقفُ بيتٍ حتى تكفرَ بمحمدٍ.

فقال: اسمعي يا أماه! لو كان لكِ مئةُ نَفْسٍ فخرجتْ واحدةً بعد واحدةٍ، لم أكفر بمحمدٍ.. ويحها! ما خَبِرَتْ خبرَ المحبة! متى وقع السُّلوُّ في حبٍّ صادق!

(للمتنبي):

عذلُ العواذِلِ حَوْلَ قلبي التائِه ... وهوى الأحبة منه في سَوْدائه

القلبُ أعلمُ يا عذولُ بدائِه ... وأحقُّ منكَ بجَفْنِهِ وبمائه

فوَ مَنْ[1] أُحبُّ لأعصينَّك في الهوى ... قسماً بهِ وبحُسْنِهِ وبهائِه

أأحبُّه وأحبُّ فيه ملامةً ... إنَّ الملامةَ فيه من أعدائِه

لا تعذلِ المشتاقَ في أشواقِه ... حتى تكونَ حشاكَ في أحشائِه

واعجباً لعاذل في حُبٍّ ما ذاقه، وآمرٍ بهجرِ حبيبٍ ما شاقه.

وماذا على مُفْرِدٍ بالعراقِ ... تذَكَّرَ بالرملِ عهداً فَحَنَّا

وإنّي لكلِّ شجٍ[2] عاذرٌ ... إذا ناحَ من طَرَبٍ أو تَغَنَّى

كانت أمُّ الربيع بن خُثَيْم إذا رأت قلقَه بالليل قالت: يا بُني! لعلَّكَ قتلتَ قتيلاً! فيقولُ: يا أمّاه! قتلتُ نفسِي.

قيل لعابد كان ينتحب: إنَّكَ تُفْسِدُ على المصلين صلاتهم بارتفاعِ صوتِكَ!.

فقال: إنَّ حزنَ القيامةِ أورثني دموعاً غِزاراً، فأنا أستريحُ إلى ذَرْفِها أحياناً.

مهلاً عذولُ صَليتَ[3] نارَ جَوانحي ... وغَرِقْتَ في تيَّارِ دَمْعِي المسبلِ

هذي حشايَ لديكَ فانظرْ هل ترى ... قلباً فإنْ صادفْتَ قلباً فاعذِلِ

---

(١) فوَ من: الواو واو القسم، والمقسَم به هو المحبوب «مَنْ أحبّ».

(٢) شجٍ: من الشجو؛ أي: الحزن، شجي يشجي فهو شجٍ.

(٣) صليت: هذا أسلوب دعاء، دعا على العذول بأن يذوق ما ذاق، ليعذره فيما هو فيه.

غايةُ العاذلين إيصالُ اللوم إلى الأسماع، فأما القلوب فلا سبيلَ إليها.

سِيَّانَ إنْ لاموا وإنْ عَذَرُوا — ما لي عن الأحبابِ مُضطَبَرُ
لا غَرْوَ أنْ أُغرى بحبهمُ — إذ ليسَ لي في غيرِهمْ وَطَرُ
لابدَّ لي منهم وإنْ تركوا — قلبي بنارِ الهَجْرِ يَسْتَعِرُ
وعليَّ أن أرضى بما صنعوا — وأُطيعُهم في كلِّ ما أمَروا

لو رأيتَ المُحِبَّ يهرُبُ من العذْلِ إلى فلواتِ الخلواتِ، فإذا ناوله الوجدُ كأسَ الدموعِ اقترحَ عليه غناء الحمائم.

ذَكَرَ الأحبابَ والوطَنا — والصَّبا والإلفَ والسَّكَنا
فبكى شجواً وحُقَّ لهُ — مُدْنفٌ بالشوقِ حِلْفُ ضنى
أبعَدْتَ مَرْمَى بهِ رَجَمَتْ — مِنْ خُراسانَ بهِ اليَمَنا
مَنْ لِمُشتاقٍ تُمَيِّلُه — ذاتُ سَجْعٍ مَيَّلَتْ فننَا
لم تُعَرِّضْ في الحنينِ بمَنْ — مُسعِدٌ إلا وقلتُ أنا
لكِ يا ورقاءُ أسوةُ مَنْ — لم تذيقي طرفَهُ الوسَنا
بكِ أُنسي مثلُ أُنسكِ بي — فَتَعالَيْ نُبْدِ ما كَمَنا
نَتَشاكى ما نُجِنُّ إذا — بُحْتِ شكوى صِحْتُ وا حزنا
أنا لا أنتِ البعيدُ هوًى — أنا لا أنتِ الغريبُ هنا
أنا فَرْدٌ يا حمامُ وها — أنتِ والإلفُ القرينُ ثُنَا
اسرحا رأْدَ[1] النهارِ معاً — واسكُنا جُنْحَ الدُّجى غُصُنا
وابكيا يا جارتي لما — لعِبَتْ أيدي الفراقِ بنا
أينَ قلبي ما صَنَعْتِ بهِ — ما أرى صَدْري لهُ سكنا
كان يومَ النَّفْرِ وهو معي — فأبى أن يَصْحَبَ البَدنا
أَبِهِ حادي الرفاقِ حَدا — أم لهُ داعي الفراقِ عَنَى؟

* * *

(١) رأد: انبساط الشمس وارتفاع نهاره.

الفصل التاسع والسبعون

يا هذا: قد سمعتَ أخبارَ المُتَّقين، فَسِرْ في سِرْبِهِم، وقد عَرَفْتَ جِدَّهُم، فتناول مِنْ شِرْبِهِم[1]، ثم سَلْ مَنْ أعانَهم يُعِنْكَ فيما كان بهم.

(لابن هند):

لا يـؤيسَنَّـكَ مِـنْ مجـدٍ تَبَـاعُـدُه ... فـالمَجْـدُ يُـدرَكُ تـدريجـاً وتـرتيبـا

إنَّ القنَـاةَ التـي شـاهَـدْتَ رِفْعَتَهـا ... تَنمـى وتُنْبِـتُ أُنبـوبـاً فـأنبـوبـا

استغنى القومُ بطبيبهم عن مدح خطيبهم، فاسلُك طريقَهم تَكُنْ رفيقهم.

(لابن الرومي):

وسـائـلٌ عَنْهُـمُ: مـاذا يُقَـدِّمُهـم ... فقلتُ: فضلٌ به عن غيرِهم بَانُوا

صانوا النفوسَ عن الفحشاءِ وابْتَذَلوا ... منهـنَّ فـي سبلِ العليـاءِ مـا صـانـوا

المُنْعِمـونَ ومـا مَنُّـوا علـى أحـدٍ ... يوماً بنُعمى ولو مَنُّوا لما مَانوا[2]

قـوم يَعِـزُّون إنْ كـانَـتْ مغـالبـةً ... حتـى إذا قـدَرَتْ أيـديهـمُ هَـانـوا

أطارَ خوفُ النارِ نومَهم، وأطالَ ذِكْرُ العطشِ الأكبرِ صومَهم، يحسبُهم الناظرُ مرضى الأبدان، وإنَّما بهم سِقَامُ الأحزان.

مكتئـــبٌ ذو كبـــدٍ حـــرَّى ... تَبْكـــي عليـــه مقلـــةٌ عَبْـــرى

يـــرفـــعُ يُمْنـــاه إلـــى ربّـــه ... يَشْكـــو وفـــوْقَ الكَبِـــدِ اليُســـرى

يبقـــى إذا حـــدَّثْتَـــهُ بـــاهتـــاً ... ونفسُـــه ممـــا بـــه سَكْـــرى

تحسبُـــه مُسْتَمِعـــاً نـــاصتـــاً ... وقلبُـــه فـــي أُمَّـــةٍ أُخـــرى

---

(١) شربهم: أي شَرابهم الذي يتناولوه، ويدخل فيه معاني المجد والشوق والأنس والواردات الإلـٰهية.

(٢) مان مؤناً: احتمل مؤونته وقام بكفايته.

[إذا ذكروا العفوَ طابَ العيشُ، وإذا تَصوَّروا العذابَ جاء الطَّيْشُ.

أَمُـدُّ بـإحـدى مُقْلَتَـيَّ إذا بَـدَتْ ... إليهـا وبـالأُخـرى أُراعـي رقيبَهـا
وقـد غَفَـلَ الـواشـي ولـم يـدْرِ أنّنـي ... أَخَذْتُ لعَيْنِي من حبيبي نَصِيْبَها][1]

قال صالحُ المريّ: كان عطاءُ السُّلمي قد اجتهدَ حتى انقطعَ، فصنعْتُ له شَرْبَةَ سُوَيقٍ فلم يشرب فلُمْته، فقال: إنّي واللهِ كلَّما هَمَمْتُ بِشُرْبِها ذكرت قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣] فلم أقدر، فقلت: أنا في وادٍ وأنتَ في وادٍ:

أَطَلْـتَ وعَـذَّبْتَنـي يـا عَـذُولُ ... بُليـتُ فـدَعْنـي حـديثـي يطـولُ
أبِيْـتُ أراقِـبُ نَجْـمَ الـدُّجـى ... إلـى الصُّبْـحِ وَخَـدي ودَمْعِـي يسيـلُ

انبعَثَتْ غيومُ الغموم من أوديةِ القلوبِ، فاستَتَمَّتْ قُبَيْلَ الصبحِ فهطلتْ، فلها مع الشؤونِ شؤون[2]، فجرت الأرواحُ في مَوْتى العيدان، فَقَدَحَتْ [فَحَرَقَتْ][3]، فارتَقَتْ وُرْقُ الشوقِ منابرَ الشدو فأطربتْ، فصدَحَتْ بَلابِلُ المحبّةِ بين مَنْثورِ منْثورِها فَبَلْبَلَتْ [قلبَ الواجدِ][4].

يـا نفحـاتِ الـريـحِ مُـرّي سَحَـراً ... فَبَلْبلـي طـرةَ أرضِ بـابـلِ
صفـي لأهـلِ بـابـلٍ بَـلابلـي ... وبَلِّغيهـم فـي الهَـوى رسَـائلـي
كـم مـن دمٍ طـاحَ بغيـرِ ثـائـرٍ ... وكـم قتيـلٍ كَلِـفٍ بـالقـاتِـلِ

قلبُ المحبِّ تحتَ فَحمةِ الليلِ جمرة، كلَّما هبَّ النسيمُ التَهَبَتْ.

تمرُّ الصَّبا صَفْحاً بساكنِ ذي الغَضَا ... ويصـدَعُ قلبـي أن يَهُـبَّ هُبوبُهـا
قـريبـةُ عهـدٍ بـالحبيـبِ وإنَّمـا ... هـوى كـلِّ نَفْسٍ حيث حلَّ حبيبُها

(١) زيادة من (ب).
(٢) الشؤون: الأحوال. شؤون: دموع.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ب).

سهر القومِ يقعُ ضرورةً، لأنَّ القلقَ مانعٌ من النوم، وليس لهم في تلك الشدائد راحةٌ سوى جَريانِ الدموع.

(للسّري بن أحمد الكِنْدي):

بـلانـي الحُـبُّ فيـك بمـا بَـلانـي ... فَشَأني أنْ تَفيضَ غَروبُ شاني[1]
أبيـتُ الليـلَ مـرتقبـاً أُنـاجـي ... بِصِـدقِ الـوجـدِ كـاذبـةَ الأمـانـي
فتشهـدُ لـي علـى الأَرَقِ الثُّـريَّـا ... ويعلـمُ مـا أُجِـنُّ الفـرْقـدانِ
فيـا ولـعَ العـواذلِ خـلِّ عنـي ... ويـا كَـفَّ الغـرامِ خُـذِي عِنـانـي[2]

من صلى بالليل حَسُن وجهه بالنهار، شِيْمَةَ المحبِّ لا تَخْفى، وصحائفُ الوجوهِ يقرؤها من لم يكتب.

خذي حديثَك في نفْسي من النَّفَس

قطعت نياقُ جِدِّهم باديةَ الليل، ولم تَجِدْ مسَّ تعب، الطريق إلى المحبوب لا تطول.

(للشريف الرضي):

بَـدَا لهـا مـن بعـد مـا بَـدالهـا ... روضُ الحِمَـى أنْ تشْتكـي كَـلالَهـا
فخلِّهـا تَمْـرَحُ فـي زِمَـامهـا ... فـإنَّهـا قـد سئِمَـتْ عقـالهـا
أذكـرَهـا مـرُّ النسيـمِ سَحَـراً ... مَـراتعـاً تفيَّـأَتْ ظـلالهـا
رنَّحهـا الشـوقُ المُمِـضُّ والسُّـرى ... فَسَحَبَـتْ مِـنْ وَجْـدِهـا جـلالَهـا
تحسبُهـا سكـرى ومـا ذاكَ بِهـا ... وإنَّمـا شـوقُ الحِمـى أَمَـالهـا

يا ربِّ! قَرِّبْ أرضَ كَنْعانَ من مصر، فقد نَفَدَ صبرُ يعقوب.

كان أبو زيد يقول: إلـهي إلى متى تحبس أعضاءَ مُحِبِّيْكَ تحت الترابِ؟ احشُرْهم، واجعلني جسراً ليعبروا إليك.

---

(١) غَروب: بمعنى الدلو الكبير. شاني: مجرى الدمع.
(٢) عِناني: سير لجامي، أي: أذن للغرام أن يقوده إلى حيث الأحبة.

وا ويلاه أنا أشرَبُ وأنا أطرب، يتركوني أسيرَ وجدي، أسيرُ وحدي، هلاَّ سَعَتْ معي رِجْلُ رَجُل، أو أعانني ساعدُ مُساعد، أين شَرْطُ الرِّفْقَة؟ أوَما العزاءُ للكل.

(للخفاجي):

لـو عَـدَلْتُـنَّ تسـاهَمْنـا جـوًى ... مثـلَ مـا كنّـا اشتـركنـا نَظَـرا

يا حاضرين عندنا بِنِيَّـةِ التَّنَزُّهِ لستم معنا، عُـودوا إلى أوطانِ الكسـل، فالحربُ طعْنٌ وضربٌ، يا مُدَّعين ارجعوا فقد عبَرْنا العُذيب[1]، دَعُوْنا نَخُلُ بالوجدِ في صحراء نجد، ستأتيكم أخبارُنا عن قريب بعدَ فَيْدٍ[2]، وأنتَ أيها الحادي عرِّضْ بـالمأزِمَيْن[3] والخَيـف، تعلِّمك الدمـوعُ كيف تُـرمى حصى الحَذَف[4].

ألا غَنيـانـيْ بـالـدِّيـارِ فـإنَّنـي ... أحِـبُّ زرُوداً مـا أقـام ثَـرَاهـا
وبيـن النَّقَـى والأنْعُمَيْـنِ مَحِلـةٌ ... حبيـبٌ لقلبـي قـاعُهـا ورُبـاهـا
ونَعمـانُ يـا سقيـاً لنَعْمـانَ مـا جرَتْ ... عليـهِ النُّعـامَـى[5] بَعـدَنـا وصبـاهـا
وللقلـبِ عنـد المـأزِمَيْـنِ وجَمْعِهـا ... ديـونٌ ومَقْضَـى خَيْفِهـا ومُنـاهـا

* * *

(١) العُذيب: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.
(٢) فيد: منزل بطريق مكة.
(٣) المأزِمين: مثنًى مأزم: موضع بين المشعر الحرام وعرفة.
(٤) الحذف: رميك حصاةً بين سبابتَيْكَ.
(٥) النعامى: ريح الجنوب؛ لأنها في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها.

الفصل الثمانون

يا مقيماً في دائرةِ دارِ الغِيَر! كمْ حَضَرْتَ فيها مُحتضَر [1]، كم عايَنَتْ عينُكَ قبراً يُحتفر، لقد ألانت مواعظُها كلَّ صَلْدٍ [2] حجر، عجباً لفَرْخها ما عَيَّدَ حتى نُحِر.

إنَّ فــي نــأيِ زمــانــي عِظَــةً	تشغـلُ العـاقـلَ عـن نـأيِ زُنـامْ [3]
ومُـدامُ الفِكْـرِ فيمـن قـدْ مَضَـى	مُسْكـرٌ يُغْنيـك عـن شُـرْبِ مُـدامْ [4]
عَـرَّسَ [5] القـومُ، وغُـرْبـانُ الـدُّجى	إنَّمـا صـاحَـتْ بتقـويـضِ الخِيـامْ
وحمـامـاتُ الضُّحَـى صـادحـةٌ	نَـوْحُهـا ينـذرهـا صِـرفَ الحِمـامْ [6]
ومطـايـا الخَيْـفِ قـد زُمَّـتْ لكـم	وَدِّعُـوا يـا قـومِ وامضُـوا بسـلامْ
وَدِّعُـوا عنكـم أبـاطيـلَ المُنـى	ليسـتِ الـدُّنيـا لنـا دارَ مُقَـامْ
أقسَـمَ السـاقـي بكـاسَـاتِ الـرَّدَى	لَيَـدُورَنَّ علـى كـلِّ الأنـامْ

يا مَنْ إذا عامل خان وظلَم! يا مَنْ أُمِرَ بما ينفعه فلَم، هذا القَتير [7] في الرأسِ كالعَلَم، أبَقِيَ بَعْدَ نُوره يا ظالمُ ظُلَم، ألمْ يَقلْ لك: ألَمَّ [8] الضَّعْفُ انتبه؟ ألَمْ؟ أين رفيقُكَ؟ أدْلَجَ [9] وقد عرفتَ المنهج، والرحيل قد أزعج، وهذا فرس

---

(١) المحتضَر: من حضره الموت، أي: ملكه ليقبض روحه.
(٢) الصَّلْد: الصلب الأملس.
(٣) زنام: كغُراب: الداهية.
(٤) المدام: الخمرة.
(٥) عرّس: نزل في وجه السحر من سفر، والتعريس: النزول في آخر الليل.
(٦) الحِمام: الموت.
(٧) القتير: الشيب.
(٨) ألمَّ: نزل.
(٩) أدلج: سار في أول الليل (مختار الصحاح).

مُسْرَج، والبضاعة كلُّها بَهْرج[1].

ويحَكَ! تعاهدْ قلبَكَ، فإذا رأيتَه قد مالَ إلى الهوى، فاجعل في الجانب الآخر ذكرَ العِقاب ليستقيمَ، فإنْ غلبكَ الهوى، فاستغِثْ بصاحب القلبِ، وإن تأخَّرتِ الإجابةُ فابعثْ رائدَ الانكسارِ خلفَها «**تجدني عند المنكسرة قلوبُهم**»[2].

يا هذا! أَمَا عَلِمْتَ أنَّ اللُّطفَ مع الضعيف أكثر؟

لمّا كانت الدجاجةُ لا تحنو على الولدِ أُخْرَج كاسباً.

ولما كانتِ النملةُ ضعيفةَ البصرِ أُعينَتْ بقوةِ الشَّمِّ، فهي تجدُ ريحَ المطعومِ من بعيدٍ فتطلُبُ.

لما كانَ التِّمساحُ مختلفَ الأسنان، صارَ كلَّما أكلَ حصَلَ بين أسنانه ما يؤذيه، فيخرجُ إلى شاطئ البحرِ فاتحاً فاه[3]، طالباً للراحة، فيأتي طائرٌ فينقُرُ ما بين أسنانه، فيكونُ ذلك رزقاً للطائر، وترويحاً عن التمساح.

هذه الخُلْد[4] دويبةٌ عمياء قد أُلْهِمَتْ وقتَ الحاجة إلى القوتِ أن تفتحَ فاهاً، فيسقطُ الذبابُ فيه فَتَتَناولُ منه.

هذه الأطيارُ تَتَرَنَّمُ طولَ النَّهارِ، فيُقالُ للضفدعِ: ما لكِ لا تنطقين؟!.

فتقول: مع صَوتِ الهَزازِ يُسْتَبْشَعُ صَوْتي، فيقال: هذا الليل بحُكْمِكِ «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**».

لمَّا خُلِقَ الأخرسُ لا يَقْدِرُ على الكلامِ سُلِبَ السَّمْعَ لئلاّ يسمعَ ما يكره، ولا يمكنه الجواب، فكلُّ أخرسٍ أُطروش[5].

---

(١) **بهرج**: زائف.

(٢) قال في (كشف الخفاء: ١/٢٠٣): ذكره الغزالي في (البداية) بلفظ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» ولا أصل له في المرفوع، وقال المناوي في (فيض القدير): جاء في بعض الكتب الإلـٰهية.

(٣) **فاه**: أي فمه.

(٤) **الخلد**: نوع من الجرذان خلقت عمياءَ تسكن الفَلَوات.

(٥) **الأطروش**: الأصم.

لمَّا تَـوَلَّعَ الجُذامُ[1] بأظفارِ أصحابِه، صَعُبَ عليهِمُ الحَكُّ فمُنِعَ منهم القَمْل، فليس في ثياب المجذومين قَمْلة، سبحان مَنْ هذا لطفه.

سبحانَ مَنْ لا يَعْطِفُ عنّا[2] عطفَه، ثَكِلَتْ خواطرَ أَنِسَتْ بغيرك، عَدِمَتْ قلباً يُحبُّ سواك:

لا أذاقَ اللهُ عينـــــاً أَبْصَــــرَتْ بعدكُم - يا قوتَ[3] روحي - وسنا[4]
لا وَلا كــانــتْ قلــوبٌ سَكَنَــتْ عِنْـدَ ذكـراكـم ولا نـالَـتْ مُنـى

إلٰهي أَدِلْنا[5] من نفوسنا التي هي أقربُ أعدائنا منا، وأعظَمُهم نكايةً فينا.

إلٰهي تلاعبتْ خوادعُ آمالِنا ببضائعِ أعمارِنا فَصِرْنا مفاليس، أغارتْ علينا خيـولُ الهوى فاستَأسَرَتْنا بأَسْرِنا[6]، وأَوْثَقَتْنا في أَسْرِنا، ورَمَتْنا في مطاميرِ طردنا[7].

فيا مالكَ المُلكِ أنقِذْ حبيسَنا، وخَلِّصْ أسيرنا، وسَيِّرْ أَوْبَتَنا من بلادِ غربتنا، كم عُدْنا مريضاً وما عُدنا! كم رأينا الألحاد[8] تُبْنى وما تُبنا[9]! كم أبصرْنا وما أقْصَرْنا[10]! وانتهينا وما انتهينا[11]! كم بادرنا إلى ما يضرُّنا، وانتهبنا وما هِبْنا!.

يا ملاذَ العارفين! يا مَعاذ الخائفين! خُذْ بيدِ مَنْ قدْ زلَّتْ قدمُ فطنتِه في مَزْلَقِ فِتْنَتِه، أقِمْ مَنْ قَعَدَ بِه سوءُ عَمَلِه.

---

(1) الجذام: مرض جلدي خطير حذّر منه رسول الله ﷺ؛ إذ جاء عنه: «فِرّ من المجذوم فرارك من الأسد».
(2) لا يعطف عنا: لا يصرف عنا.
(3) القوت: المسكة من الرزق، وقد جعل المحبوبَ قوتَ روحِهِ، وناداه بذلك.
(4) وسنا: النوم.
(5) أدِلْنا من نفوسنا: انصرنا عليها، من أدال إدالة.
(6) بأسرنا: أي كلّنا.
(7) مطامير طردنا: أي سجون الإبعاد والقطيعة.
(8) الألحاد: جمع لحد: الشَّقُّ في جانب القبر.
(9) ما تبنا: من التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.
(10) أقصرنا: يقال: أقصر عن الشيء: أمسك عنه مع القدرة عليه.
(11) انتهينا الأولى: فنيت أعمارنا. وانتهينا الثانية: لم ننتهِ عما نُهينا عنه.

كم أشكو وأين نفعُ الشكوى قد قلَّ تَصَبُّري وحَلَّ البَلْوى
ما لي جَلَدٌ على جفاهُم يقْوى أهْوَى قَلقي إذا جَفا مَنْ أهوى

يا مَنْ أصلحَ السَّحَرَة فجعلهم بَرَرة، جاؤوا يحاربون، وخِلَعُ الصُّلْح قد هُيئت[1]، وتيجانُ الرضا قد رُصِّعَتْ، وشرابُ الوصالِ يُرَوَّقُ[2]، فمدُّوا أيديهم إلى ما اعتصروا من خَمْر الهوى، فإذا به قد استحالَ خلاًّ، فأفطروا عليه.

وا عجباً لسكارى من شرابِ الحُبِّ عَرْبَدتْ عليهمُ المحبة، فَصُلِّبوا في جذوعِ النخل، ارتقى سُلطانُ عَزْمِهم إلى سماوات قلوبِهم ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

وا عجباً لَعَزمِ صُلْبِ ما هاله الصَّلْبُ، لا تَتَعرَّضْ بنار المحبة إلا أن يكون لقلبك جِلْدُ السمندل[3] أو صبرُ الفراش.

يا هذا! الاحتراقُ على قدر الاشتياق، لما اشتدَّ شوقُ الفراشِ إلى النارِ، تعجَّلَ احتراقَه، وهجمَ يبتغي الوصالَ فصالَ عليه المحبوب.

لاذَ بِهِمْ يَشْتكي جَواهُ فلم يجِدْ في الهوى مَلاذَا
ولم يزلْ ضارِعاً إليهم تَهْطُلُ أجفانُه رَذاذا
فقرَّبُوه فَحَادَثُوه وأتلفُوه فكان ماذا؟

لما علمَ المحبُّونَ أنَّ الصبرَ محبوبُ المحبوبِ شَمَّروا لِحَمْلِ البلاءِ، ثم حَلَى[4] لهم فعدُّوه نِعْمةً.

سقَمِي في الحُبِّ عافيتي ووجودي في الهوى عَدَمي
وعذابٌ ترتضونَ بهِ في فَمِي أَحْلَى مِنَ النِّعَمِ

كان الربيعُ بن خُثَيْم يقولُ في شِدَّةِ مَرَضِه: ما أُحِبُّ أنَّ اللهَ نقصني منه قُلامَةَ ظُفرٍ.

---

(١) في (ب): خبثت.
(٢) يُرَوَّق: يُصفى.
(٣) السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهَرِمَ ألقى نفسه في الجمر.
(٤) حَلَى: من الحلاوة، أي: صار البلاء حلواً.

مَرَضُ الحبِّ شفائي في الهوى ... كلَّما أكربني أطربني
فبقائي مِنْ فنائي فيكمُ ... وسروري منكمُ في حَزَني
وشَربْتُم بوصالِ مُهْجَتي ... وأنا منتظرٌ للثمنِ
كيفَ أرجو البُرءَ من داءِ الهوى ... وَطَبيبي في الهَوى أمرضني
وإذا البلوى أفادتْ قُربَكُمْ ... فمن النُّعْمى دوامُ المِحَنِ

إخواني! لَسْنا مِن رجالِ البلاءِ، فسلوا اللهَ العافية، يُضيِّقُ الخِناقُ على المُحبِّ، ويُمنع مِنَ التَّنَفُّسِ «لئن قلتَ: آه، لأمْحونَّك».

الحِبُّ يقول لا تُشِعْ أسراري ... والدَّمْعُ يسيلُ هاتكاً أستاري
فالشوقُ يزيدُني على المِقْدارِ ... وا ناري إذنْ من الهوى وا ناري

* * *

الفصل الحادي والثمانون

يا مَنْ أنفاسُه عليه معدودة، وأبوابُ التُّقى في وجهِه مسدودة، وأعمالُه بالرياءِ والنفاقِ مردودة، غيرَ أنَّ محبةَ التفريطِ معهُ مَوْلُودَة.

حياتُكَ أنفاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا	مضى نَفَسٌ منها انتَقَصْتَ بِهِ جُزْءا
فتصبحُ في نَقْصٍ وتُمْسي بمثلِهِ	أما لَكَ معقولٌ تُحِسُّ بِهِ رُزْءا[1]
يُمِيتُك ما يُحييكَ في كلِّ ساعةٍ	وَيخدوكَ حادٍ ما يُريدُ بكَ الهُزْءا

كم أسرَعْتَ في ما يؤذي دينَك ودَأَبْتَ! كم خرَّقْتَ ثوبَ إيمانِكَ وما رَأَبْتَ[2]! كم فرَّقْتَ قلبكَ وما شَعِبْت[3]! كم فاتكَ من خيرٍ وما اكتأبت!.

يا كاسبَ الخطايا! بئسَ ما كسبت، جمعتَ جُمْلةً من حسناتِكَ ثم اغْتَبْت، وحِصنَ دينِكَ ثَلمْتَ لمَّا ثَلَبْت[4]، وأنت الذي بدَّدْت[5] ما حَلَبْتَ، إنْ لاحَ لكَ أخوكَ عِبْته، وإن لاحى[6] سَبَبْتَه.

يا عقربَ الأذى كَمْ لَدَغت! كم لسبت[7]؟ تَعْلَمُ أنَّ مولاكَ يراكَ وما تأدَّبْت! تؤثرُ ما يَفْنى على ما يبقى! ما أَصبْت، تصبح تائباً فإذا أمسيتَ كَذَبْت، تمشي مع اليقين فإذا قاربتَ انقلبْتَ، تعمُرُ ما لا يبقى وما يَبْقَى خَرَّبْتَ، تأنسُ بالدُّنيا وغرورِها وقد جَرَّبْتَ.

---

(١) رزءاً: مصيبة.
(٢) رأبت: من رأب، أي: لأم وأصلح.
(٣) شعبت: أي ما أصلحت صَدْعه.
(٤) ثلمت: ثَلَم الشيء: أحدث فيه شقاً، ثلبت: أي عبت وانتقصت.
(٥) بدّدتْ: فرقت.
(٦) لاح: ظهر. ولاحى: نازع وخاصم.
(٧) لسبت: لسعت.

كأنَّـكَ بِكَ في القبرِ تبكي ما كَسَـبْت، لقد حَسِبْتَ حساباً كثيـراً وهذا ما حَسَبْتَ.

يا واديَ الشيحِ! كيف يُقالُ لو أَعْشَبْت؟!.

يا هذا! أكبرُ الإنعام عليك، كيفَ كَفَّ[١] فضولَ الدنيا عنك.

إذا رأيتَ سِرْبال[٢] الدنيا قد تَقَلَّصَ[٣] فاعلم أنَّه قد لُطِفَ بك، لأنَّ المُنعمَ لم يُقَلِّصه عليك بخلاً أن يتمزق، لكن رِفقاً بالماشي أن يتَعَثَّر، أَحْرِمْ عن الحرامِ بنَزْعِ مَخِيط الهوى، لعلَّ جذبَ القدَرِ يقارنُ ضعفَ كَسْبِك.

إنَّ المقـاديـرَ إذا سـاعَـدَتْ ألحقـتِ العـاجـزَ بـالحـازمِ

يا تائهاً في فلاةِ الغفلات، أُعْلُ بأقدامِ الزُّهْدِ نَشَزَ[٤] الفكرِ، تَلُحْ لك البلدُ.

ويحك! تركبُ البحارَ في طلبِ الدُّنيا، فإذا أُمرتَ بخيرٍ قلتَ: إن وفَّقَني.

أصمَّ اللهُ سمْعَ الهوى فما يَسْمَعُ إلا ما يريد.

يـا مـلـولاً كلَّمـا ثُقِـفَ[٥] بـالعـذلِ[٦] التـوى[٧]
عَنَتـاً تطلـبُ فـي فـالـوذَجِ[٨] الهَـوى نَـوى

ما أحسـنَ قولَكَ! وما أقبحَ فعلَـكَ! كم يشـكو حزيرانُ[٩] نُطْقِكَ مـن

---

(١) كَفَّ: منع.
(٢) سربال: كل ما يُلبَس.
(٣) تقلص: قصر.
(٤) نَشَز: المرتفع من الأرض.
(٥) ثقف: قوَّم.
(٦) العذل: اللوم.
(٧) التوى: اعوجّ.
(٨) فالوذج: نوع من الحلوى.
(٩) حزيران نطقك: حزيران: الشهر السادس من الشهور الميلادية وفيه شدة الحر، نطقك: لسانك، وهذا كناية عن كثرة الشكوى.

كانون[1] عزمِك!.

ويحك! بادِرْ دُرَّ الأرباحِ ما دام يُنْثَر، فسينادى عن قليل: «يا سماء أقلعي»، أتحسَبُ تحصيلَ المعالِي سهلاً؟! نيلُ سُهَيْلٍ[2] أسهلُ، مَنْ أدلجَ في ليلِ الصبرِ فاتَ المَكّاس[3]، يا مَنْ يتعبُ في التعبدِ ولا يجدُ له لذّةً، أنتَ بعدُ في سواد البلدِ[4]، اخرجْ إلى الباديةِ تجدْ نسيمَ نَجْدِ.

الاعتبارُ عندنا بالأعمالِ القَلْبِيَّةِ.

غلَبَتْ حراراتُ الخوفِ قلبَ داودَ فصارَ كفُّهُ كِيْراً ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقويت روحانية محمدٍ ﷺ فنبعَ الماءُ من بين أصابعه.

لـولا مـدامـعُ عُشَّـاقٍ ولـوعتُهـم ... لبـانَ فـي النَّـاسِ عِـزُّ المـاءِ والنـارِ
فكـلُّ نـارٍ فَمِـنْ أنفـاسِهـم قَـدَحَـتْ ... وكـلُّ مـاءٍ فَمِـنْ طَـرْفٍ لهـم جـارِ

أيُّها المُصلِّي! طهِّرْ سِرَّكَ قبل الطَّهور[5]، وفتِّشْ على قلبِكَ الضائعِ قبلَ الشروعِ، حضورُ القلبِ أوَّلُ منزلٍ، فإذا نَـزَلْتَهُ انتقَلْتَ إلى باديةِ المعنى، فإذا انتقلتَ عنها أنخْتَ بباب المُناجى، وأول قِرَى[6] الضيف اليَقِظِ كَشْفُ الحجابِ لعينِ القَلبِ، وكيفَ يَطْمَعُ في دخولِ مكَّةَ منقطِعٌ قبلَ الكوفة.

همُّكَ في الصلاةِ مُتَشَبِّثٌ[7]، وقلبُكَ بمساكنة الهوى متلبّثٌ، ومن كان متلطّخاً بالأقذار لا يُغَلَّفُ، أُدخلْ دارَ الخلوةِ لمَنْ تُناجي، وأحْضِرْ قلبَك لفهم ما تتلو، ففي خَلواتِ التلاوةِ تُزَفُّ أبكارُ المعاني، إذا كانت مشاهدةُ مخلوقٍ يومَ

---

(١) كانون عزمك: كانون: الشهر الثاني عشر من الشهور الميلادية، وفيه شدة البرد، عزمك: همتك، وفيه كناية عن فتور العزم.
(٢) سهيل: نجم عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ.
(٣) المكاس: من المكس: وهو جامع الضرائب.
(٤) سواد البلد: قراها.
(٥) الطهور: مصدر بمعنى التطهر واسم لما يُتطهَّر به.
(٦) قرى: طعام الضيف.
(٧) متشبث: متعلق.

﴿ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ ﴾ [يوسف: ٣١] استغرقَتْ إحساسَ الناظرات ﴿ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١]؛ فكيف بألبابٍ عَلِقتْ فعُقِلَتْ على الباب؟!.

لها بوجهِكَ نورٌ تستضيءُ بهِ ... ومِنْ نَوالِكَ في أعقابِها حادِ
لها أحاديثُ من ذكراكَ تشغلُها ... عن الشرابِ وتُلهيها عن الزادِ

لو أحبَبْتَ المخدومَ لحضرَ قلبُكَ في الخِدمةِ.

ويحك! هذا الحديدُ يعشَقُ المغناطيس، فكيف ما التَفتَ التفتَ، إن كنتَ ما رأيتَ هذا الحجر فانظر إلى الحرابيّ[1] تواجِهُ الشمسَ فكيف مالت قابَلْتها.

(للشريف الرضي)[2]:

وإنّي إذا اصطَكَّتْ رقابُ مطيّكم ... وَثَوَّرَ حادٍ بالرفاقِ عَجُولُ
أخالِفُ بين الراحتين على الحشى ... وأنظُرُ أنى مِلْتُمُ فأميلُ

قيل (لعامر بن عبدِ قيسٍ): أما تسهو في صلاتِك؟.

قال: أوَحديثٌ أحبُّ إليَّ من القرآن حتى أشتغلَ به؟!.

هيهات! مناجاةُ الحبيبِ تستغرقُ الإحساسَ.

كان (مسلم بن يسار) لا يلتفتُ في صلاتِه، ولقد انهدمت ناحيةٌ من المسجدِ فزِعَ لها أهلُ السوقِ فما التفَتَ، وكان إذا دخلَ منزلَهُ سكتَ أهلُ بيته، فإذا قام يصلّي تكلّموا وضحكوا عِلْماً منهم أنَّ قلبَه مشغول.

وكان يقول في مناجاته: إلٰهي! متى ألقاكَ وأنت عني راضٍ.

إذا اشتغلَ اللاهونَ عنكَ بشُغلِهِمْ ... جعلتُ اشتغالي فيكَ يا مُنْتهى شُغلي
فمَنْ لي بأنْ ألقاكَ في ساعةِ الرِّضا ... ومَنْ لي بأنْ ألقاكَ والكلُّ لي مَن لي؟

كان (الفُضيل) يقول: أفرحُ بالليل لمناجاةِ ربي، وأكرهُ النهارَ للقاءِ الخلق.

---

(١) الحرابي: جمع حرباء: دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون ألواناً.
(٢) من شعره في النسيب. انظر: الديوان: ٢/ ٢٢٠.

المـوتُ ولا فـراق مَـنْ أهـواهُ	هـذي كَبِـدي تـذوبُ مِـنْ ذِكْـراهُ
وا شـوقـي مَتَـى تُـرى ألقـاهُ	مـا مَقْصـودي مـن المُنـى إلا هـو

كان (أبو يزيد) يقول: وَدِدْتُ أنَّ اللهَ تعالى جعلَ حِسَابَ الخلق عليّ.

قيل: لماذا؟.

قال: لعلَّه يقول في خلال ذلك: يا عبدي. فأقول: لبيك، ثم لِيَصْنَعْ بي ما شاء.

هل الطَّرْفُ يُعْطِي نظرةً من حبيبِه	أمِ القلبُ يَلْقَى رَوْحةً من وَجيبِه
وهل لِلَّيالي عطفةٌ بعد نفْرةٍ	تَعودُ فتُلْهي ناظراً عن غُروبِه
أحِنُّ إلى نَوْرِ[1] الرُّبى في بطاحِهِ	وأظمأُ إلى ريّا اللِّوى[2] في هُبوبِه
وذاك الحِمى يغدو عليلاً نسيمُه	ويُمْسي صحيحاً ماؤُهُ في قَليبِهِ
هو الشَّوقُ مدلولٌ على مَقْتَلِ الفتى	إذا لمْ يَعُدْ قلباً بِلُقيا حَبيبِه

يا واقفاً في صلاته بجسدِهِ والقلبُ غائبٌ، ما يصْلُح ما بذلْتَه من التَّعبُّد مهراً للجنّة، فكيفَ يصلحُ ثمناً للمحبة؟!.

رأتْ فأرةٌ جملاً فأعْجَبَها، فَجَرَّتْ خِطامَه فتبعها، فلمَّا وصلَ إلى بابِ بيتها وقفَ، ونادى بلسان الحالِ: إمَّا أن تتخذي داراً يليق بمحبوبك، أو محبوباً يليقُ بدارِكِ.

خُذْ هذه إشارةً إما أن تصلي صلاة تليقُ بمعبودِك، أو تتَّخِذ معبوداً يليقُ بصلاتك.

* * *

(١) النَّور: بفتح النون؛ الزهر.

(٢) اللوى: منقطع الرمل، والجدد بعد الرملة.

الفصل الثاني والثمانون

عجباً لمن رأى فعلَ الموتِ بصحبه ثم ينسى قربَ نَحْبِه[1]، واستبدالَه ضيقَ المكانِ بعد رحْبِه، مَنْ لم ينتبه بِوكْزِه فسيَنْتَبِه بِسَحْبِه:

مـــا لبنـــي الــدُّنيـــا غـــدَوْا	أهـــلَ ضـــلالٍ وعَمَـــهْ[2]
بصيـــرُهـــم مِـــنْ جَهْلِـــهِ	كـــأنَّـــهُ حِلْـــفُ كَمَـــهْ[3]
أنـــتَ مقيـــمٌ ســـائـــرٌ	فـــلا تَقُـــلْ لِـــمْ ولِمَـــهْ
ولا تُكَلِّـــمْ أحـــداً	فـــي غَيْـــرِ بِـــرٍّ كلِمَـــهْ
فكـــلُّ مُعْطَـــى مَهَـــلٌ	أوقـــاتُـــه مُنْصَـــرِمَـــه
ولا تـــدومُ للفتـــى	شـــؤونُـــه المنتظِمَـــه
يـــأتـــي علـــى الأرضِ مَـــدًى	ومـــا عليهـــا نَسَمَـــهْ[4]
ضـــاقَ رحيـــبُ العمـــرِ عَـــنْ	حـــاجـــاتنـــا المـــزدَحِمـــه

أين الأقران؟! وأين سلكوا؟! تاللهِ لقد فَنَوْا وهلكوا، اجتمعَ الأضدادُ في الألحادِ واشتركوا، وخانهم حبلُ الأملِ بعدما امتسكوا، ونُوقشوا على ما خَلَّفُوا وتَركوا، وصارَ غايةَ الأماني أن لو تُرِكُوا.

تاللهِ لقد سَعِدَ مَنْ تَدَبَّرَ، وسَلِمَ من الأذى من تَصَبَّر، وهلك مؤثرُ الهوى وأدبر، فكأنكم بالفراقِ يا ركَّابَ المَعْبَر.

يا نائماً في لَهْوِهِ وما نام الحافظُ، لاحظْ نورَ الهدى فلا حظَّ إلا لِمُلاحِظٍ، ولا تغْتَرَّ ببَرْدِ العيشِ[5] فزمانُ الحسابِ قائِظ، يا مُدْبِراً أمرَ دُنياهُ ينسى أُخراهُ فخف

---

(١) نحبه: يقال: قضى نحبه، أي: مات.

(٢) العمه: التردد في الضلال، والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة.

(٣) الكمه: العمى يولد به الإنسان.

(٤) نسمة: إنسان.

(٥) برد العيش: سعته.

النداءَ اللافِظ(١)، وعجائبُ الدنيا تُغْني عن وَعْظِ كلِّ واعظ.

يا مَنْ قد رأينا يدَ التفريطِ قد وَلِعَتْ به، فأتينا لِلَوْمه ولِعَتْبِه، أما مصيرُ السلف نذيرُ الخَلَفِ، أما مهدُ الطِّفْلِ عنوانُ اللَّحْدِ، يا مَنْ لمعَ له سرابُ الأملِ، فبدَّدَ ماءَ الاحتياطِ، أتُراكَ ما علِمْتَ أنَّ الأمانيَّ قِمار(٢)، مدَّ نهرُ الهوى وقلبُكَ على الشاطئ، فمرَّ به، صُمَّ مَسْمَعُ اليقظةِ فصَمَّمْتَ على الزَّلَل، أكلَّ الزمان ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]؟ أما تقع في يوم ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]؟.

الورعُ عن الذنوبِ يُوجِبُ قوةً قلبية. قال بعضُ السَّلَف: ارتكبْتُ صغيرةً، فغضبَ عليَّ قلبي، فلمْ يرجعْ إليَّ إلا بعدَ سنة.

إخواني! إطلاقُ البصرِ سيفٌ يقعُ في الضارب:

يا للرِّجالِ لنظرةٍ سفكَتْ دماً	ولِحادثٍ لَمْ ألفَه مُستَسْلِما
وأرى السهامَ تؤمُّ(٣) مَنْ يُرْمَى بها	فعلامَ سَهْمُ اللَّحْظِ يُصْمِي(٤) مَنْ رَمى

المحرَّمات حَرَمٌ، ونَظَرُ المملوكِ إلى حرمِ المالك مِنْ أقبح الخِيانة.

يا بني آدم! تلمَّحوا تأثير ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ [طه: ١٢١]، لقمةٌ أثَّرت إن عثَرت، فعرِيَ المُكْتَسِي، ونزل العَالي، وبكى الضاحك، وقامَ المترفُهُ يخدمُ نفسَه، فاشتدَّ بكاؤه، فنزل جبريلُ يُسلّيه، فزاد برؤيتِه وَجْدُهُ.

(للشريف الرضي)(٥):

رأى على الغَوْرِ وَمِيْضاً فاشتاقْ	ما أجلبَ البرقَ لماءِ الآماقْ
ما للوميضِ والفؤادُ الخَفَّاقْ	قد ذاقَ مِنْ بينِ الخليطِ ما ذاقْ
داءُ غرامٍ ما له من إفراقْ	قد كَلَّ آسيهِ وَقَدْ مَلَّ الراقْ

---

(١) النداء اللافظ: صيحة الصور التي يُلفظ بها الأمواتُ من قبورهم.

(٢) قمار: كل لعب فيه مراهنة.

(٣) تؤم: تقصد.

(٤) يُصمي: من أصمى الرمية: أنفذ فيها السهم.

(٥) مطلع قصيدة يهنئ فيها الملكَ قِوام الدين بالنيروز سنة (٤٠١هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢-٤٥.

قلبي وطرفي من جوًى وإملاق ... في غرقٍ ما ينقضي وإحراقْ[1]
يا ناقَ[2] أداكِ المؤدّي يا ناقْ ... ماذا المقامُ والفؤادُ قدْ تاقْ[3]

هل حاجةُ المأسورِ إلاّ الإطلاقْ

كان آدمُ كلَّما عاينَ الملائكة تصعَدُ إلى السماء وجناحُه قدْ قُصّ زاد قَلَقُهُ.

وأصبحتُ كالبازيّ المُنَتَّفِ ريشُهُ ... يرى حَسَراتٍ كلَّما طارَ طائرْ
يرى خارقاتِ الجوِّ يَخْرِقْنَ في الهوى ... فيذكرُ ريشاً من جناحيه وافرْ
وقد كان دهراً في الرياض منعَّماً ... على كلِّ ما يهوى من الصيدِ قادرْ
إلى أن أصابتْهُ من الدَّهرِ نكبةٌ ... فأصبحَ مقصوصَ الجناحين حاسرْ

أعظمُ البلايا تردُّدُ الركْبِ إلى بلدِ الحبيبِ يودعونَ عند فراقهم الزَّمِنَ[4]:

ولم يبقَ عندي للهوى غيرَ أنَّني ... إذا الركبُ مرُّوا بي على الدارِ أَشْهَقُ

كانت الملائكةُ إذا نَزَلَتْ إليه، استنشقَ ريحَ الوصالِ من ثيابِ الواصلين، وتعرَّفَ أخبارَ الديارِ من نسماتِ القاصدين.

خَبِّراني عن العقيقِ خُبَيراً ... أنتُما بالعقيقِ أحدثُ عهدَا

يا ناقضي العهودِ! دومُوا على البكاءِ، فَمَنْ أشبَهَ أباهُ فما ظَلَم.

---

(١) جاء في الديوان تكملة الشطر: ألهاكِ عن ليل السرى والإعناق.
(٢) يا ناقَ: نداء مرخَّم على لغة من ينتظر إذا قلت: يا ناقَ، وعلى لغة من لا ينتظر إذا قلت: يا ناقُ. وللترخيم حذف الحرف الأخير، وهو هنا التاء المربوطة من المنادى، فكان «ناقة» وصار «ناق» ثم تنقل علامة الإعراب إلى القاف، وهي (الضمة) أو تبقى الفتحة على ما قبل التاء المحذوفة.
(٣) تاق: اشتاق.
وهذا البيت لم يذكر في القصيدة الواردة في الديوان لكن جاء على الشكل التالي:
من منصفي من الملوك المذاق ... قلبي وطرفي من جوى وإقلاق
في غرق ما ينقضي وإحراق ... يضنُّ حتى بالخيال الطراق
(٤) الزَّمِن: المُقْعَد.

كانت عابدة من أحسن النساء عيناً، فأخذت في البكاء، فقيل لها: تذهبُ عيناك!.

فقالتْ: إن يكنْ لي عندَ اللهِ خيرٌ فسيُبْدلُني خيراً منهما، وإن تكن الأخرى فواللهِ لا أحزنُ عليهما.

(للمتنبي)[1]:

قد علَّمَ البينُ منا البينَ أجفانا	تدمَى وألَّفَ في ذا القلبِ أحزانا
قد كنتُ أشفِقُ منْ دَمعِي على بصري	فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدَكُم هانا
تُهدِي البوارِقُ أخلافَ المياهِ لكم	وللمحبِّ مِنَ التذكارِ نيرانا

من سعى إلى جنابِ العِزِّ بأقدام المسكنةِ، ووقفَ ببابِ الكرمِ على أخمَصِ المسألةِ، ووصفَ ندمَه على الذنبِ بعبارة الذُّلِّ، لم يَعُدْ بالخيبة.

ملكتُمُ قلبي فما	لي عنكمُ مُنصرَفُ
فَوُدُّكُمْ مِنْهُ مكا	نَ كبدي أو ألْطَفُ
فلا بَرَى وجدي بكم	ولا أفاقَ الشَّغفُ
[لستُ وإن أعرضتُمُ	أيئسُ من أن تعطفوا][2]
وصبرُ يعقوبَ معي	حتى يُردَّ يوسُفُ

يا معاشر التائبين[3]! اسمعُوا وصيَّتي، إذا قُمْتُمْ من المجلس فادخلوا دارَ الخلوة، وشاورُوا نصيحَ الفكر، وحاسبوا شريكَ الخيانة، وتلمَّحُوا تفريطَ التواني في بضاعَةِ العمر، ويكفي ما قَدْ مضى، فليحذر الأعورُ الحَجَر.

إذ نُقِّيَ خاطرُ المذكِّرِ من دَغل[4] هوًى، وصُفِّيَ مَعينُ معنى كلامِه من كدر طمَعٍ، انكشفَ الغشاءُ عن عينه، فرأى بالفِطنَةِ موضعَ قُطْنَةِ مَرْهمِ العافية، فربَّى

---

(١) مطلع قصيدة يمدح فيها أخاه أبا سهل. انظر: الديوان، ص١٦٧.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): المذنبين.
(٤) دغل: مثل الدخل: الفساد.

حشائشَ الحِكَم، وركَّب فيها معاجينَ الشفاء، ففتحَتْ سُدَد الكَسَل، واستفرغَتْ أخلاط الشواغل.

فأما مجتلِبُ الدنيا بنطقِهِ، فإنَّه كُلَّما حفَرَ قليبَ قلبه، فأمعنَ لاستنباطِ معنى طمَّ الطمَعُ، إذا صَدَرَ العلمُ من عاملٍ به كان كالعربية يَنْطِقُ به البدويُّ، وأحلى أبياتُ الشِّعْرِ ما خرجَ من أبيات الشَّعْر.

جَمَعْتُ بين الكتاب والسُّنَّة، ففتحا لي هذه المعاني، فهي تنادي السامعين «وُلدتُ مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ»[1].

ومن جَمَع بين الجهلِ والبدعة هذى الهذيان، فكلامُه في مرتبةِ ابنِ زانية.

إذا فَتَحَتِ الوردةُ عينَها رأتِ الشَّوكَ حَوْلَها، فلتصبرْ على مجاورته قليلاً، فوحدها تُجْتَنَى وتُقَبَّلُ.

وا عجباً لألفاظي وعملِها، بطلَ السحرُ عندها، كلُّ المذكرين رَجَّالَةٌ وأنا فارس، أخرج إلى المعاني في كمينٍ، فأصيدُها لا بأُحْبُولة، إذا حَضَرْتُ ملكْتُ العيونَ، وإذا غبتُ استَرْهَنْتُ القلوبَ.

(لمهيار)[2]:

طَرْفُ نجديةٍ وظَرفُ[3] عِراقي	أيُّ كاسٍ يديرُها أيُّ ساقِ
سَنَحَتْ والقلوبُ مطلقةٌ ترعَى	غابتْ[4] وكلُّها في وثاقِ
لم تَزَلْ تخدعُ العيونَ إلى أنْ	عَلَّقَتْ دمعةً على كلِّ ماقِ

* * *

(١) رواه البيهقي بلفظ: «خرجت من نكاح لا من سفاح» في الدلائل، عن أنس: ١/ ١١٨؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٢٥٥، وقال: حديث غريب جداً.

(٢) مطلع قصيدة قالها في تهنئة نقيب النقباء أبي القاسم بعقد النكاح. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٩٠.

(٣) ظرف: الحسن والأدب والكياس.

(٤) في الديوان: «وعاشت» بدلاً من «غابت».

الفصل الثالث والثمانون

إخواني! أعجبُ العجائب أنَّ النقادَ[١] يخافون دخولَ البَهْرجِ في أموالهم، والمُبهرِجُ آمن.

هذا الصدِّيق رضي الله عنه يمسِكُ لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وهذا عمر رضي الله عنه يقول: يا حذيفةُ! هل أنا منهم؟[٢].

والمُخلِّطُ على بساط الأمن.

النــــاسكــــونَ يحــــاذرو	نَ ومـــا بِسيِّئَــــةٍ ألَمّــــوا
كـــانــوا إذا رامُــوا كــلامــاً	مُطلَقــــاً خَطمُــــوا وزَمُّــــوا
إنْ قيلـــــتِ الفحشـــــاءُ أو	ظهَــرَتْ عَمُــوا عنهــا وصَمُّــوا
فمَضَـــوْا وجـــاءَ معــاشِـــرٌ	بــالمُنكــراتِ طَمُــوْا وطُمُّــوا[٣]
ففــمٌ لطُعْـــمٍ فـــاغـــرٌ	ويـــدٌ علـــى مـــالٍ تُضَـــمُّ
عــدلــوا عــن الحَسَــنِ الجميــلِ	وللخَنَــــا عَمَــــدُوا وأمُّــــوا
وإذا هــــــمُ أَعيَتْهـــــــمُ	أعمـــالُهُـــم[٤] كـــذبـــوا وأمُّـــوا
فـــالصـــدرُ يغلـــي بـــالهـــوا	جــسِ مثــلَ مــا يَغْلــي المُحَــمُّ

لله درُّ أقوامٍ شغلهم حُبُّ مولاهم عن لذّاتِ دنياهم، اسمعْ حديثَهم إن كنتَ ما تراهم، وخوفُهم قد أزعجَ وأقْلَق، وحِذرُهم قد أتلفَ وأحرَقَ، وحادي جِدِّهمْ

---

(١) النقاد: من يعمل في الصرافة وبيع النقود.

(٢) أي: من المنافقين، إذ إنّ النبيَّ ﷺ أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، فلم يكن غيرُه يعرفهم.

(٣) طَمُوا: خفوا وأسرعوا. طُمُّوا: أكثروا حتى غُمِروا بها.

(٤) في (ب): شنعاؤهم.

مُجِدٌّ لا يَتَرفَّق، كلَّما رأى طول الطريق نصَّ وأعنق[1]، وكيف يحسن الفتور أوقاتُ السلامةِ تُسْرَق؟ دموعُهم في أنهار الخدودِ تجري وتَتَدفَّق، يشتاقون إلى الحبيب، والحبيبُ إليهم أشْوَقُ، يا حُسْنَهم في الدُّجى ونورُهم قد أشرق، والحياءُ فائضٌ والرأسُ قد أطرقَ، والأسيرُ يَتَلظَّى ويترجَّى أن يُعتق.

إذا جُنَّ الليلُ تَغَالبَ النومُ والسهرُ، والخوفُ والشوقُ في مُقَدَّم عسكرِ اليقظةِ، والكسلُ والتَّواني في كتيبة الغفلة، فإذا حَمَلَ[2] العزمُ حمَلَ على القيام فانهزمتْ جنودُ الفتورِ، فما يطلعُ الفجرُ إلا وقد قُسِمَت السُّهمان[3]، سفرُ الليلِ لا يطيقُه إلا مُضَمَّرُ المجاعة، النجائبُ في الأوَّلِ، وحاملاتُ الزادِ في الأخير.

قام المتهجِّدون على أقدامِ الجِدِّ تحت سترِ الدجى يبكون على زمانٍ ضاع في غيرِ الوصال.

سَقَــــوا بميـــــاهِ أعينِهـــــم   هنـــاكَ الضَّــــالَّ والـــرَّنْـــدا
بـــــأنفـــاسٍ كبـــرقٍ فـــــي   أنيـــنٍ يُشْبِـــهُ الـــرَّعْـــدا

إن ناموا توسَّدُوا أذرعَ الهِمَمِ، وإن قاموا فَعَلى أقدامِ القلق، لما امتلأت أسماعهم بمعاتبة **«كذب من ادّعى محبّتي، فإذا جنَّهُ الليلُ نام عنّي»** حلفَتْ أجفانُهم على جَفَاءِ النوم.

إنْ كـــانَ رِضــاكُـــم فــي سَهَـــري   فســــلامُ اللهِ علـــى وَسَنـــي[4]

ما زالت مطايا السَّهرِ تَذْرَعُ بِيْدَ[5] الدُّجى، وعيونُ آمالها لا ترى إلا المنزل، وحادي العزم يقول في إنشاده: يا رجالَ الليلِ جُدُّوا، إلى أن نمَّ النسيمُ بالفجرِ، فقام الصارخُ يَنْعى الظلامَ، فلمَّا همَّ الليلُ بالرحيلِ، تَشَبثوا بذيلِ السحر.

---

(١) **نص وأعنق**: ضربان من السير.
(٢) **حمل**: أغار.
(٣) **السهمان**: جمع سهم، وهو النصيب والقسم.
(٤) **الوسن**: شدة النوم أو أوّله، أو النعاس.
(٥) **تذرع**: تسير وتقطع. بيد: جمع بيداء، وهي الصحراء.

فاستوقف العيسَ لي فإنَّ على خِلْبٍ[1] فؤادي تَشُدُّ أَرْحُلَها
إن دُثِرَتْ دارُها فما دُثِرَتْ منازلُ في القلوبِ تنزلُها

قال علي بن بكّار: منذ أربعين سنةً ما أحزنني إلا طلوعُ الفجر.

لو قمتَ في السَّحَرِ لرأيتَ طريق العُبَّادِ قد غُصَّ بالزحام، لو وردتَ ماءَ مدين، وجدتَ عليه أمّةً من الناسِ يسقون.

بانوا وخُلِّفْتُ أبكي في ديارِهمُ قلْ للدِّيارِ: سقاكِ الرائحُ الغادي
وقُلْ لأظعانِهم: حُيِّيْتِ من ظَعَنٍ وقُلْ لواديهمُ: حُيِّيْتَ من وادِ

يا بعيداً عنهم! يا مَنْ ليسَ منهم! ألك نيةٌ في لحاقهم؟ أَسْرِج كُمَيْتَكَ، واجزُزْ زِمَامَك، يقف بكَ على المرعى.

يا مَنْ يستَهْوِلُ أحوالَ القومِ! تَنَقَّلْ في المراقي تَعْلُ.

قال أبو يزيد: ما زلتُ أسوقُ نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سُقتُها وهي تضحك.

(للمتنبي)[2]:

ما زلتُ أُضْحِكُ إبْلي كُلَّما نظَرَتْ إلى من اختضبتْ أخفافُها بدمِ
مَنْ اقتضى بِسِوَى الهنديِّ حاجته أجابَ كلَّ سؤالٍ عَنْ هلٍ بِلَمِ

قال أبو يزيد: كنْتُ اثنتي عشرة سنة حدّاد نفسي، وخمسين سنة مرآةَ قلبي، ولقد أحببتُ اللهَ حتى أبغضْتُ نَفْسي.

(للخفاجي):

ثَوِّرْها ناشطةً عقالَها قَدْ ملأتْ مِنْ بَدْنِها جِلالَها
فلم تزلْ أشواقُها تسوقُها حتى رَمَتْ من الوَجَى رحالَها

---

(1) خِلب: حجاب ما بين القلب والكبد.
(2) من قصيدة قالها بعد خروجه من مصر عام (٣٥٢هـ). انظر: الديوان، ص٥١٠ ـ ٥١٣.

ماذا على الناقةِ من غرامهِ | لوْ أنّه أنصَفَ أو رثى لها
أراد أنْ تشربَ ماءَ حاجرٍ | أريّها تطلبُ أم كلالَها؟
إنَّ لها على القلوبِ ذِمَّةً | لأنَّها قد عَرَفَتْ بَلْبَالها
كانت لها على الصَّبَا تحية | أَعْجَلَها السائقُ أنْ تنالَها
وامتدَّتِ الفلاةُ دونَ خَطوها | كأنَّها قد كَرِهَتْ زوالَها
فعلِّلُوها بحديثِ حاجرٍ | ولْتَصْنَعِ الفلاةُ ما بدا لها

* * *

الفصل الرابع والثمانون

إخواني! قد دنا رحيلُكم، وقد بان سبيلُكم وسيهجركُم خليلُكم، وقد نصحكم دليلُكم.

يــا مقيميــنَ ارحلــوا للــذهــابِ ... بشفيــرِ القبــورِ حَــطُّ الــركــابِ

نَعِّمُــوا هــذه الأوجــهَ الحســانَ ... فمـا صنتموهـا إلا لعَفْـرِ[1] الترابِ

والبَسُــوا نــاعــمَ الثيــابِ ففــي ... الحفْـرَةِ تعـروْنَ عـن جميـعِ الثيـابِ

قــد نَعَتْكُــمُ الأيــامُ نَعْيــاً صَحيحــاً ... بفــراقِ الإخــوانِ والأصحــابِ

تذكَّر يا مَنْ نَسِيَ[2] ركوبَ الجنازة، وتصوَّرْ ما مِنْ مأوى في طول المفازة، ودع الدُّنيا مودِّعاً للحلاوةِ والمزازة[3]، ارقُمْ من قلبك ذكر الجزاء على جُزَازة[4]، كم ظالم تعدَّى وجار، فما رعى الأهل ولا الجار، [حلّ به الموتُ فحلَّ الأزرار[5]، وأدبرَ عن الأوامرِ فأحاطَ به الإدبار[6]][7]، ودارَ عليه بالدوائر[8]، فأخرجَه من الدار، وخلا بعملِه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التوبة: ٤٠] ولكن لا ﴿فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فانتبهوا فإنما هي جَنَّةٌ أو نار:

تَعَلَّقْــتَ بــآمــالِ ... طِــوَالٍ أيَّ آمــالِ

وأقبلــتَ علــى الــدُّنيــا ... مُلِحّــاً أيَّ إقبــالِ

---

(١) العَفَر: ظاهر التراب، والعَفْر كذلك.

(٢) في (ب): جنى.

(٣) المزازة: بين الحموضة والحلاوة.

(٤) جُزازة: الوريقة تكتب فيها قطعة من صوف.

(٥) حل الأزرار: كناية عن خلع الثياب المحيطة استعداداً للكفن.

(٦) الإدبار: الهزيمة.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) الدوائر: الدواهي.

فيــا هـــذا تجهَّــز لـ ـفــراقِ الأهــلِ والمــالِ
فــلا بــدَّ مــن المــوتِ علــى حــالٍ مــن الحــالِ

يا مَن يحدِّثُه الأملُ فَيَستَمع، ويُخَوِّفُه الأجلُ فلا يرتدِع، وصلَ الصالحونَ إلى المُنى يا مُنْقَطِع، وجُوزُوا على صبرهم - إي واللهِ - لم يَضِعْ، تَلمَّحِ العواقِبَ فَتَلَمُّحُها للعَقْلِ وُضِع، كأنَّه ما جاعَ قطُّ مَنْ شَبع.

إذا تلاقَحَتْ غُروسُ المجاهدةِ تلاحقتْ ثمارُ المدائح.

أفلــحَ قــومٌ إذا دُعــوا وَثَبُــوا لا يَحْسبُــونَ الأخطــارَ إنْ رَكِبــوا
ســارُون[1] لا يسألــونَ مـا فَعَـل الـ فجْرُ، ولا كيـفَ مالـتِ الشُّهُبُ
عَــوَّدَهُــم هجــرُهُــم مطــالبــةَ الــراحــةِ أن يظفَــرُوا بِمـا طَلَبــوا

أشرافُ الأوصافِ أوصافُ الأشراف، وساداتُ العاداتِ عاداتُ السادات، أحرارُ الشِّيَمِ[2] شيمُ الأحرارِ، أقدموا على الفضائل وتأخَّرْتَ، وقدَّموا الأهمَّ وأخَّرْتَ، الشجاعُ يلبسُ القلبَ على الدِّرع، والجبانُ يلبسُ الدِّرع على القلب.

(للمتنبي)[3]:

وتكــادُ الظُّبــا[4] لمــا عــوَّدوهــا تنتضــي نفسَهــا إلــى الأعنــاقِ
وإذا أشفـقَ الفــوارسُ مــن وَقْــعِ القَنــا[5] أشفَقُــوا مــنَ الإشفــاقِ
ومعــالٍ لــو ادَّعــاهــا سِــوَاهُــم لــزِمَتْــهُ جنــايَــةُ السُّــرَّاقِ

لوَّحَ للقومِ فأجابُوا، وكرَّرَ الصياحَ بكَ وما تَلْتَفِت، إذا سمعوا موعظةً غَرَسَتْ في قلوبهم نخيلَ العزائم، ونباتُ عزمكَ عند الزواجرِ كنبات الكشوثا[6]، كم بَيْنَ ثالِثَةِ الأثافي[7] وسادسةِ الأصابع! بِعْ باعاً من عَيْشِكَ بِفِتْرٍ من حَيَاتهم، لو

---

(١) سارون: جمع سارٍ، والسُّرى: سير عامة الليل.
(٢) الشيم: جمع شيمة، وهي الطبيعة والميزة والعادة.
(٣) من قصيدة قالها يمدح بها أبا العشائر. انظر: الديوان، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧.
(٤) الظبا: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف والسنان والخنجر.
(٥) القنا: الرماح مفردها قناة.
(٦) الكشوثا: بالقصر وبالمد: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.
(٧) الأثافي: جمع أثفية: أحد أحجارٍ ثلاثة توضع عليها القِدْر، وثالثة الأثافي: حرف الجبل يجعل إلى جنبه أثفيتان، ويقال: رماه بثالثة الأثافي، أي: بداهية كالجبل.

صَدَقَ عزمُك قَذَفَتْكَ ديارُ الكسَلِ إلى بيداءِ الطلب، كان **سلمانُ** أعْجمياً فلمّا سمعَ بنبيٍّ عربيٍّ صارَ بدويَّ القلبِ.

(لمهيار)[1]:

ولقد أحِنُّ إلى زرودَ وطينتي ... مِنْ غيرِ ما فُطِرَتْ عليه زرودُ
وَيشُوقُني عَجْفُ[2] الحجازِ وقد صَفَا ... ريفُ العراقِ وظِلُّه الممدودُ
ويُطرِّبُ الشادي وليسَ يَهزُّني ... وينالُ مِنّي السائقُ الغِرِّيدُ

أين وصفُكَ من هذه الأوصاف؟! أين شجرةُ الزيتون من شجرِ الصَّفْصاف؟! صَعَدَ القومُ ونَزَلْتَ، وجَدُّوا في الجدِّ وهَزَلْتَ.

شُمُّ[3] العرانينِ في آنافِهِم[4] أَنَفٌ ... من القبيحِ وفي أَعْناقِهم صِيْدُ[5]
إنْ تلْقَهُمْ تلقَ منهم في مجالسِهم ... قوماً إذا سُئِلوا جادوا بما وَجَدُوا
نالوا السماءَ وحَطُّوا من نفوسِهمُ ... إنَّ الكرامَ إذا انحطُّوا فقد صَعَدوا

إنَّ بينَكَ وبينَ القومِ كما بينَ اليَقَظَةِ والنومِ، أين مِسْكٌ من حَمْأةٍ[6]؟! وبخور من بُخَار؟! وصفوة من قذًى؟!.

دخلوا على **عابدٍ** فقالوا له: لو رفَقْتَ بنفسِكَ.

فقال: مِنَ الرِّفْقِ أُتِيتُ.

اسمعْ يا كسلانُ! كانوا في طلبِ العُلا يجتهدون ولا يرضون بدون، على أنَّهم يُعانون فيما يُعانون، القوم مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون، فقولوا لعاذليهم: لمن تعذلون؟.

---

(١) من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي. انظر: ديوان شعره: ١/٣٢٦ ـ ٣٣٠.
(٢) **عجف**: قحط.
(٣) **شم العرانين**: مرتفعو الأنوف، كنايةً عن العزّة والشموخ.
(٤) **أنف**: حمية. **والآناف**: جمع أنف.
(٥) **صيد**: جمع أصيد: المتكبر المزهو بنفسه.
(٦) **حمأة**: الطين الأسود المنتن.

(لمهيار)[1]:

كَثُـرَ فيـكَ اللُّـوَّمُ فـأيـنَ سمعـي منهُـمُ؟
قَلْبِـيَ واللـومُ عليـ ـكِ مُنْجِـدٌ ومُتْهِـمُ
قـالـوا: سهـرتَ والعيـو نُ الساهـراتُ نُـوَّمُ
وليـسَ مِـنْ جسمِـكَ إلْـ لا جلـدةٌ وأعظـمُ
ومـا عليهـم سهـري[2] ولا رُقـادي لهـمُ
وهـل سمـاتُ الحـبِّ إلْـ لا سَهَـرٌ وسَقَـمُ
[خُـذْ أنـتَ فـي شـأنِـكَ يـا دمعـي، وخـلِّ عنهـمُ[3]][4]

كان بِشْرٌ لا ينامُ الليلَ، ويقول: أخافُ أن يأتيَ أمرٌ وأنا نائم.

رقَـدَ السُّمَّـارُ وأرَّقَـهُ هـمٌّ لِلْبَيْـنِ يُـرَدِّدُه
فبكـاهُ النجـمُ ورَقَّ لـه ممـا يـرعـاهُ ويـرصُـدُه
وغـداً يَقْضِـي أو بعـد غـدٍ هـل مِـنْ نظـرٍ يَتَـزَوَّدُه
يَهْـوَى المشتـاقُ لقـاءَكُـمُ وصـروفُ الـدَّهْـرِ تُقَيِّـدُه

بقِيَ بِشْرٌ خمسينَ سنةً يشتهي شهوةً، فما صفا له درهمُها، وبضائعُ أعمارِكُم كُلُّها مُنْفَقَةٌ في الشَّهَواتِ من الشبهات، أبشرُوا بطولِ المرضِ يا مُخَلِّطين.

وا ويـلاه مـن ضيـاع كـلِّ العُمـر قـدْ مـرَّ جميعُـه بِمُـرِّ الهَجْـرِ
ضـاعَـتْ حِيَلـي وضـلَّ عنّـي صَبْـري يـا قـومُ عَجَـزْتُ عـن تـلافـي أمـري

يا مَنْ فاتُوه وتَخَلَّفَ، بُلَّ ثَراهُم من دَمْعِ الأسف.

دعْ شـأنَ عينِـكَ يـا حَـزِيْـنُ وشَـأنَهـا وَضَـعِ اليـدينِ علـى الحَشـا وتَمَلْمَلِ

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالمهرجان. انظر ديوان شعره: ٣/ ٣٢٢_٣٢٦.
(٢) في الديوان: (أرقي).
(٣) في الديوان: (وخذ ودعهم).
(٤) زيادة من (ب).

هـذا أوانُ فـراقهـمْ ولعَـلَّ مـا يُغْنـي وقـوفُـك سـاعـةً فـي المنـزل

جُزْ بنادي المحبّة، ونادِ بالقومِ تَراهُم كالفراشِ تحتَ النيرانِ.

(للشريف الرضي)[1]:

يـا دارُ مَـنْ قَتَـلَ الهـوى بعـدي وَجَـدُوا ولا مثـلَ الـذي عنـدي
لـو حَـرَّكَـتْ ذاك الـرَّمـادَ يـدٌ لـرأَتْ بقـايـا الجَمْـرِ والـوَقْـدِ

يشتدُّ عليهم حرُّ الخوفِ، فيشرفون على التلف «لولا نسيمٌ بذكراهم يُرَوِّحُني» يَنْبَسِطون انبساطَ المحبِّ، ثم ينقبضون انقباضَ الخائفِ.

هذا اللَيْنُوفَرُ[2] ينشرُ أجنحةَ الطَّرَبِ في الدُّجى، فإذا أحسَّ بالفجرِ جمعَ نفسَه، واستحيى من فارط[3]، فإذا طلعتِ الشمسُ نكَّسَ رأسه في الماءِ خَجِلاً من انبساطه:

أبـاسطُـه علـى جَـزَعِ كشُـرْبِ الطـائـرِ الفَـزِعِ
رأى مـاءً فـأطْمَعَـهُ وخـافَ عـواقـبَ الطَّمَـعِ
فصـادفَ فُـرْصَـةً فـدنـا ولـم يلْتَـذَّ بـالجَـرَعِ

كلَّما جاء كلامي صَعَّد، كلَّما زادتِ الوَقودُ فاحَتْ ريحُ العود، أفيكم مُسْتَنْشِق؟! أوَ كلّكم مزكومٌ؟! «إني لأجدُ نَفَسَ الرحمنِ من قِبَلِ اليَمَن»[4].

---

(١) مطلع قصيدة قالها في أبي سعيد بن خلف. انظر ديوان شعره: ١/ ٣٢١.

(٢) اللينوفر: جنس من نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية يُزرع في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار.

(٣) الفارط: السابق المتقدم، السابق إلى الماء ليهيئه ويُعدّه.

(٤) أخرجه أحمد بلفظ: «وأجدُ نَفَسَ ربِّكُم من قبل اليمن» عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحافظ العراقي: رجاله ثقات. وبالرجوع إلى إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد: ١/ ١٠٣، وجدنا تخريج الحافظ العراقي المذكور، وفي الإحياء: ٣/ ٢١٧: جاء تعليق العراقي التالي: أشار به (أي: نفس الرحمن) إلى أويس القرني، وقد تقدَّم في كتاب قواعد العقائد، ولم أجد له أصلاً!! علماً أنه هناك قال: أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة. ولعل الطابع الأول للكتاب وضع تخريج حديث آخر، هذا وقد ذكر بعض =

باح مجنون عامرٍ بهواه.

وما بُحْت حتى استنطقَ الشوقُ أدمعي   وأذكَـرَنـي عهـدَ الحِمـى المُتقـادِمِ

أتجدونَ يا إخواني ما أَجِدُ من ريحِ النسيم؟.

ألا يـا نسيـمَ الـريـحِ مـا لـكَ كُلَّمـا   تجـاوزتَ ميـلاً زادَ نشـرُكَ طيبـا
أظـنُّ سُليمـى خُبِّـرَتْ بِسقـامِنـا   فـأعطَتْـكَ ريَّـاهـا فَجِئْـتَ طيِّبـا

* * *

= الفضلاء أن المقصود «بنفس ربكم» تلك الكتائب اليمنية المجاهدة التي انطلقت إلى الشام داعية مجاهدة. انظر: إتحاف السادة المتقين: ٢/ ١٣٠، للزبيدي، شرح الإحياء.

الفصل الخامس والثمانون

يا مَنْ كلَّ يوم يقْدُم إلى القبرِ فارط[1]، لا تغْتَرَّ بالسلامةِ فربَّما قَبَضَ الباسِط، انهض للنجاةِ بِقَلبٍ حاضرٍ وجأشٍ[2] رابط، قبلَ أن يكفكَ[3] على بساطِ العجْزِ خابط[4]، ونفَسُ النَّفْسِ تخرجُ من سَمِّ إبرةِ خَائط.

قُلْ للمؤمِّلِ: إنَّ الموتَ في أثَرِك ... وليسَ يَخْفَى عليك الأمرُ من نَظَرِك
فيمَنْ مضى لكَ إنْ فكَّرْتَ معتبرٌ ... ومَنْ يَمُتْ كلَّ يومٍ فهو مِنْ نُذُرك
دارٌ تسافِرُ عنها من غدٍ سَفَراً ... فلا تؤوبُ إذا سافرتَ من سَفَرِك
تُضحي غداً سَمَراً للذاكرين كما ... صارَ الذين مَضَوْا بالأمسِ مِنْ سَمَرِك

أُخْلُ بنفسِكَ في دارِ المعاتبة، وأحْضِرْها دستورَ المحاسبة، وارْفَعْ عليها سوطَ المُعاقَبة، وإنْ لم تفعلْ خسرتَ في العاقبة.

خُلِقْتَ جِسْماً سوِيّاً ثم زُرْتَ ثرَى ... فَصِرْتَ خطّاً وطالَتْ مدةٌ فَمُحي
قِفْ بالمنازلِ من عادٍ وغيرِهمُ ... فما ترى ثَمَّ مِنْ شَخْصٍ ولا شَبَحِ
كُلٌّ مجازى بما أسداهُ من حَسَنٍ ... وسَيِّئٍ فاهجُرِ السَّوْءات وانْتَزِحِ

لقد وعظك أمسُ واليوم، وأنتَ من سَنة[5] إلى نَوْم! أين العشائرُ؟ أين القوم؟ اشتراهُم البِلى بلا سَوْم[6]، لا فِطرَ عندهم ولا صَوْم، بل بلابلُ العتابِ واللَّوْم، هذا رشاشُ الموجِ يُنْذِرُ بالعَوم، ويخبِرُ بالحادثاتِ إشمامُها[7] والرَّوم[8].

---

(١) **الفارط**: السابق المتقدم.

(٢) **جأش**: القلب.

(٣) في (ب): يلقيك.

(٤) **خابط**: نازلة تلقيه في المرض أو العجز.

(٥) **سنة**: النعاس من الوسن.

(٦) **سوم**: يقال: سام المشتري السلعة: طلب بيعها.

(٧) **إشمامها**: الإشمام في علم التجويد هو تحريك الشفتين بلا صوت، إشارة إلى الضمة المحذوفة بُعيد الوقف على الكلمة، ولا يكون إلا على الضم.

(٨) **الرَّوم**: هو إسماع الحركة للقريب دون البعيد ولا يكون إلا في الكسرة أو الضمة.

اغْتَنِـــمْ صَفْـــوَ الليـــالـــي إنَّمـــا العَيْـــشُ اختـــلاسُ

تلبِـــسُ الـــدَّهـــرَ ولكـــنْ متعـــــةٌ ذاكَ اللبـــاسُ

يا جامعَ الحطام ولا يدري ما جَنَى، كلَّما نَقَضَ الواعظُ أصلاً مِنْ حرصِكَ بنى[1]، بادر الفَوْتَ[2] فإن الموتَ قد دنا، هذا بشيرُ القَبول وإياكَ عنا، النِّثار[3] كثير فما هذا التوقُّفُ والوَنَى[4]؟! امدُدْ يدَ الصدقِ وقد نلتَ كلَّ المنى، هذه الخَيفُ وهاتيك مِنى.

أمَا تهزُّكَ هذه المواعِظُ أيها المهزوزُ؟! أمَا يوقظُكَ التصريحُ ولا الرموز؟! أمَا كلُّ وقتٍ عودُ الهلاك مغموزٌ[5]؟! أما كلُّ ساعةٍ غصنٌ مقطوعٌ ومَحْزوز؟! أما تراهم بين مدفوع وموكوز[6]؟! كلُّ أفعالك إذا تأمَّلْتَ ما لا يجوز، أين أربابُ القصور؟! أين أصحابُ الكنوز؟! هلَكَ القومُ كلُّهم وضاع المكنوز، وحِيْزَ في حُفْرة البِلى مَنْ كان للمالِ يحوز[7]، بينا تغرّهم الإناءةُ وقعتِ النواةُ في الكوز! أين كِسْرى؟! أين قَصيرُ[8]؟! أين فَيروز[9]؟! عَرَوْا عن الأكفانِ وما كانوا يَرضَوْن الخُزوز[10]، وأبرزَ الموتُ أوجهاً عزَّ عليها البروز، وساوى بين العرب والعجم

---

(١) بنى: من البناء، أي: بنى الحرص.

(٢) الفوت: الفراغ والعمر.

(٣) النِّثار: ما نثر في حفلات السرور من حلوى أو نقود.

(٤) الونى: الضعف والفتور.

(٥) مغموز: معصور ومعضوض، يقال: غمز المثقِف القناة: عضها وعصرها (المعجم الوسيط).

(٦) موكوز: المضروب بجمع اليد على ذقنه (المعجم الوسيط).

(٧) يحوز: يجمع ويملك.

(٨) قصير: هو قصير بن سعد صاحب جذيمة الأبرش، ومن المثل: (لا يطاع لقصير أمر).

(٩) فيروز: في كتاب الإصابة: ٥/ ٣٥٠برقم (٧٠١٤): فيروز الديلمي، يكنى أبا الضاحك، ويقال: أبا عبد الرحمن، يماني كناني من أبناء الأساورة من فارس، كان كسرى بعثهم إلى قتال الحبشة، وفي الصفحة(٣٨٠): وفد على رسول الله ﷺ وأعان بعد ذلك على قتل الأسود العنسي. وروى عنه أولاده الثلاثة. ومن شاء معرفة أوسع فليرجع إلى الإصابة.

(١٠) الخزوز: جمع خز، وهو الثياب المنسوجة من صوف وحرير.

والنَّبَـط[1] والخُوز[2]، ونَسخَ[3] بِحَسراتٍ يومَ الرحيلِ لذاتِ النيروز[4]، وكشفَ لهم نِقابَ الدنيا فإذا المعشوقةُ عجوز، ما رَضيتْ إلا قَتْلَهم، وكم تدلَّلَتْ بالنشوز[5]، لقد أذاقتهم بردَ كانون الأول فإذا هُم في تموز، وإنَّما قصدَتْ غرورَهم لتقتلهم في كالوز[6].

وا عجباً! بحرُ الوُجودِ قد جمع الفنونَ: العلماءُ جوهرُه، والعبَّادُ عَنْبَرُه، والتجارُ حيتانُه، والأشرارُ تماسيحُه، والجهَّالُ على رأسِه كالزَّبَدِ، فيها مَنْ يجري به على هواه، وهو عليه كالقفيا.

قِفْ يا قُفيّا، كم تحضُر مجلساً وكم تتردّد، وكم تُخوَّفُ عقبى الذنوبِ وكم تُهدَّدُ! يا مَنْ لا يلينُ لواعظٍ وإن شدَّدَ، يا راحلاً عن قريبٍ ما عليها مُخلَّد، تلمَّحْ قبرَكَ لا قصرَكَ المُشيَّد، وتعلَّمْ أنَّ المطْلِقَ إذا شاءَ قَيَّد، أترى تَقَعُ في شَرَكي، فإني جئتُ أتصيَّدُ.

يا مَنْ يَسألُ عن مراتب الصالحين ما لَكَ ولَها؟! تساومُ في راحلة، وما تَمْلِكُ ثمنَ نعلٍ، تجمعُ من جوانِبِ الحافات خُبازي[7] وتريد أن تطعم أخضر، تطلب سهماً من الغنيمة وما رأيتَ الحربَ بعينيك!.

يحاولُ نيلَ المجدِ والسيفُ مُغْمَدٌ ... ويـأمـلُ إدراكَ العُلـى وهـو نـائـمُ

البلايا تُظهِرُ جواهرَ الرجال، وما أسرعَ ما يُفْتَضحُ المُدَّعي.

تنـــامُ عينــاكَ وتَشكـــو الهَـــوى ... لـو كنـتَ صبّـاً لـم تكُـنْ نـائمـا

رأى فقيرٌ في طريق مكة امرأةً فتبِعَها فقالت: ما لَكِ؟.

---

(١) النبط: جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنبيط والأنباط.
(٢) الخوز: جيل من الناس واسمٌ لجميع بلاد خوزستان.
(٣) نسخ: أزال.
(٤) النيروز: عيد من أعياد الفرس يكون في أول فصل الربيع.
(٥) النشوز: الترفع والتمنع.
(٦) كالوز: قوم يخرجون بالسلاح للماء إذا تشاحُّوا عليه.
(٧) خبازي: جنس نبات من الفصيلة الخبازية، منه نوع يُطهى ورقه فيؤكل.

فقال: قد سَلَبَ حُبُّكِ قلبي.

قالت: فلو رأيتَ أُختي؟ فالتفتَ فلم يَـرَ أحداً.

فقالت: أيها الكاذب في دَعْوَاهُ، لو صدقْتَ ما التَفَتَّ.

واللهِ لو عَلِمَتْ روحي بمَنْ عَلِقَتْ   قامَتْ على رأسِها فضلاً عن القدم

إذا كنتَ تشتغِلُ اليوم عنّا بسوداءَ، فكيف تَذْكُرُنا إذا أعطيناك الحور؟!.

يا مؤثـراً ما يَفْنى على ما يَبْقى، هذا رَأيُ طبعِكَ، هـلاّ استشـرْتَ عقلكَ لتسمع أصحَّ النصائح، مَنْ كان دليله البوم كان مأواهُ الخَراب.

ويحك! اعزِمْ على مجنون هواكَ بعزيمة، فرُبَّ شيطانٍ هاب الذكر، تلمَّحْ غِبَّ[1] الخطايا لعلَّه يكُفُّ الكَفَّ، لا تحتَقِرَنَّ يسيرَ الطاعات «فالذَّودُ إلى الذَّودِ إبل»[2]، ورُبما احتيجَ إلى عويد[3] منبوذ. لا تحتقرنَّ يسيرَ الذنب، فإن العُشْبَ الضعيف يُفْتَلُ منه الحبل القوي، فَيَخْتَنِق به الجملُ المغتلِم[4]، أوما نفذت في سَدِّ سبأ حيلةُ جُرَذٍ[5]، مَنْ عرفَ شَرَفَ الحياة اغتنَمَها، من عَلِمَ أرباحَ الطاعاتِ لزِمَها، العمرُ ثوبٌ ما كُفَّ، والأنفاسُ تَسْتَلُّ الطاقات، كَمْ قد غَرِقَتْ في بحرِ سَوْفَ سفينةُ نَفْسٍ!.

يا هذا! أنتَ أجيرٌ وعليكَ عَمَل، فإذا انقضى الشُّغْلُ فالبَسْ ثيابَ الراحة.

قال رجلٌ لعامر بن عبدِ قَيْسٍ: كَلِّمْني، فقال: أمسكِ الشَّمس.

دخلوا على الجنيدِ عند الموت وهو يصلِّي، فقيل له: في هذا الوقت؟! فقال: الآنَ تُطوى صحيفَتي.

---

(١) الغبّ: العاقبة.

(٢) الذود إلى الذود إبل: مثلٌ عربي معناه: القليل يضم إلى القليل يصير كثيراً. و(إلى) في العبارة بمعنى (مع)، والذود: جمع لا واحد له من لفظه كالنعم.

(٣) عويد: تصغير عُود.

(٤) المغتلم: الهائج بسبب شدة الشهوة.

(٥) الجُرَذ: الذكر من الفئران.

حُثُّوا المَطيَّ فهذه نجدُ ... بلغَ المدَى وتجاوزَ الحدُّ
يا حبّذا نجدٌ وساكنُه ... لو كان يَنْفَعُ حَبّذا نجدُ

يا دارَ الأحبابِ! أين السكان؟ يا منازلَ العارفين! أينَ القُطّان؟ يا أطلالَ الواجدين! أين البُنْيان؟.

تعاهَدَتْكَ العُهّادُ يا طَلَلُ ... خَبِّرْ عن الظّاعنينَ ما فَعَلُوا
فقال: ألا اتَّبَعْتَهم أبداً ... إن نزلوا مَنْزِلاً وإن رَحَلُوا
تَرَكْتَ أيدي الهوى تقودُهمُ ... وجِئتنِي عن حديثِهم تَسَلُ

رحَلَ القومُ يا مُتَخَلِّف، وسبقوكَ بالعزائمِ يا مُسَوِّف، فَقِفْ على الآثار وقوفَ مُتلهِّف، وصِحْ بالدمعِ: سِرْ يا مُتوقِّف.

(للشريف الرضي)[1]:

يا قلبُ جدِّدْ كمَدَا ... فموعدُ البَيْنِ غدا
لم أرَ فَرْقاً بعدهُمْ ... بينَ الفِراقِ والرَّدى
يا زفرةً هَيَّجَها ... حادٍ مِنَ الغَوْرِ حدَا
أَرْعَى الحُمُولَ ناظراً ... أو أُلزِمُ القلبَ يدا
وأطرُدُ الطّرفَ على ... آثارهم ما انْطَرَدا
مُذ أوقَدوا بأضلعي ... حَرَّ الجَوى ما بردا[2]
ومُذْ أذابُوا ماءَ عيني ... للأسى ما جَمَدا
كنتُ أُداوي كبدي ... لو تركوا لي كبدا

* * *

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٥٣ـ٣٥٦.
(٢) الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان: «جمع الغضا ما خمدا».

الفصل السادس والثمانون

إخواني! المفروحُ بِـهِ من الدُّنيا هو المحزونُ عليهِ، وبِقَدْرِ الالتذاذِ يكونُ التأسُّف، ومَنْ فَعَلَ ما شاءَ لَقِيَ ما ساء.

مـا آلَ مـا كـانَ المُنـى مـا آلمـا	صـارَ مـا واصلتَـه قـد صـارِمـا
بيْنَمـا أضحـكُ مسـروراً بـه	سـالَ مـاءُ العيـنِ إذا مـا سـالَمـا

الدنيا فلاةٌ فلا تَأْمَنِ الفَلا[1]، بل تَيقَّنْ أنها مارستان بَلا[2]، ولا تَسْكُنْ إليها، وإن أظْهَرَتْ لكَ الوَلا[3]، على أنها تَخْفِضُ مَنْ عَلا.

فلينظرِ الإنسانُ يَمْنَةً فهل يرى إلا مِحْنَةً؟! ثم ليَعْطِفْ يَسْرَةً فهل يرى إلا حَسْرةً؟!.

أمَّا الربْعُ العامِرُ فقد دَرَس[4]، وأما أسَدُ المماتِ فَفَرَس[5]، وأما الراكبُ فكَبَتْ[6] به الفرس، وأما الفصيحُ فاستبدلَ الخَرَس، وأما الحكيمُ فما نفعه إن احتَرَس، ساروا في ظلام ظُلْمِهم ما عندهم قَبَس، ووقفَتْ سفينةُ نجاتهم لأنَّ البحرَ يَبَس، وانقلبَتْ دُوَلُ النفوسِ كُلُّها في نَفَس، وجاء (مُنْكَرٌ)[7] بآخرِ (سبأ)[8]، و(نكير) بأول (عبس)، أفلا يقوم لنجاتِه مَنْ طالَ ما جَلس؟!.

آهِ لِنَفْسٍ رَفَلَت[9] مِنَ الغفلةِ في أثوابِها، فثوَى بها الأمرُ إلى عدمِ ثَوابِها، آهِ

---

(١) الفلا: الأرض الواسعة المقفرة، وأيضاً الفلا: الانقطاع.

(٢) مارستان: دار المرضى. بَلا: بلاء وفناء.

(٣) الولا: الولاء والمحبة.

(٤) الربْع: الدار بعينها حيث كانت. درَسَ: عفا وذهب آثاره.

(٥) فرس: يقال: فرس الأسدُ فريسته: صادها وقتلها.

(٦) كبت: عثرت.

(٧) منكر ونكير: ملكان يسألان الميت بعد دفنه.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

(٩) رفلت: رفل في ثيابه: أطالها وجرَّها متبختراً.

لعيونٍ أغشاها الأملُ، فسَرَى[1] بها إلى سَرَابِها، آهٍ لقلوبٍ قَلَبَها[2] الهوى عن القرآنِ إلى ربَابها[3] فربا بها[4]، آهٍ لمرضى قد علمَ الطبيبُ قَدْرَ ما بها، وقَدْ رُمي بها.

(لأبي العتاهية):

يـا نَفْـسُ مـا هـي إلا صبـرُ أيـامِ كـأن مُـدَّتَهـا أضغـاثُ أحـلامِ
يا نفسُ جُوزي عن الدنيا مبادِرَةً وخـلِّ عَنْهـا فـإنَّ العيشَ قُـدَّامـي

يا مغرورين بِحَبَّةِ الفخِّ! ناسينَ خَنْقَ الشَّرَك، تَذَكَّروا فواتَ المُلتَقَط[5] مَعَ حصولِ الذَّبحِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣].

الحذرَ الحذرَ من صيَّادٍ يسبق الطيرَ إلى مهابِطِه بِفخَاخٍ مختلفة الحِيَلِ، قدِّروا أنكم لا تَرَوْنَ خَيْطَ فَخِّهِ، أما تُشاهدون ذبائحَهُ في خَيْط ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]؟!.

(للشريف الرضي)[6]:

يا قلبُ كيفَ عَلِقْتَ في أشراكِهم ولقـد عَهِـدْتُـكَ تُفْلِـتُ الأشْـرَاكـا
لا تَشْكُـوَنَّ إلـيَّ وَجـداً بعْـدَهـا هـذا الـذي جَـرَّتْ عَلَيْـكَ يـداكـا

ألا يصبِرُ طائرُ الهوى عن حَبّةٍ مجهولةِ العاقبة! وإنّما هي ساعة ويصلُ إلى بُرْجِ أمْنِـهِ، وفيه حبّات.

فـإنْ حَنَنْـتَ للحِمَـى وطِيْبِـهِ فبـالغَضَـا مـاءٌ وروضـاتٌ أُخَـرْ

وا عجباً أن يكون حاملُ الكتابِ من الطيرِ أقوى عزيمةً منك، لعلَّ وضعَكَ

---

(١) سرى: سار بها ليلاً. سرابها: أي سراب الدنيا، ما فيها من لذات فانية.
(٢) قلبها: صرفها.
(٣) ربابها: الربابة آلة لهو، وفيه إشارة إلى نمو الهوى وتضخمه في تلك القلوب.
(٤) رَبا: اشتد.
(٥) الملتقط: الحبة الملتقطة. الشرك: الفخ وشبكة الصيد.
(٦) انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٠٩.

على غيرِ الاعتدال، الخَلْقُ يدلُّ على الخالقِ، لا تكونُ الروحُ الصافيةُ إلا في بدنٍ مُعتدِلٍ، ولا الهمّةُ الوافيةُ إلا لنفسٍ نفيسةٍ.

لا يصلُحُ لحملِ الرسائل إلا الطيرُ الأخضرُ أو الأنمر[١]، لأنَّه إذا كان أبيضَ، كان كالغلامِ الصَّقْلابي[٢]، والصقلابي فَطِيرٌ[٣] خام، لم ينضج في محل الحمل، وإذا كان الطائرُ أسودَ دلَّ على مجاوزة حدِّ النُّضج إلى الاحتراق، فإن اعتدلَ اللونُ على نَفَاسَةِ النَّفْس، وشَرَفِ الهِمَّة، فحينئذٍ يعرفُ الطائرُ سِرَّ الجناح، فيقول بلسان الحال: عَرِّفوني الطريقَ بتَدْريجٍ، ثم حَمِّلوني ما شِئْتُم، فإذا أُدْرِجَ فَعَرَفَ، حُمِّلَ فَحَمَلَ، فصابَرَ الغُربَة، ولازمَ بطونَ الأودية، وسارَ مع الفراتِ أو دجلة.

فإنْ خَفِيتِ الطريقُ تَنَسَّمَ الرياحَ وتَلَمَّحَ قُرْصَ الشَّمس، وتراهُ مع شدَّةِ جُوْعِه يحذَرُ الحَبَّ المُلْقَى، خوفاً من دَفينة فَخٍّ توجبُ تَعَرْقُلَ الجَناح، وتَضْييعَ المحمُولِ، فإذا بَلَّغَ الرِّسالةَ أطلقَ نفسَه في أغراضِها داخلَ البُرج.

فيا حاملي كتبِ الأمانةِ إلى عَبَّادان[٤] التعبد، أكثرُكُم على غيرِ الجادَّةِ، وما يَسْتَدِلُّ منكم مَنْ قد رَاقَهُ حُبُّ حَبٍّ، فنزلَ ناسياً ما حُمِّل، فازْتُهِنَ بفَخٍّ [قد نُفِخَ][٥] فذُبِح، ومنكم من بَانَ[٦] لِتعَرْقُلِ جَناحِه، وما قصَده الذَّابحُ بَعْدُ، فلا الحبّةَ حصَّلْتَ، ولا الرسالةَ وصَّلْتَ.

قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُه وقدْ عَلِقَ الجَناحُ

---

(١) الأنمر: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى على أي لون كان.
(٢) الصقلابي: الصقلاب: الرجل الأبيض، والصقالبة: جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم.
(٣) فطير: كل ما أعجل قبل نضجه، يقال: رأيٌ فطير: خطر في البال وأُبدي بلا تثبت.
(٤) عبّادان: جزيرة أحاط بها شِعْبا دجلةَ ساكبتين في بحر فارس، وهي معبد العباد، وملقى عصي النساك، وفي المثل: «ما وراء عبادان قرية» سمّيت بعبادان بن الحصين التميمي. (تاج العروس).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) بان: من الأضداد: ظهر واختفى، وتأتي بمعنى: انقطع.

فـلا فـي الليـلِ نـالَـتْ مـا تَمـنَّـتْ ... ولا فــي الصُّبْـح كـانَ لهـا بَـراحُ

لو صابرتُم مشقَّةَ الطريقِ لانتهى السفر، فتَوَطَّنْتُم مستريحينَ في جنَّاتِ عدنٍ.

فيا مُهْمِلينَ النظرَ في العواقبِ! سَلِّفُوا وقتَ الرُّخَصِ، فما يُؤمَنُ تَغيُّرُ السعرِ. سَلْسِلوا سِباعَ الألسُنِ، فإنِ انحلَّتْ افترَسَتْكُم. لا تَرْمُوا بأسهُمِ العيونِ ففيكم تَقعُ. رُبَّ راعي مُقْلَةٍ أهْمَلَها، فَأُغِيرَ على السَّرْح. من رأى الحقائقَ رأيَ عين غَضَّ طرفَه عن الدارين. لو حضرتم حَضْرَةَ القُدْسِ لَعَبَقْتُم بنشرِ الأُنس.

اطلبُـــــوا لأنْفُسِكُـــــم ... مثْـلَ مـــا وجــدْتُ أنـــا
قـــدْ وجَـــدْتُ لـــي سَكَنـــا ... ليـــس فـــي هـــواهُ عَنَـــا
إنْ بعُـــدْتُ قـــرَّبنـــي ... أو قَـــرُبْـــتُ منـــه دنَـــا

يا هذا! اِعْرِفْ قَدْرَ لُطفنا بك، وحِفْظِنا لَك، إنَّما نهيناكَ عن المعاصي صيانةً لك، لا لحاجَتِنا إلى امتناعِك، لمّا عَرَفْتَنا بالعَقْلِ حَرَّمْنا الخمرَ لأنَّها تَسْتُرُه، ومثلُ يوسفَ لا يُخبَّأ.

يا متناولاً للمُسْكِرِ! لا تَفْعَل، يكفيكَ سُكْرُ جهْلِكَ، فلا تجْمَع بين خَليطَيْن، اجعلْ مراقبتَكَ لِمَنْ لا تَغيبُ عنهُ، وشكرَكَ لمن لا تَغُبُّكَ[1] نِعَمُه، وطاعتَك لمن لا ترجو خيراً إلا منه، وبُكاءكَ على قَدْرِ ما فاتك منه، وارفع إليه يدَ الذُّلِّ في طلبِ حوائجِ القلبِ تأتي وما تشعر.

يا هذا! عندَكَ بضائعُ نفيسةٌ، دموعٌ ودِماء، وأنفاسٌ وحركات، وكلماتٌ ونَظَراتٌ، فلا تبذلْها فيما لا قَدْرَ له، أيصْلُحُ أن تبكيَ لِفَقْدِ ما لا يبقى؟ أو تَـتَنَفَّسَ أسفاً على ما يَـفْنى، أو تَبْذُلَ مُهجةً لصورةٍ عن قليلٍ تُمْحى، أو تتكلَّمَ في حصولِ ما يَشين ويَـتْوى[2].

وا عجباً! من مجنونٍ بلا ليلى، ويحك! دمعةٌ منك تُطْفي غَضَبنا، وقطرةٌ من دمٍ في الشهادةِ تمحُو زَلَلَك، ونَفَسُ أسَفٍ ينسِفُ ما سَلَف، [وخُطواتٌ في

---

(١) تغبك: يقال: أغب في الزيارة: أتى يوماً وانقطع آخر، فتغب: فتنقطع.
(٢) يتوى: توى: هلك، والتوى: الهلاك.

رياضِنا تَغْسِلُ الخطيئات][1]، وتسبيحةٌ تَغْرِسُ لك أشجارَ الخُلْدِ، ونظرةٌ بِعبْرة تثمرُ الزُّهدَ في الفاني، ولكنّ تَصْحيحَ النقدِ شرطٌ في العَقْدِ.

سِلَعُ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢] لا تُباعُ إلا بدينار ﴿لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] إذا كان خارجاً من سبيكة ﴿وَءَامَنَ﴾ [طه: ٨٢] عن سِكَّة[2] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢] من دَارِ ضَرْبِ[3] ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

يا هذا! لو استَشْعَرْتَ زُرْمانِقَةَ[4] الزُّهْدِ، تحتَ مُطْرَفِ[5] «رُبَّ أشعَثَ أَغْبَرَ»[6]، وسُحْتَ[7] في باديةِ «يُدْفعون» لأَفَضْنا عليك خِلَعَ[8] «إذا رؤوا ذُكِرَ الله»[9].

يا هذا! إن لم تقْدِرْ على كثرةِ العملِ، فقِفْ على بابِ الطلبِ، تعرَّضْ بجَذْبَةٍ من جذَبات الحق، ففي لحظةٍ أفلحَ السَّحَرَةُ.

لا تجْزَعَنْ مِنْ كلِّ خَطْبٍ عَرا[10]	ولا تُـري الأعـداءَ مـا يُشمِـتُ
يـا قـومِ بـالصَّبْـرِ يُنـالُ المُنـى	إذا لقيتُـم فِئَـةً فـاثبتـوا

(١) زيادة من (ب).

(٢) السِّكَّة: قالب لسكّ العملة.

(٣) دار ضرب: المكان الذي تسبك فيه الدراهم والدنانير.

(٤) زُرْمانِقة: جبة من صوف، وفي الحديث: أنَّ موسى عليه السلام كان عليه زُرْمانِقة من صوف يوم قال له ربه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢].
وفي الصحاح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زُرْمانِقة، يعني: جبة صوف. (انظر: لسان العرب).

(٥) مُطْرَف: رداء من خزّ مربع له أعلام.

(٦) رواه الحاكم وأبو نعيم في (الحلية)، وصححه السيوطي في (الجامع الصغير).

(٧) سحت: من ساح يسيح سياحة: ذهب في الأرض وسار، والسائح: المتنقل في البلاد للتنزّه والاستطلاع والبحث والاعتبار.

(٨) خِلَع: جمع خلعة، وهي المنح من ثياب وغيرها.

(٩) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «إنَّ من الناسِ مفاتيح لذكرِ الله إذا رُؤوا ذُكِرَ الله». وذكره في (الجامع الصغير) برقم (٢٤٦٦).

(١٠) عرا: حلّ ووقع.

طريقُ الوصولِ صعبة، وفي رِجْلِكَ ضَعْفٌ، ويحَك! دُمْ على السلوكِ تَصِلْ، أوّلُ النَّخْلَةِ السَّحُوقِ[1] فَسيلةٌ[2]، بدايةُ الآدمي الشريفِ مُضْغَةٌ، ثمنُ المعالي جَدُّ الطالبِ، والفُتورُ مُزْمِنٌ، بلدُ الرياضةِ سحيقٌ ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، سحابةُ الصيفِ أَثْبَتُ مِنْ قولِكَ، والخطُّ على الماءِ أبقى من عَهْدِكَ.

مِــــنَ السَّلْــــوَةِ فــــي عينَيْـ	ـــــكَ آيـــــاتٌ وآثـــــارُ
أراهـــا منـــكَ بـــالـــذِّهـــنِ	وفـــي الألبَـــابِ أبصـــارُ
إذا مـــــا بَـــــرَدَ القلـــــبُ	فمـــا تُسَخِّنُـــهُ النـــارُ

يا هذا! إذا حضرَ قلبُكَ فنسيمُ الريحِ يُذَكِّرُك، وإنْ غابَ فمئة ألفِ نبيٍّ لا يُوصلون التذكرةَ إليك، تَاللهِ لقد أَلْمَعْنا المعنى، وما أَلْزَمْنا الزَّمنى[3].

ولـي ألـفُ بـابٍ قـد عرفْـتُ طريقَـه	ولكـن بـلا قلـبٍ إلـى أيـنَ أذْهَـبُ

* * *

---

(١) السَّحوق: الطويلة.

(٢) فسيلة: النخلة الصغيرة.

(٣) الزَّمنى: جمع زَمِن، وهو المريض بداء عُضال.

الفصل السابع والثمانون

يا مَنْ يَرْحلُ في كلِّ لَحْظَةٍ عن الدُّنيا مَرْحلةً، وكتابُه قد حَوَى حتّى قَدْرَ خَرْدَلة، كُنْ كيف شئتَ، فبَيْن يديك الحسابُ والزلزلة، يا عجباً من غفلةِ مؤمنٍ بالجزاءِ والمسألة، أَيَقِيْنٌ بالنجاةِ أمْ غرورٌ وَبَله؟.

تبنـي وتجمعُ والآثارُ تَنْـدَرِسُ ... وتـأمَـلُ اللُّبثَ والأرواحُ تُخْتَلَسُ
ذا اللُّبِّ! فكِّرْ فما في الخلدِ مِنْ طمَعٍ ... لا بـدَّ مـا ينتهـي أمـرٌ ويَـنْعَكِـسُ
أيـنَ الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ ومَـنْ ... كانوا إذا الناسُ قاموا هيبةً جَلَسُوا؟
ومَـنْ سيـوفُهُـمُ فـي كـلِّ مُعْتَـرَكٍ ... تُخْشى، ودونَهُمُ الحُجَّابُ والحَرَسُ
مـاتـوا جميعاً ولـم يظهـرْ لهـم أثـرٌ ... وتحتَ أطباقِها في التُّرْبِ قدِ درَسُوا
أضحَـوْا بمَهْلَكَـةٍ فـي وَسْـطِ معـركـةٍ ... مَوْتى وماشِي الورى مِنْ فوقِهم يَطِسُ[1]
وعمَّهُـم حـدَثٌ وضمَّهـم جَـدَثٌ ... باتوا وهم جُثَثٌ في الرَّمْسِ قد حُبِسوا
كـأنَّهـم قَـطُّ مـا كـانـوا ومـا خُلِقـوا ... ومـاتَ ذكـرُهـمُ بيـنَ الـوَرَى ونُسُـوا
واللهِ لـو نَظَـرَتْ عينـاكَ مـا صَنَعَـتْ ... يـدُ البِلـى بِهِـمُ والـدودُ يَـفْتَـرِسُ
مـن أوجـهٍ نـاضـراتٍ حـارَ نـاظـرُهـا ... في رَوْنَقِ الحُسْنِ منها كيف تَنْطَمِسُ
وأَعْظُـمٍ بـاليـاتٍ مـا بهـا رَمَـقٌ ... وليـسَ تَبْقـى وهـذا وهـي تُنْتَهَـسُ
وألسـنٍ نـاطقـاتٍ زانهـا أَدَبٌ ... خَفَتْ[2] وما شانَها[3] بالآفةِ الخرَسُ
لسبتهـمُ[4] ألسُـنٌ للـدَّهْـرِ فـاغـرةٌ ... فاهاً فآهاً لهم إذْ بالردى وُكِسُوا
عَرُوا عن الوَشْيِ لمّا أُلبِسُوا حُللاً ... من الرُّغامِ على أجسادِهم وكُسُوا[5]
حتَّـامَ يـا ذا النُّهـى لا تَـرْعَـوي سَفَهـاً ... ودمـعُ عينِـكَ لا يَهْمـي وينحبـسُ

---

(١) يطس: الوطس: الضرب الشديد بالخف وغيره.
(٢) في (ب): ما شأنها.
(٣) شانها: عابها.
(٤) لسبتهم: يقال: لسبته الحية وغيرها: لدغته، واللسب واللسع واللدغ بمعنى واحد.
(٥) كسوا: من الكسوة، أي: الثياب.

أيها المطمئنُّ إلى دنيا وهي تطلبُه بِدَخَلٍ[1]، قد مَرِضَتْ عَينُ بصيرتِه فيها فما يَنْفَع الكُحْلُ، يَتَبَخْتَرُ في رِيَاضِها وما يُصْبح إلا في الوَحْل[2]، انتبه للرحيل، ثم اشدُد الرَّحْل[3]، واستبدلْ خِصْبَ المَرادِ[4] عن قَحل المَحْل، وتأمَّرْ على نَفْسِك فللنَّحْلِ فَحْل.

اتــرِكِ الشَّـــرَّ ولا تـــأْنَـــسْ بِشَـــرّ	وتـــواضَـــعْ إنَّمـــا أنـــتَ بَشَـــرْ
هـــذه الأجســـامُ تُـــربٌ هـــامـــدٌ	فمـــن الجهـــل افتخـــارٌ وأشَـــرْ[5]
جســـدٌ مـــن أربـــعٍ يَلْحظُهـــا	سبعـــةٌ مِـــنْ فـــوقِهـــا فـــي اثنَـــيْ عَشَـــر
فـــي حيـــاةٍ كخيـــالٍ طـــارقٍ	شَغَـــلَ الفِكْـــرَ وخَـــلَّاكَ ومَـــرّ

تَاللهِ! لقد كَشَفَتِ الغِيَرُ ما انسَدَل، فلم يبقَ مِراءٌ ولا جدَل، [هذا حَمامُ الحِمامِ قد هَدَل[6]][7]، فكم صَرَخَ صوتُه وكم جَدَل[8]! يا جائرين احذروا ممَّن إذا قَضَى عَدَل، واعلموا أنَّ الآخرةَ ليس منها بدَل، هذا هو الصوابُ لو أنَّ المزاجَ اعتدَل.

يا مَنْ عُمْرُه كزمانِ الوَرْدِ، الْتَقِطَ واعتَصِرَ لا في زور، يا شمسَ العصرِ على القَصْرِ، قد بلغَ مركَبُكَ ساحلَ الحياة، ووقف بعيرُك على ثَنِيَّةِ الوداع، وقاربتْ شمسُ عُمُرِكَ الطَّفَل[9]، وبقي من ضوء الأجلِ شَفَقٌ، فاستدركْ باقي الشعاعِ قبلَ غروب الشمس.

---

(١) **الدخل**: المكر والخديعة، وفي (ب): **الذحل**: وهو طلب الثأر أو طلب مكافأة بجناية أو عداوة.

(٢) **الوحل**: الطين الرقيق.

(٣) **الرحل**: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٤) **المراد**: بفتح الميم: موضع التردد، يقال: مَراد الإبل: موضع رعيها مقبلةً ومدبرةً فيه.

(٥) **الأشر**: البطر.

(٦) **هدل**: صوّت.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) **جدل**: يقال: جدَلْتُه تجديلاً: ألقيته على الجَدالة، وطعنه فجدّله.

(٩) **الطفل**: يقال: طفلت الشمس: مالت إلى الغروب.

أَيُنْفَقُ العُمْرُ في الدُّنيا مجازَفَةً والمالُ يُنْفَقُ فيها بالموازينِ

البِدارَ البِدارَ قبل الفَوْتِ، الحذَارَ الحذارَ قبلَ المَوْتِ، ما في المقابرِ مِنْ دَفينٍ إلا وهو متألِّمٌ من «سوف»[١].

يا هذا! متى تُبْتَ بلسانِكَ، وما حَلَلْتَ عُقَدَ الإصرارِ مِن قلبِكَ؛ لم تَصِحَّ التوبةُ، كما لَوْ سَكَنَتِ الأمراضُ بغْتَةً من غيرِ استفراغٍ، فإنَّ المرضَ على حاله.

يا هذا! إذا لم يتحقَّقْ قصدُ القلبِ لم يُؤثِّرِ النطقُ باللفظ، إنَّ المُكْرَه على اليمينِ لا تنعقدُ يمينُه «**إنَّما الأعمال بالنيّات**»[٢] وقلبُكَ كلُّه مع الهوى، «**إنَّ في البدن مُضْغةً، إذا صَلَحَتْ صَلحَ البدن، وإذا فَسَدَتْ فسدَ البدَن، ألا وهي القلب**»[٣].

أكثرُ الأمراضِ أمراضُ الهوى، وأكثرُ القتلى بسيفه. أربابُ الهوى أطفالٌ في حُجورِ العاداتِ وإنْ شابوا. [انحدَرَتْ عزيمتُكَ في جَرَيانِ نَهْرِ الهوى، فاصبرْ صبرَ مَدَّادٍ لعلَّكَ تَرُدُّها][٤].

ويحك! انتبهْ لإصلاحِ عيوبِكَ، لعلَّ المُشْتَرِي يَرْضى، تَاللهِ إنَّ المُشتري ما يحبُّ تَتَبُّطَ زُحَلٍ. اكفُفْ ثوبَ الكلام بالصمت وإلا تَنَسَّلَ[٥]. اِطْفِ حريقَ[٦] الهوى وإلا عَمِلَ. ارفُقْ بزجاج العُمْرِ فما يَنْشعِبُ[٧] إذا انكسر.

واعجباً! الظاهرُ غيرُ طاهر، والباطنُ باطل. الأمل بخارٌ فاسد. الرعونةُ علةٌ صعبة. منامُ المُنى أضغاثُ أحلام. رائدُ الآمالِ كذوب. مرعى المشتهي هَشِيم[٨]. العجزُ شريكُ الحرمان، التفريطُ مضاربُ الكسل. ديجورُ[٩] الجهلِ مُعْتِم.

---

(١) سوف: يشير إلى التسويف في الأعمال.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ولفظه: «**وإنَّ في الجسد مضغة... وإذا فسدت فسد الجسد**».

(٤) زيادة من (ب).

(٥) تنسل: تساقطت خيوطه وانقطعت.

(٦) في (ب): حرَاق.

(٧) ينشعب: يقال: شَعَبَ الصدعَ: لمَّهُ وأصْلَحَه.

(٨) هشيم: النبات اليابس المتكسر.

(٩) ديجور: ظلام.

سؤر[١] الهوى مُغرِق. رَوْضُ اللهو وَبِيء[٢]. غديرُ اللذاتِ غَدِر[٣].

ظَلَلْـــتُ أكُـــرُّ عليـــه الـــرُّقَـــى   وتـــأبَـــى عـــريكتُـــه[٤] أنْ تلينـــا

كَمْ قَدْ لُمْتُكَ وما نَفَع! كم قَدْ نَصَبْتُ لك شَرَكاً وما تَقَع، قُفْلُ قلبك روميٌّ ما يقع عليه فَشٌّ[٥].

يا هذا! المجاهدةُ حربٌ لا يصلُحُ لها إلا بطل، متى تَغَيَّر من جنودِ عَزْمِكَ على الإنابةِ قلبٌ واحدٌ، لمْ آمَنْ قَلْبَ الهزيمة عليك.

وإذا كـانَ فـي الأنـابيـبِ[٦] خُلْـفٌ   وقعَ الطيشُ[٧] في رؤوسِ الصِّعادِ[٨]

أيها المريدُ! تلطَّفْ بنفسِك في الرياضةِ تَصِل. مشيُ القَطا بتدبير[٩]، ومشي العصفور نقَزان، العنكبوت الفَطِنُ ينسجُ في زاوية، والمغفَّلُ ينسجُ على وجه الأرض.

كنْ قَيِّماً على جوارِحِك، وفِّها الحظوظَ، واستوفِ منها الحقوق، أما ترى حاضِنَ البيضِ يقلِّبُه بمنقارِه، لتأخذَ كلُّ بيضةٍ حظَّها من الحَضْنِ، ثمَّ أكثر ساعات الحضن على الأنثى، لاشتغال الذَّكَر بالكسبِ، فإذا صار البيضُ فراخاً كان أكثرُ الزَّقِّ على الأب ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧].

ما لَقِيَتْ حواءُ عُشْرَ ما لقي آدم، لأنَّها وإن شاركته في العلمِ بفقد صورة النعيم، فهو منفردٌ عنها بملاحظة المعنى، بَعْدَ عِزِّ ﴿ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [طه: ١١٦] يَقْبِضُ جبريل على ناصيتِه للإخراجِ، والمدنَفُ يقول: ارفق بي.

---

(١) سؤر: بقية الماء.
(٢) وبيء: وخيم.
(٣) غدر: من الغدر والخيانة.
(٤) عريكته: طبيعته.
(٥) فش: يقال: فَشَّ القفلَ فشاً، أي: فتحه بغيرِ مفتاح.
(٦) **الأنابيب**: جمع أنبوب: ما تصنع منه الرماح.
(٧) **الطيش**: يقال: طاش: عدل وانحرف.
(٨) **الصّعاد**: جمع صَعْدة: وهي الرماح.
(٩) **التدبير**: النظر في عاقبة الأمر.

يا سائقَ البَكَراتِ[1] استَبْقِ فَضْلَتَها على الغُويرِ[2] فظهرُ البَكْر معقُورُ

كان يتوقَّفُ في خروجه لو ترك، ويتشبّث بذيلٍ لو نَفَع، ولسانُ الأَسَى يصيحُ بمن آسا[3]:

تَزَوَّدْ مِنَ الماءِ النُّقاخِ[4] فَلَنْ تَرى بوادي الغَضى[5] ماءً نُقاخاً ولا بَرْدا
وَنَلْ منْ نسيمِ البَانِ والرَّنْدِ نَفْحةً فَهَيْهاتَ وادٍ يُنْبِتُ البَانَ[6] والرَّنْدا[7]
وكُرَّ إلى نجدٍ بطَرْفِكَ إنَّهُ متى تَسْرِ[8] لا تنظرْ عقيقاً[9] ولا نجدا

ما زال مُذْ نزل، يرفعُ قِصَصَ الغُصصِ، على أيدي أنفاسِ الأسفِ، فتصعد به صُعداءُ اللَّهَفِ[10]:

ألا يا نَسيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بابلٍ تَحَمَّلْ إلى أهلِ الحجازِ سلامي
وإنّي لأهوى أنْ أكونَ بأرضِهِم على أنّني مِنْها استفدتُ سِقامي

واعجباً! مَنْ قلقِ آدمَ بلا مُعينٍ على الحزنِ، هوامُ الأرضِ لا تَفهمُ ما يقول، وملائكةُ السماءِ عندها بقايا ﴿أَتَجْعَلُ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فهو في كربة، وحيدٌ بِدارِ غربة:

ألا راحمٌ مِنْ آلِ لَيْلَى فأشْتكي غرامِي لَهُ حتّى يَكِلَّ لِسانيا

* * *

---

(١) البكرات: جمع بكْرة: الفتية من الإبل.
(٢) الغوير: كزبير، ماء لبني كلب بن وبرة بناحية السماوة.
(٣) الأسى: الحزن. وآسا: أحزن، يقال: آساه، أي: أحزنه.
(٤) النُّقاخ: بضم النون، الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده، أي: ينقفه، أي يكسره.
(٥) الغضى: شجر من الأثل خشبه أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، واحده غضاة، وأهل الغضى أهل نجد.
(٦) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر.
(٧) الرَّند: شجر طيب من شجر البادية.
(٨) تسْر: السير في الليل.
(٩) العقيق: الوادي الذي شقّه السيل قديماً فأنهره.
(١٠) صعداء: تنفس ممدود. اللَّهف: الحزن والتحسّر.

الفصل الثامن والثمانون

إخوانـي! أيامُ العافيةِ غنيمة باردة، وأوقاتُ السلامةِ لا تُشْبِهُها فائـدة، فتناولْ ما دامتْ لديكَ المائدة، فليسَتِ الساعاتُ الذاهباتُ بعائدة:

مَضَى أَمْسُكَ الماضِي شهيداً مُعَدَّلاً[1] ... وأتبعــهُ يــومٌ عليــكَ شهيــدُ
فـإنْ تَـكُ بـالأَمْسِ اقتَرَفْتَ إساءةً ... فبـادِرْ بـإحسـانٍ وأنـتَ حميـدُ
ولا تُبْقِ فِعلَ الصالحاتِ إلى غدٍ ... لعـلَّ غـداً يـأتـي وأنـتَ فقيـدُ
إذا ما المَنَايا أخطأتْكَ وصادَفَتْ ... حَميمَـكَ فـاعْلَـمْ أنَّهـا ستعـودُ

كأنكُم بالقيامةِ قد قَامَت، وبالنفسِ الأمَّارة بالسوءِ قد لامَتْ، وانْفَتَحَتْ عيونٌ طالَما نامت، تحيَّرتْ قلوبُ العصاةِ وهامَتْ.

غـداً تُـوَفَّـى النفـوسُ مـا كسبَـتْ ... ويحصـدُ الـزارعـون مـا زَرَعـوا
إنْ أحسنُـوا أحْسَنُـوا لأنفسِهـم ... وإن أسـاؤوا فبئـسَ مـا صَنَعـوا

شبكَةُ الحساب ضيِّقةُ الأعين[2]، لا يعبرُها شيءٌ، وَكِيلُ المطالبةِ خصمٌ ألَدُّ[3]، أيَـنْطِقُ باقلُ[4] عُذْرِكَ بين يَدَيْ سَحبانَ[5] المناقشة، كلاّ أيقِنْ بالسجنِ.

يا هذا! إنَّكَ لم تَـزَلْ في حَبْس: **فأول الحُبُوس**: صُلْبُ الأب، **والثاني**: بطنُ الأمِّ، **والثالث**: القِماط[6]، **والرابع**: المكتب، **والخامس**: الكدُّ على

---

(١) **شهيداً**: أي شاهداً على عملك. **معدّلاً**: من العدالة وهو مَنْ قبلت شهادته.

(٢) **الأعين**: أي الفتحات.

(٣) **ألدّ**: شديد الخصومة.

(٤) اسم رجل من العرب، وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح كفيه، وفرق أصابعه وأخرجَ لسانه، يشير بذلك إلى أحد عشر، فضربوا به المثل في العيّ فقالوا: «أعيا من باقل» يريد أنَّ عذره لا يقوم للمحاسِب الذي شبهه بسحبان.

(٥) **سحبان**: رجل من وائل مشهور بفصاحته وبلاغته.

(٦) **القماط**: ما يُشَدُّ به الصبي في المهد.

العيال، **والسادس**: الموت، **والسابع**: القبر، فإن وَقَعْتَ في **الثامن**[1]، نسيتَ مرارةَ كلِّ حَبْس.

يا هذا! أُدْخُلْ حَبْسَ التقوى باختيارِك أياماً، ليَحْصُلَ لك الإطلاقُ في الأغراضِ على الدوام، ولا تُؤْثِرَنَّ إطلاقَ نفسِك فيما تُحِبُّ، فإنَّه يورِثُ حَبْسَ الأبدِ في النار.

إلى متى تسجنُ عقلَكَ في مطمورةِ[2] هواك؟! أوَيُحبس طاووس في ناووس[3]؟!.

ويحكَ! تفكَّرْ فيما بينَ يديك، وقد هان الصَّبْرُ عليك، لما خفيت العواقبُ على المتّقين، فَزِعُوا إلى القلقِ، وأكثروا من البكاء، فعذلَهُم من يشفقُ عليهم، وما يدري العاذلُ أنَّ العذلَ على حَمْلِ الحُزنِ عِلاوَة[4].

قيل لبعضِ العُبَّادِ: لِمَ تبكي؟.

قال: إذا لم أبكِ فما أصنع؟:

ما كانَ يقرأُ واشٍ سطرَ كِتْماني	لو أنَّ دمْعيَ لم يَنْطِقْ بتبْيانِ
ماءٌ، ولكنَّه ذَوْبُ النفوسِ، وهَلْ	ماءٌ تَوَلَّدُهُ مِنْ حَرِّ نيرانِ
ليتَ النَّوى إذ سقَتْني سُمَّ أَسْوَدِها	سَدَّتْ سبيلَ امرئٍ في الحُبِّ يَلْحاني
قد قلتُ بالجِزْعِ لما أنكَروا جَزَعي:	ما أبعدَ الصبرَ ممن شوقُهُ داني
عُجْنا على الرَّبْعِ نستسْقي له مطراً	وفاضَ دمْعي فأرواهُ وأظْماني

قَوِيَ حَصْرُ الخَوفِ، فاشتدَّ كربُ القوم، فكلَّما هبَّ نسيمٌ من الرجاءِ وَلَّوا وجوهَهُم شَطْرَه[5].

---

(١) **الثامن**: يشير إلى الموقف يوم الحساب.

(٢) **مطمورة**: حفرة يطمر فيها الطعام، أي: يخبأ.

(٣) **ناووس**: صندوق من خشب توضع فيه جثة الميت عند النصارى.

(٤) **عِلاوة**: ترقية.

(٥) **شطره**: نحوه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠].

يــا طــربــا لنفحــةٍ نَجْــدِيَّــةٍ أعــدلُ حَــرَّ القلــبِ بــاستبــرادِهــا
ومــا الصَّبــا رِيحــيَ لــولا أنّهــا إذا جَــرَتْ مَــرَّتْ علــى بــلادِهــا

عبارةُ النسيمِ لا يفهمها إلا الأحبابُ، وحديثُ البروقِ لا يروقُ إلا للمشتاق.

ومـرنَّـحٍ[1] فَطِـنَ النسيـمُ بـوجْـدِهِ فروى له خبرَ العُذَيْبِ[2] مُعَرِّضا[3]

العارِفُ غائبٌ عند ذكرِ الدنيا، وحاضرٌ عند ذكر الأُخرى، وطائشٌ عند ذكر الحبيب، ويحضر المجلس موثقاً بقيودِ الهمّ، فإذا ذُكِرَ الحبيبُ قطعَ الوجدُ السلاسلَ، إنَّ مداراةَ **قيس** تمكنُ[4]، ولكن لا عندَ ذكر **ليلى**.

(للخفاجي):

رَمـتْ بـالحِمَـى أبصـارَهـا مطمئنـةً فلمَّـا بـدَتْ نجـدٌ وهبَّـتْ جَنـوبُهـا
بَخِلْنـا عليهـا بـالبُـرى[5] فتقطَّعـتْ وقـلَّ لِنَجْـدٍ لـو تفـرّتْ[6] قلُـوبُهـا

لو برزتْ **ليلى** ليلاً، لصارَ الظلامُ عند **قيسٍ** أوضحَ من الضحى.

إذا ما وَنَتْ[7] نادى الشوقُ فانبرَتْ[8] تَجِدُّ[9]، ومَنْ نادى به الشّوقُ أسرعا

مَنْ سمعَ ذِكْرَ الحبيب، ولم يَثُرْ قلبُه عن مستقرِّهِ فهو مدَّعٍ.

---

(١) **المرنَّح**: المتمايل من السكر وغيره.
(٢) **العذيب**: تصغير العذب؛ ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.
(٣) **معرضاً**: التعريض ضد التصريح، يقال: عرَّض لفلان: إذا قال قولاً وهو يعنيه. والمعاريض في الكلام: التورية.
(٤) **تمكن**: أي ممكنة.
(٥) **البُرى**: جمع بُرة، وهي حَلْقة من نحاسٍ في أنف البعير، أي: أنه لما بدت نجد شددنا على النوق أزمّتها فتقطعت.
(٦) **تفرت**: تشققت.
(٧) **ونت**: ضعفت وفترت وكلت.
(٨) **فانبرت**: تعرضت وتصدت.
(٩) **تجدّ**: تجتهد في السير.

(لمهيار):

إذا ذُكِـرَ المحبـوبُ عنـدَ مُحبِّـهِ　　　تـرنَّـحَ نشـوانٌ وحُـنَّ طَـروبُ
إذا قيـل: مَـيٌّ لـم يسعْني لـذكْرِهـا　　　خِبـاءٌ، ولـم يحبِـسْ بُكـايَ رقيـبُ

كلامي صحيحُ المزاج، خفيفُ الرُّوح، أنا صائغٌ صانعٌ بابليٌّ[1]، لفظي يُبَلْبِل[2]، أنا ماشطةُ[3] القوم، أنا لسان الوقت.

فكـأنَّ قُسّـاً فـي عُكـاظِ[4] يخطُـبُ　　　وكـأنَّ ليلـى الأخيليـةَ تنـدُبُ
وكُثَيِّـرَ عَـزَّةَ يـومَ بَيْـنٍ يُطْنِـبُ　　　وابـنَ المقفَّـعِ فـي (اليتيمـة) يُسْهِـبُ

أنا طبيبٌ لبيب، أمزجُ التحذيرَ بالتشويقِ للعاملين، وأجعلُ كأسَ التخويفِ صِرْفاً للغافلين، وأجتهدُ في التَّلَطُّفِ جَهْدي بالعارفين.

الخام[5] يعجبُ البدوي، وأما الحضري فَدِقٌّ[6] مِصْرَ. الأوديةُ الحادَّة تؤذي الأبـدانَ النَّحيفـة. الزاهدُ ملَّاحُ الشَّطِّ. والعارفُ ناتانيّ[7] المركبِ. الزاهدُ مُقْتِبٌ[8]، والعارفُ في مَحْمِل[9]، نفسُ الزاهدِ تسيرُ به، وقلبُ العارفِ يطيرُ به. العارفُ خالٍ في الزحمة، غريبٌ في الوطن، خلوتُه بمعْرُوفه، طُورُه[10] متى تقاضَاه[11] الشـوقُ، حَضَرَ لا عن ميعـاد، إذا وطئ بِسـاطَ الانبساط قال: ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا سمع صاعقةَ الهَيْبَةِ قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) بابلي: نسبة إلى بابل، يريد أن لبيانه سحراً كسحر بابل.
(٢) يبلبل: من بلبل: فرّق وبدّد، ويريد أن عبارته تؤثر في النفوس.
(٣) ماشطة: امرأة تحسن المَشط وتتخذه حرفة.
(٤) عكاظ: سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة يتناشدون الأشعار.
(٥) الخام: النبات الغض الرطب.
(٦) الدق: الخلطة من الأبزار والتوابل.
(٧) ناتاني: أي النوتي، وهو الملاح الذي يدير السفينة في البحر، جمعه نواتي.
(٨) مقتب: مأخوذ من القتب: وهو الرحل الصغير على قدر السنام.
(٩) المحمل: الهودج.
(١٠) طوره: يشير إلى جبل الطور الذي خوطب عنده موسى عليه السلام.
(١١) تقاضاه: طلب منه أن يقضيه حقه.

ويـأبـى الجَـوى[1] أنْ أُسِـرَّ الهـوى إذا امتــلأ القلــبُ فــاضَ اللســانُ

إذا رأيتم ناطقاً بالحكْمَةِ قد طَرِبَ لها فاعذروه، فإنَّه قد صَدَرَ ولم تَرِدُوا بعدُ[2].

العالِمُ المُحَقِّقُ قد اعتصَرَ مِنْ كرومِ المعارفِ خَنْدَريسَ[3] المعاني، فشَرِبَ منها حتى غُلِبَ، فإذا عَرْبَدَ بالطَّرَبِ، فلَم يَعْذُرْهُ الصاحِي، أمرَ ساقي النطقِ أن يدوْرَ بكأسِ اللَّفْظِ على أربابِ الألباب، فإذا القومُ نشاوى من الثمل[4]، فيصبح حينئذٍ موافقَ ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، عَبَرنَاكم يا منقطعين، وعَلَيْنا أن نَرِدَ.

لا بدَّ للأميرِ أنْ يقفَ للسَّاقة[5]، عودوا إلى أوكارِ الكسلِ، فنحنُ على نيّة دخُولِ الفلاة.

اسمعوا وصايانا يا مُوَدِّعينَ، إذا جُنَّ الليلُ فسيروا في بوادي الدُّجى، وأنيخُوا بوادي الذُّلِّ، واجلِسُوا في كِسْرِ[6] الانكسار، فإذا فُتِحَ البابُ للواصلين دُوْنكم، فاهجُموا هجومَ الكذَّابين، وابسُطوا كفَّ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨] لعلَّ هاتفَ القبول يقول: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وإذا جِئْتُـــمْ ثَنِيّـــاتِ اللّـــوى فلِجُـوا رَبْـعَ الحِمَـى فـي خَطَـري[7]
وصِفُــوا شــوقــي إلــى سُكّــانِــه واذكُـروا مـا عنـدكُـمْ مـن خَبَـري
وَا حنينـــي نَحْـــوَ أيـــامٍ مَضَـــتْ بـالحِمَـى لـم أَقْـضِ منهـا وَطَـري
كـــلَّ مـــا اشتقْـــتُ تَمَنّيْتُكـــمُ ضـاعَ عُمْـري بـالمُنـى وا عُمُـري

* * *

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.
(٢) صدر: رجع بعد شربه. تردوا: من الورود على الماء.
(٣) الخندريس: الخمر القديمة.
(٤) الثمل: بقية الكأس.
(٥) الساقة: ساقة الجيش: مؤخره.
(٦) كِسْر: بكسر الكاف وتسكين السين: جانب الخباء.
(٧) خطري: يقال: خَطَر في مشيته خَطْراً، أي: اهتزَّ وتبختر.

الفَصْلُ التَّاسِعُ والثَّمانونَ

آهِ لنفسٍ أقبلتْ على العدوِّ وقَبِلَتْ، وبادرَتْ إلى ما يؤذيها من الخطايا وعَجِلَتْ، مَنْ لها إذا سُئِلَتْ عن قبيحِها فخجلتْ ، وسُلَّ عليها سيفُ العِتابِ فَقُتِلَتْ؟! .

ما لِنَفْسي عَنْ معادِي غَفَلتْ؟!	أَتُراها نَسِيَتْ ما فَعَلَتْ
أيها المغرورُ في لهوِ الهَوَى	كلُّ نفسٍ سترى ما عَمِلَتْ
أفٍّ لِدُنيا فكمْ تخدَعُنا	كم عزيزٍ في هواها خَذَلَتْ
رُبَّ ريحٍ لأناسٍ عَصَفَتْ	ثمَّ ما إنْ لبِثَتْ أَنْ سَكَنَتْ
فكذاكَ الدَّهْرُ في تصريفِهِ	قَدَمٌ زلَّت وأُخرى ثَبَتَتْ
أينَ مَنْ أصبَحَ في غفلتِهِ	في سُرورٍ ومُرَاداتٍ خَلَتْ
أصبحتْ آمالُه قد خسِرَتْ	ودِيارُ اللهوِ منه خربَتْ
جُزْ على الدارِ بقلبٍ حاضرٍ	ثم قل: يا دارُ ماذا فَعَلتْ؟
أَوْجهٌ كانتْ بُدُوراً طُلَّعاً	وشموساً طالَما قد أشْرَقَتْ
قالتِ الدَّارُ: تفانَوا ومَضَوْا	وكذا كلُّ مُقيمٍ إنْ ثَبَتْ
عاينُوا أفعالَهم في تُربهم	فَسَلِ الأجداثَ[1] عمَّا استُودِعَتْ
إنَّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ	أو كأحلامِ منَامٍ ذَهَبَتْ

يا مَنْ هوَ في هُوَّةِ الهوى قد هَوَى[2]، كم مسلوبٍ بكفِّ النَّوى[3] عمَّا نوى، أين المستقِرُّ عيشُهُ، أدركَه التَّوى فالتوى[4]؟! .

أين الجبَّارُ الذي إذا عَلَّقَ بالشَّوى شَوَى[5]؟! أين شبعانُ اللذاتِ أدركَهُ

---

(١) الأجداث: القبور.

(٢) هوى: تردَّى وسقط.

(٣) بكف النوى: كناية عن الموت.

(٤) التَّوى: الهلاك. فالتوى: ذهب وهلك.

(٥) الشوى: الرِّجْلان وسائرُ الأطْراف. شوى: أَحْرَقَ.

الطوى لما طَوى[١]، ليته لما ذهب الأصلُ، تيقَّظَ الفرعُ[٢] فارعوى[٣]، إلى متى خَلْفٌ[٤] ووعد الدنيا كله خُلْفٌ؟!.

يا مُتْعِباً نَفْسَه بالحرص والقدر ما يتغير، الراضي مُرفَّهٌ، كم غرقت سفينةُ مهجة في لُجَّةِ حِرْصٍ، الطمع يخنقُ العصفور قبل الفخِّ، لما قَنَعَتِ العنكبوتُ بزاوية البيت سيق لها الحريصُ وهو الذبابُ، فصار قوتاً لها، وصَوَّتَ بها لسانُ العِبرة: رُبَّ ساعٍ لقاعِدٍ.

ترسلُ قلبَكَ مع كل مطلوبٍ من الهوى، ثم تبعثُ وراءَه وقتَ الصلاةِ ولا يلْقاه الرسولُ، فتُصَلّي بلا قَلْب.

خَلَّفْتَ قَلْبَكَ في الأظعانِ إذ نَزَلَتْ ... بالمأْزِمَيْنِ زمانَ النَّفْرِ بالنَّفَرِ[٥]
ورُحْتَ تطلبُ في أرضِ العراقِ ضُحًى ... ما ضاعَ عند مِنًى فاعجَبْ لذا الخبرِ
لمَّا طرَقْنا النَّقَا كان الفؤادُ معي ... فَضَلَّ عنّيَ بين الضَّالِ والسَّمُرِ
يا أرجلَ العيسِ تُهنيكِ الرمالُ فما ... أغدُو بوجْدِي غداً إلا على الأثَرِ

عليَّ تفصيلُ الأمورِ والجُمل، وما يُرضَى للقبرِ بهذا العمل، يا مَنْ قد حمل الخطايا وبئسَ ما حمل، أفي سكرٍ أنتَ أم في ثمل[٦]؟! لو علمتَ أنَّ مكاوي الحديد قد أُحْمِيَتْ للسَّمل[٧]، ولم تفرّق من اللِّباس بين الجديدِ والسَّمَل[٨]، يا ثقيلَ الطبعِ كالرَّملِ[٩]، فما يطربه الثقيل[١٠] ولا

---

(١) **الطوى**: الجوع. **طَوى**: كناية عن الموت.
(٢) **الأصل**: إشارة إلى الآباء والأجداد. **الفرع**: الأبناء.
(٣) **فارعوى**: انزجر.
(٤) **خَلْفٌ**: متخلف عن الأولين.
(٥) **المأزمين**: موضع بين المشعر الحرام وعرفة، والأصل في المأزم: كل طريق ضيّقٍ بين جبلين. **وزمان النفر**: اليوم الذي ينفرُ الناسُ فيه من منى بعد الرمي. **بالنَّفَر**: عدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة.
(٦) **ثمل**: الثَّمِل: من سكر فأخذ فيه الشراب.
(٧) **للسمل**: يقال: سمل العين: فقأها بحديدة محماة.
(٨) **السمل**: الخَلَق من الثياب.
(٩) **كالرمل**: فتات الصخر.
(١٠) **الثقيل**: ضرب من النغم.

الرَّمَل[1]، تعصي ثم تُصرُّ فتضيف إلى صفّينَ الجَمَل[2]، يا مَنْ قدْ فقدَ قلبَهُ لا تيئسْ من عَوْدِه.

وقـدْ يجمـعِ اللهُ الشتيتيـنِ بعـدمـا يظنـانِ كـلَّ الظَّـنِّ ألاَّ تـلاقيـا

الهوى قاطن[3]، والصوابُ خاطرٌ، وقلعُ القاطنِ صعبٌ، وإمساكُ الخاطرِ أصعب، الهوى متديّر[4]، والمواعظ نزّالة[5]، ومع مداراةِ الجملِ تصلُ[6].

لما تزينَتْ زخارفُ الدُّنيا، تواثبتْ جُهّالُ الطبعِ لاتِّباعِ الهوى، فبُعِثَ العقلُ كافّاً لهم، فأقام عندهم، مُوكَّلاً بهم، وكلّما زادَ في قيودِهم فكُّوا السلاسلَ، وكلّما تلا عليهم النصائح، أسمعوا القبائح.

فوا عجبـاً لمعـرِّفٍ بُلِيَ بمقاسـاةِ أنذال، ما يزالُ العقلُ يضرِبُ الأمثالَ، ويشـرحُ العواقبَ، ولكن من يسمع؟! احْضُر معه في خَلوةٍ، واستحضر صديقَ الفكرِ، فإنَّـه ثقـة، فـإن خرجتـم إلى المقابـرِ قـويَ دليـلُ النُّصـح، مـرّوا[7] بقصـور المذنبين، تجـدوا طَعْم أخبـارِهم مُـرّاً[8]، وجـوزوا علـى قبـور الصالحين، فقـد جُـوزوا[9] في العاجـل ذكـراً، **«إذا مـات المؤمنُ بكى عليه مُصـلّاه مـن الأرض، ومصعـدُ عملِـه مـن السمـاءِ أربعيـن صباحـاً»**[10]،

---

(١) **الرمل**: إشارة إلى بحور الشعر، وقد زاد شيوعه في العصر الحديث.

(٢) **صفّين**: إشارة إلى معركة صفين بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما. **والجمل**: أي معركة الجمل بين أم المؤمنين عائشة وسيدنا علي رضي الله عنهما.

(٣) **قاطن**: مقيم.

(٤) **متدير**: من تدير المكان اتخذه داراً، يشير إلى تمكن الهوى من النفس.

(٥) **نزالة**: كثرة النزول.

(٦) إشارة إلى حسن سياسة النفس.

(٧) **مروا**: من المرور.

(٨) **مرّاً**: من المر وهو العلقم.

(٩) **جوزوا الأولى**: مُروا. **وجوزوا الثانية**: أثيبوا.

(١٠) رواه ابن المبارك في الزهد، وعبدُ بن حُميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن المنذر دون قوله: «أربعين صباحاً» بلفظ: **«إذا ماتَ العبدُ الصالحُ بكى عليه مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]»** كنز العمال (٤٢٩٦٦).

وا عجباً للبِقاع تبكي عليهم، وتبكي منكم[1].

أمَّا الوقوفُ فقد وَقَفْتُ بدارِهم وسألتُها لو أنَّ داراً تفهمُ
وإذا رأيتُ طلولَهم أيقنتُ أنْ نَ الدَّارَ يُخْرِبُها البلى ويتمِّمُ
نَحَلْتَ لِبينهمُ ولم أكُ عارفاً أنَّ الديار بهم تصحُّ وتَسقمُ

يا له من عذل، لو كان للمعاتَبِ فَهْم، لقد نفختُ ـ والله ـ لو كان ثَمَّ فحم.

(للشريف الرضي)[2]:

والحُرُّ مَنْ حَذَرِ الهوانِ يُزايلُ[3] الأمرَ الجسيما
والعاجزُ المأفُونُ[4] أقعدُ ما يكونُ إذا أُقيما

العباراتُ حظُّ النفوس، والإشاراتُ قوتُ القلوب.

نزلَ بعضُ أرباب المعاملة إلى الشطِّ فصاح: يا ملاحُ تحملني؟.

فقال: إلى أين؟.

قال: إلى دار الملك؟.

فقال: معي ركاب إلى القطيعة[5].

فصاح الفقير بالملاح: لا باللهِ لا باللهِ، أنا منذُ سبعينَ سنةً أفِرُّ منها.

دخل ذو فطنة إلى دار قوم، فرأى حُبّاً[6]، وإلى جانبه مَرْكَن[7] قد زُرِعَ فيه صَبْر، فتواجد فقال: حُبٌّ إلى جانبه صَبْرٌ.

---

(١) في (أ): تبكي منهم.
(٢) من قصيدة عاتب فيها الوزير البرقومي. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢٨.
(٣) يزايل: يحاذر.
(٤) المأفون: الضعيف العقل.
(٥) الظاهر أنه اسم مكان، وهذا المحب منعه الركوب في السفينة خوفاً من القطيعة حتى من ذكر اسمها.
(٦) حُبّاً: بضم الحاء: الخابية.
(٧) مركن: وعاء يغسل فيه الثياب.

يا نازلينَ الحِمَى رفقاً بقلبِ فتًى إنْ صاحَ بالبينِ داعٍ باحَ مُضْمَرُهُ
وقد يميلُ إلى المغنى يُسَائِلُهُ أخو الغرامِ ولكنْ مَنْ يخبّره
وما ذكرتُكُمُ إلا وَهِمْتُ جوًى وآفةُ المُبْتَلى فيكُم تذكُّره
ولا عزمْتُ على سُلوانِ حُبّكُمُ إلاَّ ويخذُلُني قلبي وينْصُرُه

أين الذين كانوا نجوم الدنيا وأقمارَ الآخرة، قياماً كالأعلام[1]، على جوادِ الهوى، تقوى بأنفاسهم نفوسُ أنفاسِ أهل التقوى، يُصَوّتون بالمنقطعِ، ويُرشدونَ المتحير، ما بقي في الديار ديّار.

نسيمَ الصَّبا إنْ زرْتَ أرضَ أحبّتي فخُصَّهُمُ عنّي بكلِّ سلامِ
وبَلِّغْهُمُ أنّي رهينٌ[2] صبابةٍ[3] وأنَّ غرامي فوقَ كلِّ غرامِ
وإنّي ليَكْفيني طروقُ خيالِهم لو أنَّ جفوني مُتِّعَتْ بمنامِ
ولستُ أُبالي بالجِنانِ وباللظى إذا كان في تلكَ الديارِ مَقامي
وقد صُمْتُ عن لذّاتِ دَهْرِي كلِّها ويومَ لِقاكُم ذاكَ فِطْرُ صيامي

رحلَ القومُ وتخلَّفنا، وبادَرُوا[4] أيامَهم وسوَّفْنا، وعرفنا طريقَهم لكنّا انقطعنا، فسيروا بنا، فإنْ لحقنا وإلاّ تأسَّفْنا.

يا صاحبي إنْ كنتَ لي أو معي فعُدْ إلى روضِ الحِمَى نرتعِ
حيِّ كثيبَ الرملِ رملِ الحِمَى وقِفْ وسلِّمْ لي على لعلعِ
وسلْ عنِ الوادي وأربابِه وانشُدْ فؤادي في رُبى المجمَعِ
وابكِ فما في العينِ من فَضْلةٍ وَنِبْ[5] فَدَتْكَ النفسُ عنْ مَدْمَعي
واسمعْ حديثاً قد رَوَتْه الصَّبا تُسْنِدُهُ عن بانةِ[6] الأجْرَعِ
وانزِلْ على الشِّيحِ بواديهمُ واشممْ عُشَيْبَ البلدِ البَلْقعِ
بَلِّغْ تحيّاتي إلى رَبْعِهم وقلْ ديارَ الظاعنينَ اسْمعي

---

(١) الأعلام: الجبال.
(٢) رهين: مرهون، وهو ما وضع عندك لينوب مناب ما أُخذ منك.
(٣) صبابة: عشق.
(٤) بادروا: سارعوا وسابقوا.
(٥) نِبْ: فعل أمر من ناب ينوب نيابة.
(٦) بانة: ضرب من الشجر.

رِفْقاً بِنِضْوٍ[1] قد بَراهُ[2] الأسى ... يا عاذلي لو كانَ قلبي معي
لَهْفي على طِيْبِ ليالٍ خَلَتْ ... عُودِي تَعودي[3] مُدْنَفاً قَدْ نُعي
إذا تذكرتُ زماناً مَضَى ... فويحَ أجفانيَ مِنْ أَدْمُعي
أراجِعٌ لي وصلُهم بعدها ... يا نفسُ إنْ لم يَصِلوا ودّعي
يا نفسُ كم أتلو حديثَ المُنى ... ضاعَ زماني بالمنى فاقْطعي
يا قلبُ لا تسْكُنْ على بُعْدِهم ... وأنتِ يا عينُ فلا تَهْجَعي

* * *

(١) نضو: مهزول، بالٍ.
(٢) براه: أنحله وجعله هزيلاً.
(٣) تعودي: من عيادة المريض، وهو مجزوم بالطلب. (عُودي) بمعنى: ارجعي.

الفصل التسعون

إخواني! ألا ذو سمعٍ وبصرٍ، يعلمُ أنَّ الأعمارَ فيها قِصَر، ألا مُتلمِّحٌ ما في الغِيَرِ من العِبَرِ، ألا ذاكرٌ بيتَ الترابِ والمَدَر.

تَنبَّـهْ فـإنَّ الـدَّهْـرَ ذو فَجَعَـاتِ ... وشَمْـلُ جميـعٍ صـائـرٌ لِشَتَـاتِ

نُـخَلِّـفُ مـأمـولاتِنـا وكـأننـا ... نسيـرُ إليهـا لا إلـى الغَمَـراتِ[1]

هل المرءُ في الدُّنيا الدنيّةِ ناظِرٌ ... سـوى فَقْـدِ حِـبٍّ أو لقـاءِ ممـاتِ

ومـا حركـاتُ الدَّهْـرِ في كـلِّ طَرْفَـةٍ ... بـلاهيـةٍ عـن هـذه الحـركـاتِ

سَيُسْقى بنو الدُّنيا كؤوسَ حتوفِهم[2] ... إلـى أنْ ينـامـوا لا منـامَ سُبـاتِ

وما فوجِئَتْ نفسٌ بِبَلْوى وقد رأتْ ... عِظـاتٍ مـن الأيـامِ بعـدَ عِظـاتِ

إذا بغَتَـتْ أشيـاءُ قـد كـانَ مثلُهـا ... قـديمـاً فـلا تَعْتَـدَّهـا بَغَتَـاتِ

وأعقـبْ مـن النَّـومِ التَّنبـهَ راشـداً ... فـلا بـدَّ للنُّـوَّام مـن يقظـاتِ

يا مَنْ يجولُ في المعاصي قلبُه وهمُّهُ! يا معتقداً صحّتَه فيما هو سَقَمُه! يا مَنْ كلّما طال عمرُه زادَ إثمُه! أين لذةُ الهوى؟ رَحَلَ المطعومُ وطعمُه، يا من سيجمعُه اللّحدُ عن قريبٍ ويَضمُّه، كيف يُوعظُ من لا يعِظُه عقلُه ولا فَهْمه؟! كيف يُوقَظ مَنْ قد نامَ قلبُه لا عينُه ولا جِسْمُه؟!.

ويحَكَ! تدارَكْ أمرَكَ قبلَ الفَوْتِ، أتنفَعُ الاستغاثةُ والسمُّ قد وَصَلَ إلى القلبِ؟! إنَّ الدِّرْياقَ[3] يَصْلُحُ قبلَ اللسعِ، ومذهبُ ابن سُريجٍ يُستعمَلُ قبلَ الطَّلاقِ[4].

---

(١) **الغمرات**: الشدائد: كناية عن شدائد الموت.

(٢) **حتوفهم**: جمع حتف، وهو الموت.

(٣) **الدرياق**: دواء السموم، (فارسيٌّ معرب).

(٤) **مذهب ابن سُريج**: يشير إلى مذهب ابن سُريج في المسألة المشهورة بالسُّريجية، وصورتها أن يقول الزوج لزوجته: «متى طلقتُكِ فأنتِ طالقٌ قبله ثلاثاً، فطلقها» فمذهبُه=

لِمَ أحدِّثُ والقلبُ غائبٌ؟! لِمَ أُعاتِبُ والفكرُ ذاهلٌ؟! وا أسفا من ضربِ الخراجِ[1] على بلدٍ خرابٍ.

ويحك! أجمادٌ أنتَ أم حيوان؟! هذا الفهدُ على خساسةِ خُلقِه يُصَادُ بالصوتِ الحسنِ، ومتى وثبَ على الصيدِ ثلاثَ مراتٍ ولم يدركه، غضب على نفسه، كم قد وثبْتَ على هواكَ مرةً فلم تقدر عليه، فأينَ غضبُك على التقصيرِ؟! هيهاتَ، ليس عند الطاووس إلا حُسن الصورة، تُفيقُ في المجلسِ لحظةً، ثم تذكر الشهوات فيُغمى عليك، وإنَّ الغرابَ إذا سَكِرَ بشَراب الحِرْصِ تَنَقَّلَ بالجيفِ، فإذا صحا من خُماره نَدَبَ على الطَّلَل[2]، لما عزَّت نفسُ البيغاءِ زاحَمَتِ الآدميين في النّطق، وهي تتناول بكفّها مِنْ جِنْسِ مَطاعِمهم.

وا عجباً لبهيمٍ يتشبّه بالناس، ولإنسانٍ يتشبّه ببهيم، كلُّ هذا سببه الهمّة[3]، لا يطمعَنَّ البطالُ[4] في مَنازِلِ الأبطالِ، إنَّ لذّةَ الراحةِ لا تُتَناول بالراحةِ[5]، من زرع حصد، ومن جَدَّ وجد.

(لأبي فراس):

وكيفَ يُـنالُ المجدُ والجسمُ وادعٌ[6] وكيف يُحازُ الحمدُ والوَفْرُ[7] وافِرُ[8]

= عدم وقوع الطلاق المعلّق ولا المنجز، وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في (منهاج الطالبين) ثلاثةَ أقوال: وقوع المنجز فقط، وقيل: ثلاث، وقيل: لا شيء. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا يجوزُ التقليدُ في عدم الوقوع. وقال ابن الصباغ: وددتُ لو مُحيتْ هذه المسألة، وابن سريج بريءٌ مما نُسِبَ إليه. انظر: مغني المحتاج شرح المنهاج، للخطيب الشربيني: ٣/ ٣٢٤.

(١) **الخراج**: ما تفرضه الدولة على الأرض المفتوحة غلة يؤدونها مع إقرار أهلها عليها.

(٢) **التنقل**: أكل النَّقْلِ، والنقل: المكسّرات. **خُماره**: سكره. ندب: يقال: ندب الميت: بكى عليه وعدّد محاسنه. **الطلل**: بقايا الديار.

(٣) **الهمة**: العزم القوي.

(٤) **البطّال**: المتعطّل عن العمل.

(٥) **الراحة**: ضد التعب.

(٦) **وادع**: أي ذو دَعةٍ وراحة، أي: مستريح.

(٧) **الوَفر**: المال الكثير.

(٨) **وافر**: مخزون، مدّخر موفّر، والموفور: التام.

أيُّ مطلوب نِيْلَ مِنْ غيرِ مشقّةٍ؟! وأيُّ مرغوبٍ لم تَبْعُدْ على مؤثِرِه الشُّقة؟! المالُ لا يَحصلُ إلا بالتّعبِ، والعلمُ لا يُدرَكُ إلا بالنَّصَبِ[1]، واسمُ الجوادِ لا ينالُه بخيلٌ، ولقبُ الشجاعِ بعدَ تعبٍ طويلٍ.

(للمتنبي):

لا يُـدرِكُ المجـدَ إلا سيـدٌ فطـنٌ ... لِمـا يَشُـقُّ علـى السـاداتِ فَعَّـالُ
لـولا المشقّـةُ سـادَ النَّاسُ كلُّهُـمُ ... الجـودُ يُفْقِـرُ والإقـدامُ قَتَّـالُ

يا أعجميَّ الفهمِ! متى تَفْهمُ؟ يا فَرِحاً بلذّةٍ عُقباها جهنّمُ! ستدري متى تبكي ومتى تندم؛ إذا جثا الخليلُ وتزلـزل ابنُ مريم[2]! يا عاشقَ الدنيا كم ماتَ مُتَيَّمٌ! ما للفلاحِ فيكَ علامةٌ، واللهُ أعلمُ. إنْ كانَ ثَمَّ[3] عُذْرٌ، فقُلْ وتكَلَّمْ.

غابَ الهدهدُ عن سليمانَ ساعةً فتواعدَه[4]، فيا غائباً عَنَّا طولَ عُمُرِه، أما تحذَرُ غضَبَنا؟!.

خالفَ موسى الخضرَ في طريقِ الصحبةِ ثلاثَ مرّات، فحلّ[5] عُقدةَ الوَصْلِ بكفِّ ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨]، أما تخافُ يا مَنْ لم يَفِ لنا قطّ، أنْ نقولَ في بعضِ زلاّتِك: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾.

أعظم عذابِ أهلِ النارِ جهلُهم بالمعذِّب، لو صحّتْ معرفتُهم بالمالكِ، لما استغاثوا ﴿ يَٰمَٰلِكُ ﴾ [الزخرف: ٧٧][6].

وَقَعَ بينهم شخصٌ ليس مِنَ الجنْسِ[7]، كانت في باطنِه ذرةٌ مِنَ المعرفة،

---

(١) النصب: التعب.
(٢) الخليل: أي إبراهيم عليه السلام. وابن مريم: سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك عندما يؤتى بجهنّم يومَ القيامة، فتزفر زفرة تجثو لها الأمم في أرض المحشر.
(٣) ثَمَّ: هناك.
(٤) تواعده: هدّده.
(٥) فحلّ: أي حلّ الخضر عليه السلام عقد المصاحبة.
(٦) سورة الزخرف، الآية ٧٧: ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾.
(٧) وقع بينهم: أي بين أهل النار. ليس من الجنس: ليس من الكافرين المخلدين.

فكلَّما حمَلَتْ عليه[1] النارُ اتّقاها بِدِرْع «يا حنّانُ يا منّانُ»[2] كان موتُه في المعاصي سكْتَةً، فَقُبِرَ في جهنّم، فَلمَّا تحرّكَ الروحُ في الباطنِ أُخْرِج، رأى الأسباب بيدِ المسبِّبِ، فتعلَّقَ بالأصلِ.

إخواني! اليومَ رجاؤنا للرحمةِ قويٌّ، فكيف نصنعُ غداً إن ضَعُفَ؟!.

هـذا جَـزَعِـي ومـا خـلا معنـاكُـمُ ... مـا أصنـعُ يـومَ بينِكـم حـاشـاكُـمُ
أقسمْـتُ بكـم لكـم وحسبـي ذاكُـمُ ... لا أذكـرُ غيـرَكـم ولا أنسـاكُـمُ

أزعجتموني بتقلقلكم يا تائبين، أخرجتموني عن الحدّ يا خائفين.

يـا صَبـا نجـدٍ وبـانـاتِ الغَضَـى ... أرْفُقا بي في التَّثَنّي[3] والهبوبِ[4]

يتقوَّمون بمقالي، ويقومون على حَرِّ المقالي[5]، ويخرجُ عاطِلُ البطالةِ وهو خالي، وأنا أدري ما حالي ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

يـا غـاديـاً نحـوَ هضـابِ الحِمَـى ... بلِّـغْ رسـومَ الـدارِ مـا عنـدي
كـم لـي بتلـكَ الـدَّارِ مِـنْ وِقْفَـةٍ ... أشكـو مِـنَ الْهِجْـرانِ والصَّـدِّ

يا ركبَ التوبـةِ! إن تزودتم فـالتقوى، وإن سـرتم إلى الله فاحملوا معكم

---

(١) حملت عليه: أغارت.

(٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس، وأبو ظلال ضعيف، ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء بلفظ: «إنَّ رجلاً يدخلُ النارَ فيمكث فيها ألفَ سنة ينادي: يا حنّانُ يا منّانُ! فيقول الله تعالى لجبريل: اذهب فأتني بعبدي، قال: فيجيء به، فيوقفُه على ربه، فيقول الله تعالى: كيف وجدتَ مكانك؟ فيقول: شرُّ مكان، قال: فيقول: رُدّوه إلى مكانِه. قال: فيمشي ويلتفتُ إلى ورائه، فيقول الله عزَّ وجلّ: إلى أيِّ شيء تلفّت؟ فيقول: لقد رجوتُ ألّا تعيدني إليها بعد إذا أخرجتني منها! فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة»، ورواه البيهقي في (الشعب) وضعّفه، وابن أبي الدنيا في كتاب (حُسن الظن بالله).

(٣) التثني: إشارة إلى حركة البان بهبوب الصبا عليه.

(٤) الهبوب: يشير به إلى حركة الصبا.

(٥) المقالي: جمع مقلاة، وهي ما يقلى فيها.

رسالةَ متلهِّفٍ تحتوي على حسرةِ مُحْصَرٍ[١].

يـا حـاديَ العيـسِ تـرفَّـقْ واستمـعْ   منــي وبلِّــغْ إنْ وصلْــتَ عنــي
وَقِـفْ بـأكنـافِ الحِجـازِ نـاشـداً   قلبـي فقـدْ ضـاعَ الغـداةَ منـي
وقـلْ إذا وصلْـتَ نحـو أرضِهِـمْ   ذاكَ الأسيـرُ مـوثَّـقٌ بـالحُـزْنِ
عَـرِّضْ بـذكـري عنـدَهُـمْ عسـاهُـمُ   إن سمعــوكَ ســائلــوكَ عنِّــي
قل: ذلك المحبوسُ عن قصدِكُم   معــذَّبُ القلــبِ بكــلِّ فَــنِّ
يقــول: أَمَّلْــتُ بــأنْ أزورَكــم   فــي جملـةِ الـوَفْـدِ فخـابَ ظنِّـي

يا معاشرَ التائبين! بحُرمةِ الصحبةِ لا تنسَوْني غداً، بايعتُكم على المُلكِ فلا تنسَوْا كرامةَ الدَّلالِ، أعوذُ بك يا إلٰهي أن تجعلَ حَظِّي لفظي، وا أسفي أصف وأُصَفِّي، ويَشربُ غيري.

(للشريف):

فَعِنْدي زفيـرٌ ما تـرقَّى إلى الحشـى   وعنـدي دمـوعٌ مـا بَلَغْـنَ المـآقيـا

وا حسـرتا! أأكونُ كالقوسِ دفَعتِ السـهمَ فمرَّ ولم تبرحْ؟! أأصيرُ كالإبرةِ تكسو غيرَها وهي عُريانةٌ؟! أأُشْبِهُ حالَ الشمعةِ أضاءَتْ غيرَها باحتراقِ نَفسِها؟!.

أتُـرى يـرجـعُ لـي دهـرٌ مضـى   أتُــرى ينفعنــي قــولــي تُــرى
وَيْـلَـكِ يــا عيــنُ أعينــي قَلَقــي   إنْ تــوانيْــتُ فــلا ذُقْــتِ الكَــرى

إلٰهي! أيقَظْتَني في الصِّبـا، وأقمتَني أدلَّ الخلقَ عليكَ، ومزجْتَ كأسَ نطقي بعذوبة، وجعلْتَني في إخباري معروفاً بالأمانة، فركَنَ إليّ أهلُ المعاملةِ، ولو عَرَفُوا إفلاسي ما عُوملتُ.

إلٰهي طالَ ما اجتذبْتُ العصاةَ بعد أنْ تهافتوا في النارِ، أَفَيَصْدُرُون وأَرِدُ؟!.

سيدي إنْ لم أصلُحْ للرِّضا فالعفوَ العَفْوَ.

* * *

---

(١) محصَر: الذي حبس عن أداء النسك.

الفصل الحادي والتسعون

إخواني! أما يُنبِّهُ على استعدادِ الزادِ سلبُ الآباءِ وأَخْذُ الأجداد؟! أما يُحرِّكُ إلى التيقُّظِ ونفي الرقادِ عكسُ المُشْتَهي وردُّ المرادِ؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

لنا كلُّ يومٍ رنَّةٌ خَلْفَ ذاهبٍ ومُسْتَهْلَك بين النَّوى[2] والنوائبِ[3]
ونأمَلُ مِنْ وَعْدِ المُنَى غيرَ صادقٍ ونأمَنُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غيرَ كاذِبِ
نُراعُ إذا ما شِيْكَ[4] أخمصُ بَعْضِنا وأقدامُنا ما بَيْنَ شَوْكِ العَقارِبِ
نَعَمْ إنّها الدُّنيا سِمَامٌ لِطاعِمٍ وَخَوْفٌ لمطلوبٍ وهمٌّ لِطَالِبِ
وإنَّا لنهواها على الغَدْرِ والقِلَى[5] وَنَمْدَحُهَا مَعْ عِلْمِنَا بالمعايِبِ

أيُّ مطمئنٍّ لم يُزْعَج؟! أيُّ قاطنٍ لم يُخرَج؟! فَرَسُ الرَّحيلِ لنا مُسْرَج، وما جرى على الأقرانِ أنموذج.

يا مختالاً في ثوبِ الصِّبا مُعْجَباً بِمُرْطِه[6]، شَرْطُ المقام الرَّحيلُ، وقد تقاضَى بشرطِهِ، أما لكَ عبرةٌ في رَفْعِ الزَّمانِ وحَطِّهِ، أما ترى رُقومَ[7] المنايا مكتوبةً بخطِّهِ، أما أَعْرَبَ[8] المسطورُ بشَكْلِ المرضِ ونَقْطِه، هلاَّ تصوّرَ العاصي

---

(١) من قصيدة قالها يرثي خاله أحمد بن الحسين الناصر، سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعره: ١/١٣٦.
(٢) النوى: البعد.
(٣) النوائب: المصائب.
(٤) شيك: غزته شوكة: أي دخلت في أخمصه.
(٥) القِلى: البغض.
(٦) مرطه: المرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به.
(٧) رقوم: جمع رقم، وهو النقش.
(٨) أعرب: أفصح وأبان.

ساعةَ إنزالِهِ إلى القبرِ وحَطِّه، أفلا يتذكَّرُ الفتى أخذَ مالـه على رَغْمِه ومِنْ أَصْلِ قرطه.

يـا مَنْ قد قاده بلا خِزامةٍ[١]، لو قبلْتَ مشورَةَ العقلِ لم تَتَجرّعْ مـرَّ (لو) و(لَيْتَ)[٢]، قدّرْ أنَّ الزَّلَل يخفى على الخلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤]، صوّر أنّه قد عفا عنك فأين الحياء مما جنيتَهُ؟!.

هـبِ البعـثَ لـم تَـأتِنَـا رُسْلُـهُ وجـامحـةُ النـارِ لـم تُضْـرَمِ
أليـسَ مـن الـواجـبِ المُستَحِـق حيـاءُ العبـادِ مِـنَ المُنْعِـمِ؟!

أقلُّ نعمِهِ أنْ أَوْسَعَ عَرْصَةَ[٣] الوجودِ، لئلا يضيقَ نَفَسُ النَّفْسِ بالحَصْرِ، وأجرى بَحْرَ الهواءِ في جوِّ الفَضاء يُقْتَسَمُ بمكاييلِ الخياشيم، فيَصِلُ بالعَدْلِ إلى ذواتِ الذوات، وا عجباً للغافلينَ عن هذا المنعمِ!.

بماذا اشتغلوا؟! أجهلاً بوجوده؟! فهو أوضحُ من ضُحى. أم ميلاً إلى الدنيا؟ فهي أغدرُ من تاء بتَمْتَام[٤]؛ إنْ سَلِمَتْ فَتَنَتْ، وإنْ تَلِفَتْ أهلكت!.

وقعَ نَحْلٌ على نيلوْفَر[٥] منتشر الورقِ، فأحبَّ رِيحَهُ، فأقامَ، فَلمَّا تقبّضَ الورقُ وغاصَ؛ هَلَكَ العاشقُ.

إخواني! إيَّاكم والذنوبَ، فإنّها أذلّت عزيزَ ﴿ ٱسْجُدُواْ ﴾ [البقرة: ٣٤]، وأخرجَتْ مَقْطَعَ ﴿ ٱسْكُنْ ﴾ [البقرة: ٣٥]، لولا لطفُ ﴿ فَتَلَقَّىٰ ﴾ [البقرة: ٣٧] كان العجب، استراحَ آدمُ إلى بعضِ العناقيدِ، فإذا به في العنا[٦] قِيد.

جاءَ جبريلُ فسلَّم عليه فبكى وبكى جبريل، ثم قال: يا آدمُ! ما يبكيك؟ قال: كيفَ لا أبكي وقد حوّلني ربي من دارِ النعيم إلى دارِ البؤس؟! وا عجباً بمجيء جبريل زاد المريض ألماً.

---

(١) الخزامة: حلقة من الشعر تُجعل في وَتَرةِ أنفِ البعيرِ يُشدّ بها الزمام.
(٢) (لو، وليت): حرفان للتمني، وهو تعلق القلب بمرغوب مع تعذر نواله.
(٣) عرصة: كل بقية بين الدور واسعة ليس فيه بناء، جمعها: عراص وعرصات.
(٤) التمتام: من يتعثر لسانُه بالنطق بحرف التاء.
(٥) النيلوفر: نبات ذكي الرائحة.
(٦) العنا: التعب.

آهِ لِبَـــــزْقٍ لَمَعـــــا ... مـــاذا بِقَلْبِـــي صَنَعـــا
أَيْقَـــظَ منِّـــي للغـــرا ... مِ مُستهـــامــاً مُـــوْجِعـــا
فَبِـــتُّ مِـــنْ إيمـــاضِـــهِ ... أَسْكُـــبُ دَمْعِـــي دُفعـــا
يــا بَـــرْقُ أمـــا تُـــرينـــي ... للصَّنيْـــعِ مَـــوْضِعَـــا
فحَيِّـــي عَنِّـــي أرْبُعـــا[1] ... أَكْـــرِمْ بِهِـــنَّ أرْبعـــا
يــا نــاظِـــراً أُقْسِـــمُ مِـــنْ ... بَعْـــدِ النّـــوى لا هَجَعـــا
كَبَّـــرَ مُـــذْ فـــارَقَهُـــمْ ... علـــى الـــرُّقـــادِ أرْبَعـــا
كَـــمْ كَبـــدٍ قَطَّعهـــا ... بَيْـــنُ الحبيـــبِ قِطَعـــا
حَمَّـــلَ وَجْـــدِي جَلَـــدِي ... أكثـــرَ ممّـــا وَسِعـــا

خرجَ آدمُ يؤمُّ الكعبةَ، فلمّا وصلَ طافَ أسبوعاً[2]، فما أتمَّه حتى خاضَ في دموعِه.

دُمـــوعُ عينـــي مُـــذْ جـــدَّ بينُهُـــمُ ... مِثْـلُ الـدَّوالـي وهـي الـدّوا لـي[3]

فَشَمِتَ به إبليسُ حين نزلَ، وما عَلِمَ أنَّ نزولَه إلى دارِ التعبُّدِ صُعودٌ، كنزولِ الغائصِ خَلْفَ الدُّرِّ صُعود. رأى في بدايتِهِ طِيناً قد صَلْصَل، وبذارٍ قد عَفِن، ونَسِيَ أنَّه ستهتزُّ طاقاتُه في ربيع ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ [البقرة: ٣٧].

ويلَكَ يا إبليسُ! ما جرى على آدمَ هو المرادُ من وجودِه «لو لم تذنبوا»[4]، قَدَحٌ أُريدَ كسرُه فَسُلِّمَ إلى مُرتعِشٍ.

(لمهيار):

فلولا غَلِيْلُ الشَّوْقِ أو لَوْعَةُ الأَسَى ... لمـا خُلِقَـتْ لـي أعيـنٌ[5] وجفـونُ

---

(١) أربع: جمع ربع: وهي الدار.
(٢) أسبوعاً: سبعة أشواط.
(٣) الدوالي الأولى: العرائش. والثانية: أي: الدواء المناسب لي.
(٤) رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ ومسلم في (صحيحه) في كتاب التوبة بلفظ: «والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهبَ اللهُ بكم، ولجاءَ بقومٍ يذنبونَ فيستغفرون الله فيغفرَ لهم».
(٥) في (ب): أضلع.

لا يهُولنَّكَ قوله: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا ﴾ [البقرة: ٣٨] فلكَ خَلَقَها، وإنَّما أُخرِجْتَ إلى مزرعةِ المجاهدةِ، فإذا حصدْتَ فَعُدْ.

إنْ قيلَ لك مرةً: ﴿ ٱهْبِطْ ﴾ [هود: ٤٨] ففي كلِّ يومٍ تُنادى ألفَ ألفِ مرّةٍ ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥]، إن أُبعِدْتَ عن الحضرةِ مرّةً، فزيارةُ الحبيبِ ما تَنْقطعُ «هل من سائل»[1].

الكُرةُ تُلقى من صاحب الصَّوْلجان صولَ جانٍّ، ثم هو يطلبُها.

إنْ كـانَ كـذا الحُـبُّ فَمَـا أعْـدَلَـهْ	تَرْجُو في المُحبِّ عَتْقَ مَنْ أنتَ له
مِـن حُكْمِـهِ قَضَـى عَلَيْـهِ وَلَـهْ	هيهـاتَ الحُـبُّ يَعتـريـهِ وَلَـه

يا آدمُ! قَدْ ذُقْتَ حلاوةَ الذنبِ، وتطعَّمْتَ مرارةَ الندمِ، فهل وفَّتْ هذه بتلك؟! أين لَذَّاتُكَ إذا نزل الموتُ؟! كيف حسراتُكَ إذا وقعَ الفوتُ؟!.

هَـلْ يَـرْجِـعُ مـا مَضَـى بِـرَدِّ الشَّمْـلِ	ما أسـرعَ ما انْقَضَى زمـانُ الـوَصْلِ
يكـفُّ مـا بـي فـلا تـزدْ فـي عـذلـي	مَـنْ لـي بِهِـمْ وَهَـلْ مفيـدٌ مَـنْ لـي

يا صبيانَ التوبةِ! اشكروا من نجّاكم بالإنابة ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، تـذكّـروا عظمـةَ مَـنْ عـاهـدتُـم ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١].

لا تزدروا أثوابَ الفقرِ فعليها أنوارُ المهابةِ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦]، لا يَصْعَبَنَّ على الخيلِ تضميرُها، فستفرحُ به يومَ السِّباق.

إنْ قال لك رُفقاؤكَ: امْشِ معنا ساعةً، فقل: أقعدني الخوفُ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١٧٠ ـ ١٧٢)، والإمام أحمد: ١/ ٣٨٨ و٣/ ٣٤ و٤/ ٢٢، عن أبي سعيد وأبي هريرة بلفظ: «إنَّ الله يمهل حتى إذا ذهب ثُلُثُ الليلِ الأوّل نزلَ إلى السماءِ الدنيا فيقول: هل من مستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتى ينفجر الفجر».

يــا نَــديمَــيَّ صَحَــا القلــبُ صَحَــا   فــاطــرُدا عَنّــي الصِّبــا والمَــرَحــا
شمِّـــــرا بُـــــرديَ للنُّسْـــــكِ ولا   تَعْجَبَـــا مِـــنْ فــاسِــدٍ انْ صَلَحــا
زَجَــرَ الحُلْــمُ فــؤاداً فــازْعَــوَى   وَلَحَــا الــدَّهــرُ امــرأً فــي مَــنْ لَحَــا

أيها التائب! قلْ لقلبِكَ الراعي في رياضِ الهُدى، احذر مِنْ لفتةٍ إلى خضراءِ دِمَنِ الهوى[1]، فَمَرْعاكَ أطيبُ، وشرابُكَ أعذَبُ ﴿ وَلَبِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ [يوسف: ٣٢]، نسيمُ الريحِ يقوِّي الروحَ ما لم يختلط به بخارٌ رَدِي، كذلك كلامُ المذكّرين، إذا سَلِمَ مِنْ بدعـةٍ كان قوتـاً للنفس، وإنْ مازجـهُ هـوًى، هوى[2] بصاحبه إلى العلل.

كلامي نهرٌ يأخذُ من بحر الكتاب والسُّنَّة، صافٍ ما تغيَّرَ قطُّ، فلا أحتاجُ أن أُكرى[3]، يَسقي قلوبكم سَيْحاً بلا كَلَف[4]، وقد قنع من الخراج[5] بالدّعاءِ، هل في مجلسي نقصٌ فيقال: لو أنّه؟ أو عيبٌ إلاَّ أنَّه؟ أَوَ رأيتم مثله فيقال: كأنّه؟ آهِ لو كانَ أعجمي ولكنه[6].

أَبلُغُ بلفظي منزلَ المعنى وما طالَ سَفَرُ العبارةِ.

المعاني واسعةُ الفيافي، والألفاظُ ضيّقةُ العِراص[7]، وما يقدرُ على حَشْو العَرْصة فوق ما تَسَعُ إلا مهندسٌ. لآلئ هذه المعاني لِطافٌ، فأيُّ سِلْكِ فَهْمٍ دقَّ انتظمَتْ فيه، وإنّما يُنْظَمُ اللؤلؤ في خيطٍ لا في حَبْل.

كلامي ثوبٌ فُصِّلَ على قَدْرِ أسماعِكم، فهو لا يصلحُ إلا لكم، لا تنكروا

---

(١) **خضراء الدمن**: ما ينبت على المزابل من أعشاب.
(٢) **هوى**: سقط.
(٣) **أكرى**: كرى النهر: عزّله من الأوحال والأوساخ.
(٤) **سيحاً**: الماء الجاري. **بلا كلف**: بلا مشقة.
(٥) **الخراج**: أجرة الأرض ببعض غلتها يؤديها الفلاحون من النبط الذين أقروا عليها.
(٦) **لَكْنه**: لكِنَ كفَرِحَ لَكَناً، فهو ألْكَنُ: لا يُقيمُ العربيةَ لِعُجْمَةِ لسانه، أو «ولكنّه» استدراك، أي: ولكنّه عربي.
(٧) **العراص**: جمع عرصة؛ وهي البقية بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

مدحي لأهل بغداد فَهُمُ فُهُمُ[1]، ألهذا البلد بَدَل؟! إذا مرضَتِ الأفهامُ السليمةُ من وبـاءِ طعامِ العباراتِ الركيكـةِ عَمِلَ لفظي في شفائها، ولا رُقَى[2] الهنـدِ، كَلِمٌ تُداوي كلَّ كَلِم، ظُلَم قياسُها بِعُذوبةِ الظَّلم[3].

جَـوَاهِــرُ كلُّهـا يُتَّـمٌ	تُـوْجَـدُ مفقـودةَ المثـالِ
تجنَّـبَ الغـائصـون عنهـا	عَجْـزاً وجـاشَـتْ بحـارُهـا[4] لـي

* * *

---

(١) فهُمُ فُهُم: أي هم الناس الأكياس.

(٢) رقى: جمع رقية.

(٣) الظَّلم: ماء الأسنان وبريقها.

(٤) جاشتْ: جاش الماءُ جيشاً: تدفَّق وجرى، وجاش البحر: هاج فلم يُستطع ركوبه.

الفصل الثاني والتسعون

يا دارَ الأحبابِ أقوى[1] جديدُها، أين أسودُها؟! أم أينَ غِيْدُها[2]؟! أينَ ظباءُ الهوى مَرَّتْ؟! ومن يصيدُها؟! تساوَى في القبورِ مواليها وعبيدُها.

قفْ يـا حبيبي بالرسـوم، وانظر نَسْخَ النسيمِ بالسَّموم[3]، وتبديلَ الأفراحِ بالغموم، هيهاتَ إنَّ الدُّنيا لا تدومُ، إنَّها على قَتْلِكَ تَحوم، إيثارُ مثلِ هذه لَوْم.

(للخفاجي):

سَـلْ بِغَمْـدانَ[4] أيـنَ سـاكنُـه سَيْـفُ ... وَقُلْ لنُعمانَ[5] أينَ أينَ السَّدِيْرُ[6]

أيُّهـا الظـاعنـونَ لا زالَ للغَيْـثِ ... رواحٌ عليكـم وبكـورُ

قـد رأينـا ديـارَكُـمْ وعليهـا ... أثـرٌ مِـنْ عِفـائِكُـم[7] مَهْجُـوْرُ

وسـألنـا أطـلالَكُـمْ فَـأَجَـابَـتْ ... وَمِـنَ الصَّمـتِ وَاعِـظٌ ونَـذِيْـرُ

عَجَباً كيفَ لم تَمُتْ في مغانيها[8] ... أسَـى مـا القلـوبُ إلا صخـورُ

يـا ديـارَ الأحبـابِ غَيّـرَكِ الـدَّهـرُ ... وكـانـتْ بعـدَ الأمـورِ أمـورُ

أيُّها الباكي على أقاربه الأموات، ابكِ على نفسِكَ، فالماضي قد فاتَ، وتأهَّبْ لنزولِ البلايا، وحلولِ الآفاتِ، وتذكَّرْ قولَ من إذا ذَكَرَكَ قال: مات،

---

(١) **أقوى**: خلا.

(٢) **غيدها**: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة.

(٣) **نسخ**: أزال. **النسيم**: الريح الطيبة اللينة. **السَّموم**: الريح الحارة.

(٤) **غمدان**: حصن في اليمن، معروف. **وسيف**: هو سيف بن ذي يزن ملك اليمن.

(٥) **نعمان**: أي نعمان بن المنذر بن ماء السماء.

(٦) **السدير**: قصرٌ قريب من الخورنق، اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم (معجم البلدان: ٣/ ٢٠١).

(٧) **عفائكم**: العفاء: ما كثُر وطال من الشعر والوبر والريش.

(٨) **مغانيها**: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غَنِيَ به أهله.

كأنَّكَ بما أتـى الماضين[1] قد أتاك، ولقد صاحَ بك نذيرُهم: أنتَ غداً كذاك، وليُخْرِسَنَّ الموتُ بسطوتِه فاكَ إذا وَافاك[2]، إنَّما اليومُ لهذا وغداً لذاكَ، قُرِئَ على قبرٍ:

أنـــا فـــي القبــــرِ وحيــــدٌ قـــد تَبَـــرَّا الأهـــلُ مِنِّـــي
أَسْلَمُـــونـــي بِـــذُنُـــوبـــي خِبْـــتُ إنْ لـــم تَعْـــفُ عَنِّـــي

يا هذا! لاحَتِ الغايةُ[3] عين الشَّيْبِ فَصِحْ بخَيْلِ البِدَار، مرحلةُ الشَّيبِ تحطُّ على شفير القبر «وقد أنجد من رأى حضناً»[4]، أتحمِلُ مشاقَّ السَّفَرِ مِنْ وراءِ النَّهرِ، وتخاطِرُ بالوقْفَةِ من نخلة؟!.

يـا هذا! إذا ركبْتَ مركبَ الهوى، فاجعل ناتانيَ[5] المركبِ لمحاسبةِ النفسِ، فإنَّه يَشَمُّ كلَّ يومٍ ريحَ ثَرى الأرضِ، فيعلَمُ هَلْ هو على خطأ أو صواب؟ ومتى لم يعرِف الطَّريقَ صدَمَهُ حجرٌ فغَرِق.

يا مَنْ يُحَدَّثُ وكأنَّه ما يسمَعُ، متى لم يُنْصِتْ سمعُ القلبِ ضاعَ الحديثُ، أتُرى ينطَبِعُ في شَمْعِ سَمْعِك من هذا حرف، تحضرون المجلسَ فُرْجةً! وتجعلون رجاءَ النَّفْعِ حُجَّةً، ولا تسلكونَ إلى العملِ مَحَجَّةً[6] ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

وا عجباً! تَجْتَمِعُ العزائمُ في المجلسِ اجتماعَ الثُّريا[7]، فإذا خرجنا صارتْ

---

(١) ما أتى الماضين: كناية عن الموت.
(٢) فاك إذا وافاك: أي فمك إذا جاءك الموتُ أُخرِس.
(٣) الغاية: نهاية الشوط، إشارةٌ إلى نهاية طريق الحياة.
(٤) في كتاب: مجمع الأمثال، للميداني، برقم (٤٢١٢) مَثَلٌ يُضرَبُ في الدليلِ على الشيءِ: أي: قد ظهرَ حصولُ المرادِ وقربِه، و(أنجد): بلغَ نجداً من رأى (حضناً)، وحضناً: اسمُ جبلٍ، وعليه وجّه الفارسي روايةَ مَنْ روى قولَ الأعشى:
نـبـيٌّ يـرى مـا لا تـرونَ وذِكْـرُهُ أغـارَ لَـعَـمْـري فـي الـبـلادِ وأَنْـجَـدَا
(٥) ناتاني: أي النوتي، وهو الملاح الذي يديرُ السفينةَ في البحر، جمعه: نواتي.
(٦) محجة: طريقاً.
(٧) الثريا: نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره.

كبناتِ نَعْش[1]، لو تأمّلتمُ عَيْبَ الدُّنيا لهان طلاقُها:

سـرورُ الـدَّهـرِ مقـرونٌ بِحُـزْنٍ فكُـنْ مِنْـهُ علـى حَـذَرٍ شَـدِيْـدِ
ففـي يُمنـاهُ تـاجٌ مِـنْ نُضـارٍ[2] وفـي يُسْـرَاهُ قَيْـدٌ مِـنْ حـديـدِ

آهٍ للدنيا! مَلَكتِ القلبَ حين مُلِكَتْ، وأبْقَتِ الهَمَّ ثم أبِقَتْ[3].

(للشريف الرضي):

تـزودْنَ مِنَّـا كـلَّ قَلْـبٍ ومُهْجـةٍ وزوَّدْنَنـا للـوجْـدِ عَـضَّ الأبـاهِـمِ[4]

كَمْ تألَّفَتْ بحلوِ مَذَاقِها، ثم أتْلفَتْ بمُرِّ فِراقِها.

(للشريف الرضي):

فليـتَ عهْـدكَ إذْ لـم يبْـقَ لـي أبـداً لـم يُبْـقِ عنـدي عقابيلاً[5] مِنَ السَّقَمِ

لما كان الصانعُ غائباً عن الإحساسِ[6] سطَّرتْ قدرتُه في ألواحِ التكوينِ عجائبَ الكائنات، ثم وُضِعَتِ الألواحُ في حجورِ[7] العقولِ، ليقرأها أذهانُ أطفالِ الطباع، فإذا حَذَقَ[8] الصبيانُ، وحُفِظَ المكتوبُ محا السطورَ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير].

إخواني! عيونُ يَقينِكم رَمِدة[9]، والفكرُ تبريد[10]، مَنْ أيقنَ بالموتِ كيفَ

---

(١) بنات نعش: سبعةُ كواكب تشاهَدُ جهةَ القطب الشمالي، شُبِّهَت بحملةِ النعشِ، أي سرير الميت.
(٢) النَّضار: الذهب.
(٣) أبَقَتْ: تركت. وأبَقَتْ: هربت.
(٤) الأباهم: جمع إبهام، وهي الإصبع الخامسة الغليظة.
(٥) عقابيل: جمع عُقبول: بقية العلة والمرض.
(٦) أي: لا تدركه الحواس.
(٧) حُجور: جمع حِجْر، وهو الكنف والحضن.
(٨) حذق الصبي العمل: إذا مهر فيه.
(٩) رمدة: فيها داء الرمد، يقال: رمدت العين رمداً: هاجت وانتفخت.
(١٠) تبريد: من برد عينه بالبرود كحَلها به تكحيلاً.

يفرح؟! من علم قربَ الحسابِ كيف يلهو؟! من عرفَ تقليبَ القلوبِ كيف يأمن؟!.

كان سفيانُ **الثوري** من شدَّةِ خوفِهِ يبولُ الدَّمَ، فَحُمِلَ ماؤه إلى الطبيبِ فقال: هذا ماءُ رُهبان، هذا ماءُ رجلٍ قد فتَّتَ الحزنُ كَبِدَهُ.

وحُمِلَ ماءُ سَرِيٍّ إلى الطبيب، فلمَّا نظرَ إليه قال: هذا بولُ عاشقٍ، قال حامله: فصعقتُ وغُشِيَ عليَّ، ثم رجعتُ إلى سريٍّ فأخبرته فقال: قاتله الله ما أبصرَه!.

إذا أنا واجهتُ الصَّبَا عادَ بردُها ... مِنْ حَرِّ أنْفَاسي عليه لَهِيْبُ
وقد أكثَرَتْ فيَّ الأطباءُ قولَهم ... وما ليَ إلا أنْ أراكَ طبيبُ

قيل لبعضِ عُقلاءِ المجانين: لم سُمِّيْتَ مجنوناً؟ قال: لمَّا طالَ حَبْسِي عنه في الدُّنيا صِرْتُ مجنوناً لخوفِ فراقِهِ:

قلبي بِحُبِّكَ ما يُفيقُ ... وجَفْنُ عينيَ ما يَنامُ
قدْ طالَ فيكَ الليلُ حتَّى ... ما يُقالُ لَهُ انصرامُ
والنَّجمُ فيهِ راكدٌ ... والفجرُ يمنعُه الظَّلامُ
ليلٌ بغيرِ نهايةٍ ... ولكلِّ مفتاحٍ خِتامُ
في وصلِكَ العيشُ الهنيُّ ... وهجرُكَ الموتُ الزؤامُ[1]

إنْ لم تكن مع القومِ في السَّحَرِ تَلَمَّحْ آثارَ الحبيبِ عليهم وقتَ الضحى، ترى في صحائفِ الوجوهِ سطورَ القبولِ بمدادِ[2] الأنوارِ:

وجوه زهاها الحسنُ أن تترفّعا

قال أحدُ الصالحين: لقيتُ غلاماً في الطريق إلى مكةَ فقلتُ له: أما تستوحشُ؟.

فقال: إنَّ الأُنسَ بالله قطعَ عَنِّي كلَّ وحشةٍ.

قلتُ: فأين ألقاكَ؟.

---

(١) **الزؤام**: الموت السريع.
(٢) **بمداد**: بحبر.

قال: أمَّا في الدنيا فلا تُحدِّثْ نفسَكَ بلقائي، وأمَّا في الآخرةِ فإنَّها مجمَعُ المتقين.

قلتُ: فأينَ أطلبُكَ في الآخرة.

قال: اطْلُبْنِي في جملةِ الناظرين إلى الله.

قلتُ: وكيف علمتَ؟.

قال: بِغَضِّ طَرْفِي عن كلِّ محرَّم، واجتنابي فيهِ كلَّ مُنْكَرٍ ومأثَمٍ، وقد سألتُه أن يجعلَ جنّتي النظرَ إليه. ثم صاح، وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري.

(للشريف الرضي)[1]:

وما تلوَّمَ جسمي عن لقائكمُ	إلاَّ وقلبي إليكم شيِّقٌ عَجِلُ
وكيفَ يَقْعُدُ مشتاقٌ يُحرِّكُه	إليكمُ الحافزانِ الشوقُ والأملُ
فإنْ نهضتُ فما لي غيركم وَطَرٌ	وإنْ قعدتُ فما لي غيرُكُمْ شغُلُ
وكم تعرَّضَ لي الأقوامُ بَعْدَكُمُ	يستأذنونَ على قلبي فما وصلوا

* * *

(١) شعر كتبه إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة. انظر: ديوانه: ٢/٢٢٨.

الفصل الثالث والتسعون

سبحانَ من فاوتَ[1] بينَ القلوب، فمنها ما لا يصلحُ إلا لخدمة الدنيا، ومنها ما لا يصلحُ إلا للتعبّد، ومنها روحاني مشغولٌ بمحبّةِ الخالق.

(للمتنبي):

أروحُ وقـدْ ختمـتُ علـى فـؤادي ... بحبِّـكَ أنْ يَحُـلَّ بـهِ سـوَاكـا
فلو أنّي استطعتُ غَضَضْتُ طرفي ... فلـمْ أُبْصِـر بـِـهِ حتّـى أراكـا
أحبُّـكَ لا ببعضـي بَـلْ بِكُلِّـي ... وإنْ لـم يُبْـقِ حُبُّـكَ لـي حِـرَاكـا
ويَقْبـحُ مـن سِـواكَ الفِعْـلُ عِنْـدِي ... فَتَفْعَلُـهُ فَيَحْسُـنُ مِنْـكَ ذاكـا
وفـي الأحْبـابِ مُخْتَـصٌّ بِـوَجْـدٍ ... وآخـرُ يَـدَّعـي مَعَـهُ اشْتِـراكـا
إذا اشتبَكَـتْ دُمـوعٌ فـي خُـدُودٍ ... تبيَّـنَ مَـنْ بَكَـى ممَّـنْ تَبـاكـا
فـأمَّـا مَـنْ بَكَـى فيـذوبُ شَـوْقـاً ... ويَنْطِـقُ بـالهَـوَى مَـن قـدْ تباكـى

النهارُ يزيد في كُرَبِ المُحِبِّ، واللَّيلُ يُرَوِّحُه السَّحَرُ، روضة نجديّة يجدُ فيه المحبُّ ضالَّةَ وَجْدِه، شرابُ المناجاةِ يَرْوي ظمأَ العُشَّاقِ.

لو رأيتَ المُحِبَّ في الليلِ يتقَلْقَلُ، ويناجي حبيبَه ثم يتَمَلْمَلُ، وكلَّما أزعجَه الشوقُ تحيَّرَ وتَبَلْبَلَ[2]، وما ألذَّ ما يصِفُ حالَه ولا يتعمّل[3]!.

أحبّـايَ أمَّـا جَفْـنُ عينـي فمَقْـروحُ ... وأمَّا فؤادِي فهْوَ بالشوقِ مَجْروحُ
يُـذكّـرُنـي مـرُّ النَّسِيْـمِ عهـودَكـم ... فـأزدادُ شـوقـاً كلَّمـا هبَّـتِ الـريـحُ
أرانـي إذا مـا الليـلُ أظلـمَ أشـرقَـتْ ... بقلبـيَ مِـنْ نـارِ الغـرامِ مَصَـابيـحُ

---

(١) فاوت: جعلها متفاوتة متباينة في الاستعداد.
(٢) تبلبل: تفرق وتبدد.
(٣) يتعمل: يتكلف الوصف.

أُصَلِّي بِـذِكـراكـم إذا كُنتُ خـاليـاً ... ألا إنَّ تَـذْكـارَ الأحِبَّـةِ تَسْبيـحُ
يَشُـحُّ فُـؤادِي أنْ يخـامِـرَ سِـرَّهُ ... سِوَاكم وبَعْضُ الشُّحِّ في المرءِ ممدوحُ

لو لبس أحدُ المحبين حُلَّةً، عُلِمَ أنَّه من الزهّاد «كيف يُخفي الليلُ بدراً طالعاً»، كَمْ بالغوا في كتم الحال، وسترُ الحبِّ مُحال:

أُسـائِـلُ عَمَّـنْ لا أُرِيـدُ وإنَّمـا ... أُرِيـدُكُـمُ مِـن بينهـم بسـؤالـي
فيعثُـرُ مـا بيـنَ الكـلامِ ورَجْعِـهِ ... لسـاني بِكُـمْ حتّـى يَنِـمَّ[1] بحـالـي
وأطوي على ما تعلمونَ جَوَانحي ... وأُظْهِـرُ للعُـذّالِ أنّـيَ سَـالِ[2]

كلَّما قَويَ حاملُ المحبّة، زِيْدَ في حِمْلِه «**نحن معاشر الأنبياءِ أشدُّ الناسِ بلاءً ثمّ الأمثلُ فالأمثل**»[3]، فَورانُ قِدْرِ القلبِ من قَدْرِ شدَّةِ الإيقاد.

كان يُسْمَعُ لصدر **الخليلِ**[4] أزيزٌ من بعيدٍ خوفاً مِنَ اللهِ تعالى، وكذلك نبيّنا ﷺ يصلّي ولجوْفِـهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ من البكاء[5]، كان الوحيُ إذا نزلَ عليه، وهو على ناقتِه أثَّرَ فيها، فربّما وَتِدَتْ بيدَيها في الأرضِ، وربّما بَرَكَتْ لِثِقَلِ الوحي[6].

---

(١) ينم: يكشف.

(٢) جوانحي: ضلوعي. سالٍ: مِنْ سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

(٣) رواه الترمذي: ٢/ ٦٤ وقال: حسن صحيح؛ وابن ماجه رقم (٤٠٢٣)؛ والدارمي: ٢/ ٣٢٠؛ والطحاوي: ٣/ ٦١؛ وابن حبان برقم (٦٩٩)؛ والحاكم: ١/ ٤٠، ٣١؛ وأحمد: ١/ ١٧٢، ١٧٤ ولفظه: «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل**».

(٤) **الخليل**: هو سيدنا إبراهيم ﷺ.

(٥) أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في (الشمائل) من حديث عبد الله بن الشّخّير، وصححه النووي.

(٦) روى الإمام أحمد في (المسند): ٦/ ١١٨، وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه عن عائشة: أنها قالت: إنْ كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرّانها (أي: بصدرها) فما تستطيعُ أن تتحرّكَ حتى يُسرَّى عنه. وتَلَتْ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. وروى ابن سعد في (الطبقات): ١/ ١٩٧: عن أبي أروى الدوسي رضي الله عنه قال: رأيتُ الوحيَ ينزلُ على رسول الله ﷺ وإنّه على راحلته، فترغو وتفتل يدَيْها حتى أظنَّ أنَّ ذراعها تنقصم، =

(للشريف الرضي):

أَحَسَّتْ بنارٍ في ضلوعي فأصبحَتْ ... يَخُبُّ بها حَرُّ الغرام ويُوضِعُ[1]
تَحِنُّينَ إلا أنَّ بي لا بِكِ الهوى ... وليْ لا لكِ الإلفُ الخليطُ المُودِّعُ
وباتتْ تشكّى تحت رَحْلي ضامراً ... كلانا إذن يا ناقُ نِضْوٌ[2] مُفجَّعُ

انماعت[3] قلوبهم بالخوف، فهابتهم الجوامد، «فالحجرُ يسلّمُ على الرسول ﷺ»[4]، والسكينُ لا تعملُ في الذبيح[5].

ما لك أيتها المُديةُ وعادتُكِ القطعُ؟!.

قالتْ بلسانِ الحالِ: أخواتي تَحُزُّ رِقَاب الكفّارِ، وأنا قد ابتُليتُ بقَطْعِ عُنُقِ إسماعيلَ، فقد وقفتُ مدهوشةً بالبلوى فعندي شُغْلٌ.

قطعُ يدِ زليخى يجوزُ، فأما يدُ يوسُفَ فمُشكِلٌ.

أتُراكَ تحلو لك عبارَاتي؟ أوَتفْهَمُ إشارتي؟ كيف أجلو عليك عرائسَ المحبة ولستَ كُفؤاً؟ وإنَّما يحلُّ النظرُ لمن يعْقِد، أقلُّ أحوالِ القومِ رفضُ الهوى وهذا كالمستحيل عندك، كانوا إذا ابتُلوا صبروا، ثم صاروا إذا ابتُلوا شكَروا، ثم رأَوْا في البِلا[6] المُبْتلي فسَكِروا، أين الذين أصفهم؟ مرّوا وعبروا.

= فربّما بَرَكَتْ، وربّما قامت موتدةً يَدَيْها حتى يُسَرَّى عنه من ثِقَلِ الوحي، وإنَّه ليتحدّرُ منه مثل الجُمان. وروى الإمام أحمد في (المسند): ٦/ ٤٥٥؛ والطبراني وابن كثير في السيرة: ١/ ٤٢٤، عن أسماء بنت يزيدَ: كنتُ آخذةً بزمام ناقةِ رسول الله ﷺ حين أُنزِلَتْ عليه سورة المائدة، فكاد ينكسر عضُدُها من ثِقَل السورة.

(١) **يخب ويوضع**: الخب والإيضاع ضربان من السير.

(٢) **النضو**: البعير المهزول. **يا ناقُ**: نداء من يا ناقة، وهذا على لغة من لا ينتظر، لو قلت: يا ناقَ، لكان على لغة من ينتظر.

(٣) **انماعت**: ذابت.

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥؛ ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢)؛ والترمذي عن جابر بن سمرة، قال ﷺ: «**إنّي لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلّمُ عَليّ قبل أن أُبعث**».

(٥) أي: إسماعيل عليه السلام.

(٦) **البلا**: البلوى والبلاء.

ليسَ بالصَّبِّ مَنْ يُحَرِّكُ بالشَّكوى لسـانـاً ويـوْدِعُ الـدَّمْـعَ خَـدَّا[١]

أيُّهـا الـوامِـقُ الـذي جعـلَ الكتمـانَ بيـنَ الـوُشَـاةِ والحِـبِّ سـدَّا[٢]

صاحِ لولا صَوْنيَ الغرامَ لأجريتُ دمـوعـاً تُـوفـيْ علـى البَحْـرِ مَـدَّا

قل لحيٍّ على اللوى والكثيب الفَرْدِ جـادَ الحَيـا الكثيـبَ الفَـرْدا[٣]

قَـدْ وَقَفْنـا مِـنْ بَعْـدِكُـمْ نَسْـأَلُ البـانَ ضَـلالاً عَنْكُـم ونشكـو الـرَّنْـدا[٤]

أين تبغي يا حادِيَ الرَّكبِ أفنيتَ المطـايـا سَيْـراً ذَمِيـلاً ووَخْـدا[٥]

قِفْ قليلاً في الرَّبْعِ وارفُقْ فما أبقيتَ مِنْهـا إلا عِظـامـاً وجلْـدا

فلـدارِ الهَـوَى علينـا حقـوقٌ إنْ تـركْنـا أداءَهـا كـانَ إدًّا[٦]

يـا بنـي الـودِّ والـوفـاءِ ومـا أسمعُ إلا قـولاً وفـاءً ووُدَّا

كَـمْ نَقَضْتُـم مِـنْ غيـرِ جُـرْمٍ عهـوداً مـا نَقَضْنـا منهـا علـى الـرَّمْـلِ عهـدا

كم أنشُرُ بزَّ[٧] المحبّة ولا أرى إلاَّ مُفْلِساً، تَنزَّهُوا في السِّلَعِ، فسهْلٌ عليَّ طيُّ المنشورِ، ما أحلى ذكرَ الأحبابِ، ما أطيبَ حديثَ أولي الألبابِ! .

(لصُرَّدُرّ)[٨] :

إيـهِ أحـاديـثَ نَعْمـان[٩] وسـاكنِـه إنَّ الحـديـثَ عـن الأحبـابِ أسمـارُ

أُفَتِّـشُ الـرِّيـحَ عنكـم كلَّمـا نفحـتْ من نحوِ أرضِكُمُ نكباءُ معطارُ[١٠]

---

(١) الصب: المحب، وهو من لذعته حرارةُ الشوق ورقته.

(٢) الوامق: المحب. الوشاة: جمع واشٍ، وهو هنا العذول الذي يفشي السر. الحِبّ: المحبوب.

(٣) اللوى: الملتوي والمنقطع من الرمال. الحيا: الغيث.

(٤) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر. الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

(٥) ذميلاً ووخداً: الذميل والوخد ضربان من سير الإبل.

(٦) إدّاً: داهية وأمراً فظيعاً.

(٧) بزّ: البزّ الثياب.

(٨) من قصيدة يمدح بها الوزير ابن فسنجس. انظر: الديوان، ص٢٧.

(٩) نعمان: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، ويقال له: نَعمان الأراك.

(١٠) نكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصَّبا والشمال. مِعطار: عطرة.

تمكَّنَ الحبُّ من حَبَّاتِ[1] قلوبهم، فأخرجَهم إلى الوَلَهِ[2] فلو رأيتموهم لقلتم: مجانين.

قَـدْ لَـجَّ بـيَ الغـرامُ حتـى قـالـوا: قَـدْ جُـنَّ بهـم وهكـذا البلبـالُ[3]
فـي مِثْـلِ هـواكَ تـرخُـصُ الآجـالُ المـوتُ إذا رضيتُـه سِلْسَـالُ[4]

كانت رابعةُ تقول: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ والليالي بالشوقِ إلى اللهِ تعالى.

أُمِـرتُ عنـكَ بصبـرٍ وليـسَ لـي عنـكَ صبـرُ
يـا آمـري بـالتسلّـيَ مـا لـي مَـعَ الشَّـوْقِ أمـرُ

قال الشبليُّ: رأيتُ جاريةً حبشيةً فقلتُ: من أين؟.

قالت: مِنْ عندِ الحبيب.

قلت: وإلى أين؟.

قالت: إلى الحبيب.

قلتُ: ما تريدين من الحبيب؟.

قالت: الحبيب.

وَجْـدي بكمـو وصَفْـوُ وُدّي لكُـمُ والقلـبُ مـذْ نـأيتُـمُ عنـدكـمُ
عينـيَ عَيْـنٌ[5] لبُعْـدِكُـمُ لـو شَقُّـوا قلبـي لمـا رأوْا غيـرَكـمُ

* * *

---

(١) حبات القلوب: سويداء القلوب.
(٢) الوله: ذهاب العقل والتحيير من شدة الوجد.
(٣) لج: تمادى. البلبال: شدة الهم والوسواس.
(٤) سلسال: يقال: ماء سلسال: سهل المرور في الحلق لعذوبته وصفائه.
(٥) عين: أي عين ماء جارية.

الفصل الرابع والتسعون

يا هذا! اشتغلتَ بفنونِ تَعليلِك عن ذكرِ تَحْويلك، وسَتُسْلَبُ من أخيك وخَليلِك، وعلى تَخْبِيْطِكَ وتخبيلِك.

كـأنَّـكَ بـالمضـيِّ إلـى سبيلـكْ ... وقـد جَـدَّ المجهِّـزُ فـي رَحِيلِـكْ
وجـيْءَ بغـاسـلٍ فـاستعجلـوه ... بقـولِهِـمُ لـهُ افـرغْ مِـنْ غَسِيْلِـكْ
ولـم تحْمِـلْ سِـوى كَفَـنٍ وقُطْـنٍ ... إليهـم مِـنْ كثيـرِكَ أو قليلِـكْ
وقـدْ مَـدَّ الـرِّجـالُ إليـكَ نَعْشـاً ... فـأنـتَ عليـهِ ممـدودٌ بِطُـوْلِـكْ
وصلَّـوْا ثـمَّ إنَّهُـمُ تَـداعَـوْا ... لِحَمْلِـكَ فـي بكـورِكَ أو أصيْلِـكْ[1]
ولمَّـا أسلمـوكَ نـزلْـتَ قبـراً ... ومَـنْ لـكَ بـالسلامـةِ فـي نـزولـكْ
أعـانَـكَ يـومَ تـدخلُـهُ رَحِيْـمٌ ... رؤوفٌ بـالعبـادِ علـى دُخُـولِـكْ
فسـوفَ تجـاوِرُ المـوْتَـى طـويـلاً ... فـدعْنـي مِـنْ قصيْـرِكَ أو طـويلِـكْ
أخـي إنِّـي نَصَحْتُـكَ فـاستمِـعْ لـي ... وبـالله استعنْـتُ علـى قَبُـوْلِـكْ
ألسْـتَ تـرى المنـايـا كـلَّ يَـوْمٍ ... تصيبُـكَ فـي أخيـكَ وفـي خَلِيْلِـكْ

إخواني! ما مِنَ الموتِ بُدٌّ، بابُ البقاءِ في الدُّنيا قدْ سُدَّ، كَمْ قَدٍّ في القبرِ قدْ قُـدَّ[2]! كم خدٍّ في الأخـدودِ قد خُدَّ[3]! يا مَنْ ذنوبُه لا تُحصَى! إنْ شككْتَ عُدَّ، يا مَنْ أتى بابَ الإنابةِ كاذباً فَرُدَّ.

لقد حَمَّلْتَ على نفسِكَ ما يثقلُها، فحسبُكَ ما قَدْ مَضَى، أتقتُلُها؟! يا طولَ سَفْرَةٍ! الموتُ أوَّلُها، أين جَزَعُ النفسِ؟ أين تَمَلْمُلُها؟ كأنَّها بالمرَضِ قدْ نزلَ

---

(١) أصيلك: الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.
(٢) قَدّ الأولى: القامة. وقُدَّ الثانية: شُق وقطِّع.
(٣) خَدّ الأولى: وجنة الوجهِ. خُدَّ الثانية: الشق.

يزلزلُها، وبعثَ إليها رائدَ الأسَفِ يَسْتعْجِلُها، الحذرَ الحذرَ! فقد فوَّقَ السِّهامَ[1] مُرسِلُها، الدرُوعَ الدُّروعَ فقد جلا السيوفَ صَيْقَلُها.

ما هذه الخصالُ المذمُومةُ؟! أتُؤْثِرُ العقولُ لذَّةً مسمومةً؟! ما هذا الحِرْصُ والأرزاقُ مَقْسُومَةٌ؟! أنسيتَ يوم تُنْشَرُ الصحفُ المختومة؟! أما تَعْلَمُ أنَّها ستَظْهَرُ القبائحُ المكتومة؟! يا لها موعظةٌ بين المواعِظِ كالأيام المعلومة، أحسنُ من اللآلئ المنثورة، وأعجبُ من العقودِ المنظومةِ.

العلمُ والعملُ توءمان أمُّهُما علوُّ الهمّة.

أيّها المعلمُ تَثَبَّتْ[2] على المُبْتَدي ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبا: ١١]، فللعالِمِ رسوخٌ وللمُتعلِّمِ قَلَقٌ.

ويا أيها الطالبُ تواضَعْ في الطَّلَب، فإنَّ الترابَ بَيْنا هو تحتَ الأخمصِ صار طهوراً للوجه، السهرُ مَرْقى إلى أطيب مَرْقَدٍ.

الهُونُ في ظِلِّ الهُوينا[3] كامنٌ   وجلالةُ الأخطارِ في الأَخْطارِ[4]

قلبُ العالم بحرٌ ما لِلُجَّتِه قرارٌ، إذا نزَلَ غواصُ الفكرِ، تَرَقَّى إلى ساحِلِ اللسانِ قدْرَ الممكنِ، مياهُ المعاني مخزونةٌ في صَدْرِ العالِمِ تَفْتَحُ منها لزرع قلبِه، سيحاً بعد سَيْحٍ[5]، ويدَّخرُ أصفاها قوتاً للرُّوح، فإذا تكاثَرَتْ عليه صاحَ السيلُ[6].

العالِمُ يَنْفُخُ في صُورِ فيْهِ[7] بعبارة التخويف، فيموتُ هوَى العاصي، ثم ينفخُ في صُورِ التشويقِ، فيُحيي روحَ المعرفةِ، فيَخْرُجِ التائبُ من قَبْرِ غَفْلَتِه في كفن يقظتِه، وقد بُدِّلتِ الأرضُ غيرَ الأرض، فَيَفْتَحُ له رضوانُ الرِّضا بابَ جَنَّةِ الوَصلِ.

---

(١) فوّق السهام: وضع السهام في القوس ليرميها.

(٢) تثبَّت: يقال: تثبت في الأمر: تأنّى ولم يتعجّل.

(٣) الهُون: الخزي. الهوينا: الخفض والدَّعة.

(٤) الأخطار الأولى: جمع خطر: الشرف والرفعة. الأخطار الثانية: جمع خطر: الإشراف على الهلاك.

(٥) سيحاً بعد سيح: السيح: الماء الجاري.

(٦) صاح السيل: فاض.

(٧) صور فيه: الصور: القرن، فيه: الفم.

لا تظنوا العالِمَ شخصاً واحداً، العالِم عالَمُ تصانيفَ، العالِم أولادُه المخلَّدون دون أولادِه، من خُلِقَ للعلم شَفَّ جَوْهَرُهُ من الصِّغَر، فتراهُ يُنْفِقُ في الجِدِّ بضاعَةَ الشَّبيبة، ويُسابِق سائقَ العَجْزِ، يصل الكَدُودُ[1] ليله بنهارِه، كدُودِ القَزِّ في زمانِ الشِّدَّةِ، فإذا امتلأ وعاءُ قلبه بما وَعَى، نَسَجَ الفَهْمُ في زوايا الذهنِ من المعاني المستنبطة نَسْجَ القَزِّ[2].

فإذا رأى عُرياناً من العلم فأرادَ كِسْوَتَه، بَعثَ الفكرَ، فسلَّ من لطائِفِ اللُّطْفِ طاقاتٍ، ثم أرسلَها إلى صانِعِ القوَّةِ، فبالَغَ في تَحْسينها، وتَأنَّقَ في تَلْوينِها، ثم يَنْسجُها اللسانُ على مِنْوالِ البلاغةِ، فتَظْهَرُ رقومُ نقوشِها عَنْ شُدود عُقْدتِها الفِطَن الباطِنَة، فإذا الثوبُ نسيجُ وحْدِه. ومثلُ تلكَ المطارفِ[3] الطرائفِ[4] لا تبتذلُ إلا في عيدِ مجلسِ الذكرِ.

ليسَ كلُّ مَنْ ربّى دودَ القزِّ سلاَّلاً[5]. ولا كلُّ قزّاز سقلاطونيّاً[6]. آهٍ من اشتراكِ الأسماءِ، وتلقيبِ القصديرِ بالبيعِ، ليسَ كلُّ مَعْدِنٍ عِرْقَ الذَّهَبِ، ولا في بَطْنِ كلِّ غزالٍ مسكٌ.

ليس مَنْ غاصَ[7] في قرارِ البحرِ حتّى وقعَ بالدُّرِّ اليتيم[8]، كمن قعدَ على الساحلِ يجمعُ الصَّدَفَ.

أمراءُ العباراتِ رعيةٌ لفصاحتي، وَيْكَ[9] إنَّه كَيْلٌ بلا ثمنٍ.

---

(١) **الكدود**: صيغة مبالغة من الكد: وهي الشدة في العمل.

(٢) **القزّ**: الحرير.

(٣) **المطارف**: جمع مِطْرف: رداء من خزٍّ له أعلام.

(٤) **الطرائف**: جمع طُرْفة، وهي كلُّ مستحدَث عجيب.

(٥) **سلاَّلاً**: السَّلُّ: نزع الشيء برفق. والسلال: صانعُ السلال.

(٦) **قزاز**: بائع القز. **سقلاطونياً**: السقلاط: الياسمين أو شيء من صوفٍ تلقيه المرأة على هَوْدَجِها، أو ثياب كتَّانٍ موشاة، وكأنّ وشيه خاتم.

(٧) **غاص**: نزل تحت الماء.

(٨) **الدر اليتيم**: الدر المتفرد بنفاسته.

(٩) **ويك**: من وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب.

سَقْيُ فصاحتي سَيْحٌ، فقد تضاعَفَتْ عَليَّ زكاةُ الشُّكْرِ.

سافرَ لفظي ببضائعِ فكري من أرضِ قلبي إلى باديةِ فمي، فَسَلَّمَ سِلَعَ النُّطْقِ إلى منادي لساني، هيهاتَ، فواكِهُ الألفاظِ اللذيذةِ في مَذاقِ الأفهامِ السليمةِ ليسَ لها ثمنٌ؛ فهو يَعْرِضُها في موسمِ النُّصْحِ على تُجَّارِ الإرادةِ، فمَنْ منكم يشتري حِكْمَةً بِقَبول؟.

قد يرى علوَّ مكاني وينسى الدَّرَج، كم خُضْتُ بحراً مَلِحاً حتى وقَعْتُ بِعَذْبٍ! كَمْ قطعْتُ مَهْمَهاً وَحْدِي حتى سُمِّيتُ بالدَّليلِ! أَنْضَيْتُ[1] مركَبَ الجسمِ، ورَفَضْتُ شهواتِ الحسِّ، وواصَلْتُ الليلَ بالنّهارِ في الجِدِّ، وأوقدْتُ في دُجى الهوى نارَ الصَّبْرِ، فإن وثَقْتُم بأمانتي فهذا تخييرُ[2] الشراء:

شربتُ لأغلالي رَحِيقاً بسَلْسالِ ... مِنَ الشاهِقِ العالي على غَيْرِ تَصْريدِ[3]
فأصبحْتُ نَشْواناً مِنَ الشُّرْبِ سكراناً ... وأطربُ أحياناً بلا نَغْمةِ العُودِ
وكم جُبْتُ[4] مِنْ وادٍ وسِرْتُ بلا حادٍ ... وبتُّ بلا زادٍ سوى ذكرِ مَعْبودي

* * *

(١) **أنضيت**: أهزلت.
(٢) **تخيير**: هو تخيير أحد المتابعين ليقطع خيار المجلس.
(٣) **أغلالي**: حرارة العطش. **الرحيق**: صفوة الخمر. **سلسال**: العذب الصافي سهل المرور في الحلق. **تصريد**: تناول الماء جرعات متفرقة.
(٤) **جبت**: قطعت.

الفصل الخامس والتسعون

كم تُنذِرُ الدُّنيا ولا نَسْمَعُ! وكم تُؤْيِسُ مُحبَّها من وصلِها ويَطمَعُ! فالعجبُ مِنْ فَطِنٍ غرَّهُ سرابٌ يَلْمَعُ.

يأتي على الناسِ إصباحٌ وإمساءُ	وكلُّنا لصروفِ الدَّهْرِ نَسَّاءُ[1]
خَسِسْتِ يا دارَ دُنيانا وربَّما	يَرْضَى الخسيسةَ أوباشٌ أخِسَّاءُ
إذا تَعَطَّفتِ يوماً كنتِ قاسيةً	وإن نظرتِ بعينٍ فَهْيَ شَوْساءُ[2]
وقد نَطقْتِ بأصنافِ العظاتِ لنا	وأنتِ فيما يراكِ الناسُ خَرساءُ
أينَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَنْ	كانتْ لهم عِزَّةٌ في المُلكِ قَعْساءُ[3]
نالوا يسيراً من اللذّاتِ وارتحلوا	بِرَغْمِهم فإذا النَّعماءُ بأسَاءُ

الدنيا دارُ كَدَرٍ، بذلك جرى القدرُ، فإنْ صَفَا عيشٌ لحظةَ نَذَر، ثم عادَ التخليطُ فيذرُ الورودَ فيها كالصَّدَر[4]، ودمُ قتيلها هَدَر[5].

المرءُ مِنْ دُنْياهُ في كَلَفٍ[6]	ومالُه فيها إلى التَّلَفِ
ولكلِّ شيءٍ فائتٍ خَلَفٌ	وحياتُنا فوتٌ بلا خَلَفِ

يا لاحقاً بآبائه وأمهاته! لا بدَّ أن يصيرَ الطَّلا إلى مهاتِه[7]، يا مَنْ جُلُّ همَّتِهِ شَغْلُ خَيَّاطِهِ وطُهَاتِه[8]، يغلبُه الهوى وهو غالبُ دُهَاتِه[9]، إنْ كان

---

(١) نسَّاء: كثير النسيان.

(٢) شوساء: يقال: شاس فلان: نظر بمؤخر عينه تكبّراً وتغيّظاً.

(٣) قعساء: يقال: عزة قعساء: ممتنعة ثابتة.

(٤) الورود: المجيء للماء. الصَّدَر: الرجوع عن الماء.

(٥) هدر: باطل لا قَوَد فيه.

(٦) الكَلَف: المحبة والولع.

(٧) الطلا: ولد ذوات الظلف، مهاته: مفرد جمعها مها، وهي البقرة الوحشية.

(٨) طهاته: طباخو طعامه.

(٩) دهاته: الرجل الداهية: جيد الرأي بيّن الدَّهاء.

لك عذرٌ في تفريطك فهاتِه.

إخواني! مَرُّ الزمانِ وَعَظَ الألبابَ، ويكفي في الإنْذَارِ مَوْتُ الأصحاب، كم تَرى في التُّرابِ مِنْ أتراب[١]؟ أُغمِدَتْ تلكَ السيوفُ في شَرِّ قِرَاب[٢]، تناولتهم يدُ البِلى مِنْ كفِّ اسْتِلاب[٣].

ويحك! ضياءُ الدنيا ضباب، وشرابُ الهوى سَراب، أترضى أن يقال: قد خَاب؟ أما لهذا عندكَ جواب؟ كلّما دخلنا من بابٍ خرجْتَ من باب.

(للشريف الرضي):

أَذِكْرُ تَصَابٍ والمشيبُ نِقابُ ... وغيرُ الغواني للمشيبِ صِحابُ
أؤَمِّلُ ما لا يبلغُ العمرُ بعضَه ... كأنَّ الذي بعدَ المشيبِ شبابُ
وطُعْمٌ لبازي الموتِ لا شكَّ مُهْجتي ... أَسَفَّ[٤] على رأسي فطار غرابُ[٥]
وأثقلُ محمولٍ على العينِ ماؤها ... إذا بانَ[٦] أحبابٌ وعزَّ إيابُ

لله درُّ أقوامٍ عَلِمُوا قُرْبَ الرحيلِ، فهيَّؤوا آلة السَّفَر، وهَوَّنُوا بالدنيا، فَقَنَعوا منها بما حَضَر، واستوثَقُوا بقُفْل التَّقوى من أذى النطقِ والنَّظَرِ! ما لك خبرٌ بحالهم، ولا عِنْدَكَ منهم خبر، قامُوا في الجِدِّ وقَعَدْتَ، وسهروا في الدُّجى ورقَدْتَ، طالما نَصَبُوا[٧] في خدمة المالك، وناقشوا أنفسَهم مناقشةَ مماحِك[٨]، وآثروا بالزادِ فزادُوا على البرامك، واختُبِرُوا بالبِلا كالتِّبْرِ عن السابك[٩]، هذه طريقُهم فأين السالكُ؟! أترضى بالتأخرِ عنهم؟! هذا برَأْيك، كأنَّكَ بهم وقدْ دَخَلَتْ على

---

(١) أتراب: جمع تِرْب، وهو المماثل في السنّ.
(٢) قِراب: غمد السيف، والمقصود ـ هنا ـ القبر يضم الأجساد.
(٣) استلاب: اختلاس.
(٤) أسف: أسف الطائر: دنا من الأرض في طيرانه.
(٥) غراب: طائر أسود ينعب.
(٦) بان: اختفى.
(٧) نصبوا: تعبوا.
(٨) مماحك: مجادل.
(٩) التبر: الذهب. السابك: الصائغ.

الملأ الملائكُ: كُلْ يا مَنْ لم يأكل[1]، هذا بذلك.

لما أُرِيدوا أُفيدوا، لما شَكَروا النِّعَم زِيدُوا، ولو فَـتَرُوا عن التعبّدِ قِيْدوا.

نام (**العلاءُ بنُ زيادٍ**) ليلةً عن وِرْدِه فَجُذِبَ في نومِه بناصيتِـهِ وقيل له: قم إلى صلاتِـك، فمـا زالتْ الشَّـعَراتُ قائمـةً باقـي حياتـه ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة: ٧٣].

قال أبو سليمان: غلبتني عَيْني، فإذا أنا بالحوراءِ قدْ رَكَضَتْني بِـرِجْلِها وهي تقولُ: أَتَرْقُدُ عَيناكَ والمَلَكُ يقظان؟! قال: ونمتُ ليلةً أخرى، وإذا بها توقظُني وتقول: أتنامُ وأنا أُرَبَّى لك في الخُدور منذ خمسمئة عامٍ؟!.

(للنابغة الذبياني)[2]:

أقـولُ والنَّجْـمُ قـدْ مَـالـتْ أوَاخِـرُهُ	إلـى المَغِيـبِ تَبَيَّـنْ نظـرةً حـارِ[3]
أَلمحـةً مِـنْ سَنـا بـرقٍ رأى بصـرِي	أَمْ وَجْـهُ نُعْـمٍ بَـدَا لـي أم سَنـا نـارِ
أُنْبِئْـتُ نُعْمـاً علـى الهِجْـرانِ عـاتبـةً	سُقْياً ورُعياً لذاكَ العاتبِ الزاري[4]

قلوبُ القومِ في الدُّجى قَلِقَة، وأفئدتُهم من الخوفِ مُحْتَرِقة، والنفوسُ من هَجْرِ الحبيب فَرِقَة[5]، وجفُونُهم من البكاءِ غَرِقَة، وعروقُ المحبّةِ في سويدائهم عَلِقَة، شفاهُهم بكأسِ المناجاةِ مُصْطَبِحَةٌ مُغْتَبِقَةٌ[6]، والآمالُ إليه كلَّ وقتٍ مُنْطَلِقة، وما عادَتْ قطُّ إلا وهي بالرَّجاء عَبِقَةٌ.

---

(١) ورد أنَّ بِشراً الحافي رؤي في المنام جالساً على أريكته وملك يطعمه ويقول: كل يا من لم يأكل لأجله. من محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري، ص٢٠.

(٢) انظر: ديوان النابغة، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣) **حارِ**: أصلها حارث، وهو منادى بإسقاط أداة النداء على لغة من ينتظر، و(حارُ) على لغة من لا ينتظر.

(٤) **سقياً ورعياً**: دعاء بالسقيا والرعاية. الزاري: المتهاون.

(٥) **فرِقة**: وجلة خائفة.

(٦) **مصطبحة مغتبقة**: الاصطباح: شرب الصَّبوح. والاغتباق: شرب الغَبوق في المساء.

قـلْ للمقيميـنَ علـى وادي الحِمَـى ... عنّـــي إذا أتَيْتَهُـــم مُسَلِّمـــا
قد صارَ طِيْبُ العيشِ مُذْ فارقْتُكم ... عَلـيَّ مِــنْ بَعْـدِكُـمُ مُحَـرَّمـا
وكـلُّ شَهْـدٍ ذقْتُـه فـي وَصْلِكـم ... قَـدْ عـادَ مِنْ بَعْـدِ الفِـراقِ عَلْقمـا
لا عيشَ لـي إن غِبْتُـمُ عَـن نَـاظِري ... وإنْ حَضـرتُـم رُبَّمـا ورُبَّمـا
إنْ سـألـوكَ عـن سقـامٍ قـدْ رثَـى ... لي فيه أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّمَا
فقـل لهـم مـا يَشْتَكـي مِـنْ سَقَـمٍ ... لأنَّـــه يَـــذكُـــرُ فِيْـــهِ المُسْقِمـــا

وا حسرةَ مَنْ مَضَوْا وخَلَّفُوا، لقد اسْتبدلَ بالعَسَل الخلَّ فُوْه[1]، آهِ على عيشٍ ولّى ولا عَوْدة، وعلى حادٍ سَرَى ولا وِقْفَة، تَاللهِ لو صارتِ العينُ عيناً[2] ما وَفَتْ.

(لمهيار)[3]:

يـــا لنَسيـــمِ سَحَـــرٍ بحـــاجـــرِ ... ردَّتْ بـه عهْـدَ الصِّبـا ريـحُ الصَّبَـا
سـلْ مَـنْ يـدلُّ النـاشـديـن بـالغضـا ... علـى الطـريـقِ ويـرُدُّ السَّلَبـا
أرَاجِـــعٌ لـــي والمنـــى هَلهلـــةٌ ... أوْ طـالِـعٌ نجـمُ زمـانٍ غَـرَبـا
إذا اطمـأنَّـتْ أضْلُعـي تـذكَّـرَتْ ... نَـوَاكَ[4] فـاهتـزتْ جَوًى لا طـرَبـا

تَاللهِ ما تُعْشَقُ الأماكنُ لذاتِها، بل لسالِفِ لذّاتها.

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ[5]

للمعاهدِ عهدٌ عند المُعاهَدة، كلَّما تذكَّرَه الصَّبُّ صَبَّ الدموعَ.

(للمتنبي)[6]:

---

(١) بالعسل: بالباء دخلت على المتروك. فوه: فمه.
(٢) عيناً: نبع ماء.
(٣) من قصيدة كتب بها إلى صديقه أبي منصور الحسن بن علي بن مزروع. انظر: ديوان شعره: ١/ ١٢٠، ١٢٥.
(٤) نواك: بعدك.
(٥) صدر بيت للمتنبي، وعجزه: أقفرتِ أنتِ وهنّ منكِ أواهلُ.
(٦) من قصيدة قالها عام (٣٤٢هـ). الديوان، ص٣٤٧ ـ ٣٥٢.

وما شَرَقي بالماءِ إلاّ تذكُّراً　　لماءٍ بهِ أهلُ الحبيبِ نُزولُ
وما عِشْتُ مِنْ بعدِ الأحِبَّةِ سُلْوةً　　ولكنّني للنائباتِ حَمُولُ
أمَا في النُّجومِ السائراتِ وغيرِها　　لعينيَ على ضوءِ الصَّباحِ دليلُ

أَعْرَفُ الناسِ بالطريقِ مَنْ قَدْ سلك، إذا ذُكِرَتْ منازلُ مكَّةَ حَنَّ الحاجُّ.

(لمهيار)[1]:

وإذا هبَّ صَبَا أرضِكُم　　حمَلَتْ تُربَ الغَضَى باناً ورندا
رُدَّ لي يوماً على وادي مِنًى[2]　　إنْ قضى اللهُ لأمرٍ فاتَ رَدَّا
عَجَباً لي كيفَ أبْقى بعدَهُمْ　　غيرَ أنْ قَدْ خُلِقَ الإنسانُ جَلْدا[3]

* * *

(١) من قصيدة كتبها للوزير أبي المعالي يهنئه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٣٢ـ ٣٣٦.
(٢) في الديوان: «كاظمة».
(٣) جَلْداً: يقال: جَلَدَ جلادة: قوي وصبر.

الفَصْلُ السَّادِسُ والتِّسْعُونَ

يا مَنْ قَدْ مَلَكَتْهُ نفسُه، وغلبهُ حسُّهُ، وقد دنا حَيْنُه، وسَتُكَفَّ خَمْسُه، ولقد أنـذرَه جِنْسُـه، عاتِبْ نفسَكَ لعلَّها تَرْعَوي، وسلِّمْها إلى رائض العلم عساها تستوي، أَحْضِرْ دستورَ المحاسبة وحاسِبْها، واندُبْها إلى الخيرِ فإن أبَـتْ فاندُبْها[1].

(للمصنف):

يـا ويـحَ نفسٍ رضِيَـتْ بـالسَّقَمِ ... وفـرَّطَـتْ فـي عُمُـرٍ مُنْصَـرِمِ

تُسَـرُّ بـاللَّهـوِ وتنْسَـى حتفَهـا ... وتُـؤْثِـرُ البعـدَ علـى التقـدُّمِ

وكلَّمـا أصبَحْـتُ أبكـي فِعْلَهـا ... أَضْحَـتْ عِنـاداً لـيَ فـي تَبَسُّـمِ

تَفـرحُ بـالفـانـي فمـا تطلـبُ مـا ... يبقـى لهـا فَمَـنْ يكـونُ حَكَمـي

أقـولُ: يـا نفسُ اتّقي مَنْ لـم يَزَلْ ... معـروفُـهُ يفـوقُ وَكْـفَ الـدِّيَـمِ[2]

كـم مِـنْ ذنـوبٍ لـكِ قـد ستـرَهـا ... وعـادَ بـالفَضْـلِ وبـالتَّكَـرُّمِ

وكـم لـه مِـنْ نعمـةٍ جـادَ بهـا ... وكَـمْ وكَـمْ أولاكِ طيـبَ أنْعُـمِ

كـم واعـظٍ فـي كـلِّ يـومٍ زاجـرٍ ... وكـم نـذيـرٍ زائـرٍ مُسَلِّـمِ

وكـم ينـاديـكِ لسـانُ عِبْـرَةٍ ... وأنتِ عن قولِ الهُدى في صَمَمِ

أيـن الـذيـن شيَّـدوا واحتَـرَسُـوا ... وأيـنَ مَـنْ كـانَ كثيـرَ النِّعَـمِ

مضـى الجميـعُ هـل تَـرَىٰ مـن أثـرٍ ... لهـم وصـاروا فـي بيـوتِ الظُّلَـمِ

تبـدَّلـوا بـالتُّـرْبِ تُـرْبـاً كلُّهـم ... فـي قَعْـرِ لَحْـدٍ ضَيِّـقٍ مُنْهَـدِمِ

وفُصِّلَـتْ أوصـالُهـم، وحُصِّلَـتْ ... أعمـالُهـم، وأصبحـوا كـالعَـدَمِ

وبـاشَـروا التُّـرابَ بعـدَ تَـرفٍ ... وشَـرَفٍ وحُجُـبٍ وخَـدَمِ

---

(١) اندبها الأولى: ادعها. اندبها الثانية: ابكِ عليها.

(٢) وَكْف: سال وقطر. الديم: جمع ديمة، وهي السحاب الممطر.

وسُـــــرُرٍ ودُرَرٍ وطُـــــرَفٍ وتُحَـــفٍ وَصَـــوْلَــةٍ وكَـــرَمِ
ولَـــذَّةٍ فـــي شهـــوةٍ لـــذيـــذةٍ وعِـــزَّةٍ فـــي عَـــزْمَـــةٍ وهِمَـــمِ
لـو قيـلَ: قـولـوا ما مُناكُـمْ طَلَبُوا حيـاةَ يـومٍ ليتـوبـوا فـاعْلَـمِ
ويحَـكِ يـا نَفْـسُ ألا تَيَقُّـظٌ يَنفـعُ قبـلَ أنْ تَـزِلَّ قـدمـي
مضـى الـزَّمـانُ فـي تَـوانٍ وهـوًى فـاستـدركي مـا قَدْ بَقِـي واغْتَنِمـي
انتظـري المـوتَ سيـأتـي بغتـةً وأنـتِ بيـنَ أسَـفٍ ونَـدَم
وحُـرَقٍ وفَـرَقٍ وحَسْـرَةٍ وفيـضِ دمـعِ العَيْـنِ فـي تَسَجُّـمِ[1]
وتـرحليـنَ عـن ديـارِ أُلفـةٍ فـانتبهـي مـن رَقَـداتِ النُّـوَّمِ
مَـنْ لـي إذا نـزَلْـتُ لحـداً مُظلمـاً هـذا وكـمْ مِـنْ نـازلٍ لـم يَسْلَـمِ
مَـنْ لـي إذا قـرأتُ مـا أمْلَيْتُـه أقبـحَ مسطـورٍ جـرى بـالقلـمِ
مَـنْ لـي إذا أزعـجَ قلبـي حسـرة وهـلْ تـرى يُشْفـى بفَـوزِي ألمـي
كيفَ الخلاصُ والكتابُ قد حوى كـلَّ فِعَـالـي وجميـعَ كَلِمـي
يـا نَفْسُ فـازَ الصـالحـونَ بـالتُّقى فـأبْصـرُوا الـرُّشْـدَ وقلبي قَدْ عَمِي
يـا حسنَهـم والليـلُ قـدْ جَنَّهـمُ ونـورُهُـم يفـوقُ نـورَ الأنْجُـمِ
تـرنَّمـوا بـالـذِّكْـرِ فـي ليلِهـمُ فَعَيْشُهُـمْ قـدْ طـابَ بـالتَّـرَنُّـمِ
قلُـوبُهـمْ للـذِّكْـرِ قـدْ تَفَـرَّغَـتْ دمـوعُهـم كلُـؤْلُـؤٍ مُنْتَظِـمِ
أسحـارُهـم بهـم لـه قـدْ أشْـرَقَـتْ وخِلَـعُ الغُفْـرَانِ خيـرُ القِسَـمِ
سـاروا وَعُـدْتُ عـنْ طـريـقٍ واضـحٍ دَلَّ علـى الـرُّشْـدِ دليـلُ العَلَـمِ
دعنـيَ أبكـي مـا حَيِيـتُ أبـداً فحُـقَّ لـي أبكـي فـلا لا تَلُـمِ

يا عجباً لكَ! تَـتَسمَّى باسمِ تاجرٍ، وتُخاصِمُ على الدِّرْهَمِ وتُشاجِر، وتُصابِرُ لربحِ القيراطِ الهواجِرَ[2]، وتَغْضَبُ لأجلِ الحَبَّةِ وتُهاجِر[3]، وتَرْضى في أفعالِكَ باسمِ فاجر، أما لَكَ من عقلِكَ ناهٍ ولا زَاجر؟! يا مَنْ نَوْمُه كثيرٌ وانتباهُه نادر! إن

(١) تسجم: هطول.
(٢) الهواجر: جمع هاجرة، والهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس، أي: وقت اشتداد الحر.
(٣) تهاجر: تقاطع.

دُعيتَ إلى التَّوبةِ سَوَّفْتَها، وإنْ قُمْتَ إلى الصلوةِ سَفَفْتَها[١]، وإن لاحَ وجهُ الدُّنيا تَرَشَّفْتَها[٢]، أمَا هيَ دارُ بُلْغَةٍ[٣] لضَيْفِها تَضيَّفْتَها[٤]، أوليسَ قدْ شِبْتَ وما عَرَفْتَها؟! كَمْ باديةٍ في أرباحِ غير بادية تَعسَّفْتَها[٥]، لقد استَشْعَرْتَ مَحبَّتَها إي واللهِ والتَحفْتَهَا[٦]، تَاللهِ لو علمتَ جِناياتِها لعِفْتَها[٧]، أنسيتَ تلكَ الذُّنوبَ التي أسْلَفْتَها، آهٍ لبضائع عُمُرٍ بذَرْتَ فيها وأَتْلَفْتَها، كم تَعِدُ بالإنابةِ؛ وكلُّ الوعودِ أخلفْتَها.

فما تلينُ قناتُكَ لغَامِزٍ[٨]، ولا تَرى ما يُشْتَهى فتُجاوِز، ويحك! بين يديك أهوالٌ وَهزَاهِز[٩]، كم تُقَوَّمُ ولا تَسْتَوي؟! مَنْ يُغيِّرُ الغَرائز؟![١٠].

ابكِ لما بكَ، واندُبْ في شَيْبك على شَبَابِكَ، وتَأَهَّبْ لسيف المَنونِ فقد عَلَّقَ الشَّبا[١١] بِكَ:

قَـدْ كَـانَ عُمْـرُكَ مِيـلاً	فَـأصبَـحَ المِيْـلُ شِبْـرا
وأصبَـحَ الشِّبْـرُ عُقْـداً	فَـاحْفِـرْ لِنَفْسِـكَ قَبْـرا

عجباً للطَّرْفِ كيف اغْتَمَض! ولِمُكَلَّفٍ ما أدّى المُفْتَرَض، يا مَنْ كلَّما بنى على أن يلوذَ بنا نَقَضَ، يا مَنْ إذا أدَّى حقّاً فعلى مَضَضٍ[١٢]، يا مَنْ إذا لاحَ له صَيْدُ

---

(١) سففتها: يقال: سفَفَ العمل: لم يبالغ في إحكامه.
(٢) ترشفتها: اشتففت ما فيها واستقصيته.
(٣) البلغة: ما يتبلغ به من العيش.
(٤) تضيفتها: نزلْتَ عليها ضيفاً.
(٥) البادية الأولى: الصحراء. غير بادية: غير ظاهرة. تعسفتها: العسف: الأخذ على غير الطريق.
(٦) استشعرت: الشعار: ما يلي البدن من اللباس. التحفتها: جعلتها لحافاً.
(٧) لعفتها: لتركتها كراهية.
(٨) قناتك: رمحك. لغامز: يقال: غمز المثقّف القناةَ: إذا عضّها وعصرها ليختبرها.
(٩) هزاهز: جمع هزهزة: الفتنة يهتز فيها الناس ويُبتلون.
(١٠) يُغير: يبدّل. الغرائز: جمع غريزة: طبيعة الإنسان وشهواته.
(١١) المَنون: الموت. الشبا: جمع شباة، وهي من كل شيء حدُّ طَرَفِه.
(١٢) المضض: الألم والكراهية.

الفاني جَدّ ورَكَض! يا مَنْ إذا قَدِرَ على جيفةِ الهوى جَثَمَ ورَبَضَ! يا مشغولاً عن الجَوْهَرِ بفاني العَرَض، إيثارُ ما يَفْنى أشدُّ المرض:

ألا يـا غـافـلاً تُحْصَـى عليـه	مـن العَمَـلِ الصغيـرةُ والكبيـره
يُصـاحُ بـه ويُنْـذَرُ كـلَّ يـومٍ	وقـدْ أنْسَتْـهُ غفلتُـه مَصِيْـرَه
تـأهَّـبْ للـرحيـلِ فقـد تَـدَانـى	وأنـذَرَكَ الـرحيـلَ أخٌ وَجيـره
وكـمْ ذنـبٍ أتيـتَ علـى بَصيـره	وعَيْنُـكَ بـالـذي تـأتـي قَـريـرَه
تحـاذِرُ أنْ تَـراكَ هُنـاكَ عَيْـنٌ	وإنَّ عليـكَ لَلْعَيْـنُ البَصيـره
وكـمْ مِـنْ مَـدْخَـلٍ لـو مُـتَّ فيـهِ	لكنـتَ بـهِ نكـالاً فـي العشيـره
وُقِيـتَ السـوءَ والمكـروهَ منـهُ	ورُحْـتَ بِنعمـةٍ فيـه سَتِيْـرَه

هذا حادي الممَاتِ قد أسْرَع، هذه سيوفُ المُلِمَّاتِ تقطع، هذه قصورُ الإخوانِ بَلْقع، إنْ وصلَتِ الدُّنيا فعلى نيَّةٍ أن تَقْطَع، وإنْ بَذَلْتَ فعلى عَزْمٍ أن تَمْنَع، أفيها حيلةٌ أم في وصْلِها مَطْمَعٌ؟ يا مُعْرِقاً[1] في البلى قل لي: لمَنْ تجمع؟! إذا خَلَوْتَ وتَخَلَّيْتَ فكيفَ تصنع؟! أتُرى: أنتَ عندنا أوَ مَا تَسمَع؟!.

يا محبوساً في سجنِ هَواه متى تَتَخلَّص؟! لو عَرَفْتَنا أَلِفْتَنا، لنا أحبابٌ لهم ألبابٌ هم اللُّباب[2]، شَغَلَهم على الدوامِ المحراب، حاضرون معكم بالأبدانِ وبالقلوب غُيَّابٌ:

وشُغِلْتُ عـن فهـمِ الحـديـثِ سِـوَى	مـا كـانَ منـكَ فـإنَّـه شُغْلـي
وأديـمُ نحـوَ محـدِّثـي نَظَـري	أنـي[3] فَهِمـتُ وعنـدَكَ معقلـي

ما نالَ الصالحونَ ما نَالُوا إلا بِتَرْكِ ما نَطْلُبه وما نَالوا، كانت هِمَمُهم في طلبِ الفَضائلِ تَغْلي في القلوبِ غليانَ الماءِ في القدور، تخايلَ القومُ لذَّةَ الثواب فَسَهُلَتْ عليهم مراراتُ الصبر، وتَصَوَّرُوا خلودَ الأبدانِ فهانَ عليهم بذلَ النفوسِ،

---

(١) يا معرقاً: يقال: أعرق فلان: له أصل ممتد في الكرم وغيره.
(٢) ألباب: أي لهم عقول راجحة. اللباب: الخالص من كل شيء.
(٣) في نسخة: أن قد.

جدُّوا في الجَدِّ فما سكنوا حتى سكنوا الجنة[١]، وراحةُ المؤمنِ في الدنيا صفرٌ من راحـة[٢]، فلو رأيتَهم في رياض الجِنـانِ يَسْـرَحُون، منطلقين فـي أغراضِهم يَمْرَحون، لا يدرُون بأيِّ مطلوبٍ يفرحون، بالنجاةِ من النيران؟ أم بالخلودِ في الجِنان؟ أم بالخيراتِ الحِسان؟ أم برضا المليكِ الدَّيَّان؟ لقد نالوا بالمُرادِ ما لم يكنْ في الحُسْبان، من تَلَمَّحَ جولانَ مُضَمَّرِ الصَّبْرِ في لذيذِ العافية، وفَرحَةَ المُفْطِرِ بعد أنصاب[٣] الصوم، وتناول العَذْبِ بعد عذاب الظمأ، وسلامة الغريقِ بعد الإغراقِ في أَذَى الأذى، وخلاص التَّجْرِ في مِصْرِ ماصِرِ المُكْسِ[٤]، وتلاقي الأحبابِ على بابِ الطَّوْلِ بعد طُول الفراق، رأى من قوةِ قُرَّة العين ما لا يدخلُ تحت حدِّ قياس، بعد أنْ حَدَّقَ يـاسٌ، وقد وصَفْنا ما حصلَ للقوم، وجُمْلَـةُ المبذولِ من الثمن ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤].

قفْ بالمُحَصَّبِ[٥] واسألْ أيُّها الرَّجُلُ ... تلْكَ الرسومَ عن الأحبابِ ما فَعَلُوا
فمـا أُسـائِـلُ عـن آثـارِهـم أحـداً ... إلا أجابَ غُرابُ البَيْنِ: قَدْ رَحَلُوا

* * *

(١) سكنوا الأولى: اطمأنوا. سكنوا الثانية: استقروا.
(٢) صفر من راحة: إشارة إلى استحالة راحة المؤمن في الدنيا.
(٣) أنصاب: جمع نصب، أي: متاعب ومشاق.
(٤) مصر: ناحية ومكان. ماصر: الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن من السير حتى يؤدي صاحبها حق السلطان. المكس: الجباية وما يأخذه العشار من الضرائب.
(٥) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى.

الفَصْلُ السَّابِعُ والتِّسْعُونَ

مَنْ رَكِبَ الهوى هَوَى[1] به، والنفسُ إذا اسْتَعْمَلَتِ التَّقوى تقوى به[2].

إنْ كنتَ يا صاحِ لبيباً حَازِما ... فكُنْ لأسبابِ الهوى مُراغِمَا[3]
لا تهوَ دنياكَ فإنَّ حُبَّها ... رأسُ الخطايا تُكْسِبُ المآثما
غدَّارةٌ فكُلُّ مَنْ حلَتْ لهُ ... لا بُدَّ أنْ تُذِيقَهُ العَلاقِما[4]
وأنها تَخْدِمُ مَنْ أهانَها ... كما تُهينُ مَنْ أتاها خَادِما
فكُنْ بها مثلَ غريبٍ مُصْلِحٍ ... أزوادُهُ على الرحيلِ عازما
وبادِرِ الأيامَ قبلَ فَوْتِها ... مخاصِماً للنَّفْسِ أو مُسالِما
فإنَّما عُمْرُ الفتى سُوقٌ لَهُ ... يَرُوحُ عنها خاسراً أو غانما

يا مَنْ يُخطي[5] على نَفْسِه ويقْترف! متى تندمُ وتعترف؟! يا مَنْ بِحُبِّ العاجل قد كَلِفَ[6] ستعلمُ غداً جَفْنَ من يَكِف[7]، يا محبوساً في سِجْنِ الهوى لوِ ازْعوى أنِف[8]، يا متردّداً في التَّوبةِ سارِعْ ولا تقِفْ.

إلى متى أعمالُكَ كلُّها قِباح؟! إلى كم فسادٍ؟! متى يكون الصلاحُ؟! ستفارقُ هذه الأجسادَ الأرواحُ، إما في غدُوٍّ وإمَّا في رَوَاح، سَيَفْنى هذا المساءُ والصباحُ، وسيخْلُو البلى بالوجوه الصِّباح[9]، أفي هذا شكٌّ والأمرُ صُراح[10]؟! أين

---

(١) هوى: سقط.
(٢) تقْوى به: صارت به قويةً.
(٣) مراغماً: مغاضباً.
(٤) العلاقم: جمع علقم: الشيء المر.
(٥) يخطي: يقع في الخطيئة والآثام.
(٦) كَلِف: أحب وعلق.
(٧) يكف: يسيل.
(٨) ارعوى: كف وارتدع. أنف: ترفع.
(٩) الصباح: الحسان.
(١٠) صراح: ظاهر بيّن.

شارب الراح[1]؟! راحَ إلى القبرِ تَسْفي[2] عليه الرياح، حلّ للبلى وللدودِ مُباح، لهما اغتباقٌ به ثم اصْطِباح[3]، عليهِ نِطاق من التُّرابِ ووِشاح[4]، عنوانُه لا يزالُ مفهومُه لا بَـراح[5]، مشغولٌ عمَّنْ بكى عليه وناح، أمَا هذا لنا عن قَليل؟ إنَّا لَوَقـاح[6]، كأنَّك بملكِ الموتِ قدْ صَوَّتَ[7] بالروحِ وراح، فنَهَضْتَ للنُّقْلَةِ على غَفْلَةٍ، إما في المساءِ أو في الصَّباح.

لـم أدرِ بـالبَيْـنِ حتـى أزمَعُـوا ظَعَنـاً ... كلُّ الجمالِ قُبَيْلَ الصُّبحِ مَزْمُومُ[8]

هذا حادي الرحيلِ قد اسْتَعْجَلَكُم، فالبدارَ البدارَ، خَلُّوا كسلَكُم، ودَعُوا التواني[9]، فالتواني قـد قتلكُم، وا أسـفي! سـبقَ الصالحون، فماذا شَـغَلَكُم ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٤٤].

ما على حـادي المَطَـايا لـوْ تَـرَفَّقْ ... رَيْثَمـا أسكُـبُ دَمْعِـي ثـم أَعْنَـقْ[10]

يـا فـؤاداً كلَّمـا قُلْـتُ خَبَـتْ ... نـارُه ألهبَـهُ الـوَجْـدُ فـأَحْـرَقْ[11]

ذلـك العيـشُ الـذي فـاتَ بـه ... سائقُ الدَّهْرِ فولَّى أين يُلْحَقْ[12]

زالَ إلا خَطْــرةً مــن ذكْــرِهِ ... كادَ إنسانيْ لها بالدَّمْعِ يَشْرَقْ[13]

---

(١) الراح: الخمر.
(٢) تسفي: من سفت الريح الترابَ: أذرته.
(٣) اغتباق واصطباح: شراب المساء والصباح.
(٤) نطاق: حزام يشدُّ الوسط. وشاح: نسيج عريض يرصَّعُ بالجواهر وتشده المرأة بين عاتِقها وكَشْحِها.
(٥) مفهومه: مضمونه. لا براح: لا زوال.
(٦) وَقاح: من الوقاحة: الاجتراء على اقتراف القبائح.
(٧) صوَّت: صاح.
(٨) مزموم: وضع لها الزمام والخطام تأهّباً للسير.
(٩) البدار: المسارعة. التواني: التباطؤ والتكاسل.
(١٠) حادي المطايا: سائق الإبل. أعنق: العنق: ضرب سريع من السير.
(١١) خبت: سكَنَت. الوجد: المحبة.
(١٢) فات به سائق الدهر: أخذ به الزمان.
(١٣) إنساني: بؤبؤ العين. يشرق: يغص.

يلــذعُ القلــبَ إذا غنَّــى علــى فَنَــنٍ أو نــاحَ قُمْــريٌّ مُطــوَّقْ[1]

يـا معدوداً مـع الشَّـيبِ فـي الصِّبْيان! يا محبوساً مع البُصراءِ في العُمْيان! يا واقفاً في الماءِ وهو ظمآن! يا عارفاً بالطريقِ وهو حَيْران! أما وُعِظْتَ بآيِ القرآن؟! أما زُجِرْتَ بِنَأيِ[2] الأقران؟! أما تعتبرُ بصروفِ[3] الزَّمان؟! أتُعَمِّرُ المنزلَ وعلى الرحيلِ السُّكان؟! أما يكفي وَعْظُ ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن: ٢٦]؟!.

تسافرُ ببضائع الأمانةِ وما تنزلُ إلاَّ في خانِ مَنْ خَان[4]، أفعالُكَ كلُّها مكتوبةٌ فيا لَيْتَ ما كانَ ما كان[5]، تدفُنُ الميت ولا وَعْظَ كالعِيان، ثم تعودُ غافلاً يا قُرْبَ ذا النِّسْيان، ويحك! أما تدري أنَّ الهوى هَوَان[6] ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يسٓ: ٦٠].

نُــراعُ[7] إذا الجنــائــزُ قــابَلَتْنــا ونسْكُــنُ حيــنَ تَخفــى ذاهبــاتِ
كــرَوْعَــةِ ثُلَّــةٍ لظهــورِ ذِئْــبٍ فلمَّــا غــابَ عــادَتْ راتعــاتِ[8]

يا مُسْتَأْنِساً بِظِلٍّ مُتَقَلِّصٍ[9]! يا حريصاً على الهوى، والموتُ عليه يَحْرِصُ! يـا مَنْ إن كالَ فمُطَفِّفٌ، وإنْ وزنَ فَمُتَلَصِّصٌ[10]، ما يتخلَّصُ من معامل إلا مَنْ هـو عند اللهِ مخلص، تفكَّـر فيمن أصبحَ مسـروراً فأمسـى وهو متنغِّص[11]،

(١) يلذع: يحرق. فنن: غصن. قمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت. مطوق: الحمامة التي في عنقها طوق.
(٢) بنأي: النأي: البعد، وهو كناية عن الموت. الأقران: الأصحاب.
(٣) صروف: نوائب.
(٤) خان الأولى: النزل والفندق. خان الثانية: من الخيانة.
(٥) ما كان الأولى: الذي كان. ما كان الثانية: لم يكن.
(٦) هوان: ذل.
(٧) نراع: نفزع.
(٨) ثلة: جماعة. راتعات: لاعبات لاهيات.
(٩) ظل متقلص: أي ظل منقبض وناقص، وهذا إشارة إلى الدنيا وما فيها.
(١٠) مطفف: منقّص من المكيال. متلصص: سارق.
(١١) متنغص: مُتكدّر.

ومتى ازدَدْتَ لـذَّةً فاذكر قبلها المُنَغِّص، حاسِبْ نفسَـكَ وخُـذْ على يدها[١] لا تُرَخِّصْ[٢]، حائطُ الباطنِ خَرابٌ فلماذا تُجَصِّص[٣]؟!.

يـا بْنَ آدمَ! أنتَ بين ذنـبٍ لا تَدْري أَغُفِرَ؟ وحَسَنَةٍ لا تعلَمُ أَقُبِلَتْ؟ فأيـنَ الانزِعـاجُ؟ لمَّا سُـتِرَتْ عن الصالحين العـواقبُ[٤]، استراحوا إلى الأحـزان، وفَزِعوا[٥] إلى البكاء، كانوا يتزاوَرُون فلا تجري في خلوة الزيارة إلا دموعُ الحذَرِ، كان **أشعثُ الحراني** يزورُ حبيباً **العَجَمِيّ** فيبكيان طولَ النهار.

بـاحَـتْ بِسِـرِّي فـي الهـوى أدْمُعـي	ودَلَّـتِ الـوَاشـي علـى مَـوْضِعـي
يـا قـومِ إن كنتُـمْ علـى مَـذْهبـي	فـي الـوَجْـدِ والحزنِ فنُـوحُـوا معي
يَحِـقُّ لـي أبكـي علـى زلَّتـي	فـلا تلـومُـونـي علـى أدْمُعـي

إخواني! أتدرونَ ما أَقْلَقَ هذا التائبَ؟ أعَلِمْتُم ما أَقْدَمَ هذا الغائبَ؟.

سرى نسيمُ الصَّبا من حاجرٍ فَصَبا	فباتَ يشكو إلى أنفاسِه الوَصَبا[٦]
ما يَبْرَحُ البارِقُ والنجديُّ[٧] يُذَكِّرُهُ	نجـداً ويُلْهِبُـه وَجْـداً إذا التَهَبـا

يَحقُّ لمن رأى الراحلينَ إلى الحبيبِ وهو قاعدٌ أن يبكي، ولِمَنْ سمِعَ بأخبارِ الواصلين وهو متباعدٌ أن يَقْلَق.

أَبْصرَ الـرَّكْبُ على الجِزْعِ ضُحَى	فتـــوالَـــى دمعُـــه مُنْسَفِحـــا
يـــا خَلِيلَـــيَّ بجَـــزْعَـــاءِ الحِمَـــى	سَـــائـــلا مَـــنْ حَـــلَّ ذاكَ الأبطحـــا
وخُـــذا عنـــي أحـــاديـــثَ الغَضَـــا	بَخِـــلَ الـــراوي بهـــا أو سَمَحـــا

---

(١) **خذ على يدها**: أي امنعها.

(٢) **لا ترخص**: لا تأخذ بالرخص.

(٣) **تجصص**: تطلي بالجص.

(٤) **العواقب**: خواتم الأعمال.

(٥) **فزعوا**: لجؤوا.

(٦) **نسيم الصبا**: ريح مهبّها من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. **فصبا**: جن واشتاق. **الوصب**: المرض.

(٧) **البارق**: سحاب ذو برق. **النجدي**: من أنجدت السماء: إذا صحت.

وَاسْتَمِلَّاهَا بِدَمْعي واكْتُبا عَنْ أخي الشوقِ إذا ما شَرَحا
وإذا هَبَّ الصَّبا قولا له: عُدْ فقد هيَّجْتَ قلباً ما صَحَا
يا أُهَيْلَ الحيِّ من كاظمةٍ عادَ مستورُ الهوى مُفْتَضَحا

إذا رأيتُم قَلِقاً فارحمُوه، وإذا شاهدتُم باكياً فوافِقوه، وإذا عايَنْتُم واجِداً فاتركوه.

خَلِّني مِنَ العَذْلِ ما الفُؤادُ مِنْ قِبَلي
لا تَسَلْ ففي كبِدي شُعْلَةٌ مِنَ الشُّعَلِ

يا أطفالَ الهوى أين أنتم والرجال؟!.

كَمْ مَنْ حثَّ وما أرى غيرَ بَطَا[1] لوْ حَرَّكْتَ العَزْمَ نحوَنا فَضْلَ خُطا
تَغْصِي قَصْداً وتدَّعيهِ غلطا تُصْمي عَمْداً وتَزْعُمُ القتلَ خَطا[2]

يا هذا! إذا هَمَمْتَ بخيرٍ فبادر لئلا تُغْلَب، وإذا هَمَمْتَ بشَرٍّ فَسَوِّف هَواك لعلَّكَ تَغْلِب، ثَقِّفْ نفسك[3] بالآدابِ قبل صحبةِ الملوك، فإنَّ سياسةَ الأخلاق مراقي المعالي.

قال بُزُرَجَمْهَر[4]: أخَذْتُ من كلِّ شيءٍ أحسنَ ما فيه، حتى من الكلبِ والهرِّ والغراب.

قيل: ما أخَذْتَ من الكلب؟.

قال: ذبُّه عن حريمهِ وإلْفُه لأهله.

قيل: ما أخَذْتَ مِنَ الهرِّ؟.

---

(١) بطا: من التباطؤ.
(٢) تُصمي: من أصميتُ الصيدَ: إذا رميته فقتلته. خطا: من الخطأ.
(٣) ثقف: هذّب وقوّم.
(٤) بزرجمهر: وزير كسرى أنوشروان، كان حكيماً، ومن أقواله: كن شديداً بعد رفق، لا رفيقاً بعد شدة، لأنَّ الشدةَ بعد الرفق عز، والرفقُ بعد الشدّة ذل. انظر: فيض القدير، رقم (٤٥٢٩ و١٩١).

قال: رفقُها عند المسألة، ولينُ صِيَاحها.

قيلَ: ومن الغراب؟.

قال: شدَّةُ حذَرِه.

لولا سَخَطُ نفسِ أبي بكرٍ عليه لمُفَارقةِ هَوَاهـا، ما نَال مرتَبَةَ «أنـا عنكَ راضٍ»[1].

لولا عُزيُ أويسٍ ما لبسَ حُلَّةَ «يشفع مثلَ ربيعةَ ومضر»[2].

يا كثيرَ الذنوبِ متى تَقْضِي؟! يا مقيماً وهو في المعنى يَمْضي، اترُكِ الهوى محمُوداً قبل أن يتركَكَ مذموماً، إن فاتَتْكَ قصباتُ السَّبْقِ في الزهدِ، فلا تفُوتَنَّكَ ساعاتُ الندمِ في التوبة، يا مَنْ كلَّما حُرِّكَ إلى الجَدِّ[3] سوَّف، يا مَنْ شدَّدَ عليه الوعيدُ وما تخوَّف، يا مَريضَ الهوى بل يا مُدْنَف[4]، إن كنتَ لا تعرِفُ الدواءَ فالطبيبُ قد عَرَف، هذا مُمْكن النصائح[5] ثم أنتَ بنفسك أعْرف.

* * *

---

(١) رواه ابن حبان والعُقيلي في كتاب (الضعفاء)، وقال الذهبي في (الميزان): هو كذب، وذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، باب فضل الألفة والأخوّة.

(٢) عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أمّتي لمن يشفعُ لأكثرَ من ربيعة ومضر» رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ وانظر: صفة الصفوة: ٣/ ٤٩؛ وذكره الحافظ في (ميزان الاعتدال) في ترجمة أويس عن عمر: «يدخل الجنة بشفاعته ـ أي أويس ـ مثل ربيعة ومضر».

(٣) الجَدّ: معالي الأمور وعظمتها.

(٤) مدنف: الدنف: المرض الملازم.

(٥) ممكن النصائح: ما تيسر من النصائح.

الفَصْلُ الثّامِنُ والتِّسْعُونَ

إخواني! من عَرَفَ ما بين يديه لم يُؤْثِرِ الهوى ولَمْ يَلْتَفِتْ إليه، ومَنْ تَفَكَّرَ في رحيلِ مَنْ كان لديه صارَ النهوضُ للتزوُّدِ متعيِّناً عليه.

رَحَلَ الأَحِبَّةُ عَنْ دِيارِهِمُ ... أَهْوِنْ بما أَخَذُوا وما تَرَكُوا
وعلمْتُ أينَ مَضَى الخليطُ[1] فما ... أرى بالمنادِي أيَّةَ سَلَكُوا
ونفوسُنا كحمائِمٍ رُفِعَتْ ... للصائدينَ وَدُونها الشَّبَكُ
مُتَضَرِّباتٌ في حبائِلِها ... وَوَهَى جَنَاحٌ ضمَّهُ الشَّرَكُ
إنَّ الملوكَ إذا هُمُ احتُضِرُوا ... وَدُّوا هنالك أنَّهم نَسَكُوا

كم فَرِحٍ بشَهْرِ وإهلالِه، مُتَهَلِّلٍ[2] لرؤيةِ هلاله، اِختطَفَهُ الموتُ في خِلالِه، كم مائلٍ إلى جمعِ ماله، تركَهُ تَرِكَةً ومَرَّ بأثقاله، هل رَحِمَ الموتُ مريضاً لِضَعْفِ أوصَالِه؟! هل تركَ كاسباً لأجل أطفالِه؟! هل أمْهَلَ ذا عيالٍ من جَرّا[3] عياله؟! كم راعَ قَصْراً وماراعى عِزَّ أبطالِهِ[4]، كم أشرَفَ على شريفٍ فلم ينظر في جَلالِه[5]، كم خَرَقَ دِرْعاً نبيلاً[6] بِوَقْعِ نبالِه، كم أيْتَمَ طفلاً صغيراً ولم يُبالِهِ[7]، كم سَلَّ سَليماً من سَعَةِ نعاماه وشماله، كم بَغَتَ عليلاً بالبِلى بعد التَّراقي إلى إبْلاله[8] فرقَّى

---

(١) **الخليط**: المخالط (يطلق على الفرد والجمع).
(٢) **متهلل**: فرح مسرور.
(٣) **جرا**: أصلها جراء: أي لأجل.
(٤) **راع**: أخاف. **راعى**: لاحظ واهتم.
(٥) **جلاله**: عظمته.
(٦) **نبيلاً**: عظيماً.
(٧) **يباله**: لم يهتم به.
(٨) **البلى**: الهلاك والقبر. **بعد التراقي**: مِنْ الرقي: أي ارتقى وتسامى. **إبلاله**: شفائه.

روحَه إلى التّراقي[1] ولم ينظر في حاله!.

أليسَ إلى الآجالِ نَهْوِي وخَلْفَنا | منَ الموتِ حادٍ لا يُغِبُّ عَجُوْلُ[2]
دع الفِكْرَ في حُبِّ البقاءِ وطولِه | فهمُّكَ لا العمْرُ القصيرُ يَطُولُ
ومَنْ نظَرَ الدُّنيا بعينِ حَقِيقَةٍ | تيقَّنَ أنَّ العيشَ سوفَ يزولُ
وما هذه الأيامُ إلا فوارسٌ | تُطارِدُنا والنائباتُ[3] خيولُ

بَيْنَا محبُّ الدنيا في اختيالٍ ومَرَحٍ، وكلَّما جاءَ باباً من أبوابِهَا فُتِح، وكلَّما عانَى أمراً من أمرِها صَلَح، فَبَيْنا هو في لَذّاتِه يُديرُ القَدَح[4]، قَدِحَ زنادُ العمرِ في حَرَّاقِ القِدَح[5]، فمَنْ يستدْرِكُ ما فات؟! ومَنْ يُداوي ما جُرح؟!.

بينما المرءُ غافلٌ إذ أتاهُ | مِنْ يَدِ الموتِ سالبٌ لا يُصَدُّ
فتأهَّبْ لِمَا لَه كلُّ نَفْسٍ | عُرْضَةُ الأسرِ إنَّما الأمرُ جِدُّ

إلى كم تَعْصِي وتتمرَّد؟! وأقبحُ من قبيحِكَ أنَّك تتعَمَّد، يا رَديَّ العَزْم! يا سيِّئَ المَقْصِدِ! يا نَقِيَّ الثَّوب، والقلبُ أسودُ! ما هذا الأملُ ولستَ بِمُخلَّدٍ؟ يا مسوّراً على القبيح أَتَقِرُّ أم تَجْحَدُ؟! أمَا الطريقُ طويلةٌ فمتى تَتَزَوَّدُ؟ تَخلَّصْ مِنْ أسْرِ الهوى فإلى كم مُقَيَّدٌ؟! أَتَشْتَرِي لذّةَ ساعةٍ بعذابٍ سَرْمَدٍ؟!.

سَبِيْلُكَ في الدُّنيا سبيلُ مُسافِرٍ | ولا بُدَّ مِن زادٍ لكلِّ مُسافِرِ
ولا بدَّ للإنسانِ من حَمْلِ عُدَّةٍ | ولا سيَّما إنْ خِيْفَ صَوْلَةُ قاهِرِ[6]

يا مذمِنَ الذُّنوبِ منذ كانَ غلاماً! عَلامَ عَوَّلْتَ قل لي علامَ[7]؟! أتَأْمَنُ مأتى[8] مَنْ أتى حراماً؟! قَدْ ترى ما حلَّ بهم إليكَ قَدْ تَرامى، أينَ المجتمعون على

---

(١) التراقي: جمع ترقوة، وهي العظام المكتنفة نقرة النحر موضع الحشرجة.
(٢) لا يُغب: لا ينقطع. عجول: صيغة مبالغة من العجلة.
(٣) النائبات: المصائب.
(٤) القدح: إناء يشرب به الماء.
(٥) القدح: قدح زناد العمر: القِدْحة: اسم اقتداح النار. والزَّنْد: عودٌ يقدح به النار، وكأنه يشير إلى انتهاء العمر بإيرائه المستمر، واستنفاده في اللذات والغفلات.
(٦) عُدة: العدة، ما أعددته لحوادث الدهر. صولة: وثوب.
(٧) علام: على أي شيء. عوّلت: اعتمدت.
(٨) مأتى: عاقبة.

خمورهم والنَّدامى[١]؟! كلُّ القومِ في قبورِهم نَدَامى[٢]، أما جرى على العُصاةِ يكفي إماماً[٣]؟! لقد ضيَّعْنا حديثاً طويلاً وكلاماً، وما أرى ذلك إلا دَاء عَقاماً[٤]:

يـا ليـتَ شعـري مـا ادَّخَـرْتَ	ليـومِ بـؤْسِـكَ وافتقـارِكْ
فَلْتَنْـزِلَـنَّ بمنـزِلٍ	تَحْتـاجُ فيـهِ إلـى ادّخَـارِكْ
أفنيـتَ عُمْـرَكَ بـاغتـرارِكَ	ومُنـاكَ فيـهِ بـانتظـارِكْ
ونَسِيـتَ مـا لا بُـدَّ مِنْـهُ	وكـانَ أَوْلـى بـادِّكَـارِكْ[٥]
ولـو اعتبـرتَ بمـا تَـرى	لكفـاكَ عِلْمـاً بـاعتبـارِكْ
لـكَ سـاعـةٌ تـأتيْـكَ مِـنْ	سـاعـاتِ ليلِـكَ أو نَهـارِكْ
فتصيـرُ مُخْتَضَـراً بِهـا	فَتَهـيَّ[٦] مِـنْ قَبْـلِ احتضـارِكْ
مِـنْ قَبْـلِ أنْ تُقْلـى[٧] وتُقْصَـى	ثُـمَّ تُخْـرَجُ مِـنْ ديـارِكْ
مـن قبـلِ أنْ يتثـاقَـل	الـزُّوَّارُ عَنْـكَ وعَـنْ مَـزارِكْ[٨]

متى تُفِيقُ من هذا المَرَضِ المُراض[٩]؟! متى تستَدْرِكُ هذه الأوقاتَ الطِّوالَ العِراض؟! يا غَرَضَ المنونِ كيف تتقي الأغراض[١٠]؟! أمَا الأعمارُ في كلِّ يومٍ في انقراضٍ؟! لقد نَبَّهْتُ قبلَ شكَّةِ السَّهمِ صكة المِعراض[١١]، أما ترى الراحلينَ

---

(١) النَّدامى: جمع نديم: وهو المصاحب على الشراب المسامر.

(٢) نَدامى: جمع ندمان: أي آسفون.

(٣) إماماً: مثالاً وعبرة.

(٤) عقام: أي عقيم: لا برء منه.

(٥) ادكارك: تذكرك.

(٦) فتهيَّ: فتهيّأ: استعد.

(٧) تقلى: تُهجر.

(٨) مزارك: قبرك.

(٩) المُراض: داء يقع في الثمر فتهلك.

(١٠) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه والبغية والقصد. الأغراض: الأهداف التي تُصوَّب إليها المنايا سهامها.

(١١) شكة: الغزة، يقال: شكَّ فلاناً بالرمح طعنه. صكة: ضَربة. المِعراض: سهمٌ بلا ريشٍ غليظُ الوسطِ يصيبُ بعُرْضِه دونَ حدِّه.

ماضِياً خلفَ مَاضٍ[١]؟! كم بُنْيان ما تَمَّ حتى تَمَّ مأْتَم[٢]؟! وهذا قدِ استَفَاضَ، إنَّ الموتَ إليك كما كان إلى أبويك في ارتكاضٍ[٣]، إن لم تقدر على مشارع[٤] الصالحين فَرِدْ[٥] باقيَ الحِياض، إن لم يكنْ لكَ ابنُ لَبونٍ فلتكنْ بنتَ مَخاض[٦]، إلى متى؟ وحتى متى؟ أتعبْتَ الرُّوَّاض[٧]، كلَّما بَنَيْنا نَقَضْتَ، ولا بِناءَ مع نَقَّاض، يـا مَـنْ قَدْ باعَ نفسَه بلذّةِ ساعةٍ بيعاً عن تراضٍ، لبئسَ ما لَبِسْتَ أتدري ما تَعْتَاضُ؟ يا عِلَّةً لا كالعِلل! ويا مَرضاً لا كالأمراض!.

لقـد أخبـرتْـكَ الحـادثـاتُ نُـزُولهـا ... ونـادَتْـكَ إلا أنَّ سمعَـكَ ذو وَقْـرِ[٨]
تنـوحُ وتبكـي لـلأحبـةِ إنْ مَضَـوْا ... ونفسَكَ لا تبكي وأنتَ على الإثْرِ[٩]

يا مخالِفاً مَنْ نهاه وأمرَه! يا مُضَيِّعاً في البطالةِ عُمُرَه! الزمانُ صولجان[١٠] والعُمُر كُرَة، الدنيا بحرٌ والساحلُ المقبرة، احذَرْ نوائبَها فإنَّ مشاربَها كَدِرة، على أنَّها مزرعةٌ يحصُدُ كلُّ ما بَذَرَه، فلا تَحْتَقِرْ معصيةً فربّما أحرقَتْ شَرَرة[١١]، أما عَرَفْتَ سِرَّ ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، لو اقتنعَ اكتفى، ولكنَّ المحنةَ الشَّرَه[١٢].

إخواني! كلُّ مقاتلٍ ليسَ معهُ سلاحُ عَزْمٍ مغلوبٌ، إذا برزَ شجاعُ اليقظَةِ بسلاحِ الجِدِّ، هَشَّمَ وجهَ الأملِ، وهَزَمَ جيوشَ الزَّلَلِ، إذا اسْتَشْعَرَتِ النفسُ

---

(١) ماضياً: ذاهباً.
(٢) مأتم: الجماعة من الناس في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الأحزان.
(٣) ارتكاض: إسراع.
(٤) مشارع: جمع مشرع، وهو مأخذ الماء.
(٥) فرِدْ: من الورود، أي: الإتيان إلى الماء.
(٦) ابن لبون: ولد الناقة إذا استكملَ السنة الثانية ودخل في الثالثة، لأنَّ أمّه وضعتْ غيره، فصار لها لبن. بنت المخاض: ولد الناقة إذا استكمل الحول ودخل في الثانية.
(٧) الرواض: جمع رائض: أي مُرَبٍّ ومهذِّب.
(٨) وقر: ثقل.
(٩) الإثر: الأَثَر، أي على أعقابهم.
(١٠) صولجان: المِحْجن، وهو عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرةَ.
(١١) شررة: أصغر ما يتطاير من النار.
(١٢) الشَّرَهُ: غلبة الحرص.

زُرمانِقة[1] الزُهدِ، ودخلَتْ متَرَهْبِنةً[2] دَيْرَ العُزوف[3]، وجَدتْ أنيسَ «أنا جليسُ مَنْ ذكرني»[4].

الخلوةُ شَرَكٌ لصيد المُؤانسة، فأخْفَى الصيادين شخصاً، وأقلُّهم حركةً أكثرُهم التقاطاً للصَّيْد، ما صادَ هِرٌّ صَاحَ.

وَخلُ المُخالطةِ يُلْزِمُ المتهذِّبَ المُتَمَذْهِب رفْعَ أذيالِ قميصِ الدين.

قيل للحَسَن: ما بالُ المتهجّدين بالليلِ من أحسَنِ الناسِ وجوهاً؟.

قال: لأنَّهم خَلَوْا بالرَّحْمنِ فألبَسَهُم من نورِه.

أبـــداً نفـــوسُ الطـــالبيـــنَ	إلـــى طُلُـــولكـــمُ تَحِـــنُّ
وكـــذا القلـــوبُ بـــذكـــركُـــمْ	بعـــدَ المخـــافـــةِ تَطْمَئِـــنُّ
جُنَّـــتْ بحبِّكُـــمُ ومَـــنْ	يَهْـــوى الحبيـــبَ ولا يُجَـــنُّ؟
بحيـــاتِكُـــمْ يـــا ســـادتـــي	جـــودوا بـــوصلكُـــمُ ومُنُّـــوا[5]

رَحِمَ اللهُ أعْظُماً طالما نَصِبت وانتَصَبَتْ[6]، جُنَّ عليها الليلُ، فلمَّا تمكَّنَ وثَبَتَ وَثَبَتْ[7]، إنْ ذَكَرَتْ عَدْلَهُ رَهِبَتْ وهَرَبَتْ، وإنْ تصوَّرَتْ فَضْلَهُ فَرِحَتْ وطَرِبَتْ، عَرَفَتْ إذْ نَبَتْ[8] عن خدمتِه أنها قد أذْنَبَتْ، هبَّتْ على قلوبهم عقيمُ الحذر، فاقشعرَّتْ ونَدَبَتْ[9]، فبكَتْ عليها سحابُ الرجاءِ، فاهتزَّتْ ورَبَتْ،

---

(١) زرمانقة: جبة صوف، وفي الحديث: أنَّ موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانِقة.

(٢) مترهبنة: سلكت مسالك الرهبان العازفين عن الدنيا.

(٣) العزوف: يقال: عزفت نفسي عنه: زهدت فيه، وانصرفتُ عنه.

(٤) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في (الشُّعَب) عن أُبَيّ بن كعب بلفظ: «قال موسى: يا رب أقريبٌ أنتَ فأناجيك، أو بعيدٌ فأناديك؟ فقيل له: يا موسى! أنا جليسُ مَنْ ذَكَرَني» راجع: كشف الخفاء: ١/٢٠١.

(٥) مُنّوا: تكرّموا وأنعموا.

(٦) نصبت: تعبت. انتصبت: قامت لله.

(٧) وثبت الأولى: من الثبات. وثبت الثانية: من الوثوب.

(٨) نبت: من نبا: أي تجافى وتباعد.

(٩) ندبت: بكت وصاحت.

حَسْبُكَ أنَّ قوماً موتى تَحْيَا بذكرهمُ النُّفُوس، وأنّ قوماً أحياء تقشعرُّ برؤيتهم القلوبُ، سلامُ الله على تلكَ القبور، ورضوانُ الله حَشْوُ تِلْكَ اللُّحود.

(للغزي):

طلولٌ إذا دَمْعي شكى البَيْنَ بَيْنَها[(١)] شكَى غيرُ ذي نُطْقٍ إلى غَيْرِ ذِيْ فهْمِ[(٢)]

أماكنُ تَعَبُّدِهم باكيةٌ، ومواطِنُ خَلَواتِهم لِفَقْدِهم شاكيةٌ، زالَ التعبُ وبقي الأجرُ، وذهبَ ليلُ النَّصَبِ وطَلَعَ الفَجْرُ.

جاء في الحديث: «**تحتَ شجرةِ طُوبى مُسْتَراحُ العابدين**»[(٣)]، إنّما يطيبُ مكانُ الاستراحةِ بإجْرَاء حديثِ التَّعَبِ، وإنَّما يَلَذُّ الظِّلُّ الباردُ لمن تأذَّى بِحَرِّ الهجير[(٤)].

إخواني! مَثِّلوا الاستراحةَ تحتَ شَجَرَةِ طوبى يهُنْ عليكم السَّفَر، ادأبوا في السَّيْرِ، فقدْ لاحَ العَلَم:

لمّـــا وَرَدْن القَـــادسيّـــة حيـــثُ مُجْتَمَـــعُ الـــرفـــاقِ
وشَممْـــتُ مِـــنْ أرضِ الحجـــازِ نَسيــــمَ أرواحِ العِـــراقِ
أيقَنْـــتُ لـــي ولمَـــنْ أُحِـــبُّ بجَمْـــعِ شَمْـــلٍ واتفـــاقِ
وضحِكْـــتُ مِـــنْ طيـب الـوصـالِ كمـــا بكيـــتُ مِـــنَ الفِـــراقِ
مـــا بينَنَـــا إلاَّ تَصَـــرُّمُ[(٥)] هـــذه السَّبْـــعِ البـــواقـــي
حتّـــى يطـــولَ حـــديثُنـــا بصنـــوفِ مـــا كنّـــا نُـــلاقـــي

* * *

---

(١) بينها: أي فيما بين الطلول.
(٢) في (أ): راحم.
(٣) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث.
(٤) **الهجير**: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.
(٥) **تصرّم**: انقضاء.

الفَصْلُ التَّاسِعُ والتِّسْعُونَ

يا هذا! هَوِّنْ بأمرِ الدُّنيا تَهُنْ، وقدِّرْ أنها قطُّ لم تَكُنْ، واحفظْ دينَكَ مِنْ مَكْرِها وَصُنْ، فمتى وفَّتْ؟! ومتى لم تخُنْ؟!.

(للمتنبي):

لا تلـقَ دَهْـرَكَ إلاَّ غيـرَ مكتَـرِثٍ ... مـا دامَ يَصْحَـبُ فيـهِ روحَـكَ البـدنُ

فمـا يـدومُ سـرورٌ مـا سُـرِرْتَ بـهِ ... ولا يَـرُدُّ عليـكَ الفـائـتَ الحَـزَنُ

ممـا أضـرَّ بـأهـلِ العِشْـقِ أنَّهُـمُ ... هَوَوْا، وما عَرَفُوا الدُّنيا ولا فَطِنُوا

تَفْنـى عيـونُهـم دمعـاً وأنفسُهُـم ... فـي إثْـرِ كـلِّ قبيـحٍ وجهُـهُ حَسَـنُ

تَحَمَّلـوا حَمَلَتْكُـم كُـلُّ نـاجيـةٍ ... فكـلُّ بَيْـنٍ علـيَّ اليـومَ مُـؤْتَمَـنُ[1]

ما في هوادِجِكُم[2] مِنْ مُهْجَتي عِوَضٌ ... إنْ مِـتُّ شـوقـاً ولا فيهـا لهـا ثمـنُ

سَهِـرْتُ بعـد رحيلـي وحشـةً لكُـمُ ... ثم استمرَّ مَرِيري، وارعوى الوَسَنُ[3]

إنَّما الدنيا حلمُ نائمٍ، وقائِلَةُ[4] راقِدٍ، ومَعْبَرُ مُعْتبِرٍ، وضِحْكَةُ مُسْتعبِرٍ[5]، تَاللهِ ما أُعْجِبَ بمالها من نَظَر في مآلِها[6]، ولا بنى قصورها من عرف غرورها، ولا مدَّ باعَ الأملِ فباعَ وشرَى بِها مَنْ تذكَّرَ مُرَّ شرابِها، إنَّها إذا طَغَتْ على الطَّغام تُطغي، وإذا بُغيَ نكاحُها على العفافِ تَبْغي[7]، وكأنَّها تَقْصِدُ هَـلاكَ مُحبِّهـا

---

(١) ناجية: الناقة المسرعة. بين: فراق، ويقصد أنَّ الفراقَ مؤتمن عليّ، أي: أرضى بحكمه، ولا تضرني غائلته، أي لا أحزن على فراقكم.

(٢) هوادجكم: جمع هودج، وهو مركب النساء.

(٣) مريري: المرير: جمع مريرة، وهي القوة من الحبل. استمر: استقام. ارعوى: انزجر. الوسن: النعاس.

(٤) قائلة: قيلولة: أي النوم عند الظهيرة.

(٥) مستعبر: باك.

(٦) نظر في مآلها: أي نظر فيم تصير إليه.

(٧) تبغي: تتعدى وتظلم.

وتبغي[1]، وكم عذلتْ في فتكِها بالفتى الفتي وتُلغي.

أمَا درَّ دَرُّها[2] فغَرَّت[3]؟ فلمَّا فَرَغتْ[4] فَغَرَتْ[5] فاهاً فرغت[6] للظَّعنِ، أما سَحَبت قرونَ قارونَ مع أقرانِه إلى القرارِ في قَرَن[7]، أما كفْكَفَتْ[8] بكفِّها كَفَّ مكفوفِ حُبِّها[9] فأرتكَ فَنَّ ما يكونُ في كفن، تَاللهِ لقد لَقِيَ الغبيُّ غِبَّ[10] غباوته، فلمَّا انجلى غَيْهَبُ عَيْبَتِهِ[11] رأى الغَبْنَ والغَبَن[12].

يا أرباب اللِّمَمِ[13] الشِّماطِ[14] الموتُ بكم قد أحاط، هذا العدوّ مُنازِلٌ[15] فالزموا الرباط، ما هذا الفتورُ[16]! ومهرُ الحورِ الجِدُّ والنشاط، إياكم والزَّلَل فكم من دَمٍ أشاط[17].

أما سمعتم مناديَ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٥٩]؟! أما يُنذِرُكم أعلامُ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢]؟! أما يَفْصِمُ عُرى عزائِمكم ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١]؟! أما يقصُرُ من قُصوركم[18] ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ

---

(١) تبغي: تقصد وتريد.

(٢) دَرَّ: كثر. درها: لبنها.

(٣) فغَرَّتْ: خدَعَتْ.

(٤) فرغت: انتهت.

(٥) فغرت: فتحت.

(٦) فرغت: من رغا يرغو: أي صوت وضج.

(٧) القَرَن: الحبل يقرن به البعيران.

(٨) كفكفت: منعت.

(٩) مكفوف حبها: الأعمى في حبها.

(١٠) غب: عاقبة.

(١١) عيبته: وعاء من خُوص ينقل فيه الزرع إلى الجرين، أو من أَدَم توضع في الثياب.

(١٢) الغبْن: بسكون الباء، وهو ـ في البيع ـ النقص، وبفتح الباء الغَبَن يكون في الرأي: الضعف.

(١٣) اللمم: جمع لِمَّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(١٤) الشِّماط: جمع شَمَط: اختلاط بياض الشعر بسواده.

(١٥) منازل: مقاتل.

(١٦) الفتور: التقصير والضعف.

(١٧) أشاط: أهدر.

(١٨) يقصر: يكف. قصوركم: تقصيركم.

﴿مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]؟! أما سمعتم هاتفَ العِبَر ينادي ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]؟! إذا رأيتم المبارزين بالخطأ قد اتّسعَ لهم مجالُ الإمهالِ فلا تستعجل لهم ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، بينَا القومُ على غرور سرورهم ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، يا سالكي سبيلهم انحرفوا عن هذه الجادة.

يا هذا! ظُلْمُكَ لنفسِكَ غايةٌ في القبح، إلاَّ أنَّ ظُلْمَكَ لغيرِكَ أقبحُ.

ويحك! إن لم تَنْفَعْ أخاكَ فلا تؤذِه، وإنْ لم تُعْطِه فلا تأخذْ منه، لا تُشابِهَنَّ الحيةَ، فإنَّها تأتي إلى الحَفْرِ الذي قد حَفَرَهُ غَيْرُها فَتسْكُنه، ولا تتمثَّلَنَّ بالعُقاب، فإنَّه يتكاسَلُ عن طلب الرزق، ويَصْعَد على مَرْقبٍ عالٍ، فأيُّ طيرٍ صاد صيداً اتّبعَه، فلا تكونُ له همّةٌ إلا إلقاء صَيْدِه والنجاةُ بنفسه.

في الحيواناتِ أخيارٌ وأشرارٌ كبني آدم، فالتقطْ خيرَ الخِلال وخلِّ خسيسَها، ولا تكنِ العصافيرُ أحسنَ منك مروءةً، إذا أوذي أحدُها صاحَ، فاجتَمَعْنَ لنُصْرَته، وإذا وقعَ فَرْخُها طِرْنَ حوله يعلِّمْنَه الطيران.

يا هذا! تخلَّقْ في إعانةِ الإخوانِ بخُلُقِ النملةِ، فإنَّها قدْ تَجدُ جرادةً لا تطيقُ حملها، فتعودُ مستغيثةً بأخواتها، فترى خَلْفَها كالخيطِ الأسودِ قد جئنَ لإغاثتها، فإذا وصَلْنَ بالمحمولِ إلى بيتِها، رفهنه عليها[1].

هيهات إنَّ الطبعَ الرديّ لا يليق به الخيْر، هذه الخنفساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرك، فإذا أعيدت إلى الروث رَتَعَتْ. وما يكفي الحيَّةَ أنْ تشربَ اللبنَ حتى تمجَّ سمَّها فيه، وكلٌّ إلى طبعه عائد، إلا أنَّ الرِّياضَةَ قد تُزيلُ الشرَّ جملةً، وقد تخفف، كما أنَّ غَسْلَ الأثَرِ إن لم يُـزِلْهُ خَفَّفَ، إنْ دمتَ على سلوكِ الجادة رجونا لك الوصول، وإن طال السُّرى[2].

يا هذا! الفيلُ والجملُ يَسْبَحَان، ولكنّ الفيلَ مليحُ السباحة، والجملَ يسبحُ على جنب فيُفْتَضَحُ عند سباحة الفيل، ثم كلاهما يَعْبُرُه.

إذا لم تُطِقْ منازلةَ الحرب، فكن من حُرَّاسِ الخيم.

---

(١) رفهنه: تركنه طعاماً لها.

(٢) السُّرى: سير الليل.

إذا رأيتَ البـابَ مسـدوداً في وجهك، فَارْضَ بالوقوف خارجَ الدار مع السؤال.

إذا لم تُظَفِرْكَ الحروب فَسَالِم، أَتَرى يصلحُ هذا القلبُ بعد الفساد؟! أترى يتبدَّلُ بالبياض هذا السواد؟! كم أقولُ: عسى أصْلُح ولعلَّ! وكلَّما استوى قدمي زَلّ، كم تتغيَّرُ الأحوال وما أتغيّر! كم تتضح ليَ الطريقُ وأتحيَّر:

لله أمـرٌ مـنَ الأيّـامِ أطلبُـهُ ... هيهَاتَ أطلبُ شيئاً غَيْرَ مطلوبِ

وحـاجـةٌ أتقـاضَـاهـا وتَمْطُلُنـي ... كـأنَّهـا حـاجـةٌ فـي نفسِ يعقـوبِ

إلى كم تقولُ سأتوبُ؟! متى يخجَلُ اللسانُ الكذوبُ؟!.

كلَّمـا أمّلـتُ يـومـاً صـالحـاً ... عـرضَ المقـدورُ لـي فـي أَمَلـي

أقطـعُ الـدهـرَ بظـنٍّ حَسَـنٍ ... وأُجَلِّـي غمـرةً مـا تَنْجلـي

وأرى الأيـامَ لا تُـدنـي الـذي ... أرْتجـي منـك وتُـدنِـي أجلـي

إذا كانت كرةُ القلبِ بحُكْمِ صولجان التقليب بطَلَتِ الحِيَل. لما قُرِّبَ جبريـلُ وميكائيل اهتـزَّت الملائكةُ فخراً بقرب جِنْسِـها من جنـاب العزّة، فقُطِع من بين أغصانها شجرةُ هاروتَ، وكُسِرَ فَنَن[1] ماروت[2]، وأُخِذَ من لُبِّها كُرة

---

(١) فنن: الغصن.

(٢) قال القاضي عياض في شأن القصة المذكورة على هاروت وماروت على اختلاف رواياتها: «وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما؛ فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئاً يؤخذ من القرآن، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم.

وقال الحافظ ابن كثير: وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. انظر تفسير: المحرر الوجيز، لابن عطية: ١/ ٤٢٠.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ ﴾ [ص: ٧٨] ، فتزوَّدت الملائكةُ في سَفَر العبودية بزاد الحذر، وقادت في سُبُلٍ معروفها نُجُبَ[1] التطوع للمنقطعين ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥] ، نودي مِنْ نادي الأفضال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، فسارت نجائبُ الأعمالِ إلى باب الجزاءِ فَصِيحَ بالدليل ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ [الإسراء: ٧٤] فقال: «ما منكم مَنْ يُنْجِيهِ عَمَلُه»[2].

فيا لسانَ القَلَقِ تكلَّم بعبارة الدَّمع، لعلَّهُ يقعُ في سَمْعِ القبول، فمُرادُ المُمْرِض أنينُ المبتلى. النظرُ في هذه الأمورِ أقلقَ قلوبَ العارفين، فكانوا يبكون الدماء.

اجتمعت أحزانُ القوم على القلوب فأوقَدَتْ حولها نارَ الحذر، وكان الدمعُ صاحبَ الخير فَنَمَّ.

أَقْلَقَهُم الخوفُ والفَرَقُ، أطافَتْ بقلوبهم الحُرَقُ، لباسُهم ملفقاتُ الخِرَق، طعامُهم ما حضرَ واتَّفَق. يا نورَهم إذا جَنَّ الغَسَق، يا حُسْنَ دمْعِهِم محدقاً بالحدَق، انقطَعَ السِّلْكُ فسَالَتْ على نَسَق، فكتبتْ عُذْرَها في الخدِّ لا في الوَرَق، ذابتْ أجسامُهم فلم يَبْقَ إلاَّ رَمَقٌ، فلاحظَهُم العفوُّ لطفاً بهم ورِفَق، لو رَأَيْتَهم يتشبَّثونَ بذيْلِ الظلامِ، ويأنسونَ بنَوْحِ الحمام، ويهربُون إلى الفلوات، وغاية لذَّاتهم الخلوات.

نُواح الحمامِ مُسَخَّرٌ للمشتاق، لا يريدُ منه أُجرةً، بينهما أنسٌ ممزوجٌ بمنافرة:

إنْ كنتَ تنوحُ يا حَمَامَ البَانِ ... للبَيْنِ فأيْنَ شاهدُ الأحزانِ
أجفانُكَ للدُّموعِ أم أَجْفاني ... لا يُقْبَلُ مُدَّعٍ بلا بُرْهانِ

* * *

(١) نجب: جمع نجيب، وهو الفاضل من كل حيوان، ويطلق على البعير إذا كان كريماً عتيقاً خفيفاً سريعاً.

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ: «ما مِنْكُم منْ أحدٍ يُنجيهِ عملُهُ» قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنا، إلَّا أنْ يتغمَّدني اللهُ برحمتِهِ».

الفصل الثامن

يا مَنْ أنفاسُه محفوظة، وأعمالُه مَلْحُوظة، أَتُنفِقُ العمرَ النفيسَ في نيلِ الهوى الخسيس؟!.

جـدَّ الـزمـانُ وأنـتَ تلعـبُ والعمـرُ لا فـي شـيءٍ يـذهـبُ
كـمْ كـم تقـول غـداً أتـوبُ غـداً غـدا والمـوتُ أقـربُ

أمَا عمرُكَ كل يومٍ يُنْتَهَب؟! أما المُعْظَمُ مِنْهُ قد ذهَب؟! في أي شيء؟ في جمع الذهب! تبخلُ بالمالِ والعُمرَ تَهَب، يا مَنْ إذا خَلا تَفَكَّرَ وَحَسَب، فأما نزولُ الموتِ فما حَسِب، لك نَوْبَةٌ لا تُشْبِهُ النُّوَبَ[1]، بين يديك كربةٌ[2] لا كالكُرَب، تطلبُ النجاةَ ولكنْ لا مِنْ بابِ الطَّلَب[3]، تقفُ في الصلاة إنَّ صلاتَكَ عجب، الجسمُ حاضرٌ والقلبُ في شُعَب[4]، الجسدُ بالعراق، والقلبُ في حَلَب، الفهمُ أعجمي واللفظُ لفظُ العرب، أنا أعلم بكَ منك، حبُّ الهوى قد غَلَب، ومتى أَسَرَ الهوى قلباً لم يُفْلِح وكَتَب[5].

يـا آدمـيُّ أَتَـدْرِي مـا مُنِيـتَ بـهِ أمْ دونَ ذِهْنِكَ سِتْرٌ ليس يَنْجابُ[6]
يـومٌ ويـومٌ ويفنـى العُمْرُ منطـويـاً عامٌ جَديبٌ وعامٌ فيه إخصابُ[7]
فـلا تغـرنَّـكَ الـدنيـا بـزُخْـرُفِهـا فـأريُهـا أن بـلاهـا عـاقـلٌ صـابُ[8]

---

(١) النّوب: جمع نوبة: وهي النازلة.

(٢) كربة: شِدَّةٌ، وهي إشارة إلى سكرة الموت.

(٣) لا من باب الطلب: إشارة إلى النجاة الحقيقية تطلب بالإيمان والعمل الصالح وإعداد العدة.

(٤) شُعَب: متفرق.

(٥) في (أ): بسبب. وكتب: ربط وأوثق.

(٦) ما منيت به: ما ابتليت به. ينجاب: ينكشف.

(٧) جديب: قاحل. إخصاب: نماء وبركة ورغد العيش.

(٨) عاقل: الواعي الحصيف. صاب: شجر مرّ له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة إذا=

والحـزمُ يجنـي أمـوراً كلُّهـا شـرفٌ	والخُرْق[1] يجني أموراً كلُّها عابُ[2]

كأنّكم بالدُّنيا التي تولَّتْ قد تولَّت[3]، وبالنفوسِ الكريمةِ قدْ هانَتْ وذلَّتْ، وبكؤوسِ الأسى قد أنهلتْ وعَلَّتْ[4]، وبحُمولِ الظاعنين على الأسَفِ قد استقلّت[5]، متى يُقالُ لهذه الغمرةِ التي جَلَّتْ: قد تجلَّتْ[6]؟ وا عجباً لنفسٍ ما تنتبهُ وقد زلَّتْ، كلَّما عَقَدْنا عُقْدَةً تَنْفَعُها حَلَّت.

كم مستيقظٍ وقد فاتَ الوقتُ، ينْظُرُ إلى نفسِه بعين المَقْت[7]، ويَصيحُ بنَصِيحِه لقد صدَقْت، وينادي الكَسَلُ: أنْتَ الذي عَوَّقْت! فيجيبُه: أنتَ من سُكْرِك[8] ما أفَقْت، كم قدِمَ إلى القبورِ قادمٌ! كلُّهم على فراش النَّدَمِ نادم.

أطـاعُـوا ذا الخِـداعِ وصـدَّقـوه	وكـمْ نَصَـحَ النصيـحُ فكـذَّبـوه
ولـم يـرضَـوْا بمـا سَكَنـوا مَشيـداً	إلـى أنْ فَضَّضـوه وأَذْهَبُـوه
ألَظُّـوا بـالقبيـحِ وتـابعـوه	ولـو أُمِـرُوا بـهِ لتَجَنَّبُـوه
نهـاهُـم عـن طِـلابِ المـالِ زُهْـدٌ	ونـادى الحِـرْصُ ويْلَكُـمُ اطلُبُـوه
فـألقـاهـا إلـى أَسْمـاعِ غُتْـرٍ[9]	إذا عـرفـوا الطـريـق تنكَّبُـوه[10]
وحبـلُ العيـشِ مُنْتَكِـثٌ ضعيـفٌ	ونِعـمَ الـرأيُ أن لا تجـذبـوه
حسبتُـم يـا بنـي حَـوَّاءَ شيئـاً	فجـاءَكُـمُ الـذي لـم تحسبُـوه

= أصابت العين أتلفتها. والأري: العسل.

(١) الخُرق: الجهل والحمق.

(٢) عاب: وصمة.

(٣) تولّت الأولى: من الولاية والسيادة. وتولت الثانية: من الذهاب والانصراف.

(٤) أنهلت: من النهل وهو الشرب الأول. علت: من العلل: وهو الشرب ثانية أو تِباعاً.

(٥) حمول: جمع حِمْل: وهو ما يُحمل على الظهر وغيره. الظاعنين: الراحلين، إشارة إلى الرحيل عن الدنيا. استقلت: أي مضت وارتحلت.

(٦) الغمرة: الشدة. جلّت: عظمت. تجلّت: جَلَتْ وزالت.

(٧) المقت: أشد البغض.

(٨) سُكرك: غيبوبة العقل.

(٩) غُتر: جمع أغثر: وهو الأحمق.

(١٠) تنكبوه: حادوا عنه.

أُديـل[1] الشـر منكـم فـاحـذروه ومـاتَ الخيـرُ فيكـم فـانـدُبـوه

إلى كَمْ بالهوى تُغْري وتَلْهَج! أنسيْتَ أنك عن محبوبك تُزْعَج؟ تَفكَّرْ في حلة من البِلى لك تُنْسَج، يا مَنْ بضاعته كلُّها بَهْرَج[2]، ضيَّقْتَ على نفسِكَ فلا مَخرج، انتبهْ سريعاً فالخيولُ تُسْرَج.

(للشريف):

ولم يَبْـقَ من أيـامِ جَمْعٍ[3] إلى منًى إلى مـوقف التَّجْمير[4] غيـرُ أماني

يا عُبَيْدَ فلْسِه! يا عدوَّ نفسِه! تُعانقُ الدنيا بيدِ الحِرْصِ عِنَاقَ اللامِ للألف! وتُنْزِلُ الدرهمَ من القلبِ منزلةَ البُرءِ مِنَ الدَّنِف[5]، ترشُّ ماءَ الغِشِّ حولَ الحانوتِ، وتَنْظُرُ إلى الدرهم لا فيه، وتنصبُ ميزانَ البَخْسِ[6] وميكال التطفيف[7] «والغَدْرُ ثالثةُ الأثافي»[8].

ويحك! أتَبْحَثُ عن حَتْفِكَ بظُلْفِك[9]؟ وتجدَعُ بسيفك مارِنَ[10] أنْفِك.

ما أكرمَ نفسَه قطُّ مَنْ لم يُهنها، فاحذَرْها فكلُّ ما يجري عليك منها، حاسِبْها قبلَ يومِ الحسابِ وَ زِنْها، وخَفْ شَيْنَ شَيِنِها[11] إن شئتَ عِزَّها وَ زِنْها[12]، واحفرْ

---

(١) أديل: من الإدالة وهي الغلبة.

(٢) بهرج: مزيفة.

(٣) أيام جمع: أي ليلة مزدلفة لاجتماع الحجيج فيها بعد الإفاضة.

(٤) التجمير: رمي الجمار.

(٥) الدنِف: من اشتدّ مرضه.

(٦) البخس: النقص.

(٧) التطفيف: الزيادة.

(٨) الأثافي: جمع أثفية: وهي ما يوضع عليه القِدْر، وإنما يوضع على ثلاثة أحجار.

(٩) الحتف: الموت. الظلف: يقال للبقرة والشاة والظبي: ذوات الظلف. وأصل هذا المثل: أنَّ رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر، فوجدَ شاةً ولم يكن معه ما يذبحها به، فبحثت الشاة الأرض بظلفها فظهر فيها مُدية، فذبحها بها، فصار مثلاً لكلِّ منْ أعانَ على نفسِه بسوء تدبيره.

(١٠) مارن: ما لانَ مِنَ الأنف.

(١١) شين: عيب.

(١٢) وزِنها: زينها بالتقوى والعمل الصالح.

لها زُبيةَ[1] العزلة، وإن أبَتْ فادفِنْها، وأخضِرْها على الرُّغْم[2] في رَغَام[3] مَسْكِها[4] ومَسْكَنها[5]، دِنْها[6] بما التذّت آلاتُها لا تهادنها. هذه قِصَصُ النَّجاةِ، قد أمليتُها فَعَنْونْها، هذه جوارِ منشآتُ المواعظِ قد جمعتُها فاعْجِنْها.

يا مُوَثَّقَ الأقدامِ بقَيْدِ العوائق، أجود ما للعصفور قطعُ السِّباق[7]، لو تفكَّرَ الطائرُ في الذَّبحِ ما حَامَ حولَ الفَخِّ، من طَلَبَ المعالي سهرَ الليالي، لولا صبرُ المُضَمَّرِ على قلّةِ العلفِ ما قيل: سَبَّاق.

هَوِّنْ[8] في الليلِ عليها الغَرَرا[9]	إنَّ العُلى مقيداتٌ بالسُّرى[10]
فركبتْ بسُوقِها رؤوسَها	حتى تَخَيَّلْنا الحجولَ الغُرَرا[11]
عَلِّمْها النومَ على رباطِها	ذليلةً أنْ تستطيبَ السَّهرا
قد تركتْ مطعَمَها لشَوْقِها	تقول: كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا[12]

---

(١) زبية: الحفرة تحفر للأسد، سُميت بذلك لأنهم يحفرونها في موضع عال.

(٢) الرغم: الكره والذل والهوان.

(٣) رغام: تراب.

(٤) مَسكها: جلدها.

(٥) مسكنها: منزلها.

(٦) دنها: حاسبها وألزمها.

(٧) السباق: قيد يوضع في رجل الطير.

(٨) هوّن: خفف وسهل.

(٩) الغرر: الخطر.

(١٠) السرى: السير في الليل.

(١١) الحجول: التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلّها، ويقال: فرس محجّل وفرس بادٍ حجولُه. والغُرر: جمع غُرّة، وهي بياض في جبهة الفرس.

(١٢) كل الصيد في جوف الفرا: الفرا: الحمار الوحشي، وهذا مثل قاله النبيُّ ﷺ لأبي سفيان ابن الحارث، وقال السهيلي: إنه قاله لأبي سفيان بن حرب يتألفه به، وذلك لأنه استأذن على النبيّ ﷺ فحُجِبَ قليلاً، ثم أذِنَ له، فلما دخل قال للنبيّ ﷺ: ما كدْتَ أن تأذنَ لي حتى كِدْتَ أن تأذنَ لحجارة الجلهمتين (الجلهمتان: حافة الوادي وناحيته) قبلي. فقال له النبي ﷺ: «يا أبا سفيان! أنت كما قيل: كل الصيدِ في جوف الفرا»، وأصل المثل: أنَّ جماعةً صادَ أحدُهم: ظبياً، والآخر: أرنباً، والثالث: حمارَ وحش، فاستبشرَ الأوّلان=

سينْقَشع[1] غيمُ التعبِ عن فَجْرِ الأجْرِ، كم صبرَ بِشْرٌ عن شهوةٍ حلوة، حتى سمعَ كلمةً حُلْوة: «**كُلْ يا مَن لَمْ يأكل**»[2].

ما مُدَّ سِجافُ[3] ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [صٓ: ٤٤] على قُبّةِ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ [صٓ: ٤٣] حتى جُرِّبَ في أمانة ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ [صٓ: ٤٤].

مَنْ لم تَبْكِ الدُّنيا عليه لم تَضْحَكِ الآخرةُ إليه.

كان بعضُ النجّارين يبيعُ الخشَبَ، وكان عنده قطعةُ آبنوس ملقاةٌ تحت الخشبِ، فاشتُرِيَتْ منه، فدخلَ دارَ الملكِ بعد مُدَّة، فإذا بها قد جُعِلَتْ سريراً للملك، فوقف متعجِّباً وقال: لقد كنْتُ لا أعبأُ بهذه، فكيف وَصَلَتْ إلى هذا المقام؟! فهتف به لسانُ المُفْهِمِ نائباً عنها: كم صَبَرْتُ على ضرْبِ الفؤوسِ ونَشْرِ المناشيرِ، حتى بَلَغْتُ إلى هذا المقام!.

* * *

= بما نالاه، فقاله الثالث. يعني: أنَّ ما رُزِقْته يشتمل على ما عندكما لأنه أعظم، ثم اشتهر في كل شيء كان جامعاً لغيره. انظر: كشف الخفا والإلباس، للعجلوني: ٢/ ١٧٨ رقم (١٩٧٧). هذا وقد رواه الرامهرمزي في (الأمثال). وسنده جيد، لكنه مرسل، ونحوه عند العسكري، وذكره الدميري في (حياة الحيوان الكبرى).

(١) سينقشع: سينكشف.

(٢) سبق تخريجه في الفصل الخامس والتسعين.

(٣) سجاف: الستر، وجمعه سجُف.

الفَصْلُ الأَوَّلُ [بَعْدَ المَنِيَّةِ]

إخواني! الموتُ مُقاتِلٌ، يَقْصِدُ المَقاتل[1]، فما ينفعُكَ أن تُقاتل.

(للمتنبي)[2]:

نُعِدُّ المَشْرفيَّةَ[3] والعَوالي[4] ... وتَقْتُلُنا المنونُ بلا قِتالِ

ونَرْتَبِطُ السَّوابقَ مُقْرِباتٍ[5] ... وما يُنْجِينَ من خَبَبِ[6] الليالي

ومَنْ لم يَعْشَقِ الدُّنيا قديماً؟ ... ولكنْ لا سبيلَ إلى الوِصالِ

نَصيبُكَ في حياتِكَ مِنْ حَبيبٍ ... نصيبُك في مُنامِكَ مِنْ خَيالِ

يُدفَّنُ بعضُنا بعضاً وتمشي ... أواخرُنا على هامِ الأوالي[7]

وكَمْ عينٍ مُقَبَّلةِ النَّواحي ... كَحيلٍ بالجَنادِلِ[8] والرِّمالِ

لقد وعَظَ الزمانُ وما قصّر، وتكلَّم الصامِتُ[9] وما أَقْصَر، ولاحَ الهُدى وإنَّما الشأنُ فيمَنْ أبْصَر، ونطقَتِ المواعِظُ بزجرٍ لا يُحْصَر، هلَكَتْ ثمودُ بصيحةٍ، وعادٌ بريحٍ صَرْصَر[10]، وكُسِر كسرى وقُصِرَ[11] قيصر، تَاللهِ ما يبالي ميزانُ

---

(١) **المقاتل**: جمع مقتل، وهي المواضع الخطرة في الجسم التي يؤدي ضربها إلى الموت.

(٢) ديوان المتنبي: ٣/ ٨، رقم (١٧٥) يرثي والدة سيف الدولة.

(٣) **المشرفية**: السيوف منسوبة إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٤) **العوالي**: الرماح.

(٥) **مقربات**: الخيول الكرام التي ترتبط لكرامتها أو لفرط الحاجة إليها.

(٦) **الخبب**: عَدْوٌ لا يستفرغ الجهد.

(٧) **هام الأوالي**: رؤوس الأوائل.

(٨) **كحيل**: مكحلة. **الجنادل**: جمع جندلة، وهي الحجارة.

(٩) **الصامت**: الذهب والفضة، يقال: ما لَه صامتٌ ولا ناطقٌ، الصامت: الذهب والفضة، والناطق: الحيوان من الإبل والغنم، وفي الحديث: «**على رَقَبَتِهِ صامت**»، أي: ذهب وفضة.

(١٠) **صرصر**: باردة.

(١١) **قصر**: من القصر، أي: الحبس، يقال: قصر بهم الليل: أي حبسهم.

الجزاءِ أَرْبَحَ أم أَخْسَر ، ولا حاكمُ العَدْلِ مَنْ أَفْلَسَ وأعْسَر، هذا أمرٌ مُجْمَلٌ وفي غدٍ يُفَسَّر .

أيها المُتَحرِّكُ في الدُّنيا! لا بدَّ مِنْ سكون[١] ، لا يغرنَّكَ سَهْلُها فبعدَ السَّهْلِ حُزون[٢] ، كَمْ سَلَبَتْكَ من حَبيبٍ! وبعضُ القُبْحِ يَهُون، ما فَرَحُها مُستقيمٌ، ولا تَرَحُها[٣] مأمون، إنَّها الدارُ الغَرور ودائرة الهُوْن[٤] ، كم تَلَوَّن[٥] ، ولكن أينَ العقلُ مِنْ مجنون؟ فهلا أضعنا الحديثَ، قلبُ هذا مفتون :

أيُّهـــا السكـــرانُ بـــالآمـــالِ	قـــدْ حـــانَ الـــرحيـــلْ
ومشيـــبُ الـــرأسِ والفَـــوْ	دَيْـــنِ[٦] للمـــوتِ دليـــلْ
فـــانْتَبِـــه مِـــنْ رَقْـــدَةِ الغَفْـ	ـلَـــةِ والعمْـــرُ قليـــلْ
واطَّـــرِحْ سَـــوْفَ وحتَّـــى	فهمـــا داءٌ دخيـــلْ

كأنَّكَ بما يُـزْعِجُ ويَرُوعُ[٧] ، وقد قَلَعَ الأُصولَ وقطعَ الفُروعَ، يا نائماً في انتباهه! كم هذا الهجوع[٨] أَيَنْفَعُكَ حينَ الموتِ جَرْيُ الدموع؟ إذا رُشِقَ سَهْمُ التَّلَفِ فطاحَتِ الدُّروع، وأتى حاصدُ الزَّرْع وأين الزروع؟! وخَلَت منك المنازلُ وفَرَغَتِ الرُّبوع، ونابَ غُرابُ البَيْنِ عن الوَرْقَا السَّجُوع[٩] .

قَـــرْنٌ مَضَـــى ثـــم نَمَـــى غيـــرُه	كـــأنَّـــه فـــي كـــلِّ عـــامٍ نبـــاتْ
أقـــلُّ مَـــنْ فـــي الأرضِ مُسْتَيْقِـــظٌ	وإنَّمـــا أكثـــرُهـــم فـــي سُبـــاتْ

---

(١) سكون : إشارة إلى الموت .

(٢) حزون : جمع حَزْن : ما غَلُظَ من الأرض .

(٣) ترحها : حزنها .

(٤) الهون : المذلة .

(٥) تلوّن : أي تتلون : لا تثبت على خلق .

(٦) الفودين : مثنى فود، وهو معظم شعر اللمة، مما يلي الأذنين، ويطلق على الضفيرة .

(٧) يروع : يخيف .

(٨) الهجوع : الرقاد .

(٩) الـورقا : أي الورقاء : وهي حمامة في لونها بياضٌ إلى سوادٍ . والسجوع : التي تـردد صوتها على طريقة واحدة .

حَــوْلٌ خصيــبٌ إثــرُه مُجــدِبٌ فــادّخِـرْ مـن المُخْصِـب للمُجْـدِبـاتْ

أما عَلِمْتَ أنَّ الدنيا غدّارة؟! أما بَرْدُ لذّاتها ينقلبُ حرارة؟! أما ربحُها على التحقيق خسارة؟! أما يَنْقُصُ الدينُ كلَّما زادَتْ عِمَارة؟! أما قتلَتْ أحبابَها وإليكَ الإشارة؟! إذا قال محبّها: هيَ لِيْ ومعي، أهلَكَتْه وقالت: «اسمعي يا جارة».

إنَّمــــا الـــدُّنيـــا بـــلاءٌ لَيـــسَ للـــدُّنيـــا ثبـــوتُ
إنَّمـــا الـــدُّنيـــا كَبَيْـــتٍ نسجَتْـــــه العنكَبـــــوتُ
إنَّمـــا يكفيـــكَ منهـــا أيُّهـــا الـــراغـــبُ قـــوتُ

يا مَنْ عاهَدَنا على الطاعةِ في الإعلان والإسرار، كيف استحلَّ حَلَّ[1] عَقْدِ التوبة، وعَقَدَ الإصرار؟! متى يخرجُ العاصي من هذه الدّار؟! شَيبٌ وعَيْبٌ ونهايةُ الإدبار، ضدان بعيدان: ثلجٌ ونارٌ، كم بَيْنَكُم وبين المتقين الأبرار! مَلَكَتْكُم الدنيا ومَلَكوها فالقومُ أحرارٌ، كانت لهم أَنَفَةٌ فاحْتَمَوْا من العار، وعرَفوا قدرَ الزّمانِ فانْتَهَبوا الأعمار، فلو مَدَدْتُم أبواعَكم[2]، ما كانتْ منهم كأشبارٍ، لو اطّلَعْتُم عليهم في أوقـاتِ الأسحارِ لرأيتم نجومَ الهُدى لا بَلْ هي أقمارٌ، قـاموا جميعَ الدُّجى على قدمِ الاعتذارِ، ثم تساندوا[3] إلى رَوَاحِلِ البكاء والاستغفار، وقَوِيَ كربُهم فهبّتْ لهمُ نَكْباء[4] لطفِ مِعطارٌ[5]، رفعوا رسائلَ الجوى[6] فعادَ جوابُ الأبرار.

لا تُـوقِـدوا فـي القلـبِ نـارَ الجحيـم كفــى سِقــامــي لفــؤادي غــريــم
مــا زلْــتُ[7] عَــنْ حُبِّكُــم لحظــةً وحَقِّكُـــم إنِّـــي عليـــه مقيـــم
وكلَّمـــا هبَّـــتْ نسيـــمُ الصَّبـــا مِـنْ نحـوِكُـم عِشْـتُ بـذاك النسيـم

وا أسفى! متى رَحَلوا؟ ليت شعري، أين نَـزَلوا؟.

---

(١) استحل: جعله حلالاً ومباحاً. حلَّ: فكّ.
(٢) أبواعكم: جمع باع، وهو قدرُ مدِّ اليدين.
(٣) تساندوا: ركنوا إليه واعتمدوا عليه.
(٤) نكباء: ريح انعطفت وانحرفت ووقعت بين ريحين كالجنوب والشمال.
(٥) معطار: معطرة زكية.
(٦) الجوى: شدة الوجد من العشق.
(٧) ما زلْتُ: لم أتغيّر.

أَنْجَـــدَتِ الـــدَّارُ بهـــم وأَتْهَـــمَ الـــوَجْـــدُ معـــي

مالَتْ بالقومِ ريحُ السحرِ ميلَ الشجرِ بالأغصان، فهزَّ الخوفُ أفنان[1] القلوب، فانتثرتِ الأفنان[2]، فاللسانُ يتضرّعُ، والعينُ تدمعُ، والوقتُ بستان، خَلْوَتُهم بالحبيب تَشْغَلُهم عَنْ نُعْمَ وَنَعمان[3]، سُوَرُهُم أساوِرُهم، والخشوعُ تِيْجان، خضوعُهم حُلاهُم، فما دُرٌّ ومُرْجانٌ! أخذوا قَدْرَ البلاغ[4]، وقالوا: نحن ضِيفـانٌ، باعُوا الحِرْصَ بالقناعة، فما مُلْكُ أَنُوشروان[5]؟ رَفَضُوا حتى زِمَـامَ المبيعِ، وما باعوا بثُنيان[6]، طالَتْ عليهم أيامُ الحياة، والمحبُّ ظمآن. اطَّلِعْ من خَوْخَةِ التيقُّظِ بِعَيْنِ التأمُّلِ ترَ الرهبان، أين أنتَ منهم؟! ما نائم كيقظان، كم بينكَ وبينهم؟ أين الشُّجاعُ من جَبان؟!.

ما للمَوَاعظ فيك موضع، القلب بالهوى ملآن، يا هذا! قِفْ على باب النجاح، ولكن وقوفَ لهفان، واركبْ سَفِيْنَ الصلاحِ، فهذا الموتُ طُوفان، أيكونُ بعدَ هذا إيضاحٌ؟ أَوَ مِثْلَ هذا تِبْيان؟ يا لها من موعظةٍ سحبَتْ ذيْلَ الفصاحةِ فحارَ سَحْبانُ[7]، بغدادية إمامية مستضيئة لا تعرِفُ ضَرْبَ خُراسان[8].

* * *

(١) **أفنان**: جمع فنن، أي: أغصان.

(٢) **الأفنان**: جمع فن، وهو النوع والحال.

(٣) **نُعْم**: اسم المحبوبة من النساء. **نَعمان**: وادي قرب عرفة.

(٤) **البلاغ**: من البُلْغة، وهو ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.

(٥) **أنوشروان**: خسرو أنوشروان ملك ساساني (٥٣١ ـ ٥٧٩م) عقد هدنة مع البيزنطيين، استولى على اليمن سنة (٥٧٠م)، واستشهر بعدله وإصلاحاته.

(٦) **ثنيان**: كرُغفان: الاسم من الاستثناء، والثنيا المنهي عنها في البيع: أن يستثنى منه شيء مجهول فيفسد البيع، وذلك إذا باع جزوراً بثمن معلوم، واستثنى رأسه وأطرافه، فإن هذا البيع فاسد.

(٧) **سَحْبان**: اسم رجل من وائل، كان لَسِناً بليغاً، يضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: «أفصحُ من سَحْبانَ وائل» ومن شعره قوله:

لقـد عَلِـمَ الحـيُّ اليمـانيـونَ أنني إذا قلت: أما بَعْدُ، أنـي خـطيـبُـهـا

(٨) **ضرب خراسان**: أي بعيدة عن العجمة واللكنة.

الفَصْلُ الثَّاني [بَعْدَ المنيَّة]

إخواني! أينَ الذين سَلَبوا؟ سُلِبوا[١]! طال ما غَلَبوا فَغُلِبوا، عمّروا ديارَهم فلما تمّتْ خرَّبوا، وديفتْ[٢] لهم كؤوسُ المنايا فأُكرِهوا وشَرِبوا:

سَيْرُ الليالي إلى أعمارِنا خبَبُ[٣] ... فمـا تَبيـنُ ولا يَعتـاقُهـا[٤] تَعَـبُ

وهـل يـؤمِّـلُ نيـلَ الشَّمْـلِ ملتئِمـاً ... سَفْرٌ[٥] لهم كلَّ يومِ رِحْلةٌ عَجَبُ

ومـا إقـامتُنـا فـي منـزلٍ هَتَفَـتْ ... فيـهِ بنـا قـدْ سَكنَّـا رَبْعَـهُ النُّـوَبُ

وآذَنَتْنـا وقـدْ تمَّـتْ عِمـارَتُـه ... بـأنَّـه عـن قليـلٍ داثـرٌ[٦] خَـرِبُ

ليستْ سِهامُ قسيِّ الموتِ طائشةً ... وهـل تطيشُ سِهـامٌ كلُّها صِيَـبُ[٧]

ونحنُ أغراضُ[٨] أنواعِ البلاءِ بها ... قبـلَ الممـاتِ فمَـرْمِـيٌّ ومـرتَقِـبُ

أينَ الذينَ تَناهَوْا[٩] في ابتنائهم ... صاحَتْ بهم نائباتُ الدَّهْرِ فانْقَلَبوا

أين أربابُ الأماني والأملِ؟ أُخِذُوا بين سُكْرِ الهوى والثَّمَلِ[١٠]. والذي علا[١١] عَلى عُلى[١٢] العَلا[١٣] نزل. وكأنّه في الدنيا لم يكن، وفي القبرِ لم يزل.

---

(١) سَلَبوا: انتزعوا ما لغيرهم قهراً بغير حق. سُلبوا: انتُزعوا قهراً، أي: أميتوا.

(٢) ديفت: من داف، أي: خلط ومزج، وجاء في (ب): وذيفت.

(٣) خبب: ضرب من المشي السريع.

(٤) يعتاقها: يسبقها ويقدمها.

(٥) سَفْر: مسافرون.

(٦) داثر: هالك فانٍ.

(٧) صيب: من صاب السهمُ الهدفَ يصيبه، وجاء في لسان العرب: أن (صيب) من قولهم: صابت السماء الأرض: أصابتها بصَوْبٍ فكأنَّ المنيةَ كانت صابت الحميم فأصابته بصَوبها (مادة صوب).

(٨) أغراض: جمع غرض، وهي الدريئة التي يُرمى إليها السهم.

(٩) تناهوا: بلغوا النهاية والغاية.

(١٠) الثمل: أن يأخذ الشراب منه كل مأخذ. والثمالة: البقية في أسفل الإناء ونحوه.

(١١) عَلا: صعد وارتقى.

(١٢) عُلى: جمع العُليا.

(١٣) العَلا: المنزلة الرفيعة في الدنيا.

كُـلُّ حَـيٍّ فقُصَـارَاه[1] الأجَـلْ　　　ليسَ للخلـقِ بـذا المـوتِ قِبَـلْ[2]

نُـوَبٌ[3] أبـدَتْ لعـادٍ قَبْلَنـا　　　إنَّ مِـنْ ذاتِ العِمـادِ المُـرتَحَـلْ

فـانْثَنُـوْا عـن ذلـك الشربِ الـذي　　　صـارَ عَـلاًّ[4] لسـواهـم ونَهَـل[5]

ألبسَـتْ قـومـاً سِـواهـم حلْيُهُـم　　　ثـمَّ بَـزَّتْـه[6] فَعَـادوا بـالعَطَـل[7]

فـاسـألِ الإيـوانَ عـنْ أرْبـابِـه　　　كيـفَ جـدَّتْ بهـمُ تلـك الـرُّحَـلْ

نقلَتْهـم عـن فضـاءٍ واسـعٍ　　　يمـرحُ الطَّـرفُ بِـهِ حتـى يَمَـلْ

نحـنُ أغـراضُ خُطـوبٍ إنْ رَمَـتْ　　　عـادت الأدرُعُ لِيْنـاً[8] كـالحُلَـل[9]

وإذا مـا أخْلَفَـتْ أسْهُمهـا　　　فـأصـابَـتْ بَطَـلَ القـومِ بَطَـل[10]

جُزْ على القبورِ بقلبٍ حاضرٍ، وسَلْها ما فَعلَ الوجهُ الناضر؟ ثم افتحْ ناظرَ ناظر، وخاصِمْ نفسَكَ على التواني[11] وناظِر[12].

ومسنَدون[13] تعاقَرُوا كأسَ الرّدى　　　وَدَعـا بسيرِهـمُ الحِمـامُ فـأسْـرَعـوا

خُـرْسٌ إذا نـاديـتَ إلاَّ أنَّهـم　　　وَعَظُوا بما يُرْضي اللبيبَ فأسمعوا

والـدَّهْـرُ يَفْتِـكُ بـالنفـوسِ حِمـامُـه　　　فَلِمَـنْ تُعِـدُّ كـريمـةً[14] أو تَجْمَـعُ

---

(١) فقصاراه: نهايته.

(٢) قِبَل: طاقة ووسع.

(٣) نُوَبٌ: جمع نائبة: نوازل ومحن.

(٤) علاًّ: العلّ: الشرب الثاني.

(٥) النهل: الشرب الأول.

(٦) بزته: سلبته.

(٧) العطل: الخلو عن الزينة.

(٨) ليناً: طرية ناعمة.

(٩) الحلل: جمع حلة، ولا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد.

(١٠) بطل القوم: قويهم. بطل: هلك.

(١١) التواني: التقصير.

(١٢) ناظر: من المناظرة، أي: المباحثة والمحاجة.

(١٣) مسندون: جمع مسنَد، وهو الدعي.

(١٤) كريمة: جمعها كرائم، وهي نفائس الأموال.

عجَباً لمَـنْ تَبْقَـى ذخـائِـرُ مـالِـه ... وَيَظَـلُّ يحفظهُـنَّ وهـو مُضيِّـعُ
ولعـاقـلٍ ويـرى بكـلِّ ثنيـةٍ ... يُلْفـى لـه بطـنُ الصفـائـح مَضْجَعُ
أتُـراهُ يحسِـبُ أنَّهـم مـا أسـأرُوا[1] ... مـنْ كـأسِهـم أضعـافَ مـا يَتَجـرَّعُ

كم صاحَ بك واعظٌ! وما تَسمع، وكم حصَّلْتَ ما يَكفي! ما تقنَع، لقد استَقْرَضَك مولاكَ مالَكَ، فما لك تجمَع! وضَمِنَ أنَّ نَبْتَ الحبَّةِ سبعُمئةٍ وما تَزْرَع!

تشتغلُ عن القرآنِ وتَستَمتِع من مغنٍّ يَتَغزَّل! تمشي إلى نجاتك مشيَ أقزل[2]، وتخرجُ إلى الحربِ وأنتَ أعزل! ويحك! إنَّ والي الحياةِ عن قليلٍ يَعزِل، كأنك بالسماءِ تمورُ، وبالأرضِ تُزَلْزَل، تُنْصَب[3]، ولا تدري أيُّ الكفَّتينِ أنْزَلُ.

إخواني! غَرِقَتِ السفينةُ ونحن نِيامٌ، أبوكم لم يُسامَحْ في لُقْمتِه، **وداودُ** عُوتِبَ على نظرته[4].

يــا مظهــريــنَ ضِــدَّ مــا ... بـــــهِ الكتــــابُ واردُ
إلـــى متـــى تُبَهْــرجُــو ... نَ والبصيـــرُ نـــاقِـــدُ
كيــفَ يكــونُ حـــالُكُــمْ ... وَهْـــوَ عليكـــمْ شــاهِـــدُ
عجبْـــتُ مِـــن مستيقـــظٍ ... والقَلْـــبُ مِنْـــهُ راقـــدُ
مضيِّـــعٌ لـــدينِـــهِ ... وللـــذنـــوبِ رَائِـــدُ
كـــأنَّـــه علـــى مَـــدا ... هُ مُهْمِـــلٌ وخـــالِـــدُ
فحسِّنُـــوا أعمـــالَكُـــمْ ... فَهْـــيَ لكُـــمْ قـــلائِـــدُ
ولا تُضِيعـــوا واجبـــاً ... واجْتَهـــدُوا وجَـــاهِـــدُوا

إخواني! أفيكم عازمٌ على الصلح؟ أمنكم محبٌّ يضجُّ من الهجر؟ أفيكم ذو وَجْدٍ قَلِقٌ من البَيْن؟ الوقتُ يقْتَضِيكَ[5] يا عاصٍ، منادِي القَبولِ على منازلِ

---

(١) **أسأر**: إذا شرب فَـتَـرَكَ سؤراً، أي: بقية الكأس.
(٢) **مشية الأقزل**: مشية المقطوع الرِّجْل.
(٣) **تُنْصَبُ**: أي: تُنْصَبُ الموازينُ يومَ القيامة.
(٤) ما ذكره المؤلف عن عتاب داود على نظرة ليس بثابت، وهو من الإسرائيليات التي تتنافى مع عصمة الأنبياء.
(٥) **يقتضيك**: يطالبك.

الوصول يقول: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الغَيْـــمُ رَطْـــبٌ ينـــادي: يـــا غـــافليـــنَ الصَّبـــوحْ
فقلـــتُ: أهـــلاً وسهـــلاً مـــا دامَ فـــي الجِسْـــمِ روحْ

قد قَيَّدَ الطردُ قَدَمَيْك، وغلَّ[1] الإبعادُ يديك، أفما لكَ عينٌ تبكي عليك؟!.

وفي نظرِ الصَّادي[2] إلى الماءِ حسرةٌ إذا كـان ممنـوعـاً سبيـلَ المـواردِ

على نوحٍ نَحْتُ[3] السفينةِ، وأن يصيحَ: اركبوا، فما ذنبُه إنْ تخلَّفَ كنعان؟![4].

إذا وقعت عزيمةُ العاصي على فِراقِ دار المعاصي، هيّأ مركبَ القصدِ، وزوَّدَ سَفرَ العَزْمِ، وقامَ على أقدامِ الجِدِّ، وسعى على طريقِ الرجاءِ، خائفاً من عارِضِ رَدٍّ، فيصيحُ به حينئذٍ هاتفُ القَبول:

لئنْ قَدِمَتْ من سَفْرةِ الهَجْرِ عيسُكُمُ تلقيتُهـا بـالـوَصْـلِ مِـنْ كـلِّ جـانـبِ

إخواني! ما قعودُكم وقد سارَ الرَّكْبُ؟! الحقوهم في المنزل، النجاءَ النجاءَ من شـرِّ الخِلاف[5]، الوحَـا الوحَا[6] قَبْلَ لحاقِ الأسلاف، الحذرَ الحذرَ من خُطـوات الخطايا، الهَرَبَ الهرَبَ قبلَ بتِّ[7] الأماني بالمَنايا، قبل أن تنزلـوا الكِفات[8] وتَلْحقوا الرُّفات[9]، وما بينكم وبين ماذا حلَّ من آفاتِ آفاتٌ، إلا أنْ تعاينوا الوفاةَ وفات.

* * *

---

(١) غلّ: جعل الغُلّ في يديه، وهو الطوق من الحديد.
(٢) الصادي: العطشان.
(٣) نَحْتُ: صُنْع.
(٤) كنعان: ولد سيدنا نوح عليه السلام الذي رفض الركوب مع أبيه في السفينة.
(٥) الخلاف: التخلف.
(٦) الوحا: السرعة.
(٧) بت: قطع.
(٨) الكِفات: القبر.
(٩) الرفات: بقايا العظام.

الفصل الثالث [بعد المنية]

عبادَ الله! إنّما الأيّامُ طُرُقُ الجِدِّ، والساعاتُ ركائبُ المجد، وأيامُ العافيةِ أوقاتٌ تُسْتَدرَك، وأحيانُ السلامةِ تنادي «مَنْ جَدَّ أدْرَك»:

كَمْ للمنيّةِ مِنْ ضُروبِ ... بينَ الحوادِثِ والخُطوبِ
تدعُ الحبيبَ بلا مُحِبٍّ ... وكذا المُحبُّ بلا حَبيبِ
لا والذي هو قاذفٌ ... بالحقِّ عَلَّام الغيوبِ
وبحكمِهِ يُمْلي[1] لِمَنْ ... يُمْلي[2] القبيحَ على الرّقيبِ[3]
ما للنفوسِ معَ المنيّةِ ... في السلامةِ مِنْ نصيبِ
هيهاتَ أينَ يفوتُها ... لا بدَّ مِن سَهْمٍ مُصيبِ
مَنْ دَبَّ فوقَ الأرضِ أصبحَ ... دارجاً[4] بعدَ الدبيبِ
فإذا تغيَّبَ تحتها ... فكفاه بُعداً بالمغيبِ
ولَكَمْ طويلُ العُمْرِ ليسَ ... لعَيْشِه بالمُسْتَطيبِ
ولربَّما انْتُزِعَ القصيرُ ... العمرِ مِنْ سَعَةٍ وطِيبِ
ولا تيئسَنَّ مِنَ البعيدِ ... وخَفْ مُباعدةَ القريبِ
فلَكَمْ حَمَلْتَ معَ المريضِ ... إلى الثَّرى نَعْشَ الطبيبِ

إخواني! احذروا دُنْياكم فإنَّها خادعةٌ، وانتظروا حُتُوفَها فهي لا ريْبَ واقعة. أيها العبدُ! إلى متى تشتغلُ بها عن مولاكَ وَهُوَ غَيُور؟! وكيفَ تَغْتَرُّ بغريرِ[5] هَوَى يُغري[6] ويَغُور[7]؟! وكم عدلْتَ[8] عن العَدْلِ وحاضَرْتَ[9] المحظور!

(١) يُملي: من أملى، أي أمهل.
(٢) يُملي: يقال: أمللت الكتاب وأمليته عليه: ألقيته.
(٣) الرقيب: الملك الموكل بكتابة الأعمال.
(٤) دارجاً: يقال: درج الصبي، أي: أخذ في الحركة ومشى أول ما يمشي.
(٥) غرير: من غرَّ، وهو الخداع والإطماع بالباطل.
(٦) يغري: يخدع.
(٧) يغور: يقال: غار الماء: ذهب في الأرض.
(٨) عدلت: انحرفت.
(٩) حاضَرْتَ: قارَفْتَ المحظور وتوغَّلتَ فيه.

أتظنُّ البقاءَ وقلائدُ الفراقِ[١] كالأطواقِ في النحور[٢]؟! أما تعتبرُ بأقرانٍ[٣] قُرِنوا[٤] بقرائن[٥] أعمالهم في القبور؟! أمَا مواضعهُم تَضَعُكَ على وَضْع الوضَائعِ[٦] والفتور؟! أما حَلُّوا[٧] اللحودَ[٨] فحالَتْ[٩] حُلى[١٠] تلكَ البُدور؟! أما منازلُهم نازلَهم مُنازِلُهم[١١] زال عنهم السرور؟! أبالى بفخرِهمُ الموتُ لا بلْ بَلْبَلَ[١٢] تلك القصور!.

أين همُ الآن؟! قل لي خلا خاليهم[١٣] بالثبورِ[١٤]، مالَ بهم عن المالِ ما لا يُرَدُّ[١٥]، وصرفَهم صَرْفُ الدُّهور، جرى[١٦] بهم ما جارَ[١٧] كما جارى الجارَ[١٨] جاري[١٩] المقدور، أصبحَتْ وجوهُهم الصبيحةُ مصطَبِحةً[٢٠] شرابَ

---

(١) قلائد الفراق: شبه الفراق بالقلائد تحيط بالعنق ولا تفارقها، إشارة إلى لزوم الفراق وتحققه.
(٢) النحور: جمع نحر، وهو أعلى الرقبة.
(٣) أقران: جمع قِرن: الكفؤ والنظير في الشجاعة والحرب.
(٤) قرنوا: شدوا وربطوا.
(٥) قرائن: جمع قرينة مأخوذة من قرن الشيء بالشيء، وهي ما يدلّ على المراد من غير كونه صحيحاً. كما في قوله ﷺ: «والبِكْرُ تُسْتَأذَن وإذْنُها سُكُوتُها» فجعل السكون قرينةً دالة على الرضا.
(٦) الوضائع: جمع وضيعة، وهي الحطيطة والخسارة والثقل.
(٧) حلوا: نزلوا واستقرّوا.
(٨) اللحود: جمع لحد، وهو الشق يكون بجانب القبر للميت.
(٩) حالت: تغيَّرت وتبدّلت.
(١٠) حُلى: جمع حلية: كل حلية حليت بها امرأة، والمقصود محاسن الوجه.
(١١) مَنازِلهم: بيوتهم. مُنازِلهم: كناية عن الموت. والمُنازل: المقاتل.
(١٢) بلبل: أنزل فيها الافتراق والاضطراب.
(١٣) خاليهم: المغادر والتارك.
(١٤) الثبور: الهلاك.
(١٥) ما لا يُرد: كناية عن الموت.
(١٦) جرى بهم: أذهبهم.
(١٧) وما جار: ما ظلمهم.
(١٨) كما جارى الجار: أي كما جرى مع الجار أي أخذه.
(١٩) جاري المقدور: ما يقع من المقادير (وهو فاعل الفعل جرى).
(٢٠) مصطبحة: شاربة شراب الصباح.

الدُّثور[1]، مبانيهم أبينت، فلو أُبينت لم تَبِن الإناثُ من الذكور، انفصَمَتْ عُرى الأوصالِ وَخَلَوْا بالخصالِ، فذو الوصالِ منهم مَهْجور، سكنوا بعد الودودِ معَ الدودِ في اللحودِ كمأسور، تكدَّرَ صافيهم فمُصافيهم يُجافيهم، وما فيهم معذور، علا أعلامَهم علاءُ ترابِ كثيرِ موفورِ، وسكنَ المكينُ في كمين إمكانِه فاستكانَ في مكانٍ مَحْقور.

بينا مترفُهم قد اطمأنَّ و﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]؛ إذا الأذى كالحذا، وكذا كلُّ محتذٍ الغرور، وكم قال واعتذرَ، فلمّا لم يَذَرْ قيل: هذا الهَذَرُ زُور.

صبَّ الصابُ في فِيَّ مَنْ صَبا، فالصَّبا تَسفي على مَنصِبه والدَّبُورُ، وسيأتيكَ يا فتًى ما أتى مَنْ عتا حتى في الرَّواح أو في البُكور، فانتبهْ فإنَّ الموتَ يدورُ على ساكني الدور، ويلتقط أربابَ القصورِ بلا فُتورٍ ولا قُصور، وكأنَّكَ بالأمرِ قد فُصل ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، فمن جازَ قنطرةَ الهوى آبَ بتجارةٍ لن تبور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ ... ثم عادٍ مِنْ بعدِهِمْ وثمودُ
بينما القومُ في النَّمارِقِ والديباجِ ... أفضَتْ إلى الترابِ الخدودُ
وأطباءُ بعدَهم لَحِقوهم ... ضلَّ عنهم سَعُوطُهُمْ واللَّدودُ[2]
وصحيحٌ أضحى يعودُ مريضاً ... وَهْوَ أدنى للموتِ مِمَّن يعودُ

يا قليلَ البضاعةِ! بلِ يا مفلسُ! ترجو النجاةَ بالمعاصي؟! لقد وسوس، أتلبس ثوبَ الشيب؟ ثم تُلبِّسْ، جاء الصباحُ فَنَسَخَ حكمَ الخَنْدَس[3]، وأطرق النَّيْلَوْفَرُ لما حدَّق النَّرْجِس، يا مَنْ يقومُ من المجلسِ كما يَجْلِس، كن كيف شئتَ، فإنَّما تجني ما تغْرِس، ألكَ عذرٌ؟ قل لي؟ الباطلُ يُخْرِس:

---

(١) الدثور: الانقراض والزوال.

(٢) اللدود: ما يُصَبُّ من دواء في أحد شقي الفم فيمر على اللديد، وفي الحديث: «خيرُ ما تَداوَيتُم به اللَّدود والحِجامَة والمشي»، وقال الأصمعي: اللدود: ما سقي الإنسان في أحد شقي الفم.

(٣) الخندس: الليل.

كيفَ الرحيلُ بلا زادٍ إلى وطنٍ   ما ينفعُ المرءَ فيه غيرُ تقواهُ
مَنْ لم يكنْ زادُه التقوى فليسَ لهُ   يومَ القيامةِ عُذْرٌ عندَ مولاهُ

يا ربّ! إليكَ منا نَتَظلَّم، أحوالُنا تَنْطِقُ عنّا وما نتكلَّم، وقلوبُنا من ذنوبنا تبكي وتتألم، وأنت العالمُ الذي لا تُعَلَّم.

أتَتْرُكُنا للجهل؟ وأبونا منك تعلَّم. يا من أخَّرَ ما شاءَ كما شاءَ وقدَّم. لا تجعلْنا ممَّنْ إذا رَحَلَ تَنَدَّم. يا مَنْ نبَّهَ الفُضَيْلَ وابنَ أدْهَم. قد تركتنا الذنوبُ لا نُشْتَرى بدرهم:

يا عمادِي في شِدَّتي ورجائي   عندَ فَقْري وكوكبي في المعامي
ساعتي إنْ نَأيْتَ يومٌ ويومي   مثلُ شهرٍ والشهرُ مثلُ العامِ

يا صاحبَ الخطايا لستَ معنا، يا مقبلاً على الهوى ما أنتَ عندنا، ضاعَتْ حِيَلي في تحصيلِ قلبك، اشتدَّتْ حَيْرَتي في تَلافي أمرِك، وا عجباً! أُخَوِّفُكَ عواقبَ الأمور، وما تتوب، وأشرَحُ لكَ أحوالَ الصالحين وما تؤوب، ومتى سقطَتْ شهوةُ العليل دنا الموتُ، قدْ أوقدْتُ نارَ المواعظِ إلى جانبِ كَسَلِكَ، ونَفَسُ عزيمتكَ شديدُ البرودةِ، وقد اتَّفقَ الأطباء على أنَّ النَّفَسَ البارِدَ في المرضِ الحادِّ دليلُ الهلاك:

الموتُ في كلِّ حينٍ يَنْشُرُ الكَفَنا   ونحنُ في غفلةٍ عمّا يُرادُ بنا
كأنَّ ما قد رأينا في أحِبَّتِنَا   من الرَّحيلِ ونأيِ الدارِ ليس لنا

واللهِ ما فاز سوى الزاهدين، ولا نالَ الربحَ غيرُ العابدين، ونهايةُ الكمال للمحبين، كان هَمُّ القومِ طلبَ النجاةِ، وكانتْ لذَّتُهم في المناجاة، فارتَفَعَ لهم القَدْرُ وعلا الجاه، لو رأيتَهم في الأسحارِ، وقد حار الخائف بين اعتذارٍ واستغفارٍ ولطائف، ويتخلَّلُ ذلك دمعٌ غزيرٌ ذارفٌ[1]، يَرمز إلى شوقٍ شديدٍ متكاثِف.

كانَتْ عابدةٌ تقومُ من أول الليلِ، وتقول: تشاغلَ الناسُ بلذّاتِهم، وقد جئتُ إليك يا محبوبُ:

---

(١) ذارف: سائل وجارٍ.

سُروري مِنَ الدَّهْرِ لقياكُم	وِدارُ سلامي مَغناكُمْ
وأنتُمْ مَدَى أملي ما حييتُ	وما طابَ عيشيَ لولاكُمْ
جنابُكُمُ الرَّحْبُ مَرْعى الكرامِ	فلا صَوَّحَ[1] الدَّهْرُ مَرْعاكُمْ
حشا البينُ يومَ رَحَلْتُم حَشايَ	بنارِ الهُمومِ وحاشاكُمْ[2]
فيا ليتَ شِعْرِي ومَنْ لي بأنْ	أعيشَ إلى يومِ ألقاكُمْ
إذا ازدَحَمَتْ في فؤادي الهمومُ	أُعَلِّلُ قلبي بذكراكُمْ
وأستنشِقُ الريحَ مِنْ أرضِكُمْ	لعلّي أحظى بريَّاكُمْ
فلا تَنْسَوا العَهْدَ فيما مضى	فَلَسْنا مدى الدهرِ نَنْساكُمْ

تاللهِ لقد حصل للقومِ فوزُ الدَّارَيْن، ورضيتُم أنتم بالبَينِ من البَيْن[3].

تنبَّهوا يا نيامُ! كم ضَيَّعْتُم من عام! الدنيا كلُّها منام، وأحلى ما فيها أحلامٌ، غيرَ أنَّ عقل الشيخ بالهوى غُلام، علامَ قَتْلُ النفوسِ عَلامَ؟! هل هو إلا ثوبٌ وطعامٌ؟! ثم يتساوى خزٌّ[4] وخَامٌ[5]، ولذَّاتٌ طيِّباتٌ وَوِخَام[6]، إنما يَعْرِفُ الفُطَناءُ لا الطَّغام[7]، آهٍ للغافل! إلى كم يُلامُ! أما توقظُكَ الليالي والأيام؟! أين سُكَّانُ القصورِ والخيام؟ دارت على الكُلِّ كأسُ الحِمام[8] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

إلى متى مزاحمةُ الأنعامِ؟! رُدُّوا هذه الأنفسَ بزِمام، ازجُرُوا هذه القلوبَ عن الآثامِ، اقرؤوا صحائفَ العِبَرِ[9] بألسنة الأفهام[10]، موتُ الجيران شَكْلٌ[11]

---

(١) صوَّح: يبس.
(٢) حشا: ملأ. حشاي: أي أحشائي، وهو الجوف. حاشاكم: من حاشا وهي أداة استثناء، والمعنى: براءةً ومعاذاً.
(٣) البين الأولى: البعد. البين الثانية: الوصال والمودة.
(٤) خز: ما ينسج من الثياب من صوف وحرير خالص.
(٥) خام: الخام من الثياب الذي لم يُبيّضه القَصّار.
(٦) وخام: غير مستمرأ من الطعام. والطعام الوخيم: غير الموافق لآكله.
(٧) الطَّغام: أراذل الناس وأوغادهم.
(٨) الحِمام: قضاء الموت وقدره.
(٩) العِبَر: جمع عِبْرة مواضع الاتعاظ والاعتبار.
(١٠) الأفهام: جمع فهْم: حسن تصور المعنى أو جودة استعداد الذهن للاستنباط.
(١١) شَكْل: الشكل: الحركة توضع على الحرف. يقال شكلَ الكتابَ: ضبطه بالشكل =

وأخذُ الأقرانِ[1] إعْجام[2]، يا مَنْ أجَلُهُ خَلْفَه، وأمَلُهُ قُدَّام، ربَّ يوم له مِفتاح، ما لَهُ خِتام.

يا مقتحماً على الحرامِ أيَّ اقتحام، ستعلمُ مَنْ يبكي في العُقبى عُقبى الإجرام[3]، ويشاركُ النَّدامى على النَّدامى[4] والمُدام، يا طويلَ المرض! متى يَبرأ السِّقام؟! يا من إنْ قَعَد فللدنيا، وكذا إنْ قام، أولُ الدُّنيا همٌّ، وآخرُها مَوْتٌ زُؤام[5]، حَلَّ لها الفراقُ، وحُرِّمَ عليها الدوامُ، سحابُها لا يُمطر، وسماؤها قَتام[6]، كلُّها عيبٌ في عَيْبٍ، وذامٌ في ذام، أتعيبُها عندَ مُحِبّها؟! متى يسمعُ العَذْلَ مُسْتَهام[7]؟!.

خلِّها واخرجْ عنها بسلامٍ إلى دارِ السلام؛ فالجنَّةُ رخيصةٌ[8] ثم ما تغلو على مُستام، خُذْها إليك نصيحةً من طَبٍّ[9] يداوي الأسقام[10]، يضع الهناء[11] موضع النَّقْبِ[12]، ويعرفُ أصلَ الآلام، ويُركِّبُ المرهمَ عن خُبْرٍ، ويديرُّ كيفَ شاءَ الكلام، ما بعدها[13] نصيحةٌ تكفي والسلام.

❋ ❋ ❋

= لتسهُلَ قراءته.

(١) الأقران: جمع قِرْن، وهو المِثْل في الشجاعة والعلم وغير ذلك.

(٢) إعجام: يقال: أعجم الكتاب، أي: أزال إبهامه بالنقط.

(٣) العقبى الأولى: الآخرة. وعقبى الثانية: العاقبة.

(٤) الندامى الأولى: النادمين. والندامى الثانية: من المنادمة والمسامرة.

(٥) زؤام: عاجل سريع.

(٦) القَتام: الغبار الأسود.

(٧) العذل: اللوم. مستهام: المشغوف محبةً.

(٨) رخيصة: ناعمة وليِّنة.

(٩) طَبٌّ: طبيب.

(١٠) الأسقام: الأوجاع.

(١١) الهناء: القَطِران.

(١٢) النقب: الجرب يصيب الإبل.

(١٣) ما بعدها: ليس وراءها.

آخر كتاب المدهش

الحمد لله عددَ أنفاس أهل الجنة

وصلواتُه على محمدٍ وآله ، وسلم كثيراً وشرّف وكرّم

وفرغ منه ناظمه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة ، حامداً الله سبحانه ، ومصلياً على رسوله محمد وعلى آله ومسلِّماً ، يرحم الله من نفع به وانتفع ، ودعا لمؤلفه بالعفو والغفران[1] .

* * *

(١) جاء في خاتمة (أ) : وافق الفراغ من نسخه في أواخر شهر ربيع الثاني لسنة (١١٤٢هـ) اثنتين وأربعين ومئة وألف على يد الفقير مصطفى بن بكتاش ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
وفي آخر (ب) : تم كتاب المدهش بحمد الله وعونه ، وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ ، وكان الفراغ من نسخه في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمئة ، غفر الله لكاتبه وقارئه ولجميع المسلمين يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



ملحق التراجم

الحمد لله الذي جعلَ في السماءِ نجوماً لنهتديَ بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، وجعلَ من البشرِ نجوماً لنهتديَ بها في ظلمات الغفلات والأهواء والفتن.

والصلاة والسلام على النبيّ الهادي، السراج المنير، وعلى آله وأصحابه مصابيح الهُدَى، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فعلى الصفحات القليلة التالية، نستعرض مقتطفاتٍ من سِيَرِ أُناسٍ عاشوا فوق هذه الأرض، أشاعوا فيها الخيرَ، ونشروا فيها المعرفة، وأصّلوا فيها المنهاجَ التطبيقيَّ لحقائقِ الغيبِ في عالم الشهادة.

هم إشاراتُ هدايةٍ على طريق السير إلى الله، هم أطواقُ نجاةٍ للغارقين في بحارِ الشهواتِ والبعدِ عن الله.

عرفوا اللهَ فأحبُّوه، وجعلوه في قلوبهم، وعرفوا الدنيا فجعلوها في أيديهم وسيلةً للأُنس بمحبوبهم.

هم بشرٌ.. إلا أنهم تخرَّجوا في مدرسة الإسلام، وتربوا على تعاليم وهدي المصطفى رسول الله ﷺ.

* * *

● **أبو علي لدقاق:**

أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري .

كان يعظُ الناسَ، ويتكلَّم عن الأحوال والمعرفة، ومن كلامه :

- من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنّه خضعَ له بلسانه وأركانه، فإن اعتقدَ تعظيمَه بقلبه، أو خضعَ له به ؛ ذهب دينه كله .

- وقال في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]: اذكروني وأنتم أحياء، أذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلّى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب .

- وقال: البلاء الأكبر أن تريدَ ولا تُراد، وتدنو فتردَّ إلى الطردِ والإبعاد .

- وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤] ، أنشد يقول :

جُنِنا بليلى وهي جُنَّتْ بغيرِنا   وأُخرى بنا مجنونةٌ لا نريدُها

- وفي قوله ﷺ: «**حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِه**»[1] قال: إذا كان هذا المخلوقُ لا وصولَ إليه إلا بتحمّل المشاقِّ، فما الظنُّ بمن لم يزل؟! .

- وقال في الحديث: «**جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها**»: يا عجباً لمن لم يَرَ مُحْسِناً غيرَ الله، كيفَ لا يميلُ بكلّيته إليه؟! .

قال ابن كثير في (البداية): «كلامه على هذا الحديث جيّدٌ، والحديثُ لا يصحُّ بالكلية». توفي أبو علي سنة (٤١٢هـ) .

● **أبو العتاهية:**

أبو إسحاق، إسماعيلُ بنُ قاسم بن سُويد بن كَيسان العَنَزي، رأسُ

---

(١) حديث صحيح .

الشعراءِ، الأديبُ الصالحُ الأوحدُ، نزيلُ بغداد، لُقّبَ بأبي العتاهيةِ لاضطرابٍ فيه، وقيل غيرَ ذلك. سار شعرُه لجودَتِه وحُسْنِه وعدمِ تَقَعُّرِه. وكان أبو نُـواس يُعظِّمُه، ويتأدَّبُ معه لدينه، ويقولُ: ما رأيتُه إلا وتوهَّمتُ أنَّه سماويٌّ، وأنّي أرضي. وهو القائل:

إنَّ الشَّبـابَ والفَـرَاغ والجِـدَه ... مَفسَـدَةٌ لِلْمَـرْءِ أيُّ مَفْسَـده

حَسْبُـكَ مِمَّـا تَبْتَغِيْـهِ القُـوتُ ... مـا أَكْثَـرَ القُـوتَ لِمَـنْ يَمُـوتُ

هـيَ المَقـاديـرُ فلُمنـي أوْ فَـذَرْ ... إنْ كُنْتُ أخْطَأْتُ فما أخطا القَدَرْ

توفّي أبو العَتاهية في جُمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومئتين. وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين. وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوِها، ببغداد.

● **أبو العلاء المعري:**

أحمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ سليمانَ.

وترجعُ أصولُ نسبه إلى النبيِّ هُود عليه السلام، التَّنوخيُّ المَعَريُّ الأعمى، اللُّغوي، الشاعرُ، صاحبُ التصانيف السائرة، والمُتَّهَمُ في نِحْلَتِهِ. شيخُ الآداب. وُلد سنة ثلاثٍ وستين وثلاثِمئة.

وأضرّ بالجُدَرِيِّ وله أربعُ سنين وشهر؛ سالتْ واحدةٌ، وابيضَّتِ اليُمنى، فكان لا يَذْكُرُ من الألوانِ إلا الأحمرَ لثوبِ أحمر ألبسوه إياه. وقد جُدِّرَ، وبقي خمساً وأربعين سنةً لا يأكلُ اللحمَ تزهُّداً فلسفيّاً.

وكان قَنوعاً مُتعفّفاً، له وَقْفٌ يقومُ بأمره، ولا يَقبلُ من أحدٍ شيئاً، ولو تكسَّبَ بالمديح لحصَّلَ مالاً ودُنيا، فإنَّ نظمه في الذروة، يُعَدُّ مع المتنبي والبُحتُري.

وأخذ الأدبَ عن بني كوثر، وأصحابِ ابنِ خالويه، وكان يَتَوقَّدُ ذكاءً.

كان يَحْفَظُ كلَّ ما مرَّ بسمعِه، ويُلازم بيتَه، وسمى نفسَه رهينَ المَحْبَسَينِ، للزومه منزلَه والعمى، وقال الشِّعْرَ في حداثته، وكان يُملي تصانيفَه على الطَّلَبةِ من صَدْرِه.

ودخل أبو الفتح القاضي عليه بَغْتَةً، فسمعه يُنشد:

كَـمْ غُـودِرَتْ غَـادَةٌ كَعَـابٌ ... وعُمِّـرَتْ أُمّهـا العَجُـوزُ

أحـرَزَهـا الـوالِـدانِ خَـوْفـاً والقبـرُ لهـا حِـرزٌ حَـريـزُ
يجـوزُ أن تُخْطِـئ المنَـايـا والخُلْـدُ فـي الـدَّهـرِ [عـزيـزُ]

ثم تأوَّهَ مرات، وتلا قولَه تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود]. ثم صاح وبكى، وطرح وجهه على الأرضِ زماناً، ثم مَسَحَ وجهَه، وقال: سبحانَ مَنْ تكلَّمَ بهذا في القِدَم، سُبحانَ مَنْ هذا كلامُه. فصبرتُ ساعةً، ثم سَلَّمْتُ، ثم قلتُ: أرى في وَجْهِكَ أثَرَ غيظٍ؟ قال: لا، بل أنشدتُ شيئاً من كلام المخلوق، وتَلَوْتُ شيئاً من كلامِ الخالق، فلَحِقَني ما ترى.

قال أبو المكارم ـ وكان من أفراد الزمان ـ: لما تُوفي أبو العلاء اجتمع على قبرِه ثمانون شـاعراً، وخُتِمَ في أسبوعٍ واحدٍ مئتا ختمة.

وفي الجُملة: فكان من أهلِ الفضلِ الوافرِ، والأدبِ الباهر، والمعرفةِ بالنسبِ وأيامِ العرب، قرأ القرآنَ بروايات، وسَمِعَ الحديثَ على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوات، وما يَحُضُّ على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعرٌ كثير، والمُشكِلُ منه فله على زَعمه تفسير. مات في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسعِ وأربعينَ وأربعمئة، عن ستٍّ وثمانينَ سنة.

● أبو بكر النَّهْشَلي:

الكوفي: من علماء الكوفة، في اسمه أقوال، ولا يُعرف إلا بكنيته.

تكلَّمَ فيه ابنُ حِبَّان، فقال: كان شيخاً صالحاً فاضلاً، غلبَ عليه التَّقَشُّفُ حتى صارَ يَهم ولا يعلم، ويُخطئ ولا يفهم، فبطل الاحتجاجُ به.

قال الذهبي في (السير): «بل هو صدوق، احتجَّ به مسلم وغيره».

وكان صالحاً، يثب للصلاة في مرضه ولا يقدِر، فيقال له، فيقولُ: أُبادِرُ طيَّ الصَّحيفة. توفي النَّهْشلي سنة ست وستين ومئة.

● أبو بكر بن عياش بن سالم الأسَدي:

المقرئ، الفقيهُ، المحدِّثُ، شيخُ الإسلام، وبقيةُ الأعلام، مولى واصل الأحدب، وُلد سنة خمس وتسعين.

قرأ القرآن، وجوَّده ثلاثَ مراتٍ على عاصم بن أبي النَّجود.

سُئل: قد بلغكَ ما كان من أمر ابن عُليَّة في القرآن.

قال: ويلك، مَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ زِنْديقٌ عدوُّ الله لا نجالِسُه ولا نكلِّمه.

مكث نحواً من أربعين سنة يختِمُ القرآن في كلِّ يومٍ وليلةٍ مَرَّة.

لما حَضَرَتْ أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقيل لها: ما يُبكيكِ؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوكِ فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

مات أبو بكر في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومئة، عن ستٍّ وتسعين سنة.

● **أبو تمَّام:**

حَبِيبُ بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي.

شاعر عصره، من حَوْران، من قرية جاسم. مدحَ الخلفاءَ والكُبَراء. وشعره في الذِّرْوَة. كان أسمرَ طُوالاً فصيحاً، عَذْبَ العبارةِ، مع تَمْتَمةٍ قليلةٍ.

وُلدَ في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يَسقي الماءَ بمصر، ثم جالسَ الأدباء، وأخذَ عنهم، وكان يتوقّدُ ذكاءً. وسَحَّتْ قريحتُه بالشعر البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقدَّمَهُ على الشعراء، وله فيه قَصائد. وكان يُوصَفُ بطيب الأخلاق والظَّرْف والسماحة. وقد كان البحتريُّ يرفعُ من شأن أبي تمام، ويقدِّمُه على نَفْسِه، ويقول: ما أكلتُ الخبزَ إلاَّ به، وإنِّي تابعٌ له.

وهو القائل:

وَلَو كانَتِ الأرْزاقُ تُجْرَى عَلى الحِجَى ... هَلَكْنَ إذاً مِنْ جَهْلِهِنَّ البهائِمُ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لقاصِدٍ ... ولا المَجْدُ في كفِّ امرئٍ والدَّرَاهِمُ

وله أيضاً:

ألم ترني خَلَّيتُ نَفْسِي وَشأنَها ... فَلَمْ أحْفِلِ الدُّنْيا ولا حدثانَها

لقد خَوَّفتني الحادِثاتُ صُرُوفَها وَلَوْ أَمَّنَتْني ما قَبِلْتُ أَمَانَها
يقولونَ: هَلْ يَبْكِي الفَتَى لخريدةٍ مَتَى ما أرادَ، اعْتاضَ عَشْراً مَكانَها؟
وَهَلْ يَسْتَعِيضُ المَرْءُ مِنْ خَمسِ كَفِّه وَلَو صاغَ من حُرِّ اللُّجَينِ بَنانَها؟

لمَّا مات رثاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نَبَأٌ أَلَمَّ مُقَلْقِلُ الأحْشَاءِ لَمَّا أَتَى مِنْ أعظَمِ الأنْباءِ
قَالُوا: حَبيبٌ قَدْ ثَوى، فأجَبْتُهم: نَاشَدْتُكُمْ لا تَجعَلُوهُ الطَّائي

كان واحدَ عَصرِه في ديباجةِ لفظه، وفصاحةِ شِعْرِه، وحُسْن أسلوبه. ألَّفَ (الحماسة) فَدَلَّتْ على غَزارةِ معرفتِهِ بحُسْنِ اختيارِه، وله كتاب (فحول الشعراء)، وقيل: كان يحفظُ أربعةَ عشر ألف أرجوزة للعرب.

مات في المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

● **أبو جَنْدَل رضي الله عنه:**

اسمه: العاصُ بنُ سُهَيْل بن عَمْرو بن عَبْدِ شَمْس بن عَبْدِ وِدٍّ بن نَصْر بن حِسْل بنِ عَامِر بن لُؤَيّ بن غالِب بن فِهْر العَامريُّ القُرَشيُّ.

كان من خِيار الصحابة، وقد أسلمَ، وحبسَه أبوه وقيَّدَه، فلمَّا كان يومَ صُلحِ الحديبية، هربَ يَحْجِلُ في قيودِه، وأبوه حاضِرٌ بين يدي النبيِّ ﷺ لكتاب الصلح. فقال: هذا أوَّلُ مَنْ أقاضيك عليه يا محمّد. فقال: هبه لي، فأبى. فردَّه وهو يصيحُ ويقول: يا مسلمون أُرَدُّ إلى الكُفر؟ ثم إنَّه هرب. وله قصّة مشهورة مذكورة في (الصحيح) وفي المغازي. ثم خلصَ وهاجر، وجاهد، ثم انتقل إلى جهاد الشام، فتوفي شهيداً في طاعون عَمَواس بالأردن سنة ثماني عشرة.

● **أبو سُليمان الدَّاراني:**

عبدُ الرحمن بنُ أحمد، الإمامُ الكبيرُ، زاهدُ العصر وُلد في حدود الأربعين ومئة. قال يعجَبُ ممن يتعلَّق بالدّنيا: إنَّ مِنْ خَلْقِ الله خلقاً لو زُيِّنَ لهم الجِنانُ ما اشتاقوا إليها، فكيف يُحبُّون الدنيا وقد زَهَّدهم فيها؟!.

قال أحمد بن أبي الحَوَاري: سمعتُه يقولُ:

لو لا الليلُ لما أحببتُ البقاءَ في الدُّنيا، ولربَّما رأيتُ القلبَ يضحكُ ضحِكاً.

قال أحمدُ: ورأيتُ أبا سُليمان حين أراد أن يُلَبِّي غُشِيَ عليه، فلما أفاقَ

قال: بَلَغني أنَّ العبدَ إذا حجَّ من غير وجهة، فقال: لَبَّيك، قيل له: لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْك حتى تطرَحَ ما في يديك، فما يُؤْمِنَّا أن يُقال لنا مثل هذا؟! ثم لبَّى.

ومن **أقواله**: إنَّ مَن وَثِقَ بالله ِفي رِزْقِهِ زادَ في حُسن خلقه، وأعقبَهُ الحِلْمَ، وسَخَتْ نَفْسُهُ، وقلَّتْ وساوسُه في صلاتِه.

قال أحمد بن أبي الحَواري: تمنَّيْتُ أن أرى أبا سُليمان الداراني في المنام، فرأيتُه بعد سنةٍ، فقلتُ له: يا معلِّمُ ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: يا أحمدُ دخلتُ من باب الصَّغير، فلقيتُ وَسْقَ شِيحٍ، فأخذتُ منه عوداً، فلا أدري تخللتُ به أم رَميتُ به! فأنا في حِسابه من سنة.

توفِّي أبو سُليمانَ سنةَ خمس عشرة ومئتين. وقال أحمدُ: مات سنةَ خمسٍ ومئتين.

● **أبــو عبيدة الخواص:**

هو عَبَّـاد بن عبّاد، واشـتهر بأبي عبيـدة، وإنَّما هو أبو عتبة، كما ذكره البخاري وغيره.

كتب مرةً إلى إخوانِه يعظهم فقال: إنكم في زمانٍ قد رقَّ فيه الورع، وقلّ فيه الخشوع، وحمل العلم مفسدوه، فأحبّوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعة العمل به، فنطقوا فيه بالهوى ليتزيّنوا ما دخلوا فيه من الخطر، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغفر منها، وتقصيرهم تقصيرٌ لا يُعترف به، أحبّوا الدنيا، وكرهوا منزلة أهلها، فشاركوهم في العيش، وزايلوهم بالقول.

وامتنع عن الضحك، فسُئل: لم لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد؟!.

وكان يمشي في طريق البصرة وهو يقول: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

ونقل أحمد بن الحواريّ أنَّ عبـاداً دخل على إبراهيـم بن صالح أميـر فلسطين، فقال له: يا شيخ! عظني، فقال: بِمَ أعظكَ أصلحكَ الله؟ بلغني أنّ أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك. فبكى حتى سالت الدموع على لحيته.

وعن بشر بن الحارث قال: رأيتُ على جبالِ عرفة رجلاً قد ولع به الوله، وهو يقول:

سبحانَ مَنْ سَجَدْنا بالعيونِ لهُ على شبا الشوكِ والمُحمَّى مِنَ الإبرِ
لم نبلغِ العُشْرَ مِنْ مِعْشَارِ نعمتِهِ ولا العُشَيْرَ ولا عُشْراً مِنَ العُشْرِ
هو الرفيعُ فلا الأبصارُ تُدْرِكُهُ سبحانَهُ مِنْ مَليكٍ نافذِ القَدَرِ
سبحانَ مَنْ هو أُنسي إذ خَلَوْتُ بِهِ في جوفِ ليلي، وفي الظَّلْماءِ والسَّحَرِ
أنتَ الحبيبُ وأنتَ الحبّ يا أملي مَنْ لِي سوَاكَ ومَنْ أرْجُوْهُ يا ذُخُرِي

قال: ثم غاص في خلال الناس، فلم أرَه، فسألت عنه، فقيل: هذا أبو عبيدة الخواص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسَه إلى السماءِ حياءً منَ الله عزَّ وجلّ.

وسمع عقبة بن فُضالة أبا عبيدة بعدما كبر وهو آخذٌ بلحيتِه يبكي ويقول: قد كبرتُ. . فأعتقني.

● **أبو عِمران الجَوني:**

عبدُ الملك بن حبيب البصري.

الإمام الثقة، كان الغالبُ عليه الكلامَ في الحِكَم، وكان يقول: أما واللهِ لئن ضيَّعْنا، إنَّ للهِ عِباداً آثروا طاعةَ اللهِ تعالى على شهواتهم.

ويقول: أجرى اللهُ علينا وعليكم محنته، وجعلَ قلوبَنا أوطاناً تَحِنُّ إليه.

توفي في سنة ثلاث وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثمان وعشرين عن سنٍّ عالية.

● **أبو نُواس:**

أبو علي الحسنُ بنُ هانئ الحكَمي، وقيل: ابن وهب.

رئيسُ الشعراء، وُلِدَ بالأهْواز، ونشأَ بالبصرةِ. قيل: لُقِّبَ بهذا لِضَفْرَتين كانتا تَنوسان على عاتِقَيْه، أي: تَضْطربان. وهو القائل:

سُبحانَ ذي الملكوتِ أيّةُ لَيْلَةٍ مَخضَتْ صَبِيحتُها بِيَومِ الموقِفِ
لو أنَّ عَيْناً وَهَمَتْها نَفْسُها ما في المَعادِ مُحَصَّلاً لم تَطْرُفِ

وله:

ألا كُـلُّ حـيٍّ هـالِـكٌ وابـنُ هـالـكٍ وذو نَسَـبٍ فـي الهـالكيـنَ عَـريـق

إذا امْتَحَـنَ الـدُّنيـا لَبِيبٌ تَكَشَّفَـتْ لَـهُ عَـنْ عَـدُوٍّ فـي ثيـابِ صَـديـق

قال أبو العتاهية: قلت في الزهد عشرين ألف بيت، ووددتُ أنَّ لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس، وكانت مكتوبة على قبره:

يـا نُـواسـيُّ تـوقَّـرْ أو تغيَّـر أو تصبَّـرْ

إنْ يكـنْ سـاءَكَ دهـرٌ فَلَمَـا سَـرَّكَ أكثـرْ

يـا كثيـرَ الـذَّنْـبِ عفـوُ اللهِ مـن ذَنْبِـكَ أكبَـرْ

وممَّا يدلُّ على تمكّنه في الشعر أنَّه سمع حديثَ سهيل عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**القلوبُ جنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختلَفْ**» فنظم ذلك في قصيدة له فقال:

إنَّ القلـوبَ لأجنـادٌ مجنَّـدةٌ للهِ فـي الأرضِ بـالأهـواءِ تَعْتَـرِفُ

فمـا تنـاكَـرَ منهـا فهـو مختلِـفٌ ومـا تعـارَفَ منهـا فهـو مُـؤْتَلِـفُ

وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دكّان ورّاق، فكتبَ على ظهر دفتر هذه الأبيات:

أيـا عَجَبـاً كيـف يُعصـى الإلـهُ أم كيـفَ يجحـدُهُ الجـاحِـدُ؟

وفـي كـلِّ شـيءٍ لـه آيـةٌ تـدلُّ علـى أنَّـه الـواحِـدُ

ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال: ما أحسنَ قائِله واللهِ، واللهِ لوددتُ أنَّها لي بجميعِ شيءٍ قلتُه، لمن هذه؟ قيل: لأبي العتاهية. فأخذ فكتب في جانبها:

سبحـانَ مَـنْ خَلَـقَ الخَلْـقَ مِـنْ ضَعْـفٍ مهيـنِ

يسـوقُـهُ مِـنْ قـرارٍ إلـى قـرارٍ مكيـنِ

يخلُـقُ شيئـاً فشيئـاً فـي الحُجْـبِ دونَ العيـونِ

حتّـى بَـدَتْ حـركـاتٌ مخلـوقـةٌ فـي سكـونِ

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ومن شعره المستجاد قوله:

انقَطَعَتْ شِدَّتي فعُفْتُ الملاهي ... إذْ رَمى الشيْبُ مفرقي بالدَّواهي
ونهتني النُّهى فمِلْتُ إلى العَذْلِ ... وأشفقْتُ مِنْ مقالةِ ناهي
أيُّها الغافِلُ المقرُّ على السّهو ... ولا عُذْرَ في المعادِ لِسَاهي
لا بأعمالِنا نُطِيقُ خلاصاً ... يومَ تبدو السماءُ فوقَ المياهِ
على أنَّا على الإساءةِ والتفريطِ ... نرجو من حُسْنِ عفوِ الإلٰهِ

وقوله:

نموتُ ونبلى غيرَ أنَّ ذنُوبَنا ... إذا نحنُ مِتْنا لا تموتُ ولا تَبْلَى
ألا رُبَّ ذي عينينِ لا تنفعانِه ... وما تنفَعُ العينانِ مَنْ قلبُه أعمى

وذكرَ أنَّه لما أراد الإحرامَ بالحج قال:

يا مالكاً ما أَعدَلَك ... مليكَ كلِّ مَنْ مَلَكْ
لبيكَ إنَّ الحمدَ لك ... والملكَ لا شريكَ لك
عبدُكَ قد أهلَّ لك ... أنتَ له حيثُ سلك
لولاك يا ربِّ هَلَكْ ... لبيكَ إنَّ الحمدَ لك

ومما أملاه قوله:

إذا خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ، ولكن في الخلاءِ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولا آثماً يخفى عليه يغيبُ

وعن الشافعي قال: دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي ماتَ فيه وهو يجودُ بنفسِه، فقلنا: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ فأنشأ يقول:

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتُه ... بعفوِكَ ربّي كان عفوُكَ أعظما

مع أبيات.

ومما نقل أنَّه كان قد نقشَ على خاتمه «لا إلٰه إلا الله مخلصاً»، فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسّلوه، ففعلوا به ذلك. ورآه بعضُ أصحابِه في المنام بعد موته

فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبياتٍ قلتُها في النرجس:

تفكَّرْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ ... إلى آثارِ ما صَنَعَ المليكُ
عيونٌ من لُجَينٍ شاخصاتٌ ... بأبصارٍ هي الذَّهَبُ السَّبِيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهِداتٌ ... بأنَّ اللهَ لَيْسَ له شريكُ

مات رحمه الله سنة خمس أو ست وتسعين ومئة.

● **أبو يَزيد البِسْطامي:**

طَيْفُور بن عيسى بن شَرْوسان البِسْطامي.

سُلْطانُ العارفين، أحدُ الزهَّاد، وله كلامٌ نافعٌ، منه: ما وَجدْتُ شيئاً أشَدَّ عَليَّ من العِلْمِ ومتابعتِه، ولولا اختلافُ العلماءِ لبقيتُ حائراً.

ومن مناجاته الربَّ تبارك وتعالى:

ـ هذا فَرحي بكَ وأنا أخافُكَ، فكيفَ فَرَحِي بكَ إذا أَمِنْتُكَ؟!.

ـ ليسَ العجبُ من حُبِّي لكَ، وأنا عَبْدٌ فقيرٌ، إنَّما العَجَبُ من حُبِّكَ لي، وأنتَ ملِكٌ قديرٌ.

ـ الجنّة لا خَطَرَ لها عند المحِب، لأنه مَشْغولٌ بمَحبَّتِه.

ـ ما دامَ العَبْدُ يَظُنُّ أنَّ في الناسِ مَنْ هو شَرٌّ مِنْهُ، فهو مُتَكَبِّر.

قيل له: عَلِّمْنا الاسم الأعظم.

قال: ليسَ له حَدٌّ، إنَّما فَرَاغَ قَلبك لوحدانيَّتِه، فإذا كنتَ كذلك، فارفَع له أيَّ اسمٍ شِئْتَ من أسمائه إليه.

توفي أبو يَزيد رحمه الله تعالى عن ثلاث وسَبعين سنة بِبَسْطَام، سنة إحدى وستين ومئتين.

● **أسيد الضبي:**

بكى أسيد الضبي حتى عميَ، وكان إذا عُوتب على البكاء، قال: الآن حين لا أهدأ وأنا أموتُ غداً! واللهِ لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، فإن أدركتُ بالبكاءِ خيراً فبمنّ اللهِ وفضلهِ عليّ، وإن تكنِ الأُخرى فما بكائي في جنبِ ما ألقى

غداً؟ قيل: فكان ربّما بكى حتى يتأذّى به جيرانُه من كثرة بكائه.

● **أوَيْسُ القَرَنِيّ:**

هو القدوةُ الزاهدُ، سيّدُ التابعين في زَمانه. أبو عَمْرو، أُوَيْسُ بنُ عامر بن جَزْء بن مالك القَرَنيّ المُراديُّ اليمانيُّ. كان من أولياء الله المتَّقين، ومن عِبادِه المُخلصين.

عن أُسَيْر بن جابر، قال: لمّا أقبلَ أهلُ اليمن، جعل عمرُ رضي الله عنه يستقرئ الرِّفاقَ فيقول: هل فيكم أحدٌ من قَرَن؟ فوقع زِمامُ عُمَر أو زِمام أُويس فناوله ـ أو ناول أحدُهما الآخر ـ فعرفه، فقال عُمَر: ما اسمُكَ؟ قال: أنا أُويس، قال: هل لك والدة؟ قال: نَعَم. قال: فهل كان بكَ مِنْ البياضِ شيءٌ؟ قال: نعم، فدعوتُ اللهَ فأذهبه عنّي إلاّ موضعَ الدِّرْهم مِنْ سُرَّتي لأذْكُرَ به ربّي. قال له عمر: استغفرْ لي. قال: أنتَ أحقُّ أنْ تَسْتَغْفِرَ لي، أنت صاحبُ رسول الله، فقال عمر: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ خَيْرَ التَّابعينَ رَجلٌ يُقَالُ لهُ: أُوَيسٌ، ولَهُ والِدَةٌ وكان بِهِ بَياضٌ، فَدَعا الله، فأذهبَهُ عَنْه إلاّ مَوْضِعَ الدِّرْهَم في سُرَّتِه**» فاسْتَغْفَرَ لهُ، ثم دَخَلَ في غِمارِ الناسِ، فلَمْ نَدْرِ أين وقع؟! قال: فَقَدِم الكوفة. قال: فكُنّا نجتمع في حَلْقة، فنذكُر اللهَ، فيجلسُ مَعَنا. فكان إذا ذَكَرَ هو وَقَعَ في قلوبنا، لا يقعُ حديثٌ غَيْرُه.

ذكرَ ابن القيّم في كتاب (الروح) أنَّ أبا يعقوب القاري قال: رأيتُ في منامي رجلاً آدمَ طوالاً، والناس يتبعونه، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: أويس القرني، فاتّبعته فقلتُ: أوصني يرحمكَ الله، فكلح في وجهي (كلح: عبس) فقلتُ: مسترشِدٌ فأرشِدْني رحمَكَ الله، فأقبلَ عليّ فقال: ابتغِ رحمةَ الله عند محبته، واحذَر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءَكَ منه في ذلك، ثم ولّى وتركني.

اختُلِفَ في وقتِ وفاتِه، فعن عبد الله بن سالم قال: غزونا أذربيجان زمنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني، فلمّا رجعنا مرضَ علينا، فحملناه فلم يستمسك فمات.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى منادٍ يوم صفّين: أفي القومِ أويس القرني؟ فوُجِدَ في قتلى علي. قال ابن الجوزي: هذا هو الصحيح.

● **ابنُ أبي لَيْلى:**

محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

العلاّمة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، الكوفي. ولد سنة نيف وسبعين. ومات أبوه وهو صبي.

كان فقيهاً ونظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه، صاحِبَ سنّة، صدوقاً، جائز الحديث، وكان قارئاً للقرآن، عالماً به. قرأ عليه حمزة الزيات فكان يقول: إنَّا تعلَّمنا جودةَ القراءةِ عند ابن أبي ليلى. وكان مِنْ أحسبِ الناس، ومن أنقطِ النَّاسِ للمصحف، وأخطِّه بقلم. وكان جميلاً نبيلاً.

ماتَ ابنُ أبي ليلى رحمه الله في سنة ثمانٍ وأربعين ومئة في شهر رمضان.

● **ابن أدْهَم:**

ابراهيم بن أَدْهَم بن منصور بن يزيد بن جابر.

القدوةُ الإمامُ العارف، سيّدُ الزُّهَّاد. كان من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبُزاة. وكان أنْ أثارَ ثعلباً أو أرنباً، فهتف به هاتف: ألهذا خُلِقْتَ؟ أم بهذا أُمِرْتَ؟ فنزلَ، وصادفَ راعياً لأبيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسَه، وما معه، ودخل الباديةَ، وصحب الثّوري، والفُضَيل بن عِياض. **ومن أقواله:**

- من أراد التّوبة، فليخرجْ من المظالم، وليدعْ مخالطةَ النّاس، وإلا لم ينلْ ما يريد.

- وفي الزهد قال: الزُّهْدُ فرضٌ، وهو الزُّهدُ في الحرام. وزهدُ سلامةٍ، وهو الزُّهدُ في الشُّبُهات. وزهدُ فضلٍ، وهو الزُّهدُ في الحلال.

- ويُروى أنّه كان مع جماعةٍ في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السَّفينة، وَبَكوا، فقالوا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فقالَ: يا حيُّ حينَ لا حيَّ، ويا حيُّ قبل كلِّ حيّ، ويا حيُّ بعدَ كُلِّ حيّ، يا حيُّ، يا قَيُّومُ، يا مُحسنُ، يا مُجْمِل قد أريتَ قدرتَك، فأرنا عفوَك. فهدأت السفينة من ساعته.

- ومن حِكَمِه قال: كلُّ ملك لا يكون عادلاً، فهو واللصُّ سواء، وكلُّ عالمٍ لا يكون تقيّاً، فهو والذّئبُ سواء، وكلُّ من ذَلَّ لغير الله، فهو والكلبُ سواء.

وتوفي سنة اثنتين وستين ومئة، وقبرُه يُزار، وترجمته في (تاريخ دمشق) في ثلاث وثلاثين ورقة.

● **ابن المُعْتَزّ:**

الشيخ أبو الحسن، عبيدُ الله بنُ المُعْتَزّ بن منصور بن عبد الله بن حمزة، النيسابوريُّ. راوي الأجزاءِ الأربعةِ من حديث عليِّ بنِ حُجْر.

توفي سنةَ سبعٍ وأربعين وأربعمئة، وهو أخو منصور شيخ إسماعيلَ بنِ المُؤذِّن.

● **ابنُ مَرْزُوق:**

الإمامُ المحدِّثُ الرحَّال، أبو الخير عبدُ الله بن مرزوق الهروي، مولى شيخُ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري. قيل: وُلِدَ سنةَ إحدى وأربعين وأربعمئة.

قرأ العلم، ورُزِقَ الفهم، وسَمِعَ الكثيرَ، وسافر وكتب وحصَّل، وكان موصوفاً بالحفظ والمعرفة وحسن السيرة.

مات في جُمادى سنة سبع وخمسمئة.

● **الأسْوَدُ بنُ يَزيد بن قَيْس:**

الإمامُ، القدوةُ، أبوعمروالنَّخَعيّ الكوفي. وقيل: يُكنى أبا عبد الرحمن، وهوأخوعبد الرحمن بن يزيد، ووالدُ عبد الرحمن بن الأسود،وابنُ أخي علقمةَ بن قيس،وخالُ إبراهيم النّخعي.فهؤلاء أهلُ بيتٍ من رؤوس العلمِ والعَمَل.

وكان الأسودُ مُخضرماً، أدركَ الجاهليّة والإسلامَ. حجَّ الأسودُ ثمانين، من بين حجَّةٍ وعُمرة. كان يقول في تلبيته: لَبَّيْكَ غفَّارَ الذنوب.

وكان يَخْتِمُ القرآنَ في رمضان في كُلِّ ليلتين، وينامُ بين المغرب والعشاء، وكان يَخْتِمُ القرآن في غيرِ رمضان في كلِّ ستِّ ليالٍ.. وكان إذا حضرتِ الصلاةُ، أناخَ بعيرَه ولو على حجر. وكان صوَّاماً قوَّاماً حجَّاجاً.

توفي رحمه الله سنةَ خمسٍ وسبعين.

● **الجُنَيْد (ت٢٩٨هـ):**

ابنُ محمَّد بن الجُنيد النَّهاوَنْدي ثمَّ البغدادي القَواريري، والدُه الخزّاز.

هو شيخُ الصُّوفية، وُلد سنة نيّفٍ وعشرين ومئتين.

عن الجُنيد قال: ما أخرجَ اللهُ إلى الأرضِ عِلماً، وجعلَ للخَلقِ إليه سبيلاً، إلا وقد جعلَ لي فيه حظّاً.

وقيل: إنَّه في سُوقِهِ ووِرْدُه كلَّ يومٍ ثلاثُمئة رَكعة، وكذا وكذا ألف تسبيحة.

وعنه غيرَ مرّةٍ يقول: عِلْمُنا مضبوطٌ بالكتابِ والسُّنَّة؛ مَنْ لم يحفَظِ الكتاب، ويكتبِ الحديثَ، ولم يتفقَّه، لا يُقْتَدى به.

وعنه قال: أعلى الكِبْر أن تَرَى نفسَكَ، وأدناهُ أن تخطرَ ببالك. يعني: نفسك.

وقيل: كان نقشُ خاتم الجُنيد: إنْ كُنْتَ تأمُلُهُ فلا تأمَنْه.

● **الحسن البصري:**

هو الحسن بن أبي الحَسن يسار، أبو سعيد، مولى زَيْد بن ثابت الأنصاري، ويُقال: مولى أبي اليسر كعب بن عَمْرو السَّلَميّ.

ويسار أبوه مِن سَبْيِ مَيْسان؛ سكنَ المدينةَ، وأُعْتِقَ، وتزوَّجَ بها في خلافةِ عمر، فوُلِدَ له بها الحسنُ رحمةُ الله عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر، واسم أمه خيرة؛ ثم نشأ الحسنُ بوادي القُرى، وحضرَ الجُمعةَ مع عثمان، وسمعه يخطب. ورُوِيَ أن ثَدْيَ أم سلمة دَرَّ عليه ورضعها غيرَ مرَّة.

كان رجلاً تامَّ الشَّكْل، مَلِيْحَ الصورة، بَهِيّاً، وكان مِنَ الشُّجعان الموصوفين.

وقال قتادة: ما جمعتُ عِلْمَ الحَسَن إلى أحَدٍ من العلماء إلاّ وجدتُ له فضلاً عليه، غيرَ أنه إذا أشكلَ عليه شيءٌ، كتب فيه إلى سعيد بن المسيّب يسألُ، وما جالستُ فقيهاً قطُّ إلا رأيتُ فضلَ الحسنِ.

وقال فيه ابن المسيب، وعُروة، والقاسم وغيرهم: ما رأيتُ مثلَ الحسن، ولو أدرك الصحابةَ وله مِثْل أسنانهم ما تقدَّموه.

وقال الربيعُ بن أنس يصفُ علمه: اختلفتُ إلى الحَسَن عشرَ سنين أو ما شاء الله، فليس مِنْ يومٍ إلاّ أسمعُ منه ما لم أسمَعْ قبل ذلك.

ـ وعن الحسن قال: يا بنَ آدم، والله إنْ قرأتَ القرآن ثم آمنتَ به، ليطولَنَّ

في الدُّنيا حُزْنُك، وليستديمنَّ في الدنيا خَوْفُك، وليكثرَنَّ في الدُّنيا بكاؤك.

وقال أحد الصالحين يصفه: ما أريتُ أحداً أطولَ حُزْناً من الحَسن، ما رأيتُه إلاَّ حَسِبْتُهُ حديثَ عَهْدٍ بمصيبةٍ.

ومن حِكَمِه:

- بئسَ الرفيقانِ: الدِّينار والدِّرْهَم، لا ينفعانِكَ حتَّى يُفارقاك.

- ابن آدم، إنَّما أنتَ أيّامٌ، كُلَّما ذهبَ يومٌ، ذهبَ بعضُك.

- فضحَ الموتُ الدنيا، فلم يَتْرُك فيها لذِي لُبٍّ فرحاً.

- ضَحِكُ المؤمنُ غَفْلةٌ من قَلْبِه.

- ابنَ آدم، السِّكّينُ تُحَدُّ، والكَبْشُ يُعْلَفُ، والتنُّورُ يُسْجَرُ.

- ومن أقواله: المؤمنُ مَن عَلِمَ أنَّ ما قال الله كما قال؛ والمؤمنُ أحسَنُ النَّاسِ عَمَلاً، وأشدُّ الناسِ وَجَلاً، فلو أنفقَ جَبَلاً من مالٍ ما أمِنَ أن يُعاين، لا يزدادُ صلاحاً وبرّاً إلا غزداد فَرَقاً، والمنافقُ يقولُ: سوادُ الناسِ كثير، وسيُغفَرُ لي ولا بأسَ عليَّ، فيُسيء العَمَل، ويتَمَنَّى على الله.

مات الحسن رحمة الله عليه في رجب سنة عشرٍ ومئة.

وقال عبد الله بن الحَسَن: إنّ أباه عاشَ نحواً من ثمانٍ وثمانين سنة.

قال صاحب (السير): مات في أوَّلِ رجب، وكانت جِنازتُه مشهودةً، صلَّوْا عليه عقِيبَ الجُمعة بالبَصْرة، فشيَّعَهُ الخَلْقُ، وازدحموا عليه، حتى إنَّ صلاةَ العصرِ لَمْ تُقَمْ في الجامع.

● الحكم الكوفي:

الحكم بن عُتَيْبة. الإمامُ الكبير عالِمُ أهل الكوفة، أبو محمد الكِندي، أبو عمرو وأبو عبد الله. من أقران إبراهم النخعي، ولدا في عام واحد، سنة ست وأربعين.

قال الأوزاعي: حججتُ فلقيتُ عَبْدة بن أبي لُبابة، فقال لي: هل لقيتَ

الحكمَ؟ قلتُ: لا، قال: فالقه، فما بين لَابَتَيْها أفقه منه.

كان إذا قَدِمَ المدينة، فُرِّغَت له ساريةُ النبيِّ ﷺ يُصلّي إليها.

توفي سنة خمس عشرة ومئة.

● **الخفاجي:**

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (لم نجد له فيما بين أيدينا ترجمة).

● **الرَّبيع بنُ خُثَيْم بن عائذ:**

الإمامُ القدوةُ العابد، أبو يزيد الثَّوْريُّ الكوفيُّ، أحدُ الأعلام.

أدركَ زمانَ النبيِّ ﷺ، وأرسلَ عنه.

وعن ابنةٍ للربيع، قالت: كنتُ أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيفَ ينامُ مَنْ يخافُ البَيات.

كان الربيعُ بن خُثَيْم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالِج، فقيل له: قد رُخِّصَ لك، قال: إني أسمَعُ (حيَّ على الصلاة)، فإن استطعْتُم أن تأتُوها ولو حبْواً.

وقيل له: لو تداويتَ، قال: ذكرتُ عاداً وثمودَ وأصحاب الرسّ، وقروناً بين ذلك كثيراً، كانتْ فيهم أوجاع، وكانتْ لهم أطبّاء، فما بقي المداوي ولا المداوى إلا وقد فَنِي.

قال له رجل: دُلّني على مَنْ هو خَيْرٌ منك. قال: نعم مَنْ كانَ مَنْطِقُه ذِكْراً، وصمْتُه تفكُّراً، ومسيرُه تدبُّراً، فهو خَيْرٌ مني.

توفي الربيعُ بن خُثَيْم رحمه الله قبل سنة خمس وستين.

● **السبتي:**

هو ولد هارون الرشيد، يقال: اسمه أحمد، وكان من زبيدة، وقد خرج يوماً يتصيد فوعظه صالح المري فتزهد وتعلم القرآن والعلم، ولما ولي أبوه الخلافة تركه ولم ينل من دنياه شيئاً، وقد كان برّاً بأمه.

وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٧) في قصة مطولة، وابن قدامة في كتاب التوابين (ص١٧٠ ـ ١٧٣).

● **الشِّبْليُّ:**

أبو بكر، الشِّبْليُّ البَغْدَاديُّ. قيل: اسمُه دُلَف بنُ جَحْدر.

أصلُه من الشِّبْلِيَّة، ومولده بسامَرّاء. وكان أبوه من كبار حُجَّابِ الخِلافة، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عُزل أبو أحمد من الولاية حضَرَ الشبلي مجلسَ بعض الصَّالحين، فتاب، ثُمَّ صَحِبَ الجُنَيد وغيرَه، وصار مِنْ شأنه ما صار. وكان فقيهاً عَارِفاً بمذهب مالك، وكتبَ الحديثَ عن طائفة، وقال الشعرَ، وله ألفاظٌ وحِكَمٌ وحال وتمكُّن، لكنَّه كان يحصُلُ له جفافُ دِمَاغٍ وسُكْرٍ.

ـ قيل: إنَّه مرَّة قال: آه، فقيل له: من أيِّ شيءٍ؟ قال: من كلِّ شيء.

ـ وعنه قال: ما قُلْتُ الله، إلاّ واستغفرتُ الله من قولي الله.

ـ وسُئِلَ: ما علامةُ العارفِ؟ قال: صدرُه مَشروحٌ، وقلبُه مجروحٌ، وجسمُه مَطْرُوحٌ.

توفي ببغداد سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاثمئة، عن نيف وثمانين سنة.

● **الشريفُ الرضي:**

الشريفُ أبو الحسن، محمدُ بنُ الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى، الحُسينيُّ المُوسويُّ البغداديُّ الشاعر. صاحبُ (الديوان).

قال صاحبُ (السيَر): وديوانُه يكونُ أربعَ مجلَّدات. وله كتاب (معاني القرآن) مُمتِعٌ يدلُّ على سَعَةِ علمه. مات في المحرم، وقيل: في صفر سنةَ ست وأربعمئة وله سبع وأربعون سنة وكان شيعيّاً.

في ترجمة أخيه (الشريف المُرتضى) قال صاحب (السير): هو جامعُ كتابِ (نهج البلاغة) المنسوبة ألفاظُه إلى الإمامِ عليِّ رضي الله عنه، ولا أسانيدَ لذلك، وبعضُها باطلٌ، وفيه حقٌّ، ولكن فيه موضوعاتٌ حاشا الإمامَ من النطقِ بها، ولكن أين المُنصِف؟! وقيل: جَمْعُ أخيهِ الشريف الرضي.

● **الطُّفَيْلُ بنْ عَمْرو الدّوسيّ رضي الله عنه:**

صاحبُ النبيِّ ﷺ، كان سيداً مُطاعاً من أشراف العرب، ودَوْس بطنٌ من الأزد، وكان الطفيل يلقّب ذا النُّور، أسلم قبل الهجرة بمكة، وذكر ابن إسحاق عن عثمان بن الحويرث، عن صالح بن كيسان: أنَّ الطُّفَيل بن عمرو قال: كنتُ رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمتُ مكة، فمشيتُ إلى رجالاتِ قريش، فقالوا:

إنَّكَ امرؤٌ شاعرٌ سيّد، وإنَّا قد خشينا أن يلقاكَ هذا الرجل، فيصيبك ببعضِ حديثِه، فإنَّما حديثُه كالسحر، فاحذره أن يُدخِلَ عليك وعلى قومك ما أدخلَ علينا، فإنَّه فرّق بين المرءِ وأخيه، وبينَ المرءِ وزوجته، وبين المرء وابنه.. فواللهِ ما زالوا يُحدّثوني شأنه، وينهوني أن أسمعَ منه حتى قلتُ: واللهِ لا أدخلُ المسجدَ إلا وأنا سادٌّ أذنيّ، قال: فعمدت إلى أذنيّ، فحشوتُهما كُرْسُفاً، ثم غدوتُ إلى المسجد، فإذا برسولِ الله ﷺ قائماً في المسجد، فقمتُ قريباً منه، وأبى الله إلاَّ أن يُسمعني بعضَ قوله، فقلتُ في نفسي: واللهِ إنَّ هذا للمعجزُ، وإنّي امرؤٌ ثَبْتٌ، ما تَخفَى عليَّ الأمورُ حَسَنُها وقبيحُها، واللهِ لأسمَعَنَّ منه، فإن كان امراً رشداً أخذتُ منه، وإلا اجتنبته، فنزعت الكُرْسُفة، فلم أسمع قطّ كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلتُ: يا سبحانَ الله ما سمعتُ كاليومِ لفظاً أحسن ولا أجملَ منه، فلمَّا انصرفَ تبعته، فدخلتُ معه بيته، فقلتُ: يا محمد إنَّ قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى اللهُ إلاَّ أن أسْمَعَني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنَّه حقّ، فاعرِض عليَّ دينك، فَعَرَضَ عليَّ الإسلامَ فأسلمتُ، ثم قلتُ: إنِّي أرجعُ إلى دَوْس، وأنا فيهم مُطاع، وأدعوهم إلى الإسلامِ لعلَّ اللهَ أنْ يهديهم، فادعُ اللهَ أن يجعلَ لي آية، قال ﷺ: **«اللهمَّ اجعل له آيةً تعينُه»**.

فخرجتُ حتى أشرفتُ على ثنيَّةِ قومي، وأبي هناك شيخٌ كبير، وامرأتي وولدي، فلمَّا علوت الثنية، وضعَ اللهُ بين عينيَّ نوراً كالشهاب يتراءاه الحاضِرُ في ظلمةِ الليل، وأنا منهبِطٌ من الثّنية، فقلتُ: اللهمَّ في غيرِ وجهي، فإنّي أخشى أن يظنوا أنّها مُثْلةٌ لفراق دينهم، فتحوّل فوقعَ في رأس سوطِي، فلقد رأيتُني أسيرُ على بعيري إليهم، وإنّه على رأس سوطي كأنّه قنديلٌ معلّق، قال: فأتاني أبي فقلتُ: إليك عنّي، فلستُ منك ولستَ منّي، قال: وما ذاك؟ قلتُ: إنّي أسلمتُ واتَّبعتُ دين محمد، فقال: أيْ بني ديني ودينُك، وكذلك أمي، فأسلما، ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلامِ، فأبَتْ عليَّ، وتعاصَتْ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: غلبَ على دَوْسٍ الزنى والربا فادعُ عليهم، فقال ﷺ: **«اللهمَّ اهدِ دَوْساً»**.

ثم رجعتُ إليهم، وهاجرَ رسولُ الله ﷺ، فأقمتُ بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام، حتى استجابَ منهم من استجاب، وسبقني بدرٌ وأُحُد والخندق، ثم قدمتُ بثمانين أو تسعينَ أهل بيتٍ مِنْ دَوْس، فكنتُ مع النبيِّ ﷺ، حتى فتح مكة

فقلتُ: يا رسولَ الله ابعثني إلى ذي الكَفَّيْن، صنم عمرو بن حُمَمَة، حتى أحرقه. قال: «أجل، فاخرجْ إليه» فأتيتُ، فجعلتُ أُوقدُ عليه النَّار، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فأقمتُ معه حتى قُبِض.

ثم خرجتُ إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمرو، حتى إذا كنتُ ببعض الطريق رأيتُ رؤيا، رأيتُ كأنَّ رأسي حُلق، وخرَجَ من فمي طائر، وكأنّ امرأة أدخلتني في فرجها، وكأن ابني يطلبني طلباً حثيثاً، فحِيْلَ بيني وبينه، فحدّثتُ بها قومي، فقالوا: خيراً، فقلتُ: أمَّا أنا فقد أوَّلْتُها: أمَّا حلقُ رأسي فَقَطْعُه، وأمَّا الطائرُ فروحي، والمرأةُ الأرض أدفنُ فيها، فقد رُوِّعْتُ أن أُقتل شهيداً، وأما طلب ابني إياي، فما أراه إلا سيُغْذَرُ في طلب الشهادة، ولا أراه يلحقُ في سفره هذا. قال: فقُتِلَ الطّفيلُ يومَ اليمامة، ثم جُرِحَ ابنُه، ثم قُتِلَ يوم اليرموك.

● **العاصمي:**

الشيخُ، العالمُ، الصادق، الأديب، مُسنِدُ بغداد في وقته، أبو الحسين، عاصمُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بن عليّ بن عاصم بن مهران العاصميُّ، البَغدادي، الكَرخي، الشاعر.

ولد سنةَ سبعٍ وتسعين وثلاثمئةٍ. كانَ شيخاً مُتقِناً، أديباً، فاضلاً، كان حُفّاظُ بغدادَ يكتبون عنه، ويشهدون بصحّة سماعه.

عن أبي عليّ بنُ سُكّرة: كان عاصمٌ ثقةً فاضلاً، ذا شِعر كثير، وكان يكرمني، وكان لي منه مِيعادٌ يومَ الخميس، لو أتاه فيه الخليفةُ لم يُمكِّنه.

مات في جُمادى الآخرة، سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمئة ببغدادَ، وله سِتٌّ وثمانون سنة.

● **العَوْفي:**

العلاَّمة أبو عبد الله الحسينُ بن الحسن بن المُحدِّثِ عَطية العَوفي الكوفي الفقيه، قاضي الشَّرْقية بِبغدادَ، ثم قاضي عَسكر المهدي.

قال ابنُ مَعين: كان ضعيفاً في القضاء، ضعيفاً في الحديث.

قال الحافظ الذهبيّ: له حكاياتٌ في القضاء، وفيه دُعابةٌ، وكان مُسِنّاً كبيراً.

توفي سنة إحدى ومئتين.

● **الفُضيل بن عياض بن مسعود بنِ بِشْر:**

الإمامُ القدوة الثَّبْتُ، شيخ الإسلامِ، أبو علي التميمي اليَرْبوعي الخراساني، المجاورُ بحرم الله، وُلِدَ بِسَمَرْقَند، ونشأ بأبِيوَرْد، وارتحل في طلب العلم.

كان الفُضيل بن عياض شاطراً يقطعُ الطريق بين أبيوَرْد وسَرْخس، وكان سببُ توبته أنَّه عشقَ جاريةً، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، فلمّا سَمِعَها، قال: بلى يا ربّ، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلةٌ، فقال بعضُهم: نرحل، وقال بعضهم: أولى بنا أن ننتظر حتى الصباح، فإنَّ فُضَيلاً على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرتُ، وقلتُ: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين هاهنا، يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورةَ البيت الحرام.

قال إبراهيمُ بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان اللهُ في صدره أعظمَ من الفضيل، كان إذا ذكرَ الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهرَ به الخوف والحزن، وفاضتْ عيناه، وبكى حتى يرحمه مَنْ يحضرُه، وكانَ دائم الحزنِ، شديدَ الفكرةِ، ما رأيتُ رجلاً يريدُ اللهَ بعلمه وعمله، وأَخْذِه وعطائِه، ومنْعِه وبذله، وبُغضِه وحبّه، وخصالِه كلِّها، غيرَه. كنّا إذا خرجنا معه في جنازةٍ لا يزالُ يَعِظُ، ويذكّرُ ويبكي كأنه مودّعٌ أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلغَ المقابر؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقومَ وكأنّه رجع من الآخرةِ يخبرُ عنها.

● **أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ):**

هو أحمد بن الحسين الجُعْفِي الكوفي الكندي، الشاعر العملاق، له الأمثال السائرة، والحكم البارزة، والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة)، وإليها نسبته، ونشأ بالشام، تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، قال الشعر صبياً، تنبأ في بادية السماوة [بين الكوفة والشام] فسجن حتى تاب ورجع عن دعواه، ووفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب، ثم فارقه ومضى إلى مصر فمدح كافوراً الإخشيدي، وطلب منه أن يولّيه، فلم يولّه كافور، فغضب عليه وهجاه، تنقل في بلادٍ كثيرة، وفي طريق عودته إلى بغداد من شيراز، عرض له فاتكٌ الأسدي في جماعته، وجرى اقتتال

قتل فيه المتنبي، وفاتـك هذا هو خـال ضبة بن يزيد الأسدي، الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة.

● **مهيار:**

مِهْيَار بنُ مَرْزَوَيْه، الأديبُ الباهرُ، ذو البلاغتين، أبو الحسن الدَّيْلَميُّ، الفارسي.

قال فيه ابنُ بَرْهان: انتقلتَ بإسلامِكَ في النارِ من زاويةٍ إلى زاويةٍ، كُنتَ مجوسياً، فصِرْتَ تَسُبُّ الصحابةَ في شعرك. له ديوان، ونظمُهُ جزلٌ حُلو، يكوّن ديوانُه مئةَ كُرّاس.

توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمئة.

● **بشر الحافي:**

بشر بن الحارث بنِ عبد الرحمن بن عطاء، الإمامُ العالمُ المحدّثُ الزاهدُ الربّاني القدوة، شيخُ الإسلام، أبو نصر المَروزيُّ، ثم البغداديُّ، المشهورُ بالحافي.

ولد سنةَ اثنتين وخمسين ومئة، وارتحلَ في العلم، كانَ يَذُمُّ نفسَه، فقد كان رأساً في الورعِ والإخلاصِ، ثم إنَّه دفنَ كتبه. وقلَّ ما روى من المُسندات. رُوي عن بشر أنَّه قيلَ له: ألا تُحدِّثُ؟ قال: أنا أشتهي أن أُحدِّث، وإذا اشتهيتُ شيئاً، تركتُهُ. وأنَّه سُمِعَ يقول: حدّثنا حمادُ بن زيد.. ثم قال: أستغفر الله، إنّ لذكرِ الإسنادِ في القلبِ خُيلاء. ومن **أقواله**:

ـ شاطرٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من صوفيٍّ بخيل.

ـ أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد. إذا أعجبكَ الكلامُ، فاصْمُتْ، وإذا أعجبكَ الصمتُ، فتكلّم.

ـ قد يكون الرجلُ مُرائياً بعد موتِه، يُحبُّ أن يكثر الخلق في جنازته.

ـ لا تجدُ حلاوةَ العبادةِ حتى تجعلَ بينَكَ وبينَ الشهواتِ سدّاً.

ـ وعن حمزة بن دهقان، قال: قلتُ لبشر بن الحارث: أحبُّ أنْ أخلوَ معك. قال: إذا شئتَ فيكون يوماً. فرأيتُه قد دخلَ قُبّةً، فصلّى فيها أربعَ ركعَات لا أُحسِنُ أُصلّي مثلَها، فسمعتُه يقولُ في سجوده: اللهمَّ إنّك تعلم فوقَ عرشِكَ أنَّ الذُلَّ أحبُّ إليَّ من الشّرَف، اللهمَّ إنَّك تعلمُ فوقَ عرشِكَ أنَّ الفقرَ أحبُّ إليَّ من

الغنى، اللهمَّ إنَّك تعلمُ فوق عرشِكَ أنّي لا أوثِرُ على حبّكَ شيئاً. فلمَّا سمعتُه، أخذني الشهيقُ والبكاءُ، فقال: اللهمَّ إنَّك أنت تعلم أني لو أعلمُ أنَّ هذا هاهنا، لم أتكلّم.

ـ قيل: جاء رجلٌ إلى بشر فقبَّله وجعل يقول: يا سيدي أبا نصر. فلمّا ذهب، قال بشرٌ لأصحابه: رجلٌ أحبَّ رجلاً على خيرٍ توهّمه، لعلَّ المُحِبَّ قد نجا، والمحبوب لا يدري ما حاله.

مات بشرٌ الحافي رحمة الله عليه يومَ الجمعة في شهر ربيع الأول سنةَ سبعٍ وعشرين ومئتين، قبلَ المعتصم الخليفة بستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

● **بلال بن رباح رضي الله عنه:**

مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأُمّه حَمَامة، وهو مؤذّن رسولِ الله ﷺ. من السابقين الأوّلين الذين عُذّبوا في الله، شهد بدراً، وشهد له النبيّ ﷺ على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب. يقال: إنّه حبشيّ، وقيل: من مولَّدي الحجاز.

أولُ من أظهرَ إسلامَه سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأُمّه سُميّة، وبلال، وصهيب، والمقداد رضوان الله عليهم جميعاً. فأمّا النبيُ ﷺ وأبو بكر فمنعَهما الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراعَ الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحدٌ إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال رضي الله عنه، فإنَّه هانَتْ عليه نفسُه في الله، وهانَ على قومه، فأعطوه الوِلدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاةِ الصبح: «**حدّثني بأرجى عملٍ عملتَه في الإسلام، فإنّي قد سمعتُ الليلةَ خشفةَ نعليكَ بين يديَّ في الجنّة**» قال: ما عملتُ عملاً أرجى من أني لم أتطهر طهوراً تاماً في ساعةٍ من ليلٍ ولا نهارٍ إلاّ صلَّيتُ لربّي ما كُتِبَ لي أنْ أُصلّي.

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهباً، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقيةً لبعناكه، قالَ: لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذتُه.

وعن سعيد بن المسيّب: أنّ أبا بكر لما قَعَدَ على المنبرِ يومَ الجمعة، قال له

بلال: أعتقتني لله أو لنفسك؟ قال: لله، قال: فائذن لي في الغزو. فأذن له. فذهبَ إلى الشام. ثم إنَّ بلالاً رأى النبيَّ ﷺ في منامه وهو يقولُ: ما هذه الجفوةُ يا بلالُ؟ أما آن لك أن تزورني. فانتبه حزيناً، وركبَ راحلته، وقصد المدينةَ، فأتى قبرَ النبيِّ ﷺ، فجعل يبكي عنده، ويُمرِّغ وجهه عليه، فأقبل الحسنُ والحسينُ، فجعلَ يَضمُّهما ويُقبِّلهما، فقالا له: يا بلالُ نشتهي أن نسمع أذانَك. ففعل، وعلا السطحَ، ووقف، فلمّا أن قال: **الله أكبرُ، اللهُ أكبرُ**، ارتجّت المدينةُ، فلمّا أن قال: **أشهدُ أن لا إله إلا الله**، ازدادت رجَّتُها، فلمَّا قال: **أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله**، خرجتِ العواتِقُ مِنْ خُدورهنَّ، وقالوا: بُعِثَ رسول الله، فما رُئي يومٌ أكثرَ باكياً ولا باكيةً بالمدينة بعدَ رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

لما احتُضِرَ بلال قال: «غداً نلقى الأحبّة محمّداً وحِزبه»، وقالت امرأتُه: «وا ويلاه» فقال: «وا فرحاه». توفي سنةَ عشرين بدمشق. وقيل: سنة إحدى وعشرين. قال الواقدي: دُفِنَ بباب الصغير وهو ابنُ بضع وستين سنة. وقيل: مات بحلب، ودُفِنَ بباب الأربعين.

● جعفر الصادق:

جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبيِّ ﷺ وسبطه ومحبوبه الحُسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن شيبة، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلويّ، النبويّ، المدنيّ، أحد الأعلام. وأمُّه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وأمّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة. قال زهير بن معاوية: قال أبي لجعفر بن محمد: إنَّ لي جاراً يزعمُ أنك تبرأُ من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: بريءَ الله من جارك. والله إنّي لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر.

وقال: ما أرجو من شفاعة عليّ شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله.

وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألُني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة.

أتى قوماً أرادوا أن يرتحلُوا من المدينة، فقال: «إنكم إن شاءَ الله من صالحي

أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أنّي إمامٌ معصومٌ مفتَرض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأُ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء».

قال صاحب (السير): إن قول جعفر: «بريءٌ اللهُ ممن تبرأ من أبي بكر وعمر» هو «متواتر عن جعفر الصادق، وأشهدُ بالله إنَّه لبارٌّ في قوله غير منافق لأحدٍ، فقبَّح الله الرافضة».

ـ ومما نقل عنه من **الحكم**: أنه سئل: لِمَ حرَّمَ الله الربا؟.

قال: لئلاّ يتمانع الناسُ المعروفَ.

ـ الفقهاءُ أمناء الرسل، فإذا رأيتُم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتّهموهم.

ـ الصلاةُ قُربانُ كُلِّ تقيّ، والحجّ جهادُ كلِّ ضعيف، وزكاةُ البدنِ الصيامُ، والدَّاعي بلا عَمَل كالرَّامي بلا وَتَر، واستنزِلُوا الرزقَ بالصدقة، وحصِّنُوا أموالكم بالزكاة، وما عالَ منِ اقتصد، والتقديرُ نصفُ العيشِ، وقلّةُ العِيالِ أحدُ اليسارين، ومن أحْزَن والديه فقد عقَّهما، ومن ضرب بيدِه على فخذه عند مُصيبةٍ فقد حَبِطَ أجرُه، والصَّنيعةُ لا تكون صنيعةً إلا في حسبٍ أو دينٍ، والله ينزل الصبرَ على قدرِ المصيبة، وينزل الرزقَ على قدر المؤونةِ، ومن قدَّرَ معيشتَه، رزقه الله، ومن بذر معيشته، حرمه الله.

ـ ومن حِكَمِه: لا زادَ أفضلُ من التقوى، ولا شيءَ أحسنُ من الصمت، ولا عَدوَّ أضرُّ من الجهل، ولا داءَ أدوأُ من الكَذِب.

ـ لا يَتِمُّ المعروفُ إلاّ بثلاثة: بِتعجيله، وتصْغيره، وسَتْرِه.

ـ إياكم والخصومةَ في الدين، فإنها تشغل القلب، وتُورِثُ النِّفاق.

ـ سأله سفيان الثوري: لِمَ جُعِلَ الموقف من وراءِ الحرم؟ ولم يُصيَّرْ في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبةُ بيتُ الله، والحرمُ حِجابه، والموقفُ بابه. فلمّا قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرّعون، فلما أُذِنَ لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرّعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلمّا رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلمّا قرّبوا قربانهم، وقضوا

تفثَهم، وتطهَّروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

قال: فلمَ كُرِهَ الصومُ أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافةِ الله، ولا يُحَبُّ الضيفُ أن يصومَ عند من أضافه.

قلت: جعلتُ فداك فما بالُ الناسِ يتعلّقون بأستار الكعبة وهي خِرَقٌ لا تنفع شيئاً؟ قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جُرْم، فهو يتعلّق به، ويطوفُ حوله رجاءَ أن يهبَ له ذلك الجُرْمَ.

ـ رآه رجل **يوصي ابنه**: يا بني من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدَّ عَيْنَيْه إلى ما في يدِ غيْرِه ماتَ فقيراً، ومن لم يرضَ بما قُسمَ له اتّهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره استعظمَ زلة نفسه، ومن كشف حِجَاب غيرِه انكشفت عورته، ومن سلَّ سيف البغي قُتِلَ به، ومن احْتَفَرَ بئراً لأخيه أوْقَعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حُقر، ومن خالط العلماء وُقّر، ومن دخل مداخلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

يا بُني إيَّاكَ أن تُزريَ بالرجال فيُزرى بك، وإياكَ والدخولَ فيما لا يَعنيك فتذِلَّ لذلك.

يا بني قل الحقّ لك وعليك تُستشر من بين أقربائك، كن للقرآن تالياً، وللإسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولِمَن قَطَعَكَ واصلاً، ولِمَنْ سكتَ عنك مبتدئاً، ولمن سألكَ مُعطياً.

وإيَّاكَ والنَّميمةَ فإنها تزرعُ الشَّحناءَ في القلوب، وإياكَ والتعرُّضَ لعيوبِ الناس، فمنزلَةُ المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف.

إذا طلبتَ الجودَ، فعليك بمعادنه، فإنَّ للجودِ معادِنَ، وللمعادن أصولاً، وللأصولِ فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيبُ الثمرُ إلا بِفَرْع، ولا فَرْعٌ إلا بأصلٍ، ولا أصلٌ إلا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ. زُرِ الأخيارَ ولا تَزُرِ الفُجَّار، فإنَّهم صخرةٌ لا يتفجَّرُ ماؤها، وشجرةٌ لا يخضرُّ ورقُها، وأرضٌ لا يظهر عُشبُها.

توفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومئة، عن ثمانٍ وستين سنة رحمه الله.

● **جعفر الطيّار رضي الله عنه:**

جَعْفَرُ بنُ أبي طالب، السيدُ الشهيدُ، الكبيرُ الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عمِّ النبيِّ ﷺ، وهو أسنُّ من عليّ بعشر سنين، هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خَيْبَر إثْرَ أخذها، فأقامَ بالمدينة أشهراً، ثم أمَّرَه رسولُ الله ﷺ على جيشِ غزوةِ مؤتة بناحية الكَرَك، فاستشهد. وقد سُرَّ رسولُ الله ﷺ كثيراً بقدومه، وحَزِنَ والله لوفاته.

قال ابن إسحاق: وهو أول من عَقَرَ في الإسلام وقال:

يا حبَّذا الجنَّةُ واقترابُها ... طيّبةٌ وباردٌ شرابُها
والرُّومُ رومٌ قد دنا عَذَابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

عن ابن عباس: بينما رسولُ الله ﷺ جالسٌ وأسماءُ بنت عُميس قريبةٌ إذ قال: «**يا أسماءُ هذا جعفرٌ مع جبريلَ وميكائيلَ مرَّ، فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلَّم، فرُدّي عليه السلامَ، وقال: إنه لقي المشركين، فأصابَه في مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذَ اللواءَ بيده اليُمنى فقُطِعَتْ، ثم أخذَهُ باليسرى فقُطعت. قال: فعوّضني الله من يديَّ جناحين أطيرُ بهما مع جبريلَ وميكائيلَ في الجنة آكلُ من ثمارها**».

عن ابن المسيب، قال رسول الله ﷺ: «**مُثِّلَ لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من درٍّ، كلُّ واحدٍ منهم على سريرٍ، فرأيتُ زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيتُ جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود**»، وقال: «**فسألتُ - أو قيل لي: - إنّهما حين غشيهما الموت أعرضا، أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل**».

قال الزبير بن بكار: كانت سن جعفر بن أبي طالب يوم قتل إحدى وأربعين سنة.

● **حبيبٌ العجمي:**

زاهد أهل البصرة وعابدهم، أبو محمد.

كان مجابَ الدعوة، تؤثَرُ عنه كرامات وأحوال، وكان له دُنيا، فوقعت

موعظةُ الحسن في قلبه، فتصدَّقَ بأربعين ألفاً، وقَنِعَ باليسير. وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقينُ. كان حبيبٌ يُرى بالبصرة يومَ التروية ويُرى بعرفة من الغد. ورد ذكره في (تاريخ الإسلام) للذهبي.

● **حجَّاج بن فُرافِصَة:**

الباهلي، البَصْرِي العابدُ. نقل عنه في بعض الكُتب: مَنْ عمل بغير مشورة فذلك باطل يتعنَّى، ومن لم ينتصر من ظالِمه بيدٍ ولا بلسانٍ ولا حقدٍ فذلك علمه باليقين، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

كان يجلسُ عند أصحابِ الأكفانِ في السُّوق، فإذا جاءَ إنسانٌ يشتري كفناً يسأله: أين منزله؟ وأين حيّه؟ فيأتي الجبّان. ورؤي واقفاً بالسُّوق عند أصحاب الفاكهة، فسئل: ما تصنع هاهنا؟ قال: أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

● **خبَيْب بنُ يَسَافٍ:**

ابن عتبة بن عَمْرُو بن خَدِيجِ بن عَامرٍ الأنصاريُّ الخزرَجيُّ.

عن خُبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف، عن أبيه، عن جدِّه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُريد غزواً، أنا ورجل من قومي لم نسلم، فقلنا: إنا نستحيي أن يشهد قومُنا مشهداً لا نشهده، قال: «**أسلمتُما؟**» قلنا: لا، قال: «**فلا نستَعِينُ بالمُشركينَ على المُشركين**» قال: فأسلمنا، وشهدنا معه. فقتلتُ رجلاً، وضربني ضربة، وتزوجتُ ابنتَه بعد ذلك، فكانت تقول لي: لا عَدِمتُ رجلاً وشَّحَك هذا الوِشاح، فأقول لها: لا عدمتِ رجلاً عجَّلَ أباكِ إلى النار.

قال الواقدي: هو خُبيب بن يساف، تأخّر إسلامُه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، فلحِقَه، فأسلم، وشهد بدراً، وأُحُداً، قال: وتوفي في خلافة عثمان، وقد انقرض ولده.

● **خبَيْب بنُ عَدِي رضي الله عنه:**

ابنِ عامر بن مَجْدَعَةَ الأنصاريُّ الشهيدُ. ذكرهُ ابنُ سعد فقال: شهد أُحُداً، وكان فيمن بعثه النبيُّ ﷺ مع بني لِحْيان، فلما صاروا بالرَّجيع غدروا بهم، واستصرخُوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروا خُبيباً، وزيدَ بنَ الدَّثِنَّة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبيُّ ﷺ من قومهم، وصلبوهما بالتنعيم.

قال مَوْهَب: قال لي خُبيب، وكانوا جعلوه عندي: أطلبُ إليك ثلاثاً: أنْ تسقيَني العذبَ، وأن تجنبني ما ذُبحَ على النُّصُب، وأن تؤذِنني إذا أرادوا قتلي.
قال ابن إسحاق: فلما خرجوا به ليقتلوه، وقد نصبُوا خشبته ليصلبوه، فانتهى إلى التنعيم، فقال: إن رأيتُم أن تَدَعوني أركع ركعتين. فقالوا: دونَكَ. فصلَّى. ثم قال: واللهِ لولا أن تظنوا أنما طوَّلْتُ جزَعاً من القتلِ لاستكثرتُ من الصلاة، فكان أولَ من سنَّ الصلاة عند القتل. ثم رفعوه على خشبتِه، فقال: اللهمَّ أحصِهم عدداً، واقتُلهم بدَداً، ولا تُغادِرْ منهم أحداً، اللهمَّ إنَّا قد بلَّغنا رسالةَ رسولك، فبلّغه الغداةَ ما أتى إلينا.

● **داوُدُ بنُ أبي هنْد:**

واسم أبي هند: دينار بن عُذافر، الإمام الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، من موالي قُشير فيما قيل. وكان مُفْتي أهل البصرة.

صام داود بن أبي هند أربعين سنةً لا يعلم به أهله. كان خزازاً يحمل معه غداءَه فيتصدّق به في الطريق. وسمع يروي: يقول: أصابني الطاعون فأغمي عليّ، فكأنَّ آتيين أتياني فغمز أحدُهما علوة لساني، وغمز الآخر أخمص قدمي، فقال: أي شيء تجد؟ قال: أجدُ تسبيحاً وتكبيراً، وشيئاً من خطو إلى المسجد، وشيئاً من قراءة القرآن. قال: ولم أكن أخذت القرآن حينئذ. قال: فكنت أذهب في الحاجة فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي، قال: فعوفيت، فأقبلت على القرآن فتعلمته.

مات داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين ومئة. وقيل: أربعين ومئة.

● **ذو البِجَادَيْن** = عبد الله المزني رضي الله عنه.

● **رابعة العَدَوية:**

أم عمرو، رابعة بنتُ إسماعيل، ولاؤها للعتكيِّين. البصريةُ، الزاهدةُ، العابدةُ، الخاشعةُ.

عن عَبْدة بنت أبي شَوَّال، وكانت تَخدُمُ رابعةَ العَدوية، قالت: كانت رابعةُ تُصلي الليلَ كلَّه، فإذا طلَعَ الفجرُ، هَجَعت هجعةً حتى يُسْفِرَ الفجرُ، فكنتُ أسمعُها تقول: يا نَفْسُ كم تنامينَ، وإلى كم تَقومين، يُوشِكُ أن تنامي نَومةً لا تقومينَ منها إلا ليوم النُّشور.

وعن حمَّاد، قال: دخلتُ أنا وسلاَّم بن أبي مُطيع على رابعة، فأخذَ سلاَّم في ذكر الدنيا، فقالت: إنّما يُذكَرُ شيءٌ هو شيءٌ، أما شيءٌ ليس بشيءٍ فلا.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعةُ، فقد حَمَلَ الناسُ عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سُفيانُ وشُعبة وغيرُهما ما يَدُلُّ على بُطلان ما قيل عنها، أي بالنسبةِ لما فيها، وقد تمثّلت بهذا:

وَلَقَـدْ جَعَلْتُـكَ فـي الفُـؤَادِ مُحَـدِّثـي وأَبَحْـتُ جِسْمِـي مَـنْ أَرَادَ جُلـوسـي

فنسبها بعضُهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قال صاحب (السير): فهذا غُلُوٌّ وجهلٌ، ولعلَّ نَسَبَها إلى ذلك مُباحيٌّ حلولي ليحتجَّ بها على كُفره كاحتجاجهم بخبر: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِـهِ**».

قيل: عاشت ثمانين سَنَة. توفيت سنة ثمانين ومئة.

● رباح القيسي:

هو رباح بن عمرو القيسي، العابد أبو المهاجر، بصري زاهد، متألِّه، كبير القدر، سمع مالك بن دينار، وحسان بن أبي سنان، وطائفة، وهو قليل الحديث، كثير الخشية والمراقبة، نقل عنه أنه قال: لي نيف وأربعون ذنباً، وقد استغفرتُ لكلِّ ذنبٍ مئة ألف مرة.

وقال أبو معمر المقْعَدُ: نظرت رابعةُ إلى رباح يضم صبيّاً من أهلِه ويقبّله، فقالت: أتحبّه؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسِبُ أنَّ في قلبِكَ موضعاً فارغاً لمحبة غيره، تبارك اسمه! فغشي عليه، ثم أفاق، وقال: رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

● زجلة العابدة:

دخل عليها نفرٌ من القرّاء، فكلّموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفقِ به؟ فإنما هي أيّام مبادرةٍ، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله ِيا إخوتاه لأُصليَنَّ ما أقلتني جوارحي، ولأصومَنّ له أيامَ حياتي، ولأبكيَنّ له ما حملت الماءَ عيناي. ثم قالت: أيكم يأمرُ عبده بأمرٍ فيحب أن يقصّر فيه؟!.

هذا، وقال كليب بن عيسى: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين (أي: المجاهدين على الثغور في سبيل الله تعالى).

وقد سمع كليب سعيدَ بن عبد العزيز يقول: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة، وتعظيمها لله تعالى وخشيتها منه دفعتها إلى أن تقول: علمي بنفسي قرّح فؤادي، وكَلَمَ قلبي، واللهِ لوددتُ أنَّ اللهَ لم يخلقني، ولم أكُ شيئاً مذكوراً.

● **سحبان وائل:**

الذي يُضرَب به المثل في البلاغة، ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال: بلغني أنه وَفَدَ على معاوية، قال الذهبي: إن ثبت هذا فهو من أهل هذا القسم، فإن المعروف أنه جاهلي. وقال أبو نعيم في كتاب (طبقات الخطباء): كان سحبان خطيبَ العرب غيرَ مدافع، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ولم يتلعثم، ولم يتوقف، ولم يتفكّر، بل كان يسيل سيلاً.

● **سري السقطي:**

السري بن المغلِس، أبو الحسن السقطي البغدادي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، ولد في حدود الستين ومئة، حدَّثَ عن الفُضَيل وهُشَيم بن بشير وأبي بكر بن عيّاش، وغيرهم بأحاديث قليلة، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفاً الكرخي، وهو أجلّ أصحابه، وروى عنه الجُنيد بن محمد، وغيره.

وروى ابن شاكر عنه قال: صلّيتُ وردي ليلة، ومددتُ رجلي في المحراب، فنوديت: يا سَرِيُّ! كذا تجالس الملوك! فضممتها، وقلتُ: وعزّتِكَ لا مدَدْتُها.

وقال أبو بكر الحربي: سمعت السري يقول: حمدتُ الله مرةً، فأنا أستغفر من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة!.

قيل: وكيف ذلك؟.

قال: كان لي دكان فيه متاع، فاحترق السوق، فلقيني رجل، فقال: أبشر، دكانك سَلِمَتْ، فقلتُ: الحمدُ لله، ثم فكّرت، فرأيتها خطيئة.

ويقال: إنَّ السري رأى جارية سقط من يدها إناء، فانكسر، فأخذ من دكانه إناءً، فأعطاها، فرآه معروف الكرخي، فدعا له، قال: بغّض اللهُ إليك الدنيا، فهذا الذي أنا فيه من بركات معروف.

وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول: أشتهي منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في دبس وآكلها، فما يصحُّ لي. وسمعته يقول: أحبُّ أن آكل أكلة ليس للهِ عليَّ فيه

تَبِعة، ولا لمخلوق فيها منّة، فما أجدُ إلى ذلك سبيلاً.

ودخلتُ عليه وهو يجودُ بنفسه، فقلت: أوصني، قال: لا تصحبِ الأشرار، ولا تشتغلَنّ عن الله بمجالس الأخيار.

وقال الفرخاني: سمعتُ الجُنيد يقول: ما رأيتُ أعبدَ لله من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في عِلّةِ الموت.

ويقول السري: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مخافةَ أن يكون وجهي قد اسودّ، وما أحبّ أن أموتَ حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض، فأُفْتَضَح.

وكان السري كما ذكر السلمي: أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، تكلّم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين.

● سعيد بن المسيب:

بن حَزْن بن أبي وهْب بن عمْرو بن عائذ بن عِمْران بن مخْزُوم بن يَقَظَة. الإمامُ العَلَمُ، أبو محمد القرشيّ المخزوميّ.

عالمُ أهلِ المدينة، وسيّدُ التابعين في زمانه. وُلِدَ لسنتين مَضتا مِنْ خلافةِ عُمَر رضي الله عنه، وقيل: لأربع. رأى عُمَر، وسمِعَ عثمان، وعلياً وغيرهم من الصحابة.

كان يُفْتي والصحابةُ أحياء. ويقال له: فقيه الفقهاء.

ما فاتَتْه الصلاةُ في جماعة أربعين سنة. وكان يقول: ما أذَّنَ المؤذّنُ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

حجَّ أربعين حِجّة. وكان يسيرُ الأيامَ والليالي في طلبِ الحديث الواحد.

قدِمَ عبد الملك بن مروان المدينةَ فامتنعتْ منه القائلةُ، واستيقظَ، فقال لحاجبه: انظُرْ، هل في المسجدِ أحدٌ من حُدَّاثنا؟ فخرج فإذا سعيدُ بن المسيِّب في حَلَقته، فقامَ حَيثُ ينظرُ إليه، ثم غَمَزَهُ وأشارَ بأصبعِه، ثم ولّى، فلم يتحرَّكْ سعيد، فقال: لا أُراه فطِن، فجاء وَدَنا مِنه، ثمَّ غمزه وقال: ألمْ تَرَني أشيرُ إليك؟ قال: وما حاجتُكَ؟ قال: أجِبْ أميرَ المؤمنين، فقال: إليَّ أرسلكَ؟ قال: لا، ولكنْ قال: انظرْ بعضَ حُدَّاثنا، فلم أرَ أحداً أهيأ منك. قال: اذهبْ فأعلِمْه أني

لستُ من حُدّاثِه. فخرجَ الحاجبُ وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، وذهبَ فأخبرَ عبدَ الملك، فقال: ذاك سعيدُ بن المسيِّب فدعْه.

وكان سعيدُ بن المسيب يقول: لقد رأيتُني لياليَ الحرَّة وما في المسجد أحدٌ غيري، وإنّ أهل الشامِ ليدخُلونَ زُمَراً يقولون: انظروا إلى هذا المجنون. وما يأتي وقتُ الصلاة إلا سمعتُ أذاناً في القبر. ثم تقدَّمتُ فأقَمْتُ وصلَّيْتُ وما في المسجدِ أحدٌ غيري.

● **سفيان الثوري:**

سُفيان بن سعيد بن مَسْروق بن حمزة بن حَبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أُبيّ بن عبد الله. شيخ الإسلام، إمامُ الحُفَّاظ، سيّدُ العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثَّوري الكوفيُّ المجتهد، مصنِّف كتاب (الجامع). ولد سنة سبع وتسعين. مات سنة ست وعشرين ومئة.

يقال: إنّ عددَ شيوخه ستُّمئة شيخ، وكبارُهم الذين حدَّثوه عن أبي هريرة، وجَرير بن عبد الله، وابن عبَّاس، وأمثالهم.

ومن أقواله:

ـ أُحِبُّ أن يكونَ صاحبُ العلم في كفايةٍ، فإنَّ الآفاتِ إليه أسرعُ، والألسنةُ إليه أسرع.

ـ وددْتُ أني أنجو من هذا الأمر كفَافاً، لا عَليَّ ولا لي.

ـ ما أخافُ على شيءٍ أن يُدخلني النارَ إلا الحديث.

ـ وددْتُ أني قرأتُ القرآن، ووقفتُ عنده لم أتجاوزه إلى غيره.

ـ من يزدَدْ علماً يزدَدْ وجعاً، ولو لم أعلم كان أيسر لحزني.

ـ وددْتُ أنَّ علمي نسخ من صدري، ألستُ أريدُ أن أُسأل غداً عن كل حديث رويته: أيْش أردتَ به؟ إن قلتُ: إني أحدِّثُكم كما سمعتُ، فلا تُصدّقوني.

ـ البكاءُ عشرة أجزاء: جزء لله، وتسعة لغير الله، فإذا جاء الذي لله في العام مرة، فهو كثير.

ـ وعنه أيضاً: مَن أحبَّ أفخاذَ النساءِ لم يُفلِح.

ـ قَدِمَ سُفيان البصرةَ، والسُّلطان يطلبه، فصار إلى بُستان، فأجَّرَ نفسه

لحفظِ ثمارِه، فمرَّ به بعض العَشَّارين فقال: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أَرُطَبُ البصرة أحلى أم رُطَبُ الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبَكَ! البَرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطَب السَّاعة. ورَجَع إلى العامل، فأخبره ليُعجبه، فقال: ثكلتْكَ أمُّكَ أدرِكْه، فإنْ كنتَ صادقاً، فإنَّه سُفيانُ الثَّوري، فخذْه لتتقربَ به إلى أمير المؤمنين، فرَجَعَ في طلبه، فما قدَرَ عليه، وأقام سُفيان في اختفائه نحو سنة.

ـ وعن البدع قال: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

ـ وسئل سُفيان عن أحاديث الصِّفاتِ، فقال: أَمِرُّوها كما جاءت.

ـ رؤي الثَّوريُّ بمكة، وقد كثروا عليه، فقال: إنَّا لله، أخافُ أن يكون اللهُ قد ضيَّعَ هذه الأمة، حيثُ احتاجَ الناس إلى مثلي.

ـ وسُمِعَ يقول: لولا أن أُسْتَذَلَّ، لسكنتُ بين قوم لا يعرفوني.

ـ قال عبد الرَّزَّاق: لما قدم سُفيان علينا، طبخت له قدر سِكباج، فأكل، ثم أتيتُه بِزَبيب الطائف، فأكل، ثم قال: يا عبد الرزّاق اعلف الحمار وكُدّه. ثم قام يُصلّي حتى الصباح.

أخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة، فشهده الخلق، وصلّى عليه عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي، بوصيَّةٍ من سُفيان، لصلاحه.

ماتَ رحمه الله في شعبان سنة إحدى وستين ومئة.

● صردُرّ بَعْر:

الشاعر المُفْلِق، أديبُ وقتِه، أبو منصور، عليُّ بنُ الحسين بن عليّ بن الفضل البغداديُّ، الكاتب. ويلقَّبُ بصُرّدرّ بَعْر. صاحبُ بلاغة وجزالة ورِقّة وحلاوة، وباع طويلٍ في الأدب. مَدَحَ الخليفةَ القائمَ ووزيرَه أبا القاسم بن المُسْلمة. لم يَكُ في المتأخرين أرقُّ طبعاً منه، مع جَزَالةٍ وبلاغة.

وقال بعضُ الأدباء: هو أشعرُ من مِهيار. تَقَطَّرَ به فرسُه، فهلكَ في ربيعِ الأول، سنةَ خمسٍ وستين وأربعمئة. وقع به الفرس في زُبْيَةٍ للأسد، فهلكا معاً.

● **صلة بن أشيم:**

هو الزاهد العابد القدوة أبو الصهباء العدوي البصري، زوج العالمة معاذة العدوية (وهي من رجال التهذيب، وحديثُها في الكتب الستة)، ورد في صلة حديث عن ابن المبارك في (الزهد) عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يكونُ في أمّتي رجلٌ يقال له: صلة، يدخل الجنّةَ بشفاعة كذا وكذا**»[1]. وجاء الخبرُ في (حلية الأولياء).

لقي صلة جماعة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وغيره.

وقالت زوجته معاذة: كان أبو الصهباء يصلّي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

وقال ثابت: جاء رجلٌ إلى صلة بنعي أخيه، فقال له: ادنُ وكُلْ، فقد نعي إليّ أخي منذ حين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وجاء عن حمَّاد بن سلمة: أنَّ ثابتاً أخبرهم أن صلة كان في الغزو ومعه ابنه، فقال: أيْ بني! تقدّمْ، فقاتل حتى أحتَسِبَكَ، فحمل فقاتل حتّى قتل، ثم تقدّم صلة فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحباً إن كنتنّ جئتنّ لتهنّئنني، وإن كنتنَّ جئتنَّ لغير ذلك فارجعن.

ومن كرامات صلة أنه خرج في قرية وهو على دابته، وسار يوماً لا يجدُ ما يأكل، يقول: فلقيني علجٌ يحمل على عاتقه شيئاً، فقلتُ: ضعه، فإذا هو خبز، فقلتُ: أطعمني، فقال: إن شئتَ ولكن فيه شحم خنزير، فتركته، ثم لقيتُ آخر، فقلت: أطعمني، فقال: هو زادي لأيام، فإن نقصته أجعتني، فتركته، فوالله إنّي لأسير، إذ سمعتُ خلفي وَجْبَة كوجبة الطير، فالتفتُّ فإذا هو شيءٌ ملفوفٌ في سِبٍّ أبيض، فنزلتُ إليه، فإذا دَوْخَلة من رُطَب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلتُ منه، ثم لففتُ ما بقي، وركبتُ الفرس، وحملت معي نواهنَّ، قال جرير ابن حازم: حدّثني أوفى بن دِلَهم قال: رأيتُ ذلك السِّبّ مع امرأته في مصحف، ثم فُقِدَ بعدُ.

---

(١) قال الحافظ الذهبي: حديث معضل ـ **والحديث المعضل**: ما سقط من إسناده راويان على التوالي ـ انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٧.

كذلك روى ابن المبارك أنَّ جعفرَ بن زيد قال: خرجنا في غزاة، وفي الجيش «صلة» فنزلوا فقلت: لأرقبنّ عملَه، فصلَّى، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، ثم وثب فدخل غيضة، فدخلتُ، فتوضَّأ وصلَّى ثم جاءَ أسد حتى دنا منه، فصعدتُ شجرة، فدنا الأسد، فقلت: الآن يفترسه، لكن صلة جلس ثم سلَّم فقال: يا سبع، اطلب الرزق بمكانٍ آخر، فولَّى وإنَّ له زئيراً يكاد يتصدّع الجبلُ منه، وعند الصباح جلس صلة، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها، ثم قال: اللهمَّ إنّي أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!. ذكر هذا أبو نعيم في (الحلية) والذهبي في (السير).

قتل صلة شهيداً في أول إمرة الحجاج على العراق.

● طـاووس اليمانـي:

طاووس بن كَيْسانَ، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني الجَنَدي الحافظ. كان من أبناء الفرس الذين جهَّزهم كسرى لأخذ اليمن له!.

وُلِدَ في دولة عثمان رضي الله عنه، أو قبلَ ذلك. وكان مِنْ عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجابَ الدعوة، حجَّ أربعين حجَّة.

قال مجاهدٌ لطاووس: رأيتُكَ يا أبا عبد الرحمن تصلّي في الكعبة، والنبيُّ ﷺ على بابها يقول لك: اكْشِفْ قِنَاعَكَ، وبيِّنْ قراءَتَكَ، قال طاووس: اسكتْ لا يسمعْ هذا منك أحد، قال: ثم خُيِّلَ إليَّ أنه انبسط في الكلام، يعني فرحاً بالمنام.

ويُروى أنَّ طاووساً جاء في السَّحَر يطلبُ رجلاً، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنتُ أرى أنَّ أحداً ينامُ في السَّحَر. وكان وأصحابُه إذا صلَّوا العصر، استقبلوا القبلةَ، ولم يُكلِّموا أحداً، وابتهلُوا بالدُّعاء.

ـ ومن حِكَمِه: قوله: خَفِ اللهَ مخافةً لا يكونُ شيءٌ عندَكَ أخوفَ منه، وارجُه رجاءً هو أشدُّ من خوفك إيّاه، وأحِبَّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفسك.

ـ وقال: البخلُ أن يبخلَ الرجلُ بما في يديه، والشحُّ أن يُحبَّ أن يكونَ له ما في أيدي الناس.

توفي عام ستمئة رحمه الله.

● **عامر بن عبد الله:**

ابن الزبير بن العوام، الإمام الربَّاني أبو الحارث الأسَدي المدني، أحد العبَّاد.

قال أحمدُ بن حنبل: حدَّثنا سفيان أنَّ عامر بن عبد الله اشترى نفسَه من الله ستَّ مرات، يعني يتصدَّق كلَّ مرةٍ بِدِيَتِهِ. كان يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قَطيفة، فتسقُطُ وما يشعر.

وعن مالك: رُبّما انصرفَ عامر من العتمة، فيعرض له الدعاء، فلا يزال يدعو إلى الفجر.

سمع عامرٌ المؤذنَ وهو يجودُ بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل! قال: أسمع داعيَ الله فلا أُجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخلَ مع الإمام في المغرب، فركع ركعة، ثم مات. توفي رحمة الله عليه سنة نيِّفٍ وعشرين ومئة.

● **عبْدُ الله المزني رضي الله عنه (ذو البجَادَيْن):**

وهو ابنُ عبْد نُهْم بن عَفِيف ابن سُحَيم بن عَدِيّ بن ثعلبة بن سعد بن عديّ بن عثمان بن عمرو. قَدِمَ على النبيّ ﷺ وكان اسمه عبدَ العُزّى، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبدَ الله. وهو عمّ عبد الله بن مُغَفَّل ابن عبد نُهْم، ولقّبه رسول الله ﷺ (ذو البجادين)، لأنه لمّا أسلمَ عند قومه جَرّدوه من كلّ ما عليه وألبسوه بجاداً ـ وهو الكساءُ الغليظ الجافي ـ فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلمّا كان قريباً منه شقّ بجاده اثنين، فاتّزرَ بأحدِهما وارتدى بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ فقيل له: ذو البجادين. وقيل: إنّ أمّه أعطته بجاداً فقطعته قطعتين، فأتى فيهما رسولَ الله ﷺ.

صحبَ رسول الله ﷺ وأقام معه، وكان أوَّاهاً فاضلاً كثير التلاوة للقرآن العزيز.

وعن عبد الله بن مسعود أنّه قال: لكأنّي أرى رسولَ الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبر عبد الله ذي البجادين، وأبو بكر وعُمَر يُدَلِّيانه، ورسولُ الله ﷺ يقول: «**أدْنِيا مني أخاكما**»، فأخذه من قِبَلِ القبلة حتى أسنده في لحده، ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ وَوَلِيا هُما العمل، فلمَّا فرغَ من دفنه استقبلَ القلبة رافعاً يديه يقول: «**اللهمَّ إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه**». قال ابن مسعود: فوالله لوَدِدْتُ أنّي مكانَه، ولقد أسلمتُ قبله بخمس عشرة سنة.

وقد روي من طريق آخر فيه: فقال أبو بكر: وددتُ أني - والله - صاحب القبر. أخرجه الثلاثة.

توفي في حياة رسول الله ﷺ.

● عبْد الوَاحِدِ بنُ زَيْد:

الزاهد، القدوة، شيخ العُبَّاد، أبو عُبَيْدة البصري.

وَعَظَ عبدُ الواحد، فنادى رجل: كُفَّ، فقد كشفتَ قِناع قلبي، فما الْتَفَتَ، ومَرَّ في الموعظة، فَحَشْرَجَ الرَّجُلُ وماتَ، فشهدْتُ جنازته.

وقال مِسْمَع بن عاصم: شهدتُ عبدَ الواحدِ يعظ، فماتَ في المجلس أربعةٌ.

وعن الخُزاعي قال: صلّى عبدُ الواحد بن زيد الصُّبْح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان صاحبَ فنون، داخلاً في معاني المحبّة والخصوص، قد بقي عليه شيءٌ من رؤية الاكتساب، وفي ذلك شيءٌ من أصول أهل القَدَر.

وفي الجملة: عبد الواحدِ من كبار العُبَّادِ، والكَمَال عزيز.

مات رحمه الله تعالى بعد الخمسين ومئة.

● عطاء السَّليمي:

البصري العابد، من صغار التابعين.

أرعبه فرطُ الخوفِ من الله. قيل له: أرأيتَ لو أنَّ ناراً أُشْعِلَتْ، ثم قِيْلَ: مَن اقتحمها نجا، ترى كان يدخُلها أحد؟ قال: لو قيلَ ذلك، لخشيتُ أن تخرجَ نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها.

قال نُعيم بن مورّع: أتينا عطاء السَّليمي فجعل يقولُ: ليتَ عطاءً لم تلِدْه أمُّه، وكرَّر ذلك حتى اصفرَّت الشمسُ.

وكان يقولُ في دعائه: اللهمَّ ارحم غُربتي في الدنيا، وارحم مصرَعي عند الموت، وارحم قيامي بينَ يديك.

وقيل: كان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها.

وقيل: إنه بكى حتى عَمِش، وربما غُشِيَ عليه عند الموعظة.

وقيل: إنَّه شيَّع جنازة، فغُشيَ عليه أربعَ مرات. وكان إذا جاءَ برق وريح ورعد، قال: هذا من أجلي يُصيبكم، لو مُتُّ استراحَ الناس.

● عمَّار بن ياسر رضي الله عنه:

ابْن عَامِرِ بْن مَالِكِ بْن كِنَانَةَ بْن قَيْسِ بْن الوَذيمِ. أحدُ السابقين الأوّلين،

والأعيان البدريين. وأمّه: هي سُميّة مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات أيضاً.

كان عمار يُعذَّبُ حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وفيهم نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [النحل: ٤١].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نالَ مِن رسولِ الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلمَّا أتى النبيَّ ﷺ قال: «ما وراءَك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله! واللهِ ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: **«فكيف تَجِدُ قلبك؟»** قال: مطمئنٌّ بالإيمان. قال: **«فإن عادُوا فَعُدْ»**. وعن قتادة: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ...﴾ [النحل: ١٠٦] نزلت في عمار.

عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبينَ عمار كلام، فأغلظتُ له، فشكاني إلى رسول الله ﷺ. فقال: **«مَنْ عَادَى عمَّاراً عادَاه الله، ومَنْ أبغَضَ عمَّاراً أبغَضَهُ الله»** فخرجتُ، فما شيءٌ أحبَّ إليَّ مِنْ رضا عمار، فلقيته فرضي. أخرجه أحمد والنسائي.

عن عبد الله بن سَلِمَة قال: رأيتُ عماراً يومَ صفّين شيخاً آدم، طُوالاً، وإنَّ الحربةَ في يده لترعدُ، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلتُ بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفت أنّنا على الحق، وأنّهم على الباطل.

عاش عمّار رضي الله عنه ثلاثاً وتسعين سنة، وكان لا يركبُ على سرجٍ، ويركب راحلته.

قُتِلَ في صفّين في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين.

● عمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز:

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدِ شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب. **الإمامُ الحافظ العلاَّمة المجتهدُ الزاهدُ العابدُ السيد أميرُ المؤمنين حقّاً أبو حفص، القرشيّ الأمويّ المدنيّ ثم المصريّ، الخليفةُ الزاهدُ الراشدُ أشجُّ بني أُمية.**

حدَّث عن: عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، واستوهبَ منه قدحاً شَرِبَ منه النبيُّ ﷺ، وأمَّ بأنس بن مالك، فقال: ما

رأيتُ أحَداً أشْبَهَ صلاةً برسولِ الله ﷺ مِنْ هذا الفَتى. كان من أئمة الاجتهاد، ومنَ الخُلفاء الراشدينَ رحمة الله عليه.

أمُّه هي أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وُلِدَ سنة ثلاث وستين، وكان ثقةً مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمامَ عدلٍ رحمه الله ورضي عنه.

دخل عمر بن عبد العزيز إلى إصْطَبْل أبيه، وهو غلامٌ، فضربه فرس، فشجَّه، فجعل أبوه يمسَح عنه الدم، ويقول: إن كنتَ أشجَّ بني أُميّة إنّكَ إذاً لسعيد. قيل: إن عمر بن الخطاب قال: إنَّ من ولدي رجُلاً، بوجهه شَتَر، يملأُ الأرضَ عدلاً.

- بكى وهو غلامٌ صغير، فأرسلَتْ إليه أمُّه، وقالت: ما يُبكيكَ؟.

قال: ذكرتُ الموت. قال: وكان يومئذٍ قد جمع القرآن، فبكت أمُّه حين بلغها ذلك.

حجَّ سليمان، ومعه عمر بن عبد العزيز، فأصابهم برقٌ ورَعْدٌ حتى كادَتْ تَنْخلِعُ قلوبُهم، فقال سليمان: يا أبا حفص هل رأيتَ مثلَ هذه الليلة قطُّ، أو سمعتَ بها؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا صوتُ رحمةِ اللهِ، فكيفَ لو سمعتَ صوتَ عذابِ الله؟!.

- وعن زوجه فاطمة قالت: دخلتُ عليه، فإذا هو في مُصلَّاه يدُهُ على خدّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين ألشيءٍ حدث؟.

قال: يا فاطمةُ إني تقلَّدْتُ أمْرَ أمَّةِ محمّد؛ فتفكَّرْتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العِيَال في أقطار الأرض، فعلمتُ أنَّ ربّي سيسألني عنهم، وأنَّ خَصْمَهُم دونَهم محمَّدٌ، فخشيتُ ألاَّ تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته، فَرَحِمْتُ نفسي فَبَكَيتُ.

- كتبَ عمر بن عبد العزيز رسالة فيها: أمَّا بعدُ، فإنَّه مَنْ أكثرَ ذِكْرَ الموتِ، رضيَ من الدنيا باليسير، ومَنْ عدَّ كلامَه مِنْ عمَلِه، قلَّ كلامُه إلاَّ فيما ينفعُه والسلام.

- سُمع مالك بنُ دينار يقول: الناسُ يقولونَ عنّي: زاهد، إنّما الزاهدُ

عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها .

ـ عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : دعاني المنصورُ فقال : كم كانت غلَّةُ عُمَر بن عبد العزيز حين استُخْلِف؟ قلت : خمسينَ ألفَ دينار ، قال : كم كانت يومَ موتِه؟ قلتُ : مئتي دينار .

ـ كان عمرُ بنُ عبد العزيز يجمَعُ كلَّ ليلةٍ الفقهاء فيتذاكرون الموتَ والقيامةَ والآخرة ويبكون .

ـ وكان إذا ذُكِرَ الموت اضطربت أوصالُه .

ـ لمَّا احتضرَ عمرُ بن عبد العزيز قال : اخرجوا عني ، فقعد مَسْلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنسٍ ولا جانٍّ ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] ، ثم هدأ الصوتُ ، فقالَ مسْلَمةُ لفاطمة : قد قُبِضَ صاحِبُكِ ، فدخلُوا فوجدُوه قُبِضَ .

● عمير بنُ هانئ:

العبسي الداراني الإمام أبو الوليد ، وقد ناب عن الحجاج بالكوفة ، ثم ولي الخراج لعمر بن عبد العزيز ، وقد كره ظلمَ الحجاج وفارقه ، وقال : كان إذا كتبَ إليَّ في رجل أحَدُّه حَدَدْتُه ، وإذا كتبَ فيمن أقتله ، لم أَقْتُلْهُ .

قال أبو داود : قتل عُمير صبراً بداريّا أيامَ فتنة الوليد ، لأنَّه كان يُحرِّض على قتله ـ يعني وقام ببيعة الناقص ـ قال : فقتله ابنُ مرّة ، وسمط رأسه حلقه ، وأتي به مروان ابن محمد سنة سبع وعشرين ومئة .

● فتح الموصلي:

الزَّاهد الوَلي العابِدُ أبو نَصْرٍ ، فَتْحُ بن سَعيد المَوْصِلي . وهو من أقران إبراهيمَ بن أدْهم ، وكلاهما من كبار المشايخ .

ـ وكان يقولُ : رَبِّ أفْقَرْتَني ، وأفْقَرْتَ عِيالي ، بأيِّ وسيلةٍ هذا؟ وإنَّما تَفْعَلُ هذا بأوليائِك .

ـ وعنهُ : من أدام النَّظَرَ بقَلبه أورثه ذلك الفَرَحَ بالله .

قيل : إنّه كان يَتَقَوَّتُ بِفَلْسٍ نُخالةً ، وقد قَدِمَ بَغداد زائراً لِبشر الحافي ، فأضافَه خُبزاً وتَمراً بنصفِ دِرهم . توفي سنة عشرين ومئتين .

● **فتحُ المَوْصِلي (الكبير):**

زاهدُ زمانه، فتح بن محمد بن وِشَاح الأَزْدي المَوْصلي، أحد الأولياء، وله أحوال ومقامات وقدم راسخ في التَّقوى.

كان لا ينامُ إلا قاعداً. وكان بكَّاءً، خوَّافاً، متهجّداً. قيل: أتاه متولي المَوْصل، فخرج ابنه، وقال: هو نائم. فصاح: ما أنا نائماً، ما لي ولك؟ قال: هذه عشرةُ آلاف خذها، فأبى.

توفي سنة سبعين ومئة، وقيل: سنة خمس وستين.

● **فتح بن شخرف:**

هو ابن شخرف بن داود بن مزاحم أبو نصر الكشي.

كان الفتح ـ كما شهد به الصالحون في عصره ـ صالحاً زاهداً عفيفاً! ذا أخلاق حسنة، وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب الطعام الطيب، وكان حسن العبادة ورعاً.

قال البريهاري: سمعتُ ابن شخرف يقول: رأيتُ ربّ العزّة ـ جلّ وعزَّ ـ في النوم، فقال: يا فتحُ! احذر لا آخذك على غرّة. قال: فتهتُ في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال: لقيني ـ يوماً ـ الفتح فقال: يا أبا أحمد! أنتَ أمينُ الله على نفسك، لا ترى عليَّ شيئاً أحتاج إليه، ولا عندي شيء تزحمك الحاجة إليه، فتتخلف عن أخذه. أي: أذن له يأخذ كل ما يحتاج إليه مما يلبسه أو يمتلكه.

وعن محمد بن المسيب قال: قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: ما أخرجتْ خُراسان مثل فتح بن شخرف.

وقد كتب فتح على باب بيته: رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت، فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار: سمعتُ أبي يقول: صحبت فتحاً ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء، ثم رفع رأسه مرة فقال: قد طال شوقي إليك فعجّل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال: سمعتُ الفتح يقول: رأيت أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين ! أوصني ! قال : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء ، وأحسن من ذلك تيهُ الفقراء على الأغنياء ، قال : فقلتُ له : زدني ، فأومأ إليّ بكفّه ، فإذا به مكتوب :

قـد كنـتُ ميتـاً فصـرتُ حيّـاً ... وعـن قليـلٍ تصيـرُ ميتـا
أغنـى بـدارِ الفنـاءِ بيـت ... فـابـنِ بـدارِ البقـاءِ بيتـا

توفي يوم الثلاثاء للنصف من شوال (٢٧٣هـ)، ودفن في مقبرة ببغداد، وقد صلّيَ عليه ثلاثاً وثلاثين مرة، أقل قوم كانوا يصلون عليه في المرة خمسة وعشرون ألفاً إلى ثلاثين ألفاً.

وعن أبي محمد الحريري قال: غسّلنا الفتح فرأينا على فخذه مكتوباً «لا إلـه إلا الله» فتوهمناه مكتوباً، فإذا هو عِرْق داخل الجلد.

● **فرقد:**

فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب.

عن جعفر بن سليمان قال: قال فرقد السبخي: إنّ ملوك بني إسرائيل كانوا يقتلون قرّاءهم على الدّين، وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا، فدعوهم والدنيا. وقال: سمعته يقول: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا أصبحَ ساخطاً على ربّه عزَّ وجلّ، ومَن جالس غنيّاً فتضعضع له ذهبَ ثلثا دينه، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربّه عزَّ وجلّ.

وسمعه عبد الواحد بن زيد يقول: ما انتبهتُ من نومي إلا خفتُ أن أكونَ قد مُسختُ.

وسمع جعفر بن سليمان فرقداً يقول: اتخذوا الدنيا ظئراً، واتخذوا الآخرة أُمّاً، ألم تروا إلى الصبيّ يلقي نفسه على الظئر، فإذا ترعرع، وعرف والدته ترك ظئره، وألقى نفسَه على والدته؟! وإن الآخرة والدتكم يوشك أن تجركم.

وقال مرة: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل، ولبس ثوبين نقيين؟! وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل.

وهذا، وقد أسند فرقد عن أنس بن مالك، وسمع من جماعة من كبار التابعين، كسعيد بن جبير ومرّة وإبراهيم النخعي وأبي الشعثاء، وشغله التعبّد عن حفظ الحديث. . ومات فرقد في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومئة.

● **قيس بن ذريح:**

الليثي من أعراب الحجاز، شاعرٌ محسِنٌ، كان يُشبِّب بأُمّ مَعْمَرَ لُبْنى بنت الحُباب الكَعْبيَّة، ثم إنَّه تزوَّج بها. وقيل: كان أخاً للحُسين رضي الله عنه في الرضاعة.

وهو القائل:

وكُـلُّ مُلِمَّـاتِ الـزَّمَـانِ وَجَـدْتُهـا ... سِوَى فُرْقَةِ الأحْبابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

ونظمه في الذُّروة العُليا، رِقّةً، وحلاوةً، وجزالةً. وكان في دولة يزيد.

● **كثَيِّـرُ عَزَّة:**

هو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخُزاعي المدني. من فحول الشعراء، امتدحَ عبدَ الملك والكبار. وكان مولده سنة خمس وعشرين من الهجرة.

قال الزبير بن بكّار: كان شيعيّاً، يقولُ بتناسخ الأرواح، وكان سبئيّاً، يُؤْمِنُ بالرجعةِ، وكان قد تَتَيَّمَ بِعَزَّة، وشبَّبَ بها، وبعضُهم يُقدِّمُه على الفرزدق والكبار.

ومات سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة.

● **كهْمَس:**

كهمس بن الحسن التميمي، الحنفي، البصري، العابد. أبو الحسن. من كبار الثقات.

كان كَهْمَس يُصلّي في اليوم والليلة ألفَ ركعة، فإذا ملَّ، قال: قومي يا مأوى كُلِّ سوء، فوالله ما رضيتُكِ لله ساعة.

وروي أنه أراد قتل عقرب، فدخلتْ في جُحْرٍ فأدخلَ أصابعه خلفَها فضربته فقيل له، قال: خفت أن تخرج، فتجيء إلى أمي تلدغُها. وكان رحمه الله بَرّاً بأمّه، فلما ماتت، حجَّ وأقام بمكة حتى مات.

وكان يعمل في الجص، وكان يؤذّن.

كان يقول في الليل: أتُراك مُعذّبي، وأنتَ قُرَّةُ عيني، يا حبيبَ قلباه.

توفي كَهْمَس رحمة الله عليه في سنة تسع وأربعين ومئة.

● **ليلى الأخيلية:**

أورد صاحب (السير) ذكرها في معرض ترجمته لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في بعضِ أبياتٍ لها ترثي فيها مقتله رضي الله عنه. ومما قالت فيه:

قُتِـلَ ابـنُ عفَّـان الإمـامُ ... وضـاعَ أمـرُ المسلمينـا
وتَشَتَّـتْ سُبُـلُ الـرَّشـادِ ... لصـادريـن وواردينـا
فـانهَـضْ معـاويَ نهضـةً ... تشفـي بهـا الـداءَ الـدَّفينـا
أنـتَ الـذي مِـنْ بعـدِه ... تُـدعـى أميـرَ المـؤمنينـا

● **محمد بن المُنْكَدِر:**

ابن عبد الله بن الهُدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث ابن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. الإمام الحافظ القدوة، شيخُ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني. ولد سنة بضعٍ وثلاثين.

- ومن أحواله: أنَّه بينا هو ذاتَ ليلةٍ قائمٌ يصلّي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فَزِعَ له أهله، وسألوه، فاستعجمَ عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرَّتْ بي آية، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فبكى أبو حازم معه، فاشتدَّ بكاؤهما.

- ومنها: أنه كان يضع خدَّه على الأرض، ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدّي.

- ومنها أيضاً: أنه جَزِعَ عند الموت، فقيل له: لِمَ تجزَعُ؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

- وعنه أنه قال: كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

مات ابنُ المكدر سنة ثلاثين ومئة.

● **محمد بن النضر الحارثي:**

أبو عبد الرحمن.

قال أبو أسامة: كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة.

وقال: قلتُ له: كأنك تكره أن تُزار؟.

فقال: أجل.

قلت: أما تتوحش؟.

قال: كيف أستوحش وهو يقول: «**أنا جليسُ مَنْ ذَكَرَني**»؟!.

ـ وسمعه خالد بن يزيد يقول: شغل الموتُ قلوب المتقين عن الدنيا، والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكرْبه وغُصصه.

وكان إذا ذَكَرَ الموتَ اضطربَتْ مفاصِلُه حتى تبين الرعدةُ فيها كما قال المبارك.

وقد صحبه من أولاد الزبير بن العوام من عبَّادان إلى الكوفة فما سمعه يتكلَّم بكلمة حتى افترقا.

وكان محمد بن النضر يرى الجوعَ يبعث على البر كما تبعثُ البِطنة على الأشر.

وذكر ابن الجوزي أن محمداً كان مشغولاً بالعبادة عن الرواية.

● **محمد بن واسع:**

ابن جابر بن الأخنس. الإمام الربّاني، القدوة، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي، البصري. قال سُليمان التيمي: ما أحدٌ أُحِبُّ أن ألقى اللهَ بمثل صحيفتِه مثلَ محمد بن واسع.

ـ قال له رجل: أوصني.

قال: أوصيك أن تكونَ ملكاً في الدنيا والآخرة.

قال: كيف؟.

قال: ازهد في الدنيا.

ـ ومن أقواله: طُوبى لمن وجدَ عشاءً ولم يجدْ غداءً، ووجدَ غداءً ولم يجد عشاءً، والله عنه راضٍ.

ـ وقال: لو كان للذنوب ريحٌ ما جلسَ إليَّ أحدٌ.

ـ وقال: إذا أقبلَ العبدُ بقلبه على الله، أقبل اللهُ بقلوب العباد عليه.

ـ وقال: يكفي مع الدعاء الورع يسيرُ العمل.

ـ وقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: قريباً أجلي، بعيداً أملي، سيئاً عملي.

ـ ونُقِلَ عنه وهو في الموت: يا إخوتاه! تدرونَ أين يُذهَبُ بي؟ والله إلى النار، أو يعفو الله عني.

توفي محمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومئة.

● مسْـرُوق بنُ الأجْدَع:

الإمام، القدوة، العَلَم، أبو عائشـة الـوادِعيّ، الهمدانيّ، الكوفي.

يُقالُ: إنَّـه سُـرِقَ وهو صغير، ثم وُجِدَ فسـمِّي مسروقاً. وعِدادُه في كبار التابعين وفي المُخَضْرَمين الذين أسلموا في حياة النبيّ ﷺ. ومسـروق هو ابنُ أختِ عمرو بن معدي كرب.

حجَّ مسروقٌ فلم يَنَمْ إلاَّ ساجداً على وجهه حتَّى رجع.

وروى أنس بن سيرين، عن امرأةِ مسروق قالت: كان مسروق يصلّي حتّى تورمت قدماه، فرُبَّما جلستُ أبكي مِمَّا أراهُ يصنعُ بنفسه. شُلَّت يدُه يومَ القادسية، وأصابتْهُ آمّة.

فقالت له ابنته يوماً: يا أبتاه أفْطِر واشرب.

قال: ما أردتِ بي يا بُنَيَّـة؟.

قالت: الرفْق.

قال: يا بُنَيَّـة إنّما طلبتُ الرِّفْقَ لنفسي في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألف سنة.

كان لا يأخذُ على القضاءِ أجْراً.

وكان يقول: كَفَى بالمرءِ عِلْماً أنْ يخشَى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أنْ يُعْجَبْ بعمله.

مات سنة اثنتين وستين .

● مصعب بن عُمَيْر رضي الله عنه:

ابنِ هاشِم بنِ عَبْدِ مَناف بن عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كلاب . السيِّدُ الشَّهيدُ السَّابِقُ البَدْرِيُّ القرَشيُّ العَبْدَري .

قال البراء بن عازب : أول مَنْ قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، فقلنا له : ما فعلَ رسولُ الله؟ فقال : هو مكانه ، وأصحابُه على أثري .

عن خبَّاب قال : هاجرنا مع رسولِ الله ﷺ ونحنُ نبتغي وجهَ اللهِ ، فوقع أجرُنا على الله ، فمِنَّا من مضى لسبيلِه لم يأكل من أجره شيئاً ، منهم : مصعب بن عُمير قُتِلَ يومَ أُحُد ، ولم يترك إلا نَمِرَة ، كنا إذا غَطَّينا رأسَه بدتْ رجلاه ، وإذا غطَّينا رجليه بدا رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : «**غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجعلُوا عَلَى رِجْلَيْه مِنَ الإِذْخِرِ**» ، ومنا مَنْ أينَعَتْ له ثمرته فهو يهدبها .

قاتَلَ مصعبُ بن عمير دونَ رسول الله ﷺ حتى قُتِل ، قتلَه ابن قَمِئة الليثي ، وهو يظنُّه رسولَ الله ، فرجع إلى قريش ، فقال : قتلتُ محمداً . فلمّا قُتلَ مصعب ، أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالب ، ورجالاً من المسلمين .

● مطرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّير:

الإمامُ ، القدوةُ ، الحُجّة ، أبو عبد الله الحَرَشيّ العامريّ البَصْري . كان ثقة ، له فضل وورع وعقل وأدب .

قال العِجْلي : كان ثقةً لم يَنْجُ بالبَصرةِ من فِتْنَةِ ابنِ الأشعث إلاَّ هُوَ وابنُ سيرين ، ولم يَنْجُ منها بالكوفة إلا خَيْثَمةُ بن عبد الرحمن ، وإبراهيم النَّخَعيّ .

يروى عنه أنَّه كان بَيْنَه وبين رجلٍ كلام ، فكذَبَ الرجل ، قال : لا ، ولكنَّها دَعوةٌ وافَقَتْ أجَلاً .

ـ وكان يقول : عقول الناس على قدر منازلهم .

ـ فضلُ العلمِ أحبُّ إليَّ من فضْلِ العبادة ، وخَيْرُ دينكم الوَرَع .

ـ لأنْ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ أليَّ من أنْ أبيتَ قائماً وأصبح مُعْجَباً .

ـ لأن يسألني الله تعالى يوم القيامة ، فيقول : يا مطرِّف ، ألا فعلتَ ، أحبُّ إليَّ من أن يقول : لِمَ فعلت؟ .

ـ إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النعيمِ نعيمَهُم، فاطْلُبوا نعيماً لا موتَ فيه.

ـ ليس لأحدٍ أن يصعدَ فيُلْقي نفسَه من شاهق، ويقول: قَدَّرَ لي ربِّي. ولكن يحذَرُ ويجْتهد ويَتَّقي، فإن أصابَه شيءٌ، علمَ أن لن يُصيبَه إلاَّ ما كتبَ الله له.

ـ لأن آخُذ بالثِّقَةِ في القعودِ أحبُّ إليَّ من أنْ ألْتَمِس فَضْلَ الجهاد بالتعزير.

ـ لقد كادَ خَوْفُ النارِ يحولُ بَيْني وبَيْنَ أنْ أسألَ الله الجنة.

ـ اللهمَّ ارضَ عنَّا، فإنْ لم تَرْضَ عنّا فاعفُ عنّا، فإنَّ المَوْلى قد يعفو عن عَبْدِه وهو عَنْهُ غيرُ راضٍ.

ولما أتتِ الحَرورية مُطرِّفَ بنَ عبد الله يدعونه إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفْسانِ بايَعْتُكم بإحداهما وأمسكتُ الأخرى، فإنْ كان الذي تقولون هُدًى أتْبَعْتُها الأخرى، وإن كان ضلالةً، هلكَتْ نفْسٌ وبقيتْ لي نفْس، ولكنْ هي نَفْسٌ واحدة لا أغرِّرُ بها.

كان مطرِّف يكبر الحسن البصري بعشرين سنة. وتوفي في أول ولاية الحجاج سنة ست وثمانين.

● معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه:

ابْنُ عَمْرو بْنُ أوْسٍ بْنُ عائِذٍ بن عَدِيّ بْن كَعْبِ بْن عَمْرِو، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاريّ الخزرجيّ المدنيّ البدريّ. أمه هند بنتُ سهل من بني رفاعة، ثم من جُهينة، ولأمه ولد من الجدّ بن قيس. أسلمَ معاذ وله ثماني عشرة سنة، شهد العقبة شاباًّ أمرَد.

وعنه قال: لما بعثني النبيُّ ﷺ إلى اليمن، قالَ لي: **«كيف تقضي إنْ عَرَضَ قضاءٌ؟»** قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: **«فإن لم يكن في كتاب الله؟»** قال: قلت: فبما قضى به رسولُ الله، قال: **«فإنْ لم يكن فيما قضى به الرسول؟»** قال: قلت: أجتهدُ رأيي ولا آلُو، فضربَ صدري، وقال: **«الحمدُ لله الذي وفّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله»**.

وقد جاء أنَّ النبيَّ ﷺ حين ودَّعه معاذ، قال: **«حفظَكَ الله مِنْ بين يديكَ ومن خلفِك، ودَرَأَ عنكَ شرَّ الإنس والجنّ»**.

عن معاذ قال: لقيني النبيُّ ﷺ فقال: «يا معاذ إنّي لأحبّكَ في الله» قلت: وأنا والله يا رسولَ الله أحبُّكَ في الله. قال: «أفلا أعلّمكَ كلماتٍ تقولهُنَّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ: ربِّ أعنّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتك».

عن أبي سعيد: أنَّ معاذاً دخل المسجدَ ورسولُ الله ﷺ ساجدٌ، فسجدَ معه، فلمّا سلّم، قضى معاذ ما سبقه، فقال له رجل: كيف صنعت؟ سجدتَ ولم تَعْتَدَّ بالركعة، قالَ: لم أكن لأرى رسولَ الله على حالٍ إلاّ أحببتُ أنْ أكونَ معه فيها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فسرَّه، وقال: «هذه سنةٌ لكم».

وعن الحارث بن عُميرة قال: إنّي لجالسٌ عند معاذ، وهو يموت، وهو يُغمى عليه ويفيق، فقال: اخنق خنقك فوعِزَّتكَ إنّي لأحبّك.

قُبِضَ معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو ابنُ ثلاث أو أربع وثلاثين، سنة ثماني عشرة.

● منصور بن المعتمر:

الحافظُ الثبت القدوةُ، أبو عتاب السُّلمي الكوفي أحدُ الأعلام.

قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبتِ أين الخشبة التي كانت على سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاك منصورٌ، كان يقومُ الليل.

صامَ أربعين سنة، وقام ليلَها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: قتلتَ قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي، فإذا كان الصبحُ، كحل عينه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

قال العِجلي: كان منصور أثبتَ أهلِ الكوفةِ، لا يختلف فيه أحدٌ، صالحٌ متعبّدٌ، أُكْرِهَ على القضاءِ فقضى شهرين، قال: وفيه تشيّع قليل، وكان عمِش من البكاء. قال فيه الحافظ الذهبي: تشيعه حُبٌّ وولاء فقط.

● هشام بنُ حسَّان:

الإمام العالم، الحافظ، محدّث البصرة، أبو عبد الله الأزدي، القُرْدوسي، البصري، ويقال: هو من العتيك، ونزل في القراديس. وقيل: هو من مواليهم، وهو أشبه، وقال أبو حفص الفلاس: هشام مولى العتك، نزل درب القراديس

فنُسِبَ إليهم، فلم يُسم له جَدّ مع شهرة هشام ونبله. وقال سُليمان بن أبي شيخ: إنما سُمي (قردوس) من جماله.

روى حماد عن هشام قال: كَنَّاني محمد بن سيرين أبا عبد الله ولم يُولد لي.

وروى حماد عن سعيد بن أبي صدقة: أن محمد بن سيرين قال: هشامُ منا أهل البيت.

وقال إبراهيم بن مهدي: سمعتُ حمادَ بن زيد يقول: أنبأنا أيوب وهشام. وحَسْبُكَ بهشام.

وقال حماد: وكان أيوبُ يقول: سل لي هشاماً عن حديث كذا.

قال سعيد بن أبي عروبة: ما رأيتُ، أو ما كان أحدٌ أحفظ عن محمد من هشام.

وعن إبراهيم بن المغيرة المَرْوَزيّ: قلتُ لهِشام بن حسان: أخرج إليَّ بعضَ كتبك، قال: ليس لي كتب. يعني كان يحفظ وقلّما كتب.

● **وهب المزني رضي الله عنه:**

هو وهب بن قابوس المزني. أقبل وهب ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنم لهما من جبل مُزينة، فوجدا المدينة خاليةً، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأُحُد خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين، فقالا: لا نسألُ أثراً بعد عين، فأسلما.

ثم خرجا، فأتيا النبيَّ ﷺ بأُحُد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغارا مع المسلمين في النهبِ، وقاتلا أشدّ القتال، وكانت قد انفرقت فرقة من المشركين، فقال النبيُّ ﷺ: «**من لهذه الفرقة؟**» فقال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجعت، فانفرقت أخرى، فقال النبيُّ ﷺ: «**من لهذه؟**» فقال المزني: أنا، فقام فذبّها بالسيف، حتى ولوْا، ورجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى، فقال ﷺ: «**من يقوم لهؤلاء؟**» فقال المزني: أنا، فقال ﷺ: «**قم وأبشر بالجنة**»، **فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يضرب فيهم بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه، ومثّلوا به. ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل.**

ووقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال: «رضي الله عنه فإني عنك راضٍ»، يعني وهباً. ولم يزل الرسول ﷺ قائماً على قدميه وقد ناله ما ناله

من الجرح حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حالٌ نموت عليها أحبّ إلينا من أن نلقى الله على حال المزني.

● وهَيْب بن الورد المكي:

أخو عبد الجبار بن الورد، العابد الربَّاني أبو أُمية، ويقال: أبو عثمان المكي، مولى بني مخْزوم، ويقال: اسمه: عبد الوهَّاب.

قيل لوُهَيْب: يجدُ طعم العبادة من يعْصي؟ قال: ولا مَنْ يَهُمُّ بالمعصية.

وقيل: إنَّه حلفَ أن لا يضحك حتى تُعلمه الملائكة بمنزلته إذا احتُضِر.

توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة.

● يحيى البَكَّاء:

شيخ بصري، مُحدِّث، وهو يحيى بن مُسلم، وقيل: يحيى بن سليمان، وقيل: ابن سُليم، وهو يحيى بن أبي خُليد. مات سنة ثلاثين ومئة رحمة الله عليه.

● يحيى بنُ مُعَاذ:

الرَّازِي، الواعظُ. من كبار المشايخ، له كلامٌ جيّد، ومواعظُ مشهورةٌ.

ـ وعنه أنه قال: لستُ أبكي على نفْسي إن ماتَتْ، إنَّما أبكي على حاجتي إن فاتَتْ.

ـ لا يُفلحُ من شُمَّتْ رائحةُ الرياسة منه.

ـ مسكينٌ ابنُ آدم، قَلْعُ الأحجارِ أهونُ عليه من تَرْكِ الأوْزار.

ـ لا تَسْتَبْطِئِ الإجابةَ وقد سددتَ طريقَها بالذّنوب.

ـ وقال: الدَّرجاتُ سَبْعٌ: التَّوبةُ، ثم الزُّهْدُ، ثم الرِّضا، ثم الخَوْفُ، ثم الشَّوْقُ، ثم المحبَّةُ، ثم المعرفَة.

● يزيد الرقاشي:

عن أشعث بن سوّار قال: دخلتُ على يزيد فقال: يا أشعث! تعال نبكِ على الماء البارد في يوم الظمأ. وجعل يقول: سبقني العابدون وقُطع بي، وا لهفاه!.

وقد صام يزيد اثنتين وأربعين سنة.

وقال ثابت البُناني: ما رأيتُ أحداً أصبر على طول القيام والسهر من يزيد ابن أبان.

وقال عبد الخالق بن موسى اللقيطي: كان يزيد يقول: غلبني بطني، فما أقدر له على حيلة! مع أنه جوّع نفسَه لله عزَّ وجلّ ستين عاماً حتى ذبل جسمه ونهك بدنه، وتغيّر لونه!.

ـ وعن أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد يقول في قصصه: ويحك يا يزيد! من يترضَّى عنك عند ربِّك؟! ومن يصوم لك أو يصلي لك؟! ثم يقول: يا معشر من القبر بيته! والموت موعده، ألا تبكون؟!.

ـ وكان يقول: ابكِ يا يزيد على نفسِكَ قبل حين البكاء.

ـ وقيل لابنه: أما كان أبوكَ يتمثّل الشعر شيئاً؟ قال: كان يتمثّل:

إنَّا لنفرحُ بالأيَّامِ نقطعُها وكلَّ يومٍ يمضي يُدني من الأجلِ

هذا، وأسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره، إلا أنَّ التعبّد شغله عن حفظ الحديث، فأعرضت النَّقَلَةُ عما يروي.

● **أبو فِرَاس الأسلمي:**

قيل: اسمه ربيعة بن كعب، وقيل: إنه ربيعة بن كعب الأسلمي، ولا خلاف أن ربيعة بن كعب يكنّى أبا فراس، والأغلب أنهما اثنان، فمن جعلهما اثنين قال: أبو فراس الأسلمي، في أهل البصرة، وروى عنه أبو عمران الجَوني.

أما الآخر فهو أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي. حجازي؛ كان خادماً للنبي ﷺ، وكان من أهل الصُّفة. فلمَّا توفّي رسول الله ﷺ نزل على بَريد من المدينة، ولم يزل بها حتى مات بعد الحرة، سنة ثلاث وستين.

وروى إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عُبَيد الله، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن أبي فراس الأسلمي: أنّ فتًى منهم كان يلزم النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم: «**سلني أعطك**». قال: ادع الله أن يجعلني معك يوم القيامة. قال: «**إنّي فاعلٌ، فأعِني على نفسك بكثرة السجود**».

● **أبو فِرَاس بن حَمْدان:**

هو الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدانَ بن حمدون الحَمْدَاني التَّغْلبيُّ، الأميرُ الشاعر المُفْلِق.

اِبن عمّ نـاصر الدولة وسـيف الدولة، وكان رأساً في الفروسيَّة والجُود وبراعة الأدب.

كان الصّاحبُ ابن عبّاد يقول: بُدئ الشعرُ بمَلكٍ وهو امرُؤُ القيْس، وخُتم بملكٍ وهو أبو فراس.

قال الثعالبي: كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سيّار، بين الحسن والجودَة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظّرف وعزّة الملك. ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاّ في شعر عبد الله بن المعتز. وأبو فراس يُعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة بنقد الكلام. وله ديوان مشهور.

كـان المتنبي يشـهد له بالتقدم والتبريـز، ويتحامى جانبـه، فلا يَنْبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح مَنْ دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً له لا إغفالاً ولا إخلالاً.

أسرَتْهُ الرُّومُ جريحاً، فبقِيَ سجين قلعة بقسطنطينية أعواماً، ثمَّ فداهُ سيفُ الدوَّلةِ منهم بأموال، وأعطاهُ أموالاً جزيلة وخيلاً ومماليك. وكانتْ له مَنْبج، ثمَّ تملَّكَ حمص، ثم سارَ ليمتلك حلب فقتل بناحيَة تَدْمر سـنَة سـبع وخمسين وثلاثمئة. وكلُّ عمره سبعٌ وثلاثونَ سَنَة.

● **أبو الشـيص الخُزَاعي:**

محمد بن عبد الله بن رَزين. الشاعر المشهور الملقَّب بأبي الشِّيص، وهو ابن عمّ دِعبل الخزاعي الهجاء، توفي سنة مئتين أو قبلها، قال ابن الجوزي: سنة ست وتسعين ومئة وقد كفّ بصره، ومن شعره المشهور:

وَقفَ الهوى بِي حيث أنتِ فليس لي	متـأخَّـرٌ عنـه ولا متقـدَّمُ
أجِـدُ المـلامـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً	حُبّـاً لـذِكـرك فليَلُمْنـي اللُّـوَّمُ
أشبهـتِ أعـدائـي فصِرتُ أحبُّهـم	إذ كـان حظّـي منـكِ حظّـي منهـمُ
وأهَنْتِنـي فـأهنـتُ نفسـي عـامـداً	مـا مَـنْ يَهُـون عليـك ممّـن يُكـرَمُ

وله أيضاً:

لا تُنْكـرِي صَـدّي ولا إعـراضـي	ليسَ المُقِلّ عن الزمان براضِ
شيئـان لا تصبُـو النسـاء إليهمـا	حلـيُ المشيـبِ وحُلّـة الأنفـاضِ
حَسَرَ المشيبُ قِناعَه عن رأسه	فـرَمَيْنَـه بـالصـدِّ والإعـراضِ
ولـربّمـا جعلـتْ محـاسـنَ وجهِـه	لجفـونهـا غَـرَضـاً مـن الأغـراضِ

● **مسلم بن يَسار:**

القدوةُ، الفقيـه، الزاهدُ، أبـو عبد الله البصريّ، مولى بني أميَّة.

كان ثقةً فاضلاً، عابداً، ورعاً. خامسُ خمسةٍ من فقهاء البصرة، لا يُفضَّل عليه أحدٌ في زمانه.

وقال عليُّ بن أبي حَمَلَة: قدِمَ علينا مُسلم بن يَسار دمشق، فقالوا له: يا أبا عبد الله، لو علم الله أنَّ بالعراق مَنْ هو أفضلُ منكَ، لأتانا به؛ فقال: كيف لو رأيتُم أبا قِلابة.

وعن العلاء بن زياد أنَّه كان يقول: «لو كنتُ متمنِّياً، لتَمنَّيْتُ فقهَ الحَسن، وورَع ابن سيرين، وصوابَ مُطرِّف، وصلاة مسلم بن يَسار».

كانَ إذا صلَّى كأنَّه وَتد لا يَميلُ لا هكذا ولا هكذا، وإذا سجد كأنَّه ثوبٌ مُلقى.

وكان يقولُ لأهلِهِ إذا دخل في الصلاة: تحدَّثوا فلستُ أسمعُ حديثكم.

ورُويَ أنَّه وقع حريق في داره وأطفئ، فلما ذُكِرَ ذلك له قال: ما شعرتُ.

قال قتادة: قال مسلم بن يَسار في الكلام عن القدَر: «هما واديان عميقان، يسلكُ فيهما النَّاس، لنْ يُدركَ غورهما، فاعملْ عملَ رجلٍ تعلمُ أنَّه لن يُنجيكَ إلا عملك، وتوكَّلْ توكُّلَ رجلٍ تعلم أنَّه لا يصيبُكَ إلاَّ ما كتب الله».

قال سفيان بن عُيَيْنة: إنَّ الحَسن البَصْريّ لمَّا مات مُسلم بن يَسار قال: وا مُعَلِّماه.

له ترجمةٌ حافلةٌ في تاريخ الحافظ ابن عساكر. مات سنة مئة، وقيلَ: سنة إحدى ومئة.

● **عامر بنُ قيْـس الأشْعَري:**

عَامر بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو بُرْدَة، أخو أبـي موسى الأشعري.

ومن حديثه: عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمّ، اجعلْ فناءَ أُمّتي قتلاً في سبيلك بالطعْن والطاعون**».

● ابنُ الرُّومي (الشاعر):

شَاعر زمانه مع البُحْتُري، أبو الحَسَن، عليُّ بن العَبَّاس بن جُرَيْج، مولى آل المنصور.

له النَّظم العَجيب، والتَّوليد الغريب. رَتَّب شِعْرَه الصُّولي. وكان رأساً في الهِجَاء، وفي المديح، وهو القائل:

آرَاؤُكُمْ، وَوُجُوهُكُمْ، وسُيُوفُكُم — فِي الحادِثات إذا دَجَوْنَ نُجُومُ
مِنْهَا مَعَالِمُ للهُدَى ومَصَابِح — تَجْلُو الدُّجَى والأخْرَيَاتُ رُجُومُ

قيل: إنَّ القاسم بن عُبَيْد الله الوزير كان يخافُ من هَجْو ابن الرُّومي، فدَسَّ عليه مَن أطعمه خُشْكُناكة مَسْمُومَة، فأحَسَّ بالسُّمِّ، فوَثَبَ، فقال الوزيرُ: إلى أين؟ قال: إلى موضع بعثتني إليه. قال: سَلِّم على أبي. قال: ما طريقي على النَّار. فبقي أياماً وماتَ.

ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين، ومات لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، سَنَة ثلاثٍ وثمانين، وقيل: سنة أربع.

● ابنُ الرُّومي (الزاهد):

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الرُّومي النيسابوريُّ الحِيري، أبو محمد، شيخُ سعيدِ بن أبي سعيد العيَّار. الزاهدُ العابد.

قال الحاكم في (تاريخه): كان أبوه أبو عبد الله الرُّومي محدِّثاً مذكوراً ثقة. ثم إنَّ أبا محمدٍ كان من الصَّالحينَ المجتهدينَ في العبادة، إلا أنَّه لم يقتصر على سماعاته في كتاب أبيه وزاد فيها، وكان سماعُه من أبي العبّاس السرَّاج، فارتقى إلى ابن خُزيمة.

توفي رحمه الله يوم الإثنين السادس عشر من شهر رمضان سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمئة، ودفن في مقبرة الحِيْرة.

● ذو النُّون المِصْريُّ:

ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيضُ بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم

النوبي الإخْمِيمي، يُكْنَى أبا الفيض، ويُقال: أبـا الفياض. الزاهد، العالم، الفصيح، الحكيم، شيخُ الديار المصرية.

ولد في أواخر أيام المنصور.

قال يوسفُ بن الحسين الرازي: حضرتُ ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سـببُ تَوْبَتِك؟ قال: نمتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُبَّرَةٌ عمياءُ سـقطتْ من وَكر، فانشـقت الأرضُ، فخرج منها سُكُرُّجَّتان ذهب وفضة، في إحداهما سِمْسِم، وفي الأخرى ماء، فأكلتْ وشربتْ. فقلتُ: حسـبي. فَتُبْت ولزمتُ الباب إلى أن قبلني.

قال السُّلَمي في (محن الصوفية): ذو النون أولُ من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بنُ عبد الحكم، وهجره علماءُ مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف.

وقال محمدُ بنُ الفَرْجي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورقٌ آخر، فقيل لذي النون: إنَّ هؤلاء يمرون إلى السلطان، يَشهدونَ عليك بالكفر. فقال: اللَّهُمَّ إنْ كانوا كاذبين، فغرِّقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلتُ له: فما بال الملاَّح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلمُ قصدهم؟! ولأنْ يقفوا بين يدي الله غرقى خيرٌ لهم من أن يقفوا شُهود زُور، ثم انتفض وتغيَّر، وقال: وعزَّتِك لا أدعو على أحدٍ بعدها. ثم دعاهُ أميرُ مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلَّم، فرضي أمرَه. وطلبَهُ المتوكل، فلما سمع كلامه، وَلِعَ به وأحبَّه. وكان يقولُ: إذا ذُكر الصالحون، فحيَّ هلا بذي النون.

قال في الاستغفار: إنَّه جامع لمعانٍ:

أوّلُها: النَّدمُ على ما مضى.

الثاني: العزمُ على الترك.

الثالثُ: أداء ما ضيَّعْتَ من فرض لله.

الرابعُ: ردُّ المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها.

الخامسُ: إذابةُ كل لحم ودم نبت على الحرام.

السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجَدْتَ حلاوة المعصية.

وعن عمرو بن السرح: قلتُ لذي النون: كيف خلصتَ من المتوكل، وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلامُ، قلتُ في نفسي: يا مَنْ ليس في البحار قطراتٌ، وفي ديلج الرياح ديلجاتٌ، ولا في الأرض خبيئاتٌ، ولا في القلوب خطراتٌ، إلا وهي عليك دليلاتٌ، ولك شاهداتٌ، وبربوبيتك مُعترفاتٌ، وفي قُدرتك متحيِّراتٌ، فبالقُدرةِ التي تُجيرُ بها من في الأرضين والسماوات إلا صَلَّيْتَ على محمد وعلى آل محمد، وأخذتَ قلبَه عني. فقام المُتوكل يخطو حتى اعتنقني.

لما مات، أظلّت الطير جنازَتَه. مات بالجِيزة وهو في التسعين، وعُديَ به إلى مصر في مركبٍ خوفاً من زحمة الناس على الجسر، لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومئتين.

● عتْبَة الغلام:

عتبة بن أبان البصري، الزّاهدُ، الخاشعُ، الخائفُ.

كان يُشَبَّه في حُزْنِه بالحسن البصري. وكان من نُسَّاكِ أهل البصرة، يصوم الدهْرَ، ويأوي إلى السواحلِ والجَبَّانة.

قال رباح القَيْسي: باتَ عندي، فسمعته يقول في سجودِه: اللهم احشر عُتْبَةَ من حواصِل الطَّير وبطون السِّباع.

كان رأسُ ماله فَلْساً، يشتري به خُوصاً، يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس، ويتعشى بفلس، وفلس رأس ماله. وكان يقول: لا يُعجبني رجلٌ ألاّ يحترف. وقيل: نازَعَتْه نفسُه لحماً، فماطلها سبع سنين.

رؤي يبكي فقال: إنّما أبكي على تقصيري.

وعنه أنه قال: من عَرَفَ الله أحَبَّه، ومن أحبّه أطاعه.

وذكَرَ مَخْلَدُ بن الحُسَيْن عُتْبَةَ الغلام وصاحبه يحيى الواسطي فقال: كأنما رَبَّتْهم الأنبياء.

وكان يقال: إنَّ الطَّير تُجيبه.

وقال مَخْلَدُ بن الحُسَين: جاءنا عُتْبَة الغُلام غازياً، وقال: رأيت أني آتي المَصِّيْصة في النَّوم، وأغزو فأسْتَشهد. قال: فأعطاه رجل فرسَه وسلاحَه، وقال: إنّي عَليلٌ، فاغزُ عني. فلقوا الرومَ، فكان أول من استُشهد. ولما غزا قال: لا تفتحُوا بيتي. فلما قُتِلَ، فتحوه. فوجدوا قبراً محفوراً، وغِلَّ حديد.

● **أبو الدَّرْداء رضي الله عنه:**

هو عويمِرُ بنُ قيس بن زَيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عديٍّ بن كعبِ بن الخزرج، صاحبُ رسول الله ﷺ، أبو الدرداء، الإمامُ القدوةُ، قاضي دمشق، ويقال: عُويمِرُ بن عامر.

حكيم هذه الأمـة. وسيِّدُ القُرَّاءِ بدمشق. ويُروى له مئة وتسعة وسبعون حديثاً. وهو معدودٌ فيمن تلا على النبي ﷺ ، وفيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ثم تَصَدَّر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك.

كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً، وكان يعبدُ صنَماً، فدخل ابنُ رواحـة ومحمَّدُ بن مسـلمة بيتَه، فكسـرا صنمه، فرجع فجعل يجمعُ الصنم، ويقولُ: ويحك هلاَّ امتنعتَ، ألا دفعْتَ عن نَفْسِك. فقالت أم الدَّرداء: لو كان ينفَعُ أو يَدْفَعُ عن أحد، دَفَعَ عن نفسه ونفعها. فقال أبو الدّرداء: أعدِّي لي ماءً في المُغْتَسل. فاغتسلَ، ولبسَ حُلَّتَهُ، ثم ذهبَ إلى النبيِّ ﷺ، فنظر إليه ابنُ رواحة مُقبلاً، فقال: يا رسولَ الله! هذا أبو الدّرداء، وما أراه إلا جاءَ في طَلَبنا؟ فقال: «**إنّما جاء ليُسْلِمَ، إنَّ رَبِّي وَعَدَني بأبي الدَّرْدَاءِ أنْ يُسْلِم**».

لما هُزمَ الصحابة يومَ أُحُد، كان أبو الدّرداء يومئذ فيمَنْ فاءَ إلى رسول الله ﷺ في الناس، فلما أظلَّهم المشركون من فوقهم، قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ، ليْسَ لهُمْ أنْ يَعْلُونا**»، فثابَ إليه ناسٌ، وانتدَبُوا، وفيهم عُوَيمرُ أبو الدَّرْدَاء، حتى أدحَضُوهم عن مكانهم، وكان أبو الدّرداء يومئذ حَسَنَ البلاء. فقال رسولُ الله ﷺ: «**نِعْمَ الفارسُ عُوَيمر**»، وقال: «**حكيم أمَّتي عُوَيمر هذا**».

وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين سَلمان وأبي الدّرداء؛ فجاءه سلمانُ يزوره، فإذا أمُّ الدّرداء مُتَـبَذِّلة، فقال: ما شأنُكِ؟ قالت: إنَّ أخاكَ لا حاجة له في

الدّنيا، يقومُ الليلَ، ويصومُ النّهار. فجاء أبو الدّرداء، فرحَّبَ به، وقرَّبَ إليه طعاماً. فقال له سلمان: كُلْ. قال: إنّي صائم. قال: أقسمتُ عليك لَتُفْطِرَنَّ. فأكل معه. ثم بات عنده، فلمّا كان من الليل، أراد أبو الدّرداء أن يقوم، فمنعه سلمانُ وقال: إنَّ لجسدك عليك حقّاً، ولربك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً؛ صُم، وأفطر، وصَلِّ، وائتِ أهلك، وأعْطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه.

فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم الآن إن شِئْتَ؛ فقاما، فتوضَّأا، ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدّرداء لُيخبرَ رسولَ الله ﷺ بالذي أمره سَلمان. فقال له: «**يا أبا الدَّرداء، إنَّ لِجَسَدِكَ عَليكَ حَقّاً، مثل ما قال لكَ سَلْمان**».

كان الصحابة يقولون: أرحمُنا بنا أبو بكر؛ وأنطقُنا بالحقِّ عُمر؛ وأمينُنا أبو عُبيدة؛ وأعلمُنا بالحرام والحلال مُعَاذ؛ وأقرؤنا أبَيّ، ورجلٌ عنده علمٌ ابنُ مسعود، وتَبعهم عُوَيمر أبو الدَّرداء بالعقل. وكانوا يقولون: أتبعُنا للعلم والعمل أبو الدَّرداء. كان ابنُ عمر يقول: حدِّثونا عن العاقِلَيْن. فيقال: مَن العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدّرداء. ولمّا مات النبيُّ ﷺ، لم يكن قد جمع القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدّرداء، ومُعاذٌ، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد.

وَلِيَ القَضَاءَ بدمشق في دولةِ عُثمان، فهو أولُ من ذُكِرَ من قضَاتها. ودارُهُ بباب البَريد، ثم صارت في دولة السلطان صلاح الدين تُعرفُ بدار العَزّي.

وكان يُصلي الصبح ثم يُقرئ ويَقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عَقِيقة نشهدُها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم، إنّي أُشهدُك أنّي صائم.

وكان الذين في حلقة إقراء أبي الدّرداء أزيدَ من ألفِ رجل، ولكُلِّ عشرة منهم ملقِّن، وكان أبو الدّرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إلى أبي الدّرداء - يعني يعرض عليه. وهو الذي سنَّ هذه الحِلق للقراءة.

قال في العلم: ما لي أرى عُلماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، تعلَّموا فإنَّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

وقال: ويل للذي لا يعلمُ مَرَّةً، وويل للذي يعلمُ ولا يعملُ سبعَ مرات.

وقيـل لأم الدّرداء: أيُّ عبـادة أبي الدّرداء كانت أكثـر؟ قالت: التفكر والاعتبار. وكان يقول: تفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة.

وقيل له ـ وكان لا يفترُ عن الذِّكر ـ: كم تسبِّح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلاَّ أنْ تُخطئَ الأصابع.

وقال: لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجودُ في الليل، ومجالسـة أقوام ينتقون جَيِّدَ الكلام كما يُنتقى أطايبُ الثمر. قيل له: ما تُحِبُّ لمن تُحب؟ قال: الموت. قيل: فإن لم يمت؟ قال: يَقِلُّ مالُه وولدُه.

وقـال: ثلاثـةٌ أحبهنَّ، ويكرهُهُنَّ النَّاس: الفقر، والمرض، والموت. أَحِبُّ الفقرَ تواضُعاً لربي، والموتَ اشتياقاً لربي، والمرضَ تكفيراً لخطيئتي.

وقال: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يجعل لي في كل وادٍ مال.

جاءه رجلٌ فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السرَّاء يذكُرْك في الضَّراء؛ وإذا ذكرتَ الموتى، فاجعلْ نَفْسَـكَ كأحدهم، وإذا أشـرفتْ نَـفْسُـك على شيء من الدُّنيا، فانظُر إلى ما يصير. وقال: اعبد الله كأنك تراه وعُدَّ نفسك في الموتى، وإياكَ ودعوة المظلوم، واعلم أنَّ قليلاً يُغنيك خيرٌ من كثير يُلهيك، وأنَّ البرَّ لا يَـبْلى، وأن الإثم لا يُـنْسى.

وعنه: إياكَ ودعواتِ المظلوم؛ فإنهُنَّ يَصعدْنَ إلى الله كأنهن شراراتٌ من نار.

وقال: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنَّون أنهم مثلُنا عند الموت، ولا نتمنَّى أننـا مثلُهم حينئذٍ. ما أنصفنـا إخوانُنا الأغنيـاء: يُحِبُّوننا على الدين، ويُعادوننا على الدُّنيا.

لما فُتحتْ قبرص، مُرَّ بالسَّبْي على أبي الدّرداء، فبكى، فقيل له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعَزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟! قال: بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذْ عَصَوُا الله، فلقُوا ما ترى، ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصوه.

وعن أمِّ الدّرداء قالتْ: كان أبو الدّرداء لا يحدث بحديث إلا تَبَسَّم،

فقلت: إني أخاف أن يُحَمِّقكَ النَّاس. فقال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا يُحَدِّثُ بحديث إلا تَبَسَّم. أخرجه أحمد في (المسند).

وعنها أيضاً: أنها قالت: كان لأبي الدّرداء ستون وثلاثمئة خليل في الله. يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلاَّ وَكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل. أفلا أرغبُ أنْ تدعُوَ لي الملائكة.

وذُكِرَ الدَّجّال في مجلس فيه أبو الدّرداء فقال نَوف البكَالي: إني لغير الدجال أَخْوَفُ مني من الدّجال. فقال أبو الدّرداء: وما هو؟ قال: أخاف أن أُستَلَبَ إيماني وأنا لا أشعر. فقال أبو الدّرداء: ثكلتْكَ أمُّك يا بنَ الكندية! وهل في الأرض خمسون يَتَخوَّفون ما تَتَخَوَّفُ؟ ثم قال: وثلاثون، وعشرون، وعشرة، وخمسة. ثم قال: وثلاثة. كلُّ ذلك يقول: ثكلتْكَ أمُّك والذي نفسي بيده ما أمِنَ عبدٌ على إيمانه إلا سُلِبَه، أو انتُزِعَ منه فيفقده. والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقمَّصُه مرةً ويضعه أخرى.

وعن أبي الدَّرداء، قال: مَنْ أكثر مِن ذكر الموت قلَّ فرحُه، وقلَّ حسدُه.

لما احتُضر أبو الدّرداء، جعل يقول: مَن يعملُ لمثل يومي هذا؟ مَن يعملُ لمثل مضجعي هذا؟.

وماتَ رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين للهجرة.

● **ماهَان الحَنَفي:**

أبو سَالِم الكُوْفِي الأعْوَر، وكان يقال له: المُسَبّح وليس بأبي صالح الحَنَفيّ عبد الرَّحمن بن قيْس.

ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب (الثقات).

وقال محمد بن فُضَيْل عن أبيه: كان ماهان الحَنَفِيُّ يلقى الرجل، فيقول: ما يستحيي أحدكم أن تكون دابته التي يركبها، وثوْبه الذي يلبسهُ، أكثر ذِكْراً لله منه. وكان لا يفتر من التَّسبيح. قال: فأخذه الحَجَّاجُ فصلَبَهُ على باب مسجد بني حَنِيفة وكان يُسَبِّح ويعقد. قال: فطُعِنَ وقد عَقَدَ تسعة وستين.

وقال أبو عُبَيد الآجُرّي عن أبي داود: حدثني الثِّقة عن ابن فضَيْل، وعن إبراهيم بن أبي حَنِيفة، قال: رأيتُ ماهانَ الحَنَفيَّ حيث صلبه الحجاج، فجعل

يُسَبِّح حتى عَقد على تسعة وعشرين، فطعن وهو على تلك الحال، فرأيته بعد شَهْرٍ عاقداً عليها، قال إبراهيم: وكنا نُؤمر بالحَرس على خَشَبَته فنرى عنده الضَّوء، قال أبو داود: قال عَمَّار الدُّهْنيُّ: رأيت ماهان حيث صُلِبَ، فقال: إنّي لأرغب بك عن هذا المكان اذهب. قال أبو داود: قطَعَ الحجاج يديه ورجْليه وصَلَبَهُ. قال أبو داود: سُئِلَ سُفيان عن الرجل يُقتل أيمد رقبته؟ فقال: قال ماهان الحنفي: احملوني - أي على الخشَبةِ. قال: وقال الحجاج لأبي صالح: زَرَعْتُم. قال: حَرَثنا. قال: فقال له ابن أبي مُسلم: اقتله فإنَّه خارجي.

قتلَ الحَجَّاجُ ماهان سنة ثلاث وثمانين.

● **عمران بن حُصَين بن عبيد بـن خَلف:**

صاحبُ رسول الله ﷺ، القدوةُ الإمامُ، أبو نُجيد الخزاعي.

أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد، سنة سبع.

ولي قضاء البصرة، وكان عمر بَعثه إلى أهل البصرة ليفقههم؛ فكان الحسنُ يحلف: ما قدم عليهم البصرة خيرٌ لهم من عِمران بنِ الحُصين.

وقال مُطرِّفُ بنُ عبد الله: قال لي عِمرانُ بنُ حُصَين: أحدِّثُك حديثاً عسى الله أن ينفعك به: إنَّ رسولَ الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات، ولم ينزلْ فيـه قرآنٌ يُحَرِّمُه، وأنه كان يُسَـلَّمُ عَلَيَّ - يعني الملائكة - قال: فلما اكتويتُ، أمسكَ ذلك؛ فلما تركتُه، عادَ إليَّ.

قال ابن سيرين: سَقى بَطْنُ عِمران بن حُصَين ثلاثين سنة، كل ذلك يُعْرَضُ عليه الكيُّ، فيأبى؛ حتى كان قبل موته بسنتين، فاكتوى.

وقد غزا عِمران بنُ حُصَين، قال: ما مسستُ ذكري بيميني منذُ بايعتُ بها رسولَ الله ﷺ.

اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاريُّ بأربعة أحاديث، ومسلم بتسعة، ومسنده: مئة وثمانون حديثاً.

قال قتادة: بلغني أنّ عمران قال: وددتُ أنّي رمادٌ تذروني الرياح.

وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي.

وعن إبراهيمَ بنِ عطاء مولى عِمران، عن أبيه؛ أنَّ عِمران قضى على رجل بقضية، فقال: والله، قضيتَ عليَّ بجَوْرٍ، وما ألَوْتُ. قال: وكيفَ؟ قال: شُهدَ عليَّ بزور. قال: ما قضيت عليك فهو في مالي، ووالله لا أجلس مجلسي هذا أبداً.

عن أبي رجاء، قال: خرج علينا عِمران في مطرف خَزٍّ لم نَره قط، فقال: قالَ رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله إذا أنْعَمَ على عَبْد نعمةً يُحِبُّ أنْ تُرَى عليه**».

وعن الحسن: أنَّ عِمران بنَ حُصَين أوصى لأمهات أولاده بوصايا، وقال: مَنْ صَرَخَتْ عليَّ، فلا وصية لها.

توفي عِمرانُ رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين.

● العلاءُ بنُ زياد بن مطر بن شُرَيْح:

القدوةُ العابد، أبو نصر العدويُّ البصريُّ.

وكان ربَّانياً تقيَّاً قانتاً لله، بكَّاءً من خَشيةِ الله؛ بكى حتى غشِيَ بَصَرُه. وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم، جَهَشَهُ البكاء.

كـان قوته رغيفاً كلِ يـوم، وكان له مالٌ ورقيق، فأعْتَقَ بعضَهم، وباع بعضَهم، وتعبَّد وبالغ، فكُلِّم في ذلك فقال: إنما أتذلَّلُ لله لعلَّه يَرْحَمُني.

عن جعفر بن سُليمان: سَمِعْتُ مالكَ بنَ دينار وسأل هشامَ بن زياد العدويّ فقال: تجهَّزَ رجلٌ من أهلِ الشام للحجِّ، فأتاه آتٍ في منامِه: ائتِ البَصْرة، فائتِ العلاء بنَ زياد فإنَّه رجلٌ رَبْعة، أقصمُ الثنيَّةِ بَسَّام، فبشِّرْهُ بالجنة. فقال: رؤيا ليسَت بشيء. فأتاه في الليلة الثانية، ثم في الثالثة وجاءهُ بوَعيد، فأصبح وتجهَّز إلى العراق، فلما خرجَ مِنَ البيوت إذا الذي أتاهُ في منامه يسير بين يديه، فإذا نزلَ فقدَهُ. قال: فجاء فوقف على باب العلاء، فخرجتُ إليه فقال: أنتَ العلاء؟ قلتُ: لا، انـزلْ رحمَك الله، فضَعْ رَحْلـك. قال: لا، أينَ العلاء؟ قلت: في المسجد.

فجاءَ العلاء، فلمَّا رأى الرجُلَ، تبسَّمَ فبدَت ثنيَّتُه، فقال: هذا والله هو. فقال العلاء: هلاَّ حططتَ رحْل الرجُل، ألا أنزلتَه، قال: قلتُ له فأبى. قال العلاء: انزلْ رحمكَ الله. قال: أخْلِني. فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماءُ تحوَّلي. فدخل الرجل فبَشَّرَه برؤياه، ثم خرج فركب، وأغلقَ العلاءُ بابه، وبكى

ثلاثـة أيام، أو قال: سبعة، لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً. فسمعتُه يقول في خلال بكائه: أنا، أنا. وكُنّا نهابُه أن نفتحَ بابَه. وخشيتُ أن يموت، فأتيت الحسن، فذكرت له ذلك، فجاء فدقَّ عليه، ففتح وبه من الضُّرِّ شيءٌ الله بهِ عليم. ثم كلَّمَ الحسَن؛ فقال: ومِن أهْلِ الجنَّة إن شاء الله، أفقاتِلٌ نَفْسَكَ أنت؟! قال هشام: فحدَّثنا العلاءُ ـ لي وللحسن ـ بالرؤيا، وقال: لا تُحدِّثوا بها ما كنتُ حيّاً.

قتادة: عن العلاء بن زياد، قال: ما يضرُّكَ شهدتَ على مسلم بكفر أو قتلتَه.

عن العلاء بن زياد، قال: رأيتُ الناسَ في النَّوم، يتبعُون شيئاً، فتبعتُه، فإذا عجوزٌ كبيرة هتْماء عوراء، عليها من كلِّ حِلية وزينة، فقلتُ: ما أنتِ؟ قالت: أنا الدّنيا. قلتُ: أسأل الله أن يُـبَغِّضكِ إليَّ، قالتْ: نَعم، إن أبغضت الدراهم.

وعن هشام بن زياد أخو العلاء: أن العلاء كان يُحيي ليلة الجمعة، فنام ليلة جُمُعةٍ، فأتاه من أخذ بناصيته، فقال: قم يا بن زياد، فاذكُر الله يذكُرْك. فقام، فما زالت تلك الشعراتُ التي أخذها منه قائمة حتّى ماتَ.

ذكر أبو حاتم ابن حِبّان أنَّ العلاء بن زياد توفي في أخَرَةِ ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين.

● **حسَّانُ بنُ أبي سِنان البَصْري:**

أحَدُ العَبّادِ الوَرِعِيْنَ. قال عنه البخاري: كان من عُبّاد أهل البصرة.

كان حسان بن أبي سِنان يفتح باب حانوته فيضع الدَّواة، وينشر حسابه، ويُرخي سِتْرَهُ، ثم يصلِّي، فإذا أحسَّ بإنسان قد جاءَ، يقبل على الحساب يريه أنه كان في الحِساب. وكان يقول: لولا المساكين ما اتَّجَرت.

مَرَّ حسان بن أبي سنان بغُرفة، فقال: مذ كم بُنِيَت هذه؟ قال: ثم رَجَعَ إلى نفسه، فقال: وما عليكِ مذ كم بُنيَت، تسألين عمَّا لا يَعنيكِ؟! فعاقبها بصوم سنة.

ذكرهُ البخاري في البيوع، قال: وقال حَسَّان بن (أبي) سنان: ما رأيتُ شيئاً أهونَ من الوَرَع، دَعْ ما يريبُكَ إلى ما لا يريبُكَ.

● **محمد بن كعب القُرَظي:**

مدني، تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. منسوب إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود، وهو تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم، وهو

أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد المدني من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم عاد إلى المدينة. ولد في حياة رسول الله ﷺ وسمع ابن عباس وزيد بن أرقم ومعاوية. وقيل: سمع ابن مسعود ورأى ابن عمر. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً.

توفي سنة ثمان ومئة، قيل: سنة سبع عشرة ومئة.

● **إبراهيم النَّخَعيّ:**

إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود النَّخَعيّ، اليَماني ثم الكوفيّ أبو عِمْران الإمام، الحافظ، فقيه العراق، مفتي أهل الكوفة، قال فيه سعيد بن جُبَير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟! وقال فيه الإمام أحمد بن حَنْبَل: كان إبراهيم ذكيّاً، حافظاً، صاحبَ سُنَّة.

أحدُ الأعلام، كان بصيراً بعِلْمِ ابن مسعود، واسِعَ الرِّواية، فقيهَ النَّفس، كبير الشَّأن، كثيرَ المَحاسِن، رحمهُ الله تعالى. لم يحدِّث عن أحدٍ من أصحاب النبيّ ﷺ، وقد أدرك منهم جماعة، ورأى السيدة عائشة رضي الله عنها.

قال إبراهيم: تكلمتُ، ولو وجَدْتُ بُدّاً لم أتكلَّمْ، وإنَّ زماناً أكونُ فيه فقيهاً لزمانُ سُوء.

جاءه رجلٌ فقال: يا أبا عِمران، إنَّ الحَسَن البصريَّ يقول: إذا تواجَهَ المسلمان بسَيْفَيْهِما فالقاتلُ والمقتول في النار. فقال رجل: هذا مَن قاتلَ على الدُّنيا، فأمَّا قتالُ مَن بغى، فلا بأس به، فقال إبراهيم: هكذا قال أصحابُنا عن ابنِ مسعود؛ فقالوا له: أين كُنتَ يوم الزَّاوية؟ قال: في بيتي؛ قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ قال: في بيتي؛ قالوا: فإنَّ عَلْقمة شهدَ صفين مع عليّ؛ فقال: بخ بخ، مَن لنا مثل عليِّ بن أبي طالب ورجاله.

مَرَّ الشَّعْبيّ ـ وهو من ثقات التابعين ـ بإبراهيم النخعي، فقام له إبراهيم عن مجلسِه، فقال له الشَّعْبيّ: أما إني أفقهُ منك حيّاً، وأنت أفقهُ مِنِّي مَيْتاً، وذاكَ أنَّ لك أصحاباً يلزمونك، فيُحْيُون عِلْمَك.

فلما مات إبراهيم النَّخَعيّ قال الشَّعْبيّ: أما إنَّه ما ترك أحداً أعلمَ منه، أو أفقه.

وقيل: إنَّ إبراهيمَ لما احتُضِر، جَزعَ جَزَعاً شديداً؛ فقيل له في ذلكَ، فقال: وأيُّ خَطَرٍ أعظمُ ممَّا أنا فيه، أتوقَّعُ رسولاً يَردُ عليَّ مِن رَبِّي إما بالجنَّةِ وإمَّا

بالنَّار ؛ والله لَوَدِدتُ أنها تَلَجْلَجُ في حَلْقي إلى يوم القيامة .

توفي سنة ستٍّ وتسعين وله تسع وأربعون سنة ، وقيل : ابن نيِّفٍ وخمسين بعد الحجَّاج بأربعةِ أشهر أو خمسة .

● العباس بن أحمد بن علي القحطبي:

أبو الفضل ، جرجاني ، كان رئيس جرجان في أيامه ، روى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «**احتجموا لخمس عشرة ، أو سبع عشرة ، أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين ، لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم**» . ورد ذكره في (تاريخ جرجان) .

● أبو قُلابة:

عبد الله بن زيد الجرمي ، أبو قُلابة .

مما نقل عنه : أنه قال : أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له صغار يُعفِّهم اللهُ به ويغنيهم .

وقال : إذا أحدث الله عزَّ وجلَّ لك علماً ، فأحدث له عبادة ، ولا يكن همّك ما يحدثُ به الناس . قال : وقال لي : الزم سوقك فإن الغنى من العافية .

وقال حُميد الطويل : قال أبو قلابة : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه ، فالتمس له العذر جُهدك ، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك : لعل لأخي عذراً لا أعلمه ، وكان رجل بالبصرة من بني سعد قائداً من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن السطح فانكسرت رجلاه ، فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له : أرجو أن تكون لك خيرة ، فقال : يا أبا قلابة ! وأي خير في كسر رجلَيَّ جميعاً ، فقال : ما ستر الله عليك أكثر ، فلمّا كان بعد ثلاث ورد عليه كتابُ ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين رضي الله عنه ، فقال للرسول : قد أصابني ما ترى ، فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه ، فقال الرجل : رحم الله أبا قلابة لقد صدق ، إنه كان خيرة لي .

هذا ومرض أبو قلابة ومات بالشام سنة أربع أو خمس ومئة رحمه الله تعالى .

● الغزي:

هو ربعي بن الأفكل ، كان على مقدمة جيش أميره عبد الله بن المعتم وجعله على المقدمة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أرسل عمر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعدما فتح الله على المسلمين المدائن أن يجهز جيشاً لأهل الموصل الذين اجتمعوا بتكريت على قائد يقال له : (الأنطاق) ويؤمِّر عليه

عبد الله بن المعتم، وأن يجعل ربعي بن الأفكل الغزي في مقدمته. كما عهد إليهم في كتابه إذا نصروا على تكريت أن يبعثوا ربعياً إلى الحصنين، وهي الموصل، فسار ربعي ومعه سرية إلى الحصنين بعد الانتصار في تكريت وأجاب أهلها إلى الصلح، وولي ربعي إمرة حرب الموصل.

●عامر بن عبد الله:

هو الذي يقال له: ابن عبد قيس، ويكنى أبا عمر، يقول فيه مالك بن دينار: بلغنا أن كعباً رأى عامراً فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا عامر، فقال: هذا راهب هذه الأمة. أدرك عامر الصدر الأول، وروى عن عمر رضي الله عنه لكنّه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

قيل: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم عامر بن عبد الله.

إنْ كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقيل له: ألا تنحي الحية عنك؟ فقال: إني لأستحيي من الله عزَّ وجلّ أن أخاف سواه، فقيل له: إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع، وإن النار لتتقى بدون ما تصنع! فقال: والله لأجتهدنَّ ثم والله لأجتهدنّ، فإن نجوتُ فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي.

لما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت وتبكي؟! فقال: ما لي لا أبكي؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء.

كان يقول: ما رأيتُ مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها.

وكان إذا رأى ذمياً يُعتدى عليه، وثبَ إليه يخلصه من العدوان، ويقول: لا تُخفَرُ ذمةُ محمد ﷺ وأنا حي.

وقد سأل عامر ربَّه عزَّ وجل أن يهوِّنَ عليه الطهور في الشتاء: فكان يُؤتى بالماء وله بخار.

وقال: أربع آيات في كتاب الله تعالى إذا ذكرتهنَّ لا أبالي على ما أصبحتُ أو أمسيتُ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ونختم بمسك سيرته كما جاء عن أبي عبدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض ـ وهو ما كان من الغنيمة قبل أن يقسم ـ أقبل رجل بِحُقٍّ معه ـ الحُق: الوعاء ـ فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا له: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: مَنْ أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكنِّي أحمدُ الله وأرضى بثوابه، فأَتْبَعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هـو عامر بن عبد قيس.

● **أحمد بن أبـي الحواري:**

يكنى أحمد أبا الحسـن، واسـم أبي الحواري ميمون.

سكن دمشق، وكان له ابن يقال له: عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له: محمد يشبهه في الورع والزهد. وأبوه أبو الحواري من أهل الورع، فبيتهم بيت الورع والزهد.

وكان الجُنيد يقول: أحمد ريحانة الشام. وحسبك بما قال الجنيد.

وذكر يحيى بن معين أحمد فقال: أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به.

كذلك محمود بن خالد قال فيه: ما أظن بقي على وجه الأرض مثله.

ومن أقواله: من أحبَّ أن يعرف بشيء من الخير، أو يذكر به فقد أشرك في عبادته، ومن عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه.

وقال: إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية، فيحار عقلي فيها، فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلَوا المناجاة به؛ لذهب عنهم النوم فرحاً بما رُزِقوا.

وقـال العباس بن حمزة: قـال أحمد: كلما ارتفعتْ منزلةُ القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

أسـند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غيـاث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم. وتوفي سنة ثلاثين ومئتين.

● **خالد بن زيد الكاتب:**

أبو الهيثم، أصله من خراسان، شاعر مشهور، رقيق الشعر، كان من كتّاب الجيش.

ومن شعره:

عِشْ فحبُّكَ سريعاً قاتلي	والهوى أن تصلني وأصلي
طفر الشوقُ والقلب دنف	فيك والسقم بجسم ناحلي
فهما من اكتئاب وضنى	تركاني كالقضيب الذابل
وبكى العاذل من رحمته	فبكائي لبكاء العاذلِ

توفي ببغداد سنة (٢٦٩هـ).

● **ثابت البناني:**

هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني، وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب.

ولد في خلافة معاوية، وحدث عن عبد الله بن عمر كما في مسلم، وغيره كما في البخاري والنسائي والترمذي.

كان من أئمة العلم والعمل، قال أنس بن مالك: إن للخير أهلاً وإن ثابتاً هذا من مفاتيح الخير.

وقال غالب القطان عن بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، ومن أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة.

وعن ابن أبي رزين: أن ثابتاً قال: كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعّمتُ بها عشرين سنة.

عن حماد بن سلمة قال: كان ثابت يقول: اللهمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري.

ويقال: إنَّ هذه الدعوة استُجيبت له، وإنه رُئي بعد موته يصلي في قبره.

وكان بكّاءً حتى كاد البكاءُ يضرُّ بنظره، فقال جعفر بن سليمان: نهى الكحّال ثابتاً عن البكاء خشية ذهاب عينه، فقال: فما خيرهما إذا لم يبكيا؟!.

وقال حماد بن سلمة: قرأ ثابت وهو يصلي قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ . . . ﴾ [الكهف: ٣٧] فأخذ ينتحب وهو يرددها.

روى البخاري في تاريخه الأوسط: أن ثابتاً ومالك بن دينار ومحمد بن واسع ماتوا سنة (١٢٣هـ).

● علي بن بكار البصري الزاهد:

يكنى أبا الحسن، سكن المصيصة مرابطاً وكان فقيهاً.

قال موسى بن طريف: كانت الجارية تفرش لعلي، فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، لا علوتك الليلة، فكان يصلي الغداة بوضوء العتمة.

وسئل عن حبه للقاء حذيفة المرعشي ـ وكان من الصالحين ـ فكره ذلك وقال: أخاف أن أتصنَّعَ له، فأتزيّن لغير الله، فأسقط من عين الله عزَّ وجلّ.

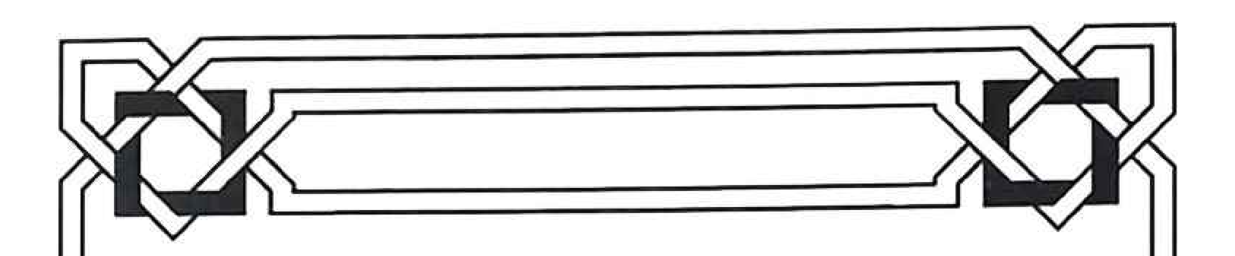
وقد استوصاه فيض بن إسحاق فقال: اتَّقِ اللهَ والزم بيتَك وأمسك لسانك، واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك.

وخرج علي وأبو إسحاق الفزاري يحتطبان، فأبطأ علي حتى قام أبو إسحاق يبحث عنه في الجبل، فرآه جالساً وفي حجره رأس سبع وهو نائم يذب عنه، فقال له أبو إسحاق: ما قعودك ههنا؟ فقال: لجأ إليَّ فرحمته، فأنا أنتظره لينتبه فألحقك.

هذا وقد طُعن فيما ذُكر في بعض مغازيه، فخرجت أمعاؤه على قربوس سرجه فردها إلى بطنه بالعمامة وقاتل.

صحب علي إبراهيم بن أدهم وتوفي بالمُصيصة سنة (١٩٩هـ). انظر ترجمته في: (صفة الصفوة) و(سير أعلام النبلاء).

* * *



الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات .

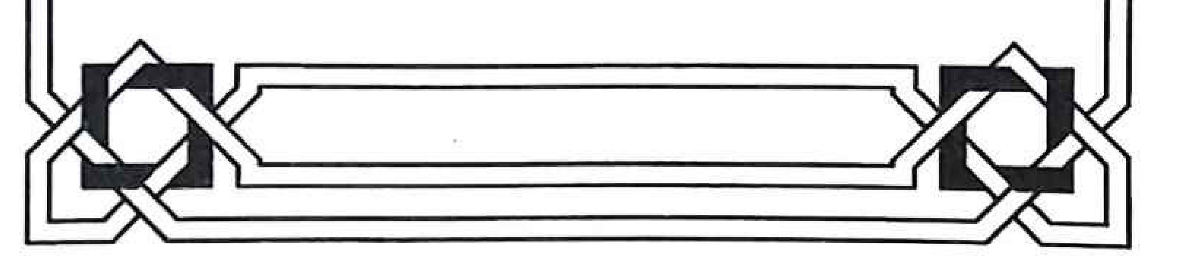
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار .

٣ ـ فهرس الشعر .

٤ ـ فهرس الموضوعات .

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم .

* * *





١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

ـ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ ٧٩
ـ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ ٩٠

البقرة

ـ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ... ﴿٢﴾ ﴾ ٨٢
ـ ﴿ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ... ﴿٥﴾ ﴾ ٩٠
ـ ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ... ﴿١٦﴾ ﴾ .... ٩٤، ٣٣٦، ٥٧١
ـ ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ... ﴿١٧﴾ ﴾ ٦١
ـ ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... ﴿١٩﴾ ﴾ .... ٦١، ٧٢
ـ ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ... ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ٦٧، ٢٢٦
ـ ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا... ﴿٢٦﴾ ﴾ ٦١
ـ ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ... ﴿٢٨﴾ ﴾ ١٠١
ـ ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٦٥
ـ ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴿٣٠﴾ ﴾ .... ٢٥٣، ٣٤١، ٣٧٢
٥١٣، ٥١٤، ٦١٩، ٦٨١
ـ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا... ﴿٣١﴾ ﴾ .... ٢٥٤، ٥٩٤
ـ ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٦١
ـ ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ... ﴿٣٣﴾ ﴾ .... ٣٤١، ٤٦٤، ٥٢٤
ـ ﴿ ٱسْجُدُوا۟... ﴿٣٤﴾ ﴾ .... ٦٧، ١٦١، ٥٩٤، ٦٩٩
ـ ﴿ ٱسْكُنْ... ﴿٣٥﴾ ﴾ .... ٦٥، ٦٩٩، ٧٣٧
ـ ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ... ﴿٣٧﴾ ﴾ .... ٥٠٤، ٦٩٩، ٧٠٠
ـ ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا... ﴿٣٨﴾ ﴾ .... ٦٧، ٩٠، ٧٠١
ـ ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ٩٩
ـ ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم... ﴿٤٩﴾ ﴾ ٦٨

- ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ... (٥٠) ﴾ ٧٦
- ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ... (٥٥) ﴾ ٢٠١
- ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ... (٥٧) ﴾ ٦٥
- ﴿ حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا... (٥٨) ﴾ ..... ٦٨، ٧٠، ٨٣
- ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ... (٥٩) ﴾ ٦٨
- ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٦٠) ﴾ ..... ٦٥، ٧٣، ٣٩٣
- ﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ... (٦١) ﴾ ..... ٧٢، ٧٧، ٢٠١
- ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ... (٦٢) ﴾ ٧٠
- ﴿ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ... (٦٣) ﴾ ٧٩
- ﴿ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ... (٦٤) ﴾ ٨٦
- ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ... (٧١) ﴾ ٧٧
- ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا... (٧٢) ﴾ ٩٥
- ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ... (٧٣) ﴾ ..... ٩٥، ٣٠٤
- ﴿ وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ... (٨٣) ﴾ ٦٨
- ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ... (٩١) ﴾ ٩٥
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... (١٠٤) ﴾ ٥٩
- ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ... (١٠٥) ﴾ ٧٨
- ﴿ نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ... (١٠٦) ﴾ ٧٨
- ﴿ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ... (١١٨) ﴾ ٧٨
- ﴿ بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ... (١٢٠) ﴾ ..... ٦٥، ٧٠
- ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ... (١٢٤) ﴾ ٤٨٢
- ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ... (١٢٥) ﴾ ..... ٦٥، ١١٦
- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ... (١٢٧) ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا... (١٢٨) ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ... (١٣٦) ﴾ ..... ٦٥، ٦٨
- ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ... (١٣٧) ﴾ ١٣٨
- ﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ... (١٤١) ﴾ ٣٦٠
- ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ... (١٤٣) ﴾ ٧٠
- ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ... (١٤٤) ﴾ ..... ٨٢، ٩٩

- ﴿ فولوا وجوهكم شطره ... (150) ﴾ ٦٨٣
- ﴿ فاذكروني أذكركم ... (152) ﴾ .... ٣٧٤، ٥٢٣، ٧٦٧
- ﴿ ولنبلونكم ... (155) ﴾ .... ٢٩٤، ٣٨٢
- ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون ... (170) ﴾ ٦٥
- ﴿ ومثل الذين كفروا ... (171) ﴾ ٦١
- ﴿ وما أهل به لغير الله ... (173) ﴾ ٧٠
- ﴿ ولكم في القصاص حياة ... (179) ﴾ .... ٦٣، ٢٠٢
- ﴿ إن ترك خيرا ... (180) ﴾ ٧٨
- ﴿ ۞ يسألونك عن الأهلة ... (189) ﴾ ١٠٢
- ﴿ حتى لا تكون فتنة ... (193) ﴾ .... ٦٨، ٨١
- ﴿ ففدية من صيام ... (196) ﴾ ٧٢
- ﴿ الحج أشهر معلومات ... (197) ﴾ ٨٤
- ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ... (200) ﴾ ٧٩
- ﴿ في ظلل ... (210) ﴾ ٨٢
- ﴿ حتى يقول الرسول ... (214) ﴾ ٩٨
- ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ... (219) ﴾ ١٠٢
- ﴿ يحب التوابين ... (222) ﴾ ٢٩٥
- ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ... (235) ﴾ ٩٤
- ﴿ الذي بيده عقدة النكاح ... (237) ﴾ .... ٨٩، ٢٣٧، ٤٩١، ٦٠٣
- ﴿ فإذا أمنتم فاذكروا الله ... (239) ﴾ ٧٩
- ﴿ فمن شرب منه فليس مني ... (249) ﴾ .... ٢٥٣، ٢٩٩
- ﴿ ولولا دفع الله الناس ... (251) ﴾ ٨٦
- ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ... (258) ﴾ ١٧٢
- ﴿ مر على قرية ... (259) ﴾ .... ٧٢، ٨٣
- ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ... (260) ﴾ ٦٣
- ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ... (261) ﴾ ٦١
- ﴿ فمثله كمثل صفوان ... (264) ﴾ .... ٦١، ٧٠
- ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ... (265) ﴾ ٦١
- ﴿ أيود أحدكم ... (266) ﴾ ٦١

ـ ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ... (٢٦٧) ﴾ ٨٩

ـ ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ... (٢٧٣) ﴾ .... ٥٣٣، ٦٢٢

ـ ﴿ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ... (٢٧٥) ﴾ .... ٣٧، ٦١

ـ ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ ... (٢٨٠) ﴾ ٨٣

ـ ﴿ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ... (٢٨٢) ﴾ .... ٧٢، ٧٧

ـ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... (٢٨٤) ﴾ ٨٥

آل عمران

ـ ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ... (١٧) ﴾ .... ٧٧، ٦٢٤

ـ ﴿ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ ... (٢٦) ﴾ .... ٧٧، ٧٨

ـ ﴿ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ... (٣٦) ﴾ ٢١٣

ـ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا ... (٣٧) ﴾ .... ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧

ـ ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ ... (٣٨) ﴾ ٢١٧

ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ ... (٤٢) ﴾ ٢١٥

ـ ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ... (٤٤) ﴾ .... ٢١٣، ٤١٣

ـ ﴿ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ... (٥٢) ﴾ ٢١٦

ـ ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... (٥٢) ﴾ ٢١٦

ـ ﴿ وَمَكَرُواْ ... (٥٤) ﴾ ٢١٦

ـ ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ... (٧٣) ﴾ ٧٠

ـ ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ... (٧٩) ﴾ ٨٧

ـ ﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ ... (٨٤) ﴾ .... ٦٥، ٦٨

ـ ﴿ كَانَ حِلّٗا ... (٩٣) ﴾ ٨٣

ـ ﴿ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ... (٩٩) ﴾ ٦٨

ـ ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ ... (١٠٣) ﴾ .... ٦١، ٧٠١

ـ ﴿ أَكَفَرۡتُم ... (١٠٦) ﴾ .... ٥٩، ٦٠

ـ ﴿ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ ... (١١٠) ﴾ ٧٩

ـ ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ... (١١٧) ﴾ ٦١

ـ ﴿ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ ... (١٢٦) ﴾ .... ٦٨، ٧٠

ـ ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ ... (١٣٣) ﴾ ٧٥٧

ـ ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ... (١٣٥) ﴾ ٨٠

- ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ...﴾ (١٣٨) ٣٧
- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ...﴾ (١٤٢) ١٠٠
- ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا...﴾ (١٥١) ٦٨
- ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ...﴾ (١٥٣) .... ٦٥، ٧٧
- ﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ...﴾ (١٥٤) .... ٧٤، ٨٩
- ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ (١٥٩) ٢٣٠
- ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ...﴾ (١٦٥) ٥٣٢
- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ...﴾ (١٧٣) ٩٤
- ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ...﴾ (١٧٨) .... ٥٧٣، ٧٣١
- ﴿لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...﴾ (١٧٩) ٨٥
- ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...﴾ (٢٠٠) ٢٧٤

النساء

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ...﴾ (١) .... ٥٩، ٦٥
- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٣) ٧٢
- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ...﴾ (٥) ٥١٦
- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ...﴾ (٨) ٦١٨
- ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) ٧٨
- ﴿فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٢٢) ٦٨
- ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ...﴾ (٣٤) ٤٧٨
- ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ (٣٦) ٦٨
- ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ...﴾ (٤٢) .... ٧٣، ٧٧
- ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ...﴾ (٤٣) .... ٧٧، ٩٠، ٩٤، ٥٣٦
- ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...﴾ (٥٨) ٧٤
- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ...﴾ (٧٢) ٥٣٥
- ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا...﴾ (٧٧) ٨٧
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ (٨٣) ٨٦
- ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً...﴾ (٩٧) .... ٧٣، ٨٢
- ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ (١٠١) ٨١
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ...﴾ (١١٣) ٨٦

- ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ (١٢٣) ٦٣
- ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ (١٢٩) ٤٧٨
- ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ (١٣٥) ٧٠
- ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (١٤٢) ٩٩
- ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ (١٤٩) ٦٦
- ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ (١٦٤) ٢٥٤
- ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ (١٦٥) ٥٧٣
- ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (١٧١) ٨٠

المائدة

- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ (٤) ٩٩
- ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ (٨) ٧٠
- ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (١٢) ٩٩
- ﴿لَن نَّدْخُلَهَا﴾ (٢٢) ٢٠١
- ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (٢٦) ٧٣
- ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ (٤١) ٨٢
- ﴿أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ (٥٢) ٧٤
- ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (٥٤) .... ٣١٤، ٣٢٨، ٥٢٣، ٥٦٥
- ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (٥٥) .... ٨٠، ٢٥٦
- ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾ (٦١) ٧٧
- ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ (٦٣) ٨٧
- ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (٦٤) ٧٣
- ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ (٩٥) ٧٤
- ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٤) ٦٥
- ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (١٠٦) ٨١
- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾ (١٠٨) ٧٢

الأنعام

- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ (٨) ٧٨
- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ (١٧) .... ٧٨، ٨٣٣
- ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (١٩) ٢٢٦

- ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ... ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ٨١، ٩٠، ١٠١
- ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ... ﴿٣٧﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً... ﴿٤٤﴾ ﴾ ٧٤٢
- ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ... ﴿٧١﴾ ﴾ ٦١
- ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا... ﴿٨١﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ... ﴿٩٠﴾ ﴾ .... ٩٠، ١٦٥
- ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ... ﴿٩٣﴾ ﴾ ٧٣
- ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ... ﴿١٠٢﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ... ﴿١٤٦﴾ ﴾ ٧٢
- ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ... ﴿١٥١﴾ ﴾ .... ٦٦، ٧١
- ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا... ﴿١٦٠﴾ ﴾ ٧٤٤

الأعراف

- ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ... ﴿١٩﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ فَدَلَّاهُمَا... ﴿٢٢﴾ ﴾ ٣٧٢
- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا... ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ٥٩٤، ٦١٩
- ﴿ يَا بَنِي آدَمَ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ٦٧٢
- ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا... ﴿٣١﴾ ﴾ ٦٣
- ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم... ﴿٣٧﴾ ﴾ ٩٩
- ﴿ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ٨٢
- ﴿ هَدَانَا لِهَٰذَا... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٨٦
- ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ... ﴿٤٤﴾ ﴾ ١٠١
- ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٠١
- ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ٨٠

- ﴿ اَعْبُدُوا اللَّهَ . . . ﴿٦٥﴾ ﴾ ١٦٩
- ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ . . . ﴿٧٣﴾ ﴾ ٧٣
- ﴿ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ . . . ﴿٧٥﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ . . . ﴿٨٠﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ . . . ﴿٨٦﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ . . . ﴿٨٩﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ . . . ﴿١١٠﴾ ﴾ .... ٦٩، ٧٤، ٩٧
- ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ . . . ﴿١٢٤﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ فَانتَقَمْنَا . . . ﴿١٣٦﴾ ﴾ ٢٣١
- ﴿ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا . . . ﴿١٣٧﴾ ﴾ .... ٧٣، ٩٩
- ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم . . . ﴿١٤١﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي . . . ﴿١٤٢﴾ ﴾ .... ١٠٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١
- ﴿ أَرِنِيٓ . . . ﴿١٤٣﴾ ﴾ .... ٢٨٩، ٦٨٥
- ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي الْأَلْوَاحِ . . . ﴿١٤٥﴾ ﴾ ٣٩
- ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ . . . ﴿١٥٠﴾ ﴾ .... ٥٩، ٦٩، ١٩٠
- ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ . . . ﴿١٥٥﴾ ﴾ ٨٢
- ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ . . . ﴿١٦٠﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .... ٦٨، ٧٠
- ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ . . . ﴿١٦٣﴾ ﴾ ٨٣
- ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ . . . ﴿١٧٢﴾ ﴾ .... ٢٥٧، ٢٦١، ٥١٨، ٥١٩، ٥٣٧، ٥٩٨
- ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ . . . ﴿١٧٦﴾ ﴾ .... ٦١، ٢٠٤
- ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ . . . ﴿١٨٨﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . . ﴿١٨٩﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ . . . ﴿٢٠١﴾ ﴾ ٣٣٥
- ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا . . . ﴿٢٠٣﴾ ﴾ ٨٧

الأنفال

- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ... (١) ﴾ ٨١
- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ... (٢) ﴾ ٦٣٢
- ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ... (٨) ﴾ ٧٧
- ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ... (١٠) ﴾ ..... ٦٨، ٧٠
- ﴿ سَأُلْقِى ... (١٢) ﴾ ..... ٨٦، ٢٣٠
- ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ... (١٩) ﴾ ٢٣١
- ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا ... (٢٣) ﴾ ٧٨
- ﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ... (٢٤) ﴾ ٥٧٩
- ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ... (٣١) ﴾ ١٠٢
- ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ... (٤١) ﴾ ٥٢٧
- ﴿ لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا ... (٤٢) ﴾ ٧٤
- ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ ... (٦٨) ﴾ ٨٦

التوبة

- ﴿ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ... (٦) ﴾ ٤٨١
- ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ... (٢٤) ﴾ ٧٤
- ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ ... (٣٢) ﴾ ٦٦
- ﴿ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... (٣٣) ﴾ ٧٩
- ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ... (٣٦) ﴾ ٧٩
- ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ ... (٣٩) ﴾ ٦٩
- ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ... (٤٠) ﴾ ٦٦٠
- ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ... (٤٧) ﴾ ٦٣
- ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ... (٤٩) ﴾ ٨٢
- ﴿ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ... (٥٠) ﴾ ٧٤
- ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ... (٦٢) ﴾ ٩٥
- ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ ... (٦٦) ﴾ ٩٥
- ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ ... (٧٤) ﴾ ..... ٦٣، ٩٩

- ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا... ﴿٨١﴾﴾ ٤١٢
- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم... ﴿٨٤﴾﴾ ٨١
- ﴿لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ... ﴿٩٢﴾﴾ ٩٠
- ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ... ﴿٩٤﴾﴾ ٩٩
- ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا... ﴿١٠٢﴾﴾ ٣١٤
- ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ... ﴿١٠٣﴾﴾ ٨١
- ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ... ﴿١٠٤﴾﴾ ٨١
- ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا... ﴿١٠٨﴾﴾ ٥٨٤
- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ... ﴿١١١﴾﴾ .... ٧٧، ٥٨٣
- ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ... ﴿١١٤﴾﴾ ١٠٠
- ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟... ﴿١١٨﴾﴾ ٣٨٧
- ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم... ﴿١٢٣﴾﴾ ٢٧٨
- ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ... ﴿١٢٦﴾﴾ ٨٢

يونس

- ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ... ﴿٣﴾﴾ ٧٤
- ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... ﴿٤﴾﴾ ٨٦
- ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم... ﴿٩﴾﴾ ٣٢٨
- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ... ﴿١٢﴾﴾ .... ٧٥، ٨٦
- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ... ﴿١٩﴾﴾ ٨٦
- ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ... ﴿٢٠﴾﴾ ٨٨
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ... ﴿٢٢﴾﴾ ٦٠
- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴿٢٤﴾﴾ .... ٦١، ١٧١، ٢٦٥، ٥٦١
- ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ... ﴿٢٥﴾﴾ ٧٠١
- ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ... ﴿٣٨﴾﴾ ٦٧
- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ... ﴿٥٩﴾﴾ ٧٣
- ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ... ﴿٦٢﴾﴾ ٣٤٦
- ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ... ﴿٦٤﴾﴾ ١٠٠
- ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ... ﴿٧١﴾﴾ ١٠٠
- ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً... ﴿٨٥﴾﴾ ٨٢

- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ... ﴿٩٠﴾﴾ ٦٦
- ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ... ﴿٩٤﴾﴾ ٥٩
- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ... ﴿٩٨﴾﴾ ٨٨

هود

- ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ... ﴿٦﴾﴾ .... ٧٣، ٨٣٣
- ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ... ﴿٨﴾﴾ ٨٥
- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ... ﴿٩﴾﴾ ٧٥
- ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ... ﴿١٢﴾﴾ ٨٨
- ﴿۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ... ﴿٢٤﴾﴾ ٦٢
- ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ... ﴿٣١﴾﴾ ٦٩
- ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ... ﴿٣٦﴾﴾ ١٦٧
- ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي... ﴿٣٧﴾﴾ ١٦٧
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا... ﴿٤٠﴾﴾ .... ٧٤، ١٦٧
- ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ... ﴿٤٢﴾ لَا عَاصِمَ... ﴿٤٣﴾﴾ .... ٧٤، ٩٥، ١٣٤، ١٦٧، ٤٠٧، ٥٧٣
- ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي... ﴿٤٤﴾﴾ .... ٧٤، ١٦٨، ٦٣٧
- ﴿اهْبِطْ... ﴿٤٨﴾﴾ ٧٠١
- ﴿بِتَارِكِي آلِهَتِنَا... ﴿٥٣﴾﴾ ٨١
- ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ... ﴿٥٧﴾﴾ ٦٩
- ﴿أَلَا بُعْدًا... ﴿٦٠﴾﴾ ١٧٠
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ... ﴿٧٥﴾﴾ ٨٥
- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا... ﴿٧٧﴾﴾ .... ٦٩، ١٨٠
- ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي... ﴿٧٨﴾﴾ ١٨٠
- ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ... ﴿٧٩﴾﴾ ٧٧
- ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً... ﴿٨٠﴾﴾ ١٨٠
- ﴿فَأَسْرِ... ﴿٨١﴾﴾ .... ١٨٠، ١٨١
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً... ﴿٨٢﴾﴾ .... ٦٦، ١٨١
- ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ ١٨٣
- ﴿أَرَاكُم بِخَيْرٍ... ﴿٨٤﴾﴾ .... ٧٨، ١٩٢

- ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ... (٨٧) ﴾ .... ٨١، ١٩٢
- ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) ﴾ ١٩٩
- ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا... (٩١) ﴾ .... ٨٢، ١٩٢
- ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ... (٩٥) ﴾ .... ١٩٣، ٣٣٤
- ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) ﴾ .... ٧٤، ١٠٣
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ... (١٠٢) ﴾ ٧٤١
- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً... (١٠٣) (١٠٥) ﴾ ٧٦٩
- ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ... (١١٦) ﴾ ٨٨

يوسف

- ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا... (٤) ﴾ .... ٣٩، ١٨٤
- ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ... (٩) ﴾ ١٨٥
- ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ... (١٠) ﴾ ١٨٤
- ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا... (١١) ﴾ ١٨٤
- ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم... (١٥) ﴾ .... ١٨٤، ١٨٥
- ﴿ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ١٨٤
- ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ... (١٨) ﴾ ١٨٤
- ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ... (٢٠) ﴾ .... ١٨٦، ٣٤٧
- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ... (٢٢) ﴾ ٦٩
- ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ... (٢٣) ﴾ .... ٩٥، ٤٢٥
- ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ... (٢٤) ﴾ .... ٨٦، ١٨٤، ٢٤٨، ٣٩٧، ٤٨٢، ٦٥٢
- ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ... (٢٥) ﴾ .... ١٨٥، ٤٢٥
- ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ... (٢٦) ﴾ ١٨٥
- ﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا... (٣٠) ﴾ .... ٥١٣، ٦٨٦
- ﴿ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ... (٣١) ﴾ .... ٥١٣، ٦٤٩
- ﴿ فَاسْتَعْصَمَ... (٣٢) ﴾ .... ١٨٥، ٦٥٢، ٦٨٦، ٧٠١
- ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ... (٤٢) ﴾ ١٧٥
- ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) ﴾ ٨٦

- ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ... ﴿٥١﴾﴾ .... ٩٧، ٤٢٥
- ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ... ﴿٥٢﴾﴾ .... ٩٠، ٩٧، ٢٩٩، ٤٣٧
- ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ... ﴿٥٣﴾﴾ ٧٠٥
- ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ... ﴿٥٥﴾﴾ ٧٣
- ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ... ﴿٦٣﴾﴾ ١٨٦
- ﴿ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ... ﴿٧٠﴾﴾ ١٨٦
- ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ... ﴿٧٦﴾﴾ ٢٠٢
- ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ... ﴿٨٢﴾﴾ .... ٨٣، ٩٤
- ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ... ﴿٨٤﴾﴾ ٧٥٧
- ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟... ﴿٨٥﴾﴾ ١٨٨
- ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى... ﴿٨٦﴾﴾ ٦٩٦
- ﴿ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ... ﴿٨٧﴾﴾ .... ١٨٦، ٢٧٧، ٨٩١
- ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ... ﴿٨٨﴾﴾ .... ١٨٦، ١٨٧، ٥٧٩، ٦٨٦، ٧٦٧
- ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ... ﴿٩٢﴾﴾ .... ١٨٧، ٦٨٦
- ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى... ﴿٩٣﴾﴾ ١٨٧
- ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ... ﴿٩٤﴾﴾ .... ١٨٧، ١٨٨

الرعد

- ﴿ ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ .... ٢٣٨، ٢٤٨
- ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ... ﴿٦﴾﴾ ٥٧١
- ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ... ﴿٧﴾﴾ .... ٨٨، ٩٠
- ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ... ﴿١١﴾﴾ .... ٨٩، ٥٧٣
- ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ... ﴿١٣﴾﴾ .... ٢٤٨، ٢٤٩
- ﴿ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ... ﴿١٤﴾﴾ .... ٦٢، ٧٣، ٧٧
- ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ... ﴿١٧﴾﴾ .... ٦٢، ٥٠١
- ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ... ﴿٢٤﴾﴾ .... ٣٥٢، ٧٢٧
- ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ... ﴿٣٥﴾﴾ ٦٢
- ﴿ بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ... ﴿٣٧﴾﴾ ٦٥
- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟... ﴿٤٣﴾﴾ ١٠٢

إبراهيم

- ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... ﴾ (11) ٥٣٧
- ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ (18) .... ٦٢، ٧٠
- ﴿ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ... ﴾ (24) ٦٢
- ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ... ﴾ (26) ٦٢
- ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ ... ﴾ (34) ٢٤٧
- ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ... ﴾ (37) ١٦٥
- ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم ... ﴾ (44) ١٠٠
- ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ... ﴾ (45) ١٠٠
- ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ... ﴾ (46) ٤٣٦

الحجر

- ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (6) ١٠٢
- ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ ... ﴾ (11) ٦٦
- ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ ... ﴾ (12) ٦٦
- ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ... ﴾ (18) ٥٢٤
- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ... ﴾ (29) ٣٤١
- ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (34) ٥٩
- ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (40) .... ٩٠، ١٠٠
- ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ... ﴾ (48) ٣٥٢
- ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ... ﴾ (65) ٥٢٢
- ﴿ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي ... ﴾ (68) ٨٥
- ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً ... ﴾ (74) ٦٦
- ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ... ﴾ (88) ٤٨٥

النحل

- ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ... ﴾ (1) .... ٧٤، ٩٥
- ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ... ﴾ (6) ٧٠١
- ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ ... ﴾ (7) .... ٢٥٧، ٦٧٦
- ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ ... ﴾ (14) .... ٧١، ٢٩١

- ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٥٤٤
- ﴿ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ٣٤٦
- ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ٥٨٤
- ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ... ﴿٤١﴾ ﴾ ٨٠٤
- ﴿ كُلِي... ﴿٦٩﴾ ﴾ ٢١٥
- ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا... ﴿٧٠﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا... ﴿٧٥﴾ ﴾ ٦٢
- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ... ﴿٧٦﴾ ﴾ ٦٢
- ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٧٢
- ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ... ﴿٩٠﴾ ﴾ .... ٣٧، ٢٤٧
- ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ... ﴿٩١﴾ ﴾ ٧٠١
- ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا... ﴿٩٢﴾ ﴾ ٢٧٩
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ... ﴿١٠٦﴾ ﴾ ٨٠٤
- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً... ﴿١١٢﴾ ﴾ .... ٦٢، ٨٣
- ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ... ﴿١١٨﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ... ﴿١٢٦﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ٦٩

الإسراء

- ﴿ أَسْرَىٰ... ﴿١﴾ ﴾ ٢٥٣
- ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ... ﴿١١﴾ ﴾ ٧٥
- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٦٤
- ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ... ﴿٣١﴾ ﴾ .... ٦٦، ٧١
- ﴿ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ... ﴿٣٥﴾ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ... ﴿٤١﴾ ﴾ ٧١

- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ... ﴾ (٤٤) ٢٤٧
- ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (٤٥) ٩٥
- ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ... ﴾ (٥٨) ٨٣
- ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ... ﴾ (٦٤) ١٠٠
- ﴿ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ... ﴾ (٧٢) ٢٧٨
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ... ﴾ (٧٤) .... ٨٦، ٧٣٣
- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ... ﴾ (٨٥) ٨٠
- ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ... ﴾ (٨٨) ١٠٢
- ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ... ﴾ (٩٢) ١٠٢
- ﴿ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ... ﴾ (٩٤) ٩٠
- ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا... ﴾ (٩٦) ٧١
- ﴿ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (١٠١) ٩٥
- ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ... ﴾ (١١٠) ٨١

الكهف

- ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا... ﴾ (٢) ٩٤
- ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (١٣) .... ٩٠، ٢٢١
- ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم... ﴾ (١٥) ٨٨
- ﴿ بِٱلْوَصِيدِ... ﴾ (١٨) ٢٢١
- ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ... ﴾ (١٩) ٢٢١
- ﴿ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ... ﴾ (٢٥) ٢٢٠
- ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... ﴾ (٢٨) ٣٤٨
- ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ... ﴾ (٣١) .... ٨٩، ٢٤٠
- ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ... ﴾ (٣٦) ٦٦
- ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ... ﴾ (٣٧) ٨٣٦
- ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ... ﴾ (٣٩) ٨٨
- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴾ (٤٥) ٦٢
- ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ... ﴾ (٥٠) .... ٣٤١، ٥٢٤
- ﴿ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ... ﴾ (٥٤) ٧١

- ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ... ﴿٥٧﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ ... ﴿٥٩﴾ ﴾ ..... ٧٣٠، ٧٤١
- ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ... ﴿٦١﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ ... ﴿٦٦﴾ ﴾ ٢٠١
- ﴿ لَن ... ﴿٦٧﴾ ﴾ ٢٠١
- ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ ... ﴿٦٨﴾ ﴾ ..... ١٧٢، ٢٠١
- ﴿ أَخَرَقْتَهَا ... ﴿٧١﴾ ﴾ ٢٠٢
- ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٩٤
- ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ ..... ٢٠١، ٢٨٦، ٤١٣، ٦٩٥
- ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ... ﴿٧٩﴾ ﴾ ٤٠١
- ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ... ﴿٨٢﴾ ﴾ ٢٠٢
- ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ ٨٠
- ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ ١٧٦
- ﴿ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٩٤﴾ ﴾ ٧٣
- ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ... ﴿٩٥﴾ ﴾ ٦١٩
- ﴿ ٱنفُخُوا۟ ... ﴿٩٦﴾ ﴾ ..... ٤٢٠، ٦١٩
- ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ ... ﴿٩٧﴾ ﴾ ..... ١٧٦، ٦١٩
- ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ... ﴿١٠١﴾ ﴾ ٣١١

مريم

- ﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ... ﴿٤﴾ ﴾ ٢١٨
- ﴿ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٢١٩
- ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴿١٧﴾ ﴾ ..... ٨٠، ٢١٤
- ﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٢١٤
- ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ... ﴿١٩﴾ ﴾ ٢١٤
- ﴿ أَنَّىٰ ... ﴿٢٠﴾ ﴾ ٢١٥
- ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ... ﴿٢١﴾ ﴾ ٢١٨
- ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ..... ٢١٤، ٢١٥
- ﴿ أَلَّا تَحْزَنِى ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ٢١٤
- ﴿ وَهُزِّىٓ ... ﴿٢٥﴾ ﴾ ..... ١٩٥، ٢١٥

- ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ... ﴾ [٢٧] ٢١٥
- ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ... ﴾ [٢٨] ٢١٥
- ﴿ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [٢٩] .... ٨٣، ٢١٥
- ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ... ﴾ [٣٠] ٢١٥
- ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى... ﴾ [٣٢] ٢١٥
- ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ... ﴾ [٤٧] ١٠٠
- ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [٦١] ٩٥
- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ... ﴾ [٦٧] ٧٥
- ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا... ﴾ [٧١] ٣٥١
- ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [٧٨] ٨٤
- ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ... ﴾ [٧٩] ٨٤
- ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾ [٨١] ٨٤
- ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ... ﴾ [٨٢] ٨٤
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ... ﴾ [٨٣] ١٠٠
- ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ... ﴾ [٨٤] ٥٧٣
- ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ... ﴾ [٨٥] ٣٥١

طه

- ﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ... ﴾ [١٠] ٣٢٩
- ﴿ نُودِىَ... ﴾ [١١] ١٩٦
- ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [٢١] ٩٥
- ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ... ﴾ [٣٩] ١٩٤
- ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ... ﴾ [٤١] ١٩٤
- ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا... ﴾ [٤٤] ١٠٠
- ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ... ﴾ [٤٧] ٦٦
- ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [٤٩] ٥٩
- ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [٥٠] ٩٠
- ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا... ﴾ [٥٣] ٦٦
- ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟... ﴾ [٦٦] ٦٩
- ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ... ﴾ [٧١] .... ٦٦، ٨٢

- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ [٧٨] ٦٦
- ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [٨٢] ٦٧٥
- ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ [٩٤] .... ٦٩، ١٠٠
- ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [١٠٨] ٨٦
- ﴿ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ﴾ [١١٦] ٦٨٠
- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [١١٧] .... ٥٩، ٦٨٠
- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ [١١٨] ٥٠٣
- ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ [١٢١] .... ٥٩٤، ٦٥٢
- ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ [١٢٣] ٦٧
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [١٢٤] ٨٠
- ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [١٣٣] ٨٨
- ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [١٣٤] ٨٨

الأنبياء

- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [٢] ٨٠
- ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [١٠] ٨٠
- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [١١] ٧٤١
- ﴿لَا يُسْـَٔلُ﴾ [٢٣] .... ٢٤٧، ٣٨٩، ٤٦٥
- ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [٣٦] ٨٠
- ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ [٤٦] ٥٧٣
- ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [٥١] ١٧٢
- ﴿حَرِّقُوهُ﴾ [٦٨] ٣٤٧
- ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [٦٩] .... ١٧٢، ٤٣٠
- ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾ [٧٠] ٦٧
- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [٧٣] ٧٨
- ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [٧٧] ٨٩
- ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [٨٧] ١٠٠
- ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [٨٩] ٢١٨
- ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [٩١] ٨٠

- ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ (٩٣) ٦٧
- ﴿سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ (١٠١) .... ١٩٤، ٣٢٨، ٣٤٦، ٣٧٢
- ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ﴾ (١٠٣) ٣٧٧
- ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا﴾ (١٠٥) ٧٣

الحج

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ (٤) ٦٤
- ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ (٥) ٦٩
- ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ (٩) ٣٠٩
- ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ (١٧) ٧٠
- ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ﴾ (٢٢) .... ٦٩، ٤١٥
- ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ (٢٦) .... ٦٥، ١٦٦
- ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ (٢٧) ٢٥٧
- ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (٣١) ٦٢
- ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ﴾ (٣٦) ٧٨
- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ (٣٩) ١٢٤
- ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ (٤٠) .... ٨١، ٨٦
- ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ (٤٥) ٧٤١
- ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ (٦٢) ٦٩
- ﴿ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ (٧٣) ٦٢
- ﴿شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ (٧٨) .... ٧٠، ٨٢

المؤمنون

- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ (١٢) .... ٧٥، ٩٤
- ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ﴾ (١٣) ٩٤
- ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ (٢٠) ٩٤
- ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ﴾ (٢٧) ١٦٧
- ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ (٥٣) ٦٧
- ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ (٧٠) ٧٨
- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ (٧١) ٧٨
- ﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم﴾ (٧٥) ١٠٣

- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ (٨٣) ٧١
- ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ (٨٤) ٢٤٧
- ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ (٩٩) .... ٤١٥، ٤٥٤، ٥١٧، ٥٣٠، ٥٦٢
- ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ﴾ (١٠٠) .... ٨٤، ٤١٥، ٤٥٤
- ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ (١٠٦) ٣٤٦
- ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (١٠٩) ٧٨
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ (١١٥) ٥٧٧

النور

- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ (٢) ٧٩
- ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ (١٢) .... ٧٨، ٨٨
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ (٢٠) ٨٦
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ﴾ (٢١) .... ٨٦.
- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ (٢٥) ٧٩
- ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟﴾ (٣٠) ٥٤٣
- ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (٣٣) ٧٨
- ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ (٣٥) .... ٦٢، ٤٦٣
- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ (٣٧) ٢٧٢
- ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ (٣٩) ٦٢
- ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (٤٠) ٧٦٠
- ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ (٥٨) ٨٦
- ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (٦٣) .... ٨٢.

الفرقان

- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ (٧) .... ٨٨، ١٠٢
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ (٢٠) .... ١٠٢، ٤٣٢
- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (٢١) ٨٨
- ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ (٢٩) ٧٥
- ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ (٣٢) ٨٨
- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ (٤٠) ٨٣

- ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ... ﴿٤٢﴾﴾ ٨٦
- ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ ٧٧
- ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ... ﴿٦٠﴾﴾ ١٠٢
- ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ... ﴿٧٧﴾﴾ ٨٦

الشعراء

- ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ ٨٤
- ﴿بِسِحْرِهِۦ ... ﴿٣٥﴾﴾ ٦٩
- ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ... ﴿٣٦﴾﴾ ٦٦
- ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ .... ٦٩.
- ﴿لَا ضَيْرَ ... ﴿٥٠﴾﴾ .... ٣٨٢، ٤٣٢
- ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ... ﴿٦٢﴾﴾ ٨٤
- ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ... ﴿٦٣﴾﴾ ٩٤
- ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ... ﴿٦٤﴾﴾ ٥٤٩
- ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ٧٠
- ﴿لَّهَا شِرْبٌ ... ﴿١٥٥﴾﴾ ١٧١
- ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا ... ﴿١٥٦﴾﴾ ١٧١
- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا ... ﴿١٨٧﴾﴾ ١٩٢
- ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ... ﴿١٨٩﴾﴾ ١٩٢
- ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ... ﴿٢٠٠﴾﴾ ٦٦
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ ... ﴿٢٢٥﴾﴾ ٩٤

النمل

- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ... ﴿١٢﴾﴾ ٦٧٥
- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ ٣٠
- ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ... ﴿١٨﴾﴾ ٢١٠
- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... ﴿١٩﴾﴾ .... ٢١٠.
- ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ ... ﴿٢١﴾﴾ ٢١٠
- ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ... ﴿٢٢﴾﴾ ٢١٠
- ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴿٢٥﴾﴾ ٨٢

- ﴿ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ ... ﴾ ﴿٣٣﴾ ٢١١
- ﴿ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ ... ﴾ ﴿٣٤﴾ ٩٧
- ﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ ... ﴾ ﴿٣٥﴾ ٢١١
- ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ ... ﴾ ﴿٣٦﴾ ٢١١
- ﴿ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا ... ﴾ ﴿٣٨﴾ ٢١١
- ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ ... ﴾ ﴿٤٠﴾ ٧٠
- ﴿ نَكِّرُواْ ... ﴾ ﴿٤١﴾ ٢١١
- ﴿ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ ... ﴾ ﴿٤٢﴾ ٢١١
- ﴿ ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ ... ﴾ ﴿٤٤﴾ .... ٢١١، ٢١٢
- ﴿ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ ١٠٠
- ﴿ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ ... ﴾ ﴿٤٦﴾ ٨٨
- ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ ... ﴾ ﴿٥٢﴾ ٤٦٤
- ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا ... ﴾ ﴿٦٨﴾ ٧١
- ﴿ وَلَا تَكُن ... ﴾ ﴿٧٠﴾ ٦٩
- ﴿ رَدِفَ لَكُم ... ﴾ ﴿٧٢﴾ ٨٥
- ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾ ﴿٨٧﴾ ٦٧
- ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ... ﴾ ﴿٨٨﴾ ٤٧٧

القصص

- ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ... ﴾ ﴿٥﴾ .... ١، ١٩٥
- ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ ... ﴾ ﴿٧﴾ .... ١٩٤، ٢٠٢
- ﴿ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا ... ﴾ ﴿٨﴾ .... ٨٦، ١٩٤
- ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ ... ﴾ ﴿٩﴾ ١٩٤
- ﴿ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ ... ﴾ ﴿١٠﴾ .... ٨٧، ١٩٥، ٣٤٨
- ﴿ قُصِّيهِۖ ... ﴾ ﴿١١﴾ ١٩٥
- ﴿ ۞وَحَرَّمۡنَا ... ﴾ ﴿١٢﴾ ١٩٥
- ﴿ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا ... ﴾ ﴿١٣﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ... ﴾ ﴿١٤﴾ ٦٩
- ﴿ فَوَكَزَهُۥ ... ﴾ ﴿١٥﴾ .... ٢٠٢، ٥٧٨

- ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ... ﴿٢٠﴾﴾ ٧١
- ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ... ﴿٢٢﴾﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ... ﴿٢٣﴾﴾ ١٩٥
- ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ... ﴿٢٤﴾﴾ ٧٨
- ﴿ إِنَّ أَبِي... ﴿٢٥﴾﴾ ١٩٥
- ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي... ﴿٢٧﴾﴾ ٤٢٦
- ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ... ﴿٢٩﴾﴾ ١٩٥
- ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا... ﴿٣٠﴾﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ... ﴿٤٧﴾﴾ .... ٨٧، ٨٨
- ﴿ لَوْلَآ أُوتِيَ... ﴿٤٨﴾﴾ ٨٨
- ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ... ﴿٥٧﴾﴾ ٩٠
- ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم... ﴿٦٠﴾﴾ ٦٧
- ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ... ﴿٦٨﴾﴾ ١٠٣
- ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ... ﴿٧٣﴾﴾ ٩٨
- ﴿ فَبَغَىٰ... ﴿٧٦﴾﴾ ٢٠٥
- ﴿ وَٱبْتَغِ... ﴿٧٧﴾﴾ ٢٠٥
- ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ... ﴿٨١﴾﴾ ٢٠٥
- ﴿ وَيَقْدِرُ... ﴿٨٢﴾﴾ .... ٧٠، ٨٧
- ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ... ﴿٨٣﴾﴾ ٨٠٦

العنكبوت

- ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟... ﴿٢﴾﴾ ٥٥٧
- ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿٣﴾﴾ ٨٢
- ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ... ﴿٨﴾﴾ ٧٥
- ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ... ﴿١٠﴾﴾ ٨٢
- ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا... ﴿١٤﴾﴾ ١٦٧
- ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ... ﴿١٧﴾﴾ ٣٥٦
- ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ... ﴿٣٣﴾﴾ ٦٩
- ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ... ﴿٣٥﴾﴾ .... ٦٧، ١٨٣
- ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ... ﴿٤٠﴾﴾ .... ١٠٠، ٧٤٢

- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴿٤١﴾﴾ .... ٦٢، ٣٨٠
- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ... ﴿٥٠﴾﴾ ٨٨
- ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا... ﴿٥٢﴾﴾ ٧١
- ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى... ﴿٥٣﴾﴾ ٨٧
- ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ... ﴿٦٢﴾﴾ ٧٠
- ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ... ﴿٦٤﴾﴾ ٥٥٦
- ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .... ٦٩، ٤٨١

الروم

- ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ... ﴿٣﴾﴾ ٧٣
- ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ... ﴿٢٨﴾﴾ ٦٢
- ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ... ﴿٣٩﴾﴾ ٦٠
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ... ﴿٤٠﴾﴾ ٥٩
- ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ... ﴿٤٤﴾﴾ ٢٧٨

لقمان

- ﴿وَمَن يَشْكُرْ... ﴿١٢﴾﴾ ٧٠
- ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ... ﴿٣٠﴾﴾ ٧٠
- ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا... ﴿٣٣﴾﴾ ٦٧٢

السجدة

- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا... ﴿١٣﴾﴾ ٣٨٩
- ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ... ﴿١٦﴾﴾ .... ٢٧٢، ٤٦٢، ٤٩٠، ٥١٤، ٥٢٣، ٦٢٢، ٦٢٤
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ... ﴿١٧﴾﴾ ٦٢٢
- ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ... ﴿٢١﴾﴾ ٧٢
- ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ... ﴿٢٢﴾﴾ ٦٦

الأحزاب

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ... ﴿١﴾﴾ ٩٤
- ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ... ﴿١١﴾﴾ ٢٩٤

- ﴿ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ... ﴿٢٢﴾﴾ ١٠٠
- ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ... ﴿٢٣﴾﴾ .... ٥٨٢، ٦١٣
- ﴿ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا... ﴿٢٥﴾﴾ ٧٨
- ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ... ﴿٢٧﴾﴾ ٧٤
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ... ﴿٤٥﴾﴾ ٥٩
- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا... ﴿٥٤﴾﴾ ٦٦
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ... ﴿٥٦﴾﴾ ٨١
- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ... ﴿٧٢﴾﴾ ٥١٣

سبأ

- ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ... ﴿٩﴾﴾ ١٠٢
- ﴿ أَوِّبِى... ﴿١٠﴾﴾ .... ٢٠٧، ٢٦٧، ٦٤٨
- ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ... ﴿١١﴾﴾ .... ٢٠٧، ٧١٥
- ﴿ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا... ﴿٢٧﴾﴾ ٨٤
- ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ... ﴿٣١﴾﴾ ٨٧
- ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم... ﴿٣٧﴾﴾ ٢٥٩
- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ... ﴿٥٤﴾﴾ .... ٥٧١، ٦٧١

فاطر

- ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ... ﴿٢﴾﴾ ٨٣٣
- ﴿ فِيهِ مَوَاخِرَ... ﴿١٢﴾﴾ ٧١
- ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم... ﴿٣٧﴾﴾ ٣٣٤
- ﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ... ﴿٤٠﴾﴾ ٨٩

يسٓ

- ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ ١٠٢
- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا... ﴿١٣﴾﴾ ٨٣
- ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ... ﴿٢٠﴾﴾ ٧١
- ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ... ﴿٢٦﴾﴾ ٣٦٠
- ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا... ﴿٥٢﴾﴾ ٩٧
- ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ... ﴿٦٠﴾﴾ ٧٣٠

- ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [٧٠] ٤٨١

الصافات

- ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [٨] ٢٥١
- ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [١٧] ٩٠
- ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [٢٤] ٥٨٤
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [٢٥] ١٠٣
- ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [٣١] ١٠١
- ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ [٥٧] ٨٧
- ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ [٧٥] ١٠١
- ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [٨٥] ٧٠
- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ [٩٣] ١٧٢
- ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ [٩٨] ٦٧
- ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [١٠٢] ١٧٤
- ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [١٠٣] ١٧٥
- ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [١٠٥] ١٧٥
- ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [١٠٧] ١٧٥
- ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [١٤١] ٤١٣
- ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [١٤٣] ٨٧
- ﴿أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [١٤٧] ٧٢
- ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [١٦٤] ٩٥
- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [١٧١] ١٠١

صٓ

- ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [٣] ٥٧٣
- ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [٦] ١٠٣
- ﴿خَصْمَانِ﴾ [٢٢] ٢٠٨
- ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [٢٤] ٢٠٨
- ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [٣٢] .... ٧٩، ٨٠، ٩٤
- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [٣٦] ٤٣٦

- ﴿مَسَّنِيَ... ﴿٤١﴾﴾ ١٩٠
- ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ... ﴿٤٢﴾﴾ .... ١٩٠، ٢٤٨، ٣٢٠، ٤٤٠
- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ... ﴿٤٣﴾﴾ ٧٤٩
- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا... ﴿٤٤﴾﴾ .... ١٩١، ٧٤٩
- ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم... ﴿٤٦﴾﴾ ٢٧٢
- ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ... ﴿٧٥﴾﴾ ٢٥٠
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ... ﴿٧٦﴾﴾ ١٦٣
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي... ﴿٧٨﴾﴾ ٧٤٤
- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ... ﴿٨٨﴾﴾ ٥٦٠

الزمر

- ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ... ﴿٦﴾﴾ ٧٣
- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا... ﴿٢٩﴾﴾ ٦٢
- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ... ﴿٣٠﴾﴾ ٨٠٠
- ﴿يَتَوَفَّى... ﴿٤٢﴾﴾ ٦٢٢
- ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ... ﴿٤٧﴾﴾ .... ٣٨٨، ٨١٠
- ﴿لَا تَقْنَطُوا... ﴿٥٣﴾﴾ .... ١٨٦، ٢٤٧
- ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ... ﴿٥٦﴾﴾ .... ٣١٠، ٥٧٣
- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ... ﴿٦٠﴾﴾ ٩٩
- ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ... ﴿٦٨﴾﴾ ٦٧
- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا... ﴿٦٩﴾﴾ ٣٦٥
- ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا... ﴿٧٣﴾﴾ ٣٥١

غافر / المؤمن

- ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ... ﴿١١﴾﴾ ١٠١
- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ... ﴿١٥﴾﴾ ٢٤٧
- ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ... ﴿٢٦﴾﴾ ٤٩٤
- ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ ١٠٣
- ﴿يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ ١٠١

﴿ ... ﴿٣٣﴾ ٥٢٦

- ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ... ﴿٤٤﴾ ٧٢٩

فصلت

- ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ... ﴿١٢﴾ .... ٦٥، ٦٤٤

- ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ... ﴿١٥﴾ ١٦٩

- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ... ﴿٢٠﴾ ٤١٤

- ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ... ﴿٢٤﴾ ١٠٣

- ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴿٣٠﴾ .... ١٠٠، ٣٠٤

- ﴿ مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ ... ﴿٣١﴾ ٣٥٢

- ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ... ﴿٣٩﴾ ٤٩٠

- ﴿ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ... ﴿٤٤﴾ ٨٨

- ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ... ﴿٤٦﴾ ٤١٢

- ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ... ﴿٥٠﴾ ٦٦

- ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ... ﴿٥٢﴾ ٦٧

الشورى

- ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٥﴾ .... ١٦٣، ٥١٢، ٧٤٤

- ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ ... ﴿٧﴾ ٤٢٢

- ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ... ﴿٢١﴾ ٨٧

- ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ... ﴿٢٨﴾ ٧٢

- ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم ﴿٣٦﴾ ٦٧

الزخرف

- ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ ... ﴿٧﴾ ٦٦

- ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ... ﴿١٠﴾ ٦٦

- ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ... ﴿١٥﴾ ٧٥

- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ... ﴿٢٢﴾ ١٧٢

- ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ ... ﴿٣١﴾ .... ٨٣، ٨٨، ١٠٣

- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ ... ﴿٤٤﴾ ٨٠

- ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ... ﴿٥١﴾ ﴾ .... ٤٢٥، ٤٣٦
- ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ٨٨
- ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٦٩٥
- ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ٦٣

الدخان

- ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ... ﴿١٢﴾ ﴾ ١٠٣
- ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٦٨٩
- ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ... ﴿٣٧﴾ ﴾ ٧٩

الجاثية

- ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ٥٩٠

الأحقاف

- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴿١١﴾ ﴾ .... ٦٤، ٦٧
- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ... ﴿١٥﴾ ﴾ .... ٧٥، ٣٢٩
- ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا... ﴿٢٤﴾ ﴾ ١٦٩
- ﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٦٩
- ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا... ﴿٢٨﴾ ﴾ ٨٨

محمد

- ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً... ﴿٤﴾ ﴾ .... ٢٧٨، ٤٨١
- ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٦٣
- ﴿ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ... ﴿٢٠﴾ ﴾ .... ٦٣، ٨٨
- ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ ٣٣٥
- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ... ﴿٣١﴾ ﴾ ٣٤٧
- ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ٨١

الفتح

- ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ... ﴿٣﴾ ﴾ ٢٣١
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا... ﴿٨﴾ ﴾ ٦٠
- ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ... ﴿٩﴾ ﴾ ٩٨

- ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ. . . ﴿٢٥﴾﴾ ٨٧
- ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ. . . ﴿٢٩﴾﴾ ٦٣

الحجرات

- ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ. . . ﴿٧﴾﴾ ٦٠
- ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ. . . ﴿١٦﴾﴾ ٧٩

قٓ

- ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ. . . ﴿٥﴾﴾ ٧٧
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ. . . ﴿١٦﴾﴾ ٧٥
- ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ. . . ﴿٣٥﴾﴾ ٣٥٢

الذاريات

- ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ ٨٢
- ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ. . . ﴿٣٩﴾﴾ ٧٧
- ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ. . . ﴿٥٠﴾﴾ ٤٦٨

الطور

- ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ. . . ﴿١٥﴾﴾ ٣٠
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ. . . ﴿٣٣﴾﴾ ١٠٣

النجم

- ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ. . . ﴿٩﴾﴾ ٧٢
- ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ ٦٤
- ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ .... ١٦٦، ٤٨٢

القمر

- ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ ١٠١
- ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ. . . ﴿٢٠﴾﴾ ١٧٠
- ﴿ فَتَعَاطَىٰ. . . ﴿٢٩﴾﴾ ١٧١
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ. . . ﴿٤٤﴾﴾ ١٠٣
- ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ. . . ﴿٥٥﴾﴾ ٥٦٥

الرحمن

- ﴿ الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) ﴾ ١٠٢
- ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) ﴾ ٩٥
- ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . . . (١٩) ﴾ ٣٤١
- ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾ ٩٥
- ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) ﴾ .... ١٨٣، ٧٣٠
- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . . . (٢٧) ﴾ ٧٦٢

الواقعة

- ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) ﴾ ٨٤
- ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) ﴾ ٨٨
- ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ ٨٨
- ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) ﴾ ٨٨
- ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً . . . (٧٣) ﴾ ٧٢٠
- ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) ﴾ ٨٨
- ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ . . . (٨٦) ﴾ ٨٨
- ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ . . (٨٩) ﴾ ٨٠

الحديد

- ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . . . (٣) ﴾ ٢٤٥
- ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ . . . (١٣) ﴾ ٩٩
- ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا . . . (١٦) ﴾ ٧٨٦
- ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا . . . (٢٣) ﴾ ٦٥
- ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ . . . (٢٥) ﴾ ٧٣

المجادلة

- ﴿ قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا . . . (٣) ﴾ ٣٥١
- ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ . . . (٧) ﴾ ٢٤٧
- ﴿ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ . . . (٨) ﴾ ٨٩
- ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ . . . (٢٢) ﴾ .... ٢٢٠، ٢٧٣، ٣٤١

الحشر

- ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ... ﴿٢﴾ ﴾ ٨٦
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ... ﴿٣﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَيُؤْثِرُونَ ... ﴿٩﴾ ﴾ ٥٥٧
- ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٥١٨

الصف

- ﴿ لِيُطْفِـُٔوا۟ ... ﴿٨﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... ﴿٩﴾ ﴾ ٢٥٠

الجمعة

- ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ... ﴿٥﴾ ﴾ ٦٣
- ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴿٩﴾ ﴾ .... ٨٠، ٨١
- ﴿ ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ... ﴿١١﴾ ﴾ ٩٥

المنافقون

- ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ ... ﴿١٠﴾ ﴾ ٨٩

الطلاق

- ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ... ﴿٦﴾ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ ٨٣٣

التحريم

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴿٧﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ... ﴿٨﴾ ﴾ ٢٥١
- ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴿١٠﴾ ﴾ ٦٣
- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴿١١﴾ ﴾ ٦٣

الملك

- ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ... ﴿٨﴾ ﴾ ٣٥١
- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ... ﴿١٤﴾ ﴾ ٦٩٩
- ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ... ﴿١٥﴾ ﴾ .... ١٦٤، ٤١٢

القلم

- ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾﴾ ١٠٢
- ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾﴾ ٨٢
- ﴿لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ٨٩
- ﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾ ١٠١
- ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ... ﴿٤٩﴾﴾ ٨٧

الحاقة

- ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾﴾ ١٧٠

المعارج

- ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾﴾ ٥١٧
- ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ... ﴿١٥﴾﴾ ٨٤
- ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ ٣٥١
- ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ ٥٤٩
- ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾﴾ ٧٨
- ﴿أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ... ﴿٣٩﴾﴾ ٨٤

نوح

- ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ... ﴿١٥﴾﴾ ١٠٠
- ﴿إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي... ﴿٢١﴾﴾ ١٦٧
- ﴿لَا تَذَرۡ... ﴿٢٦﴾﴾ .... ١٦٧، ٢٢٦
- ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا... ﴿٢٧﴾﴾ ٦٤

الجن

- ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾﴾ .... ٢٥١، ٣٤٦

المزمل

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾ ٢٥١
- ﴿قُمِ... ﴿٢﴾﴾ ٢٥١
- ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ ٧١٠
- ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ... ﴿١٣﴾﴾ ٦٣٨

المدثر

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) ﴾ ٢٥٣
- ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ ... (١٦) ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) ﴾ ٨٤
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ... (٣٨) ﴾ ٤١٤
- ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) ﴾ ٤١٤
- ﴿ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّآ ... (٥٣) ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) ﴾ .... ٦٧، ٨٤

القيامة

- ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ ... (٣) ﴾ ٧٦
- ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا ... (١١) ﴾ ٨٤
- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (١٩) كَلَّا ... (٢٠) ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ (٢٦) ﴾ ٨٤

الإنسان

- ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ... (٦) ﴾ ٧٧
- ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ... (٨) ﴾ ٢٤٠
- ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ... (٩) ﴾ .... ٨٦، ٢٤٠
- ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا ... (١٣) ﴾ ٢٤٠
- ﴿ فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ... (٢١) ﴾ ٦٠
- ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا ... (٢٤) ﴾ ٧٢

النبأ

- ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) ﴾ ٨٥

النازعات

- ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ... (٣٥) ﴾ ٧٠

عبس

- ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) ﴾ .... ٦٧، ٨٥
- ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) ﴾ ٨٥

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٧٦

التكوير

- ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ... ﴿٢﴾ ﴾ ٧٠٦

الانفطار

- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ... ﴿٦﴾ ﴾ .... ٥٩، ٧٦، ٣٧٢
- ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾ ٨٥

المطففين

- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ... ﴿٧﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ... ﴿١٤﴾ ﴾ .... ٨٤، ٣٣٥، ٧٤٩
- ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ٢٣١

الانشقاق

- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ... ﴿٦﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ ٧٦٠
- ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ٨١

الطارق

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ ٨٥

الغاشية

- ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٥١٨

الفجر

- ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ... ﴿١٧﴾ ﴾ ٨٤

- ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ. . . ﴾ ٨٥
- ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ. . . ﴾ ٧٠

البلد

- ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ ٧٦

الشمس

- ﴿ فَدَمۡدَمَ. . . ﴾ ١٧١

الشرح

- ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ. . . ﴾ ٢٢٤

التين

- ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ. . . ﴾ ٧٦

العلق

- ﴿ ٱقۡرَأۡ. . . ﴾ ٢٥١
- ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ .... ٧٦، ٨٥
- ﴿ لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ. . . ﴾ ٨٥
- ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ. . . ﴾ ٨٥

البينة

- ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ ٧٩

الزلزلة

- ﴿ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ ٧٦
- ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ ٣٥١

العاديات

- ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ ٧٦٠

التكاثر

- ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ ٨٥
- ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ ٨٥
- ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ ﴾ ٨٥
- ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ ٥١٨

العصر

- ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ﴾ ٧٦

الهمزة

- ﴿ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا ... ۝٤ ﴾ ٨٤

الفيل

- ﴿ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝٥ ﴾ ١٦٦

❋ ❋ ❋

٢ - فهرس الأحاديث والآثار

نص الحديث	الصفحة
- آدم ومن دونه	٢٢٦
- أبيت عن ربي	٢٢٩، ٢٤١
- أتدرون ما خرافة	٢١٨
- اتقوا دعوة المظلوم	٥٧١
- احتجموا	٨٣٢
- أحد جبل يحبنا ونحبه	٥١٠
- أدنيا مني أخاكما	٨٠٢
- إذا رأيتم أهل البلاء	٥١٢
- إذا أقيمت الصلاة	١٣٧
- إذا مات العبد الصالح	٦٨٩
- إذا مضى ثلث الليل	١٣٧
- أرسل ملك الموت	٥٠٩
- أسر إلى حذيفة	٦٥٦
- أسلم	٤٦٣
- أسلمتما	٧٩٣
- سلني أعطك	٨١٨
- ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة	٢٣٩
- أمتي أمتي	٢٥٤
- إن خير التابعين	٧٧٧
- إن كان ليوحى إلى رسول الله	٧١٠
- إن الله إذا أنعم	٨٢٩
- إن الله اصطفى كنانة	١١٩
- إن الله يحب العبد المؤمن	٣٩١
- إن الله يغضب لغضبك	٢٣٨
- إن في البدن ملكاً	٢٥٣

- إن من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- إن هذا بكى ٢٥٢
- أنا ابن الذبيحين ٢٤٨
- أنا أول الناس خروجاً ٢٥٤
- أنا جليس من ذكرني .... ٣٧٤، ٧٣٨
- أنا عند المنكسرة قلوبهم ٦٤٢
- أنا عنك راضٍ ٧٣٣
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى ٢٥٥
- إنك لتصل الرحم ٢٢٥
- إنما الأعمال بالنيات ٦٧٩
- إنما جاء ليسلم ٨٢٤
- إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ٣٨٢
- إن النبي ﷺ سجد ١٣٧
- إنه قد عرض عليكم ٣٩٥
- إني أخاف الله ٤٩٩
- إني لأجد نفس الرحمن ٦٦٤
- إني لأعرف حجراً .... ٢٥٥، ٧١١
- أنين المذنبين أحب عندنا ٥٧٧
- أين كنتم ٥٢٣
- اثبت أحد ٢٥٢
- احفظ الله يحفظك ٢٧٣
- اسكن حراء ٥٠٩
- أسلب حلاوة مناجاتي ٥٥٧
- بدأ الإسلام غريباً ٤٣٥
- بعيني ما يتحمل المتحملون ٢٩٥
- بينما راع يرعى غنماً له ٢٥٢
- تجدني عند المنكسرة قلوبهم ٣١٤ = أنا عند المنكسرة ٦٤٢
- تحت شجرة طوبى ٧٣٩
- توسل آدم بالنبي ﷺ ٢٥٠

- جاء ملك الموت إلى موسى يقبض ٥٠٩
- جز يا مؤمن ٤٦٣
- الحجر يسلم على الرسول ﷺ .... ٢٥٥، ٧١١
- حدثني بأرجى عمل ٧٨٨
- حسبي من سؤالي ٤٣٠
- حفت الجنة بالمكاره ٧٦٧
- حكيم أمتي عويمر ٨٢٤
- خرجت من نكاح ٦٥٥
- خلق الله تعالى التربة ١٤٥
- دخل الرسول ﷺ إلى بيت يهودي ٤٦٣
- ذكاة الجنين ذكاة أمه ٢٤١
- ربَّ أشعث أغبر .... ١٩٠، ٥٨٤، ٦٧٥
- زملوهم بكلومهم ١٩٨
- زملوني .... ٢٢٥، ٢٥١
- سبعة يظلهم الله ٤٤٩
- سلمان منا آل البيت ٣٤٧
- سلني ولو ملح عجينك ١٩٩
- صل من قطعك ٢٠٢
- عجب ربنا من رجل ٥١٥
- عزفت نفسي عن الدنيا ٥٤٤
- العلماء ورثة الأنبياء ٢٤٦
- عينان لا تمسهما النار ٦٢٧
- غضوا أبصاركم ٢٣٨
- فإذا نزل عيسى ٢٢٦
- الفار من الطاعون ١٣٨
- فاطمة بضعة مني .... ٢٣٨، ٢٤١
- فبي يسمع وبي يبصر .... ٣٧٤، ٥٤٥
- فتر الوحي عني فترة ٢٥٣
- فداك أبي وأمي ٢٥٥
- فر من المجذوم ٦٤٣

- فزجني في النور ٤٣٠
- فكان يخلو بغار حراء ٦٣١
- في كل صلاة يقرأ ١٣٧
- قل يسمع ٢٢٧
- القلوب بين أصبعين ٤٦٤
- القلوب جنود ٧٧٤
- قولوا مصاب ١٢
- كاد أمية أن يسلم ١٢٨
- كان ﷺ إذا أراد سفراً ٤١٨
- كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي ٧١٠
- كان ﷺ يتخوّلنا ٣٦
- كان ﷺ يصلي ولجوفه أزير كأزيز المرجل ٧١٠
- كذب من ادعى محبتي ٢٩٥
- كل عمل ليس عليه أمرنا ٢٢٦
- كل سكر حرام ٦٢٢
- كنت آخذه بزمام ٧١١
- كوني برداً وسلاماً لعمار ٢٢٥
- كيف تقضي ٨١٤
- لأنصرنك ولو بعد حين ٥٧١
- لا أبالي ٢٤٩
- لا إسعاد ولا عقر ٤٣٢
- لا تخيروني على موسى ٥٠٩
- لا بد من الوفاء ٣٨٢
- لا يجتمع حب هؤلاء ١٣٧
- لا يدخل الجنة قتّات ٤١٩
- لا نبي بعدي ٢٢٧
- لخلوف فم الصائم ٥١٤
- لست بقارئ ٢٥١
- لكل عابد فترة ٣٩١

- اللهمَّ اجعل له آية ٧٨٤
- اللهمَّ اهدِ دوساً ٧٨٤
- اللهمَّ إني أمسيت راضياً عنه ٨٠٢
- اللهمَّ ليس لهم ٨٢٤
- لو أن أحدهم نظر إلى قدميه ٢٢٨
- لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء ١٣٨
- لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاّ اتّباعي ٢٢٦
- لو كشف الغطاء ٥٤٥
- لو لم تذنبوا لذهب الله بكم .... ١٦٢، ٥٢٣، ٧٠٠
- ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ٢٥٥
- ما ترك عبد لله أمراً ٤٣٦
- ما ظنك باثنين الله ثالثهما ٢٢٨
- ما منكم من أحد ينجيه عمله ٧٤٤
- ما من يوم إلا والذي بعده ٧
- ما هذا ١٣٩
- ما وسعني أرضي ولا سمائي ٧٤٤
- مثل أمتي مثل المطر ١٣٩
- مثل لي جعفر ٧٩٢
- من ترك شيئاً لله ٤٣٦
- من اغتسل وحده ١٩١
- من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- من جاءني يمشي أتيته هرولة ٤٠٨
- من لهذه الفرقة ٨١٦
- نحن معاشر الأنبياء ٧١٠
- نصرت بالرعب ٢٢٥
- نعم الفارس عويمر ٨٢٤
- نهى عن بيع المجر ٣٢٢
- هؤلاء في الجنة ولا أبالي .... ٢٤٩، ٤٧٦
- هل من سائل .... ٣٧٢، ٥١٩، ٧٠١

- هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ٢٣١
- هي أحب إلي منك ٢٣٩
- هي بضعة مني ٢٤١ = فاطمة بضعة مني ٢٣٨
- وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً ٥٢٣
- وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ٦٦٤
- وعلى رأس كل واعظ ٣٦
- وقوع الجراد من ذهب ١٩١
- ولدت من نكاح لا من سفاح ٤١، ٦٥٥ = خرجت من نكاح ٦٥٥
- وليكن لسانك رطباً ١٢
- وهل ترك لنا عقيل من منزل ٥٥٦
- يا أبا الدرداء إن لجسدك ٨٢٥
- يا أبا سفيان ٧٤٨
- يا أسماء ٧٩٢
- يا أعرابي أين تريد ٢٥١
- يا حنان يا منان ٦٩٦
- يا معاذ ٨١٥
- ينزل ربنا ٤٠٨
- يدخل الجنة بشفاعته ٧٣٣
- يشفع في مثل ربيعة ومضر ٧٣٣
- يكون في أمتي رجل ٨٠٠
- يهلك الدجال ٣٩١
- يهم لما يلقى ٢٥١
- ينهى عن الوصال ١٣٨
- يوحي الله تعالى إلى جبريل ٥٥٧

* * *

٣ ـ فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
	ـ أ ـ		
ـ يأتي	نساءُ	ـ	٧١٧
ـ من رأى	البرحاء	ـ	٦٠٩
ـ حياتك	جزءا	ـ	٦٤٦
ـ لا تلحه	إغرائِه	ـ	٦٢٣
ـ نبأ ألمَّ	الأنباءِ	محمد بن عبد الملك	٧٧١
ـ عذل	سودائِه	المتنبي	٦٣٥
ـ إذا ما جررت	ورائي	ـ	٥١٤
	ـ ب ـ		
ـ ولي	أذهبُ	ـ	٦٧٦
ـ دع الهوى	أصعبُه	ـ	٦٢٤
ـ كم كم ذا الهجر	إيابُ	ـ	٢٧٩
ـ بكى	تجريبُ	ـ	٥٧٢
ـ سير الليالي	تعبُ	ـ	٧٥٤
ـ فكأن	تندبُ	ـ	٦٨٥
ـ رمت	جنوبُها	ـ	٦٨٤
ـ ألا من	حلوبُ	ـ	٦٢٦
ـ لقد علم	خطيبُها	ـ	٧٥٣
ـ وإني	دبيبُ	ـ	٦٣٢
ـ يا قلب	الذاهبُ	مهيار	٥٥٦
ـ ما لم يكن	ذنوبُ	ـ	٤٦٤
ـ الدهر	رطبُ	ـ	٤٩٣
ـ إذا خلوتَ	رقيبُ	أبو نواس	٧٧٥
ـ أمد	رقيبُها	ـ	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وقلبك	ركبُ	ـ	٥٦٧
ـ أفلح	ركبوا	ـ	٦٦١
ـ ولي قوادم	زغبُ	ـ	٥٦٧
ـ فما كل	زينبُ	ـ	٥٨٤
ـ لاح	شبوبُ	الخفاجي	٥١٥
ـ يا حبذا	شرابها	جعفر بن أبي طالب	٧٩٢
ـ إن في الأسر	صبُّ	ـ	٣٨٤
ـ أذكر	صحابُ	الرضي	٧١٩
ـ إذا ذكر	طروبُ	ـ	٦٨٥
ـ والله	غالبُ	الحارثي	٢٨٥
ـ لا تغضبن	الغضبُ	ـ	٤٦٤
ـ أحسن	فأجيبُ	ـ	٦٠٩
ـ أطاعوا	فكذبوه	ـ	٧٤٦
ـ يكون	فيطيبُ	المتنبي	٤٨٥
ـ على بعدك	القربُ	ـ	٥٥٧
ـ خطوا	كتابُ	امرؤ القيس	٢٥٦
ـ أحن إلى	كثيبُ	ـ	٣٣٠
ـ وواعدني	كعبُ	عمر بن الخطاب	٣١٨
ـ إذا أنا	لهيبُ	ـ	٧٠٧
ـ أرضاه	محبوبُ	ـ	٤٣١
ـ أحب	نسيبُ	الرضي	٥٨٠
ـ تمر الصبا	هبوبُها	ـ	٦٣٨
ـ كلما زاد	يحبُّه	ـ	٣٢٦
ـ جل الزمان	يذهبُ	ـ	٧٤٥
ـ فبت	يقشبُ	النابغة	٢٨٥
ـ يا آدمي	ينجابُ	ـ	٧٤٥
ـ لا يؤيسنك	ترتيبا	ابن هند	٦٣٧
ـ بالله	الربا	ـ	٤٦٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا لنسيم	الصبا	مهيار	٧٢١
ـ يا من	طلبا	ابن الجوزي	٣٣٢
ـ ألا يا نسيم	طيبا	ـ	٦٦٥
ـ دع	عجيبا	امرؤ القيس	٢٥٧
ـ يغلبني	مغلوبا	ـ	٥١٣
ـ وكيف	هبا	المتنبي	٥٤٠
ـ سرى	الوصبا	ـ	٧٣١
ـ بالله عليك	الأحباب	ـ	٥٣٦
ـ وإني	أحبابي	ـ	٣٩٢
ـ وكم دهى	بأنيابها	ابن المعتز	٣٠٣
ـ وكم ناحلٍ	أطنابها	صردر	٣٦٢، ٥٦٤
ـ أرى الدهر	بلبابِه	ـ	٥٥٣
ـ يدي	بالضربِ	ـ	٥٣٥
ـ لئن قدمت	جانبِ	ـ	٧٥٧
ـ يا نسيم	الجواب	ـ	٣٥٣
ـ يا ويح نفسي	حسيبي	ـ	٣٠٢
ـ وكل ملمات	الخطبِ	قيس بن ذريح	٨٠٩
ـ كم للمنية	الخطوبِ	ـ	٧٥٨
ـ يا مقيمين	الركابِ	ـ	٦٦٠
ـ يا صحابي	السربِ	صردر	٣٩٤
ـ رأيت	سرى بي	ـ	٤١٠
ـ لو قرب	طلابه	صردر	٢٧٣
ـ يا من	عليك به	ـ	٢٠٨
ـ فإن نهاري	غياهبِ	المتنبي	٦٢٤
ـ أنت	القربِ	ـ	٣٧٣
ـ عرجوا	قلبي	ابن الجوزي	٥٠٦
ـ سقياً	كأزماني بها	ابن الجوزي	٤٣٩
ـ تذل الرجال	لأربابها	ـ	٣٥٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ فخذ	للذهاب	ـ	٥٢٦
ـ لله أمر	مطلوبِ	ـ	٧٤٣
ـ ولما تزيلنا	مغرّبِ	ـ	٣٨٤
ـ لنا كل	النوائبِ	الرضي	٦٩٦
ـ بالله	الهبوب	ـ	٦٢٨
ـ يا صبا	الهبوبِ	ـ	٦٩٦
ـ هل الطرف	وجيبه	ـ	٦٥٠
ـ إذا ما انجلى	يشتبِه	ـ	٣٩٠
	ـ ت ـ		
ـ أرى الدنيا	أرهقتْهُ	ـ	٥٧٠
ـ ألا ذكراني	بيتُ	ـ	٣٣٩
ـ لا تجزعن	تشمتُ	ـ	٦٧٥
ـ إنما الدنيا	ثبوت	ـ	٧٥٢
ـ لو شئت	سلامتُهُ	ـ	٤١٩
ـ قد كنت	ميتا	ـ	٨٠٨
ـ إذا نلت	شتا	ـ	٢٦٥
ـ إذا ما	انتهِ	ـ	٣٧٧
ـ تراعي	ذاهباتِ	ـ	٧٣٠
ـ يا مدمن	اللذاتِ	ـ	٣٣٨
ـ وكنا	زلَّتِ	كثير عزّة	٥٩٩
ـ تهيم	غنتِ	ـ	٦٢٦
ـ تنبه	لشتاتِ	ـ	٦٩٣
ـ الله	نيتي	ـ	١٠
ـ روحي	أقلعت	ـ	٦٢٧
ـ إن العهود	أنست	ـ	٢٨٠
ـ أستغفر الله	تأبّتْ	ـ	٤٨٨
ـ ولي زفرات	تولّتْ	ـ	٤٤١
ـ وعظتك	سبتْ	أبو العتاهية	٣٥٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا أسير	فات	ـ	٥٨٣
ـ ما لنفس	فعلت	ـ	٦٨٧
ـ قرن	نبات	ـ	٧٥١
	ـ ث ـ		
ـ قوم إذا هجروا	بعثوا	ـ	٣٩٣
ـ مالك	ورائَه	ـ	٥٦٦
ـ سابق	بلباثِ	ـ	٤٠٤
	ـ ج ـ		
ـ كدود	ناسجُه	ـ	٤٠٦
ـ إن بيتاً	السرجِ	الشبلي	٣٤٩
	ـ ح ـ		
ـ قطاة	الجناحُ	ـ	٦٧٣
ـ يا من	الشرحُ	ـ	٣٧٥
ـ الغيم	الصبوحُ	ـ	٧٥٧
ـ يا قلب	القبحُ	ـ	٥٦٣
ـ أحباي	مجروحُ	ـ	٧١٩
ـ يا من بصدود	نزحوا	ـ	٣٣٦
ـ وإذا تكامل	يجنحُ	البحتري	٥١٨
ـ كأن القلب	يراحُ	قيس بن الملوح	٢٨٥
ـ وكان	يمرحُ	ـ	٥٤٤
ـ يا نسيم	البرحا	مهيار	٦٢٣
ـ بينا	رائحه	ـ	٥٠٧
ـ يا من بسهامه	فرحا	ـ	٣٢٠
ـ خلقت	فمحى	ـ	٦٦٦
ـ يا غادياً	القبائحا	ـ	٤٨٤
ـ يا ندامى	المرحا	ـ	٧٠٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أبصر	منسفحا	ـ	٧٣١
ـ عندي	نزحا	الرضي	٥٦٠
ـ لم تبق	أشباحِ	ـ	٥٦٣
ـ علمتني	التقبيحِ	ـ	٣٥٥
ـ أليلى	ذريح	ـ	٥٤٩
ـ من لي	الرابخ	ـ	٥٠٤
ـ صبا	لمخ	ـ	٤٧٧
	ـ د ـ		
ـ وعادلون	أجدُ	ـ	٣٨٣
ـ فقلت له	أريدُ	ـ	١٩٩
ـ قل	بدُّ	ـ	٥٣٩
ـ هل الحب	بردُ	قيس بن ذريح	٦٣٢
ـ أين	بعدُ	ـ	٢٦٨
ـ مدام	تبيدُ	ـ	٢٤٥
ـ هل الدهر	تعودُ	ـ	٤٦
ـ أين الديار	ثمودُ	ـ	٧٦٠
ـ أيا عجباً	الجاحدُ	أبو العتاهية	٧٧٤
ـ حثوا	الحدُّ	ـ	٦٧٠
ـ ولقد أجن	زرودُ	مهيار	٦٦٢
ـ إذا جزت	سعدُ	البحتري	٣٨٤
ـ عودوا	شديدُ	ـ	٣٧٣
ـ مضى	شهيد	ـ	٦٨٢
ـ شم	صيدُ	ـ	٦٦٢
ـ هب	عائدُ	ـ	٤٧٨
ـ هذي	عهدُ	ـ	٢٨١
ـ اليوم	غدُ	ـ	٥٣٥
ـ نعم تحمل	قعودُ	ـ	٦٣٤
ـ يا نائم	العقودُ	ـ	٥٥٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ الجسم	الكمدُ	ـ	٣٠٧
ـ استعدي	المستعدّ	ـ	٥٦٢
ـ يا ابن آدم	معدود	ـ	٢٧٧
ـ قل	موعد	ـ	٤١
ـ أقتل	نجدُ	ـ	٥١٠
ـ تفوز	نرد	الرضي	٢٧٦
ـ جننا	نريدها	ـ	٧٦٧
ـ يا مظهرين	وارد	ـ	٧٥٦
ـ أمس	الولد	ـ	٥٣٣
ـ لا شيء	الولد	ورقة بن نوفل	٤٢٧
ـ تلفت	وقود	الرضي	٤٥٠
ـ رأيت	وقود	ـ	٥٣٣
ـ ذهب الظلام	يتجدد	ـ	٣٤٢
ـ رقد	يردده	القيرواني	٦٦٣
ـ ألا أبلغ	يريدها	ـ	٣٠١
ـ السقم	يزداد	ـ	٣٢٠
ـ بينما المرء	يصدّ	ـ	٧٣٥
ـ أما تقومون	يصعدُ	ـ	٣٣١
ـ مرض	يقادُ	صردر	٣٩٨
ـ يا صاح	اعتدى	ـ	٦٠٤
ـ بالفور	أنجدا	مهيار	٦١٢
ـ بني	أنجدا	الأعشى	٧٠٥
ـ تزوّد	بردا	ـ	٦٨١
ـ أبالغور	بعيدا	ـ	٥٠٥
ـ أقسم	تأودى	مهيار	٥١٣
ـ تظن	ثمدا	مهيار	٦٠٢
ـ ولما تيقنّا	خدّا	ـ	٥٢٨
ـ ليس	خدا	ـ	٧١٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ والله لو كانت	رغدا	مهيار	٢٦٥
ـ إذا هب	رندا	مهيار	٧٢٢
ـ سقوا	الرندا	ـ	٦٥٧
ـ شمس	زبرجدها	ـ	٢٥٠
ـ صحة	السهادا	ـ	٦١٤
ـ خبراني	عهدا	ـ	٦٥٢
ـ يا قلب	غدا	الرضي	٦٧٠
ـ وإني	مغدى	الرضي	٦١٧
ـ إن الشباب	مفسدَه	أبو العتاهية	٧٦٨
ـ لا عدا	نجدا	ـ	٢٩٤
ـ أنذرنني	نهدا	مهيار	٣٨٣
ـ	الوجدا	ـ	٦٠٩
ـ أحبابنا	وليدا	ـ	٣٥٣
ـ وقفت	أحدِ	النابغة	٣٨٤
ـ رأيت	الأساود	ـ	٤٤٦
ـ أكلف القلب	أضداد	صردر	٥٨٥
ـ ومن لم يبت	الأكبادِ	ـ	٦٠٠
ـ يا طرباً	باستبرادها	ـ	٦٨٤
ـ أحبكم	بعدي	ـ	٥٠٩
ـ سمعت	بعيدِ	ـ	٤٤٠
ـ يا منية	بمنقادِ	ـ	٤٣٢
ـ النجا	بوجدِ	صردر	٣٥٦
ـ قالت	تزدِ	ـ	٤٨٣
ـ شربت	تصريدُ	ـ	٧١٧
ـ إلى كم ذا	التمادي	المتنبي	٤١٠
ـ لها بوجهك	حادِ	ـ	٦٤٩
ـ يا ساهياً	زادِ	ـ	٥٣٠
ـ لبس	سوادِ	ـ	٤٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سرور	شديد	ـ	٧٠٦
ـ وإذا كان	الصعادِ	ـ	٦٨٠
ـ يا غادياً	عندي	ـ	٦٩٦
ـ يا دار	عندي	الرضي	٦٦٤
ـ ألا حبذا	العهدِ	قيس بن الملوح	٥١٩
ـ ولو أنهم	العهود	ـ	٣١١
ـ ليالينا	عودي	ـ	١٩٦
ـ بانوا	الغادي	ـ	٦٥٨
ـ رويداً	الغادي	ـ	٣٢٩
ـ هل مدلج	الغادي	صردر	٣٤٢
ـ يا من	غدِ	ـ	٣٧٠
ـ جزى الله	كالمزادِ	ـ	٥٥١
ـ رأيتك	اللحدِ	ـ	٥٣٠
ـ بلغ	مرادي	ـ	٣٥٣
ـ وفي وظر	الموارد	ـ	٧٥٧
ـ خذي	نجد	ـ	١٨٦
ـ ما أشوقني	نجد	ـ	٢٨٠
ـ وأنجدتم	نجد	أبو تمام	٣٨٨
ـ رأى بارقاً	نجد	ـ	٥٤٠
ـ ولما غرد	الوادي	ـ	٦٣١
ـ وإني لمجلوب	وجد	ـ	٤٧٧
ـ بين العقيق	ودي	ـ	٤٨٧
ـ أخفي	شاهدْ	ـ	٤١٩
	ـ ذ ـ		
ـ لاذ بهم	ملاذا	ـ	٦٤٤
	ـ ر ـ		
ـ من السلوة	آثارُ	ـ	٦٧٦
ـ خذي	أتستر	ـ	٦١١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ إيه	أسمار	صردر	١٨٥، ٧١٢
ـ جد في الجد	الأمر	ـ	٢٧٩
ـ ردوا	اهجروا	ـ	٥٣٣
ـ حاشي	بوادره	المتنبي	٦٣٣
ـ سلبت	تحضر	الحارثي	٥٥١
ـ والمرء	تقصير	ـ	٤٧٥
ـ هذي	خبر	ـ	٣٩٨
ـ أراك	ثغورها	ـ	٢٨٩
ـ فيا حبهم	الحشر	ـ	٦٣٥
ـ كأنك	الدهر	ـ	٣٥٤
ـ خليلي	دورها	توبة	٤٧٤
ـ إن جرى	الديار	البحتري	١٦١
ـ سل	السدير	الخفاجي	٧٠٤
ـ إذا وصلتم	السهر	ـ	٣١٦
ـ تجاسرت	الصبر	ـ	٢٩٦
ـ أمرت	صبر	ـ	٧١٣
ـ لا ترقدن	العبر	ـ	٣١٧
ـ ساكن	فأذكره	ـ	٥١٤
ـ ليس	غرور	ـ	٥١٧
ـ ولما رأيت	فأسروا	ـ	٤٠٩
ـ فلزهم	الغرار	ـ	٢٣١
ـ ما لي	الفرار	ـ	٣٥٧
ـ متى رفعت	قرار	مهيار	٣٨٢
ـ سلوا	القطر	ـ	٥٠٤
ـ بدوت	قفرُ	أبو فراس	٣٥٥
ـ زموا المطايا	مأسور	ـ	٢٨٣
ـ سيان	مصطبرُ	ـ	٦٣٦
ـ يا نازلين	مضمره	ـ	٦٩١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا سائق	معقور	-	٦٨١
ـ منازل	منصور	-	٦٠٥
ـ يا حار	النار	-	١٩٦
ـ محت	نستعيرها	-	٦٢٥
ـ آه والشوق	أخرى	مهيار	٤٤١
ـ يا محب	الأخطارا	-	٤٣٤
ـ ذكرها	براها	-	٢٥٨
ـ هوّن	بالسرى	-	٧٤٨
ـ أترى	ترى	-	٦٩٧
ـ ألا غنياني	ثراها	-	٦٤٠
ـ وقولوا	جواريا	الرضي	٥٩١
ـ فلما عاين	حارا	-	١٩٩
ـ وحدثتك	الخبرا	-	٢٧٠
ـ ويعرف	ذعرا	-	٣٠٣
ـ الموت	ذكراه	-	٦٥٠
ـ أنت عين	ذكرا	-	٥٤٥
ـ أترى	السهرا	الخفاجي	٦٠٠
ـ قد كان	شبرا	-	٣٢٥
ـ إذا المرء	عبرة	-	٣٦٨
ـ مكتئب	عبرى	-	٦٣٧
ـ كفر حزناً	قفرا	-	٥٨٠
ـ يا مغرماً	كارها	-	٣١٣
ـ ألا يا غافلاً	الكبيرة	-	٧٢٦
ـ من لقلب	كرى	-	٥٣٣
ـ ألا من لقلب	مكره	ابن المعتز	٣٤٦
ـ لو عدلتن	نظرا	الخفاجي	٦٤٠
ـ صحب الله	وعرا	مهيار	٢٩٣
ـ يعزّ	يسيرا	-	٥٤١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ رقدت	آخر	خالد الكاتب	٦١٢
ـ سبحان	الإبرار	الخواص	٧٧٣
ـ الحب	أستاري	-	٦٤٥
ـ يا ليت شعري	افتقارك	-	٧٣٦
ـ ما دار	الأقدار	-	٤٨٠
ـ بحرمة	بالآخرِ	-	٥١٨
ـ تمد	بحاجر	مهيار	٥٢٥
ـ والمرء	بالخطر	-	٤٦٢
ـ بدم المحب	بالسعر	-	٤١٥
ـ لا يغرنك	بعسره	-	٤٤٨
ـ أو ما رأيت	بالعمر	الرضي	١٧٨
ـ إن نشق	بالنظر	-	٢٠٠
ـ حلفت	بالنفر	-	٦٨٨
ـ ودنياك	باليسارِ	-	٥٧٠
ـ أقول	حارِ	النابغة الذبياني	٧٢٠
ـ إليك	حجر	الشيرازي	٢٦٣
ـ أيها	حضور	-	٥٠٧
ـ زفّرها	الحناجر	مهيار	٥٦٥
ـ وإذا جئتم	خطري	-	٦٨٦
ـ يا نفس	ذري	الرضي	٤٦١
ـ يا قلب	الساري	الرضي	٦٢١
ـ وكنا جميعاً	سرور	-	٣٨٨
ـ وما هي	شهر	-	٣٢٧
ـ وهم	الصبر	الرضي	٤١٧
ـ تمتع	عرار	الصمة القشيري	٣١١
ـ بكى	الغير	-	٥٧١
ـ حكم	قرار	-	٥٣٠
ـ سبيلك	مسافر	-	٧٣٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ حداة	المسير	ـ	٥٠٣
ـ لولا مدامع	النار	ـ	٦٤٨
ـ تأوهت	نضير	مهيار	٥٩٤
ـ لله در	النفر	ـ	٢٥٩
ـ مما بيننا	الهجر	ـ	٥٣٧
ـ واويلاه	الهجر	ـ	٦٦٣
ـ وكيف	وافر	أبو فراس	٦٩٤
ـ لقد أخبرتك	وقر	ـ	٧٣٧
ـ وداع	يدري	ـ	١٨٦
ـ فإن حننت	أخز	ـ	٦٧٢
ـ أترك	بشر	ـ	٦٧٨
ـ يا نواسي	تصبر	أبو نواس	٧٧٤
ـ الفور	الخبر	ـ	٢٨٩
ـ أيها الناس	خبر	ـ	٥٣٤
ـ كم للمنايا	الصدود	ـ	٥٦٧
ـ وأصبحت	طائر	ـ	٦٥٣
ـ هل نجد	الوطر	ـ	٥٥٦
ـ أرى الشهد	يعتبر	ـ	٥٨٢
	ـ ز ـ		
ـ كم غودرت	العجوز	ـ	٧٨٦
	ـ س ـ		
ـ اغتنم	اختلاسُ	ـ	٦٦٦
ـ تبني	تختلسُ	ـ	٦٧٧
ـ حلفت	غموسُ	ـ	٥٤٤
ـ ركب	أكوسا	الخفاجي	٦٢٧
ـ أوحشتني	أنيسِ	ـ	٦١٦
ـ ولقد جعلتك	جلوسي	ـ	٧٩٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ تجهر	حبس	ـ	٥١٦
ـ وكم من عبرة	قاس	ـ	٥٢٢
ـ يا ساقي	كاسي	ـ	٦٢٦
ـ يا منتهى	لنفسي	ـ	٥١٢
ـ خذي	ملتبس	الرضي	٦٣٤
ـ والله يعلم	نبراس	ثعلب	٤١٥
ـ ما ضر	نفسه	ـ	٥٩٧
ـ والله ما طلعت	وسواسي	ـ	٣٥٧
	ـ ش ـ		
ـ إلى سلطان	الرشا	ـ	٤٢٩
	ـ ض ـ		
ـ عبرت	الحرضُ	ابن الجوزي	٥٤٢
ـ من أجلك	ترضى	ـ	٣٠٦
ـ أيها الرامي	الغرضا	مهيار	٥٤٦
ـ عند	غضا	ـ	٥٠٣
ـ إن كان	فرضا	ـ	٤٣٢
ـ قد قلق	الفضا	ـ	٤٣٩
ـ ليس	القضا	ـ	٤٧٠
ـ إلى كم عتاب	مضى	ـ	٢٩١
ـ مرنح	معرضا	ـ	٦٨٤
ـ لا تنكري	براضِ	ـ	٨٢٠
ـ متى شق	الغمضِ	ـ	٥٠٣
	ـ ع ـ		
ـ دون المعالي	أوقع	ـ	٣٣٠
ـ شجاك	تجزع	ـ	٤١٢
ـ وإني لا غرى	ربوع	الرضي	٥٨٠
ـ غدا	زرعوا	ـ	٦٨٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أتبكي	طائع	قيس بن ذريح	٣١٠
ـ ومسندون	فأسرعوا	ـ	٧٥٥
ـ هل بعد	مرتجعُ	مهيار	٥٤٠
ـ نهاري	المضاجع	ـ	٦٠٨
ـ وكيف	هجعوا	ـ	٤١٤
ـ أحست	يوضع	الرضي	٧١١
ـ من بمنى	أربعا	مهيار	٢٩٤
ـ إذا ما ونت	أسرعا	ـ	٦٨٤
ـ	ترفعا	ـ	٧٠٧
ـ قفا	تودعا	ـ	٤٥٢
ـ قد كنت	جزعا	ـ	٢٨١
ـ لا يغرنك	رقعه	ـ	٢١١
ـ اسمع	سماعا	ـ	٤٧٧
ـ ارخ لها	شسعا	مهيار	٤٩٤
ـ آه	صنعا	ـ	٧٠٠
ـ رعى الله	فضيعا	ـ	٥١٤
ـ لا وحبيك	مدفعا	ـ	٦٣٢
ـ إن هواك	مطيعا	ـ	٥٥٧
ـ تفرقنا	معا	ـ	٤٨١
ـ دعوها	النسوعا	مهيار	٥٦٤
ـ كل سحاب	أدمعي	صردر	٦١٣
ـ يا نفس	لا تهجعي	ـ	٣٥١
ـ هل مجاب	جمع	مهيار	٢٦٠
ـ رأيت	خدَّاع	ـ	٣٣٥
ـ يا عقيق	دمعي	ـ	٦٢٠
ـ آفة	دوافعِ	ـ	٦٣٣
ـ عارضا بي	سلع	الرضي	٢٩٣
ـ لا تبلني	ضلوعي	ـ	٣٧٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم بذكراك	الضلوع	ـ	٦٠٩
ـ أباسطه	الفزع	ـ	٦٦٤
ـ يا ليلتي	فارجعي	مهيار	٦٠٤
ـ نشدتك	لعلعِ	مهيار	٥٩٩
ـ كفى سائقاً	مدامعِ	ـ	٢٨٤
ـ أنجدت	معي	ـ	٧٥٣
ـ ومن عجب	معي	ـ	٦٢٩
ـ باحت	موضعي	ـ	٧٣١
ـ يا صاحبي	نرتعي	ـ	٦٩١
	ـ ف ـ		
ـ حملتم	أضعف	ـ	٣٣٠
ـ يا سائق	تتوقف	مهيار	٢٨٤
ـ أشكو	تجف	الرضي	٦٠٣
ـ إن القلوب	تعترف	أبو نواس	٧٧٤
ـ لست	تعطفوا	ـ	٣٨٧
ـ ذل	شرف	ـ	٦١٨
ـ ملكتم	منصرف	ـ	٦٥٤
ـ يا حادي	ننصرف	ـ	٥٩٤
ـ ولما وقفنا	تتوقفا	ـ	٦١٢
ـ مت	خلفا	ـ	٥٩٠
ـ واهاً	شفا	ـ	٤٤٢
ـ قد كان لي	صفا	ـ	٢٨٦
ـ قضت	موقفها	ـ	٥٩٢
ـ شوقي	أخفي	ـ	٤٧٣
ـ تركت	أسفي	ـ	٦١٣
ـ قف	الألفة	ـ	٥٠٩
ـ فما يزال	أنفِ	ـ	٥٩٤
ـ ميزت	تفي	ـ	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- سبحان	الموقف	أبو نواس	٧٧٣
- ومتى بلغت	المعروفِ	-	٥٧٢
- الناس	وافِ	-	٥٦٨
	- ق -		
- واستعذبوا	الآماق	-	٦١٩
- ومشتت	إخفاق	-	٣١٤
- ولم يبق	أشهقُ	-	٦٥٣
- يا قومنا	انتقوا	-	٥٨٤
- بلغ سلامي	تائق	-	٥٦٠
- لا تحبسن	درياق	-	٥٦٠
- يا طالب	طلاقها	-	٤٩٩
- ألا كل	عريقُ	أبو نواس	٧٧٤
- بقلبي	علق	-	٦٢٨
- لما أتوا	الفرق	-	٤٢٣
- المرء	يتسق	-	٣٩٥
- يا حادي	يراق	-	٥٣٧
- الوجد	ينطقه	-	٦٣٣
- احبس	آبقا	صردر	٥٨٥
- تغن	الأبرقا	مهيار	٤٢٨
- ولي عبرات	تألقا	-	٥٩٥
- من أجل	ترقا	-	٢٧٥
- قف	تشوقا	-	٣٧٨
- ليكفكم	رفقا	-	٤٧٣
- أيدري	شاقا	المتنبي	٣٤٨
- بقيت	شرقا	-	٦٣١
- إلى كم	طريقا	مهيار	٣٠٠
- ضمنا	عشقا	-	٥٠٢
- لتحشرن	علقا	-	٤٣١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ قد سحب	فرقا	العباس بن الأحنف	٥٨٦
ـ عللونا	اللقا	ـ	٥٤١
ـ هذه دراهم	الآماق	الشبلي	٢٦٠
ـ سل	الأبرقِ	مهيار	٥١٩
ـ وتكاد	الأعناق	المتنبي	٦٦١
ـ بعينيك	بقي	المتنبي	٣٨٣
ـ وما تطابقت	الحدقِ	ـ	٥٤٥
ـ محلة	خرق	ـ	٣٥٠
ـ رأيت	راقِ	ـ	٢٩٨
ـ لما وردن	الرفاقِ	ـ	٧٣٩
ـ طرف	ساقِ	مهيار	٦٥٥
ـ فكل شيء	الساقي	ـ	١٩٨
ـ يا صاحبي	عشاقي	ـ	٥٨١
ـ عين	فراق	ـ	٦٢٨
ـ يا ساكن	الفراق	ـ	٣١
ـ أرقي	قلقي	ـ	٢٦٧
ـ ليت شعري	المضيق	ـ	٤٧٨
ـ رأى	الآماقْ	الرضي	٦٥٢
ـ ما على	أعنق	ـ	٧٢٩
ـ ما أجلب	فاشتاق	ـ	٣٢٨
ـ قد كنت	يطاق	ـ	٣٨٨
	ـ ك ـ		
ـ رحل الأحبة	ما تركوا	ـ	٧٣٤
ـ تفكر	المليك	أبو نواس	٧٧٦
ـ يا دار	أبلاكا	الرضي	٥٢٣
ـ يا قلب	الأشراكا	الرضي	٤٢٥، ٦٧٢
ـ إذا اشتبكت	تباكا	ـ	٦٠٧
ـ يا عاذل	حاشاكا	الرضي	٥٩٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أروح	سواكا	المتنبي	٧٠٩
ـ فلو داواك	شفاكا	ـ	٣٢٠
ـ خف الله	فعالكا	ـ	٤٤٨
ـ بليت	كفاكا	أبو العتاهية	٤٦٦
ـ الماء	الباكي	الرضي	٥١٥
ـ قد لامني	السوافك	متمم بن نويرة	٥٣٤
ـ أيا بانة الغور	سواك	مهيار	٢٨٦
ـ يا ليت شعري	افتقارك	ـ	٧٣٦
ـ وهواك	ترك	ـ	٥٥٢
ـ كأنك	رحيلك	ـ	٧١٤
ـ أنت	لشتاتك	ـ	٣٨٠
ـ يا مالكاً	ملك	أبو نواس	٧٧٥
ـ قل للمؤمل	نظرك	ـ	٦٦٧
	ـ ل ـ		
ـ ألا أيهذا	الأجل	ـ	٣٢٢
ـ لا مرية	الأجل	صردر	٣٤٤
ـ هبت	أذيال	الغزي	٤٧٤
ـ أظن	أهل	ـ	٤٣٥
ـ لك يا منازل	أواهل	المتنبي	٧٢١
ـ سهر العيون	باطلُ	ـ	٥٥٩
ـ ألا فتى	بدا له	مهيار	٦٣٣
ـ قد لج	البلبال	ـ	٧١٣
ـ أفي نجد	تقول	الخفاجي	٥١٠
ـ إذا المرء	جميل	السموءل	٣٠٥
ـ ضمنت	حاله	ـ	٤٤٠
ـ قفوا	حاله	ـ	٥١٨
ـ ودعوا	حلوا	ابن الجوزي	٦١١
ـ وجدت	الراحل	ـ	٥٨٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا قلب	رحلوا	ـ	٤٦٥
ـ ولم أنس	الرحيل	ـ	٥٢٨
ـ قف	رسول	ـ	٥٠٤
ـ إذا لم يكن	رسول	ـ	٣٧٢
ـ فلا تحسبوا	سهل	ـ	٣١٥
ـ سألت	شاغل	ـ	٣١٩
ـ وأبغضت	الضال	المعري	٣٤٧
ـ ولما وقفنا	طلول	مهيار	٣٢٦
ـ صافحوا	الظلال	ـ	٥٥١
ـ وما تلوم	عجل	ـ	٧٠٨
ـ وإني	عجول	الرضي	٦٤٩
ـ أليس	عجول	ـ	٧٣٥
ـ ما لي شغل	عدل	ـ	٣٤٢
ـ لم يبقَ	عمل	ـ	١٨٥
ـ من أخطأته	غزل	ـ	٤٢٣
ـ محا بعدكم	غولها	الرضي	١٩٠
ـ لا يدرك	فعال	المتنبي	٦٩٥
ـ قف بالمحصب	فعلوا	ـ	٧٢٧
ـ من القتيل	القاتل	ـ	٤٣٢
ـ بكرت	قاتله	ـ	٤١٢
ـ أترى	قتلوا	ـ	٣٨٩
ـ تقر	قلالها	ـ	٦٠٠
ـ سألت الدار	ما فعلوا	أبو العتاهية	٥٤٨
ـ أضحى	مغتال	ـ	٥٧٤
ـ صحا	نازل	ـ	٣٢٤
ـ وما شرقي	نزول	المتنبي	٧٢٢
ـ أطلت	يطول	ـ	٦٣٨
ـ أيها العذال	يقبل	ـ	٦١٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أيها الملك	أحلى	ابن المعتز	٣٥٦
ـ قم	الأرجلا	مهيار	٤٩٤
ـ فاستوف	أرحلها	ـ	٦٥٨
ـ ترجو	أعدله	ـ	٧٠١
ـ يا منزلاً	تبلى	ـ	٥٠٩
ـ نموت	تبلى	أبو نواس	٧٧٥
ـ نزلوا	جبالها	ـ	٤٨٦
ـ قم	جلا	مهيار	٤٩٤
ـ ثورها	جلالها	الخفاجي	٦٥٨
ـ وأخرج	خاليا	ـ	٦٣١
ـ دعها	عقالها	علي بن أفلح	٥٥٩
ـ بدا لها	كلالها	ـ	٥٨٧، ٦٣٩
ـ يقول	لسلاها	ـ	٤٤٧
ـ هذا ولهي	لها	ـ	٥٩٥
ـ أما اشتقت	مالا	ـ	٤١١
ـ عجبت	المحيلا	ـ	٣٧٩
ـ إن الليالي	آجال	ـ	٤٩٩
ـ تعلقت	الآمال	ـ	٦٦٠
ـ أجاب	الإبل	المتنبي	٤٧٣
ـ من أعلم	إبله	ـ	٢٥٩
ـ إنا لنفرح	الأجل	ـ	٨١٨
ـ وكيف	ارتحالي	ـ	٥٨٢
ـ عش	أصلي	خالد الكاتب	٨٣٥
ـ سر	إليه	ابن المعتز	٦٣٤
ـ كلما	أملي	ـ	٧٤٣
ـ	أملي	ـ	٤٠٣
ـ خل طرفي	أهل	ـ	٤٩٧
ـ يا لنفحات	بابل	ـ	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ من يطلع	بالإبل	صردر	٤٦٢
ـ إذا لعب	بالرجال	ـ	٣٦١
ـ عثرت	بالزلل	مهيار	٥٤٤
ـ أسائل	بسؤالي	ـ	٧١٠
ـ لعل عتبك	بالعلل	المتنبي	١٦٢
ـ إذا ما الخيام	بقليل	ـ	٤٧٢
ـ زعمت	بلي	مهيار	٥٦٣
ـ أنفت	الترحال	ـ	٣٢٨
ـ دع شأن	تململ	ـ	٦٦٣
ـ فذي	الحابل	المتنبي	٥٥٥
ـ لأية علة	حبالي	ـ	٢٨٦
ـ ردوا	الزائل	مهيار	٦٠٠
ـ وكل	زوال	ـ	٥٢١
ـ مهلاً	المسبل	ـ	٦٣٥
ـ وإذا اشتغل	شغلي	ـ	٧٢٦
ـ وشغلت	شغلي	ـ	٧٢٦
ـ يرنحني	الشمال	الرضي	٣٧٤
ـ سلام	شمالي	ـ	٤٦٩
ـ ما أسرع	الشمل	ـ	٧٢٦
ـ بي شغل	عاقل	ابن الجوزي	٣٢٥
ـ يا ليلتي	عود إلي	مهيار	٦٠٥
ـ أتذكراني	غافل	الرضي	٣٢٩
ـ كذلك الفخر	الفعال	ـ	٣٠١
ـ ما لي شرقت	قبلي	ـ	٢٦٥
ـ خلني	قبلي	ـ	٧٣٢
ـ فإن الحسام	القاتل	ـ	٤٦٥
ـ أملي	قاتلي	ـ	٣٧٨
ـ لا أقبل	القتل	ـ	٣٤٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ جواهر	المثال	ـ	٧٠٣
ـ تقولين	مثلي	المتنبي	٦٢٢
ـ سألت عيني	محال	ـ	٥١٥
ـ حياتي	المحال	ـ	٣٥٧
ـ وإن شفائي	معول	ـ	٦٢٦
ـ وما ذرفت	مقتل	امرؤ القيس	٩٣
ـ ما اختص	منتبل	مهيار	١٨٩
ـ وإذا رامي	النضال	ـ	٢٠٧
ـ أين أيامك	وال	ـ	٤٣٩
ـ لو رأيت	الوصال	ـ	٤٧٤
ـ بحرمة	الوصل	ـ	٥٩٩
ـ نخطو	يطل	ـ	٢٦٩
ـ أيها السكران	الرحيلْ	ـ	٧٥١
ـ وعزمة	زحل	ـ	٥١٣
ـ خل	فاحتمل	ـ	٥٠٤
ـ إن كنت	فعل	مهيار	٣١٥
ـ هجرانك	قاتل	ـ	٤١٣
ـ كل حي	قبل	ـ	٧٥٥
ـ بين الحطيم	المقبل	ـ	٤٦٤
ـ من أعطى	المنازل	ـ	٣١٧
	ـ م ـ		
ـ وغطتنا	الأرحام	ـ	٢٨٢
ـ تركوا	أقاموا	الرضي	٣٦٢
ـ إذا لم يجد	أقاموا	ـ	٥٦٩
ـ يا من أشكو	أكتمه	ـ	٣١٦
ـ الناسكون	ألموا	ـ	٦٥٦
ـ كفى حزناً	إليكمو	ـ	٣٦٨
ـ ولوا	البهائم	أبو تمام	٧٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ ولما خلى	تغتنم	مهيار	٥٢٨
ـ أما الوقوف	تفهم	-	٦٩٠
ـ هذا	حاشاكمو	-	٦٩٦
ـ إذا دنت	الخيام	-	٢٦٠
ـ هذه	الخيام	-	٦٢٠
ـ أيا منعماً	الدائم	-	٣١٦
ـ جرت	الرسم	مهيار	٣٦٢
ـ نشدتك	الرسوم	-	١٨٧
ـ ودعت	السلام	-	٣١٦
ـ ليس عزماً	الظلام	المتنبي	٦١٩
ـ وجدي	عندكمو	-	٧١٣
ـ ما ناح	الغرام	-	٥٣٨
ـ يا حادي العيس	الغرام	-	٢٧٥
ـ لا توقدوا	غريم	-	٧٥٢
ـ أقل	الغنم	-	٦١٧
ـ لولا جنوني	قاموا	-	٣٠٦
ـ يطربني	القدم	مهيار	٣٧٨
ـ ومن البلية	لا يفهم	المتنبي	٥٩٨
ـ إذا بدا	لذكرهمو	-	٥٩٣
ـ تملكوا	لهمو	-	٤٣٠
ـ وقف	متقدم	أبو الشيص	٦٢٩، ٨١٩
ـ أجارتنا	المتيم	مهيار	٥٦١
ـ تحلى	المحرم	-	٤٣٥
ـ فحيَّ	المخيم	-	١٤
ـ لم أدر	مزموم	-	٧٢٩
ـ يا نسيم	المستهام	-	٣٥٦
ـ فداو	مضرمه	-	٣٩٩
ـ إن ترحلت	مقيم	-	٤٧٣
ـ على قدر	المكارم	المتنبي	٣٦٤، ٤٤٦

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سلوا	منام	ـ	٣٦٢
ـ عاود	منامه	ـ	٥٠٠
ـ كثير	فهمو	مهيار	٦٦٣
ـ يحاول	نائم	ـ	٧٠٧
ـ طال ليلي	ناموا	ـ	٥٠٦
ـ أما والله	ما ناموا	ـ	٢٢١
ـ آراؤهم	نجوم	ابن الرومي	٨٢١
ـ الشري	ندم	ـ	٣٩٦
ـ خليلي	نسيم	ـ	٣٤٨
ـ أيا جبلي	نسيمها	ـ	٤٢٠
ـ أثبتهم	هم همو	ـ	٦١٨
ـ يا ربع	همو	ـ	٥٤١
ـ وإني لآتي	يراكم	ـ	٢٠٠
ـ كاد يمسكه	يستلم	ـ	٢٦١
ـ ومن لبه	يكتم	ـ	٦٢٦
ـ هواك	يلتام	ـ	٤٣٧
ـ قلبي	ينام	ـ	٧٠٧
ـ نظرت	يهيم	ـ	٥٧٠
ـ عزيز	استسلما	ـ	٤١١
ـ وبجرعاء	السلاما	مهيار	٤٣١
ـ تعاظمني	أعظما	أبو نواس	٧٧٥
ـ يا نسيم	الأوما	ـ	٥٠١
ـ أيها الراحلون	ترامى	ـ	٤١٢
ـ	تسلما	ـ	٥٠٩
ـ ها إنها	التسليما	ـ	٥٦٥
ـ والحر	جسيما	الرضي	٦٩٠
ـ قل لمن	حاما	ـ	٣٨٥
ـ ظن	دما	مهيار	٢٠٧
ـ قولوا	دما	ـ	٣٨٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أين سكانك	شأما	مهيار	٢٧٣
ـ ما آل	صارما	ـ	٦٧١
ـ الماء	الظما	ابن الجوزي	٥٩٥
ـ حبى	عظما	ـ	٥٠٢
ـ ما لبني	عمه	ـ	٦٥١
ـ من على	فداما	ـ	٣٥٩
ـ يا بريق	قياما	ابن الجوزي	٦١٤
ـ يا نفس	ما	ابن المعتز	٢٦٤
ـ أين كنت	مراغما	ـ	٧٢٨
ـ يا للرجال	مستسلما	ـ	٦٥٢
ـ قل	مسلما	ـ	٧٢١
ـ طال	المناما	ابن الجوزي	٥٤٦
ـ تنام	نائما	ـ	٦٦٨
ـ تزودنا	الأباهِمِ	الرضي	٧٠٦
ـ فيا ريح	احتكمي	مهيار	٤٤٠
ـ يا لنفس	أحلام	أبو العتاهية	٦٧٢
ـ إذا الصبا	إضم	الغزي	٢٧٢
ـ إذا هزنا	الأراقم	مهيار	٥١٥، ٦٠٦
ـ أبكي	زللي	أقدامي	٤٢٥
ـ ذم	الأقوام	ـ	٥٨٧
ـ ما زلت	بدم	المتنبي	٦٥٨
ـ يا مطولاً	بالمنام	ـ	٣٢١
ـ هب البعث	تضرم	ـ	٦٩٩
ـ ألا اسقني	تنعم	ـ	٥١٠
ـ إن المقادير	الحازم	ـ	٦٤٧
ـ فمنا	خزائم	ـ	٣٩٦
ـ إلى حتفي	دمي	الحجاج	٣٣٩
ـ احبسا	دمي	ـ	٥١٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وتمشت	السقم	-	٦٢٣
ـ فليت	السقم	الرضي	٧٠٦
ـ نسيم الصبا	سلام	-	٦٩١
ـ ألا	سلامي	-	٦٨١
ـ ما شاغفتني	سلم	الرضي	٣٦٩
ـ سقمي	عدمي	-	٦٤٤
ـ يا حادي	عظام	-	٤١٩
ـ طلول	فهم	الغزي	٧٣٩
ـ وركب	قائم	-	٣٧٧
ـ لم يخل	قدم	-	٦٢٤
ـ والله	القدم	-	٦٦٩
ـ إلى أي حين	كم	المتنبي	٤٨٤
ـ وأمست	اللمم	الرضي	٣٩٢
ـ وما بحت	بالمتقادم	-	٦٦٥
ـ يا عمادي	المعامي	-	٧٦١
ـ عبتم	مقام	-	٥٠٠
ـ يا قلب	المقام	الرضي	٥٣٢
ـ هل لكما	الملتم	مهيار	١٨٨
ـ يا ويح	منصرم	ابن الجوزي	٧٢٣
ـ فيا آملاً	إرمْ	-	٢٨٨
ـ فلا تحسبوا	أنساكم	-	٢٦١
ـ أعد	رمم	-	٤٤٣
ـ إن في نأي	زنام	-	٦٤١
ـ الدمع	العزائم	-	٦٠٩
ـ يا نفس	فلم	-	٤٦١
ـ سروري	مغناكم	-	٧٦٢
	ـ ن ـ		
ـ كم اصطبار	إذعان	الرضي	٤٩٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يتشاكى	ألوان	ـ	٥٩٩
ـ لي بذات	البان	ـ	٤٩١
ـ هاتيك	بانوا	ـ	٣٤٣
ـ يا حبذا	بانوا	الغزي	٥٦٩
ـ سائل	بانوا	ابن الرومي	٦٣٧
ـ اسقني	ريان	ابن المعتز	٥٣٨
ـ يا حبذا	زمانه	ـ	٣٩٣
ـ جمعوا	سكنوا	ـ	٤٥٢
ـ عين المنية	سنان	ـ	٥٩٨
ـ ويأبى	اللسان	ـ	٦٨٦
ـ شرت	المغبون	الرضي	٢٢٤
ـ وانزل	ملآن	ـ	٢٦٠
ـ ردوا المطايا	نيران	ـ	٥٣٧
ـ قد علم	أحزانا	المتنبي	٦٥٤
ـ يا من سائل	أنا	ـ	٥٢٣
ـ اطلبوا	أنا	ـ	٦٧٤
ـ البين	البطينا	ـ	٢٧٤
ـ الموت	بنا	ـ	٧٦١
ـ هل الدهر	تفنى	ـ	٢٨٧
ـ لا تكذب	تكذبنه	ـ	٤٠٤
ـ ظللت	تلينا	صردر	٣٩٧، ٦٨٠
ـ ما رحلت	حسنا	الخفاجي	١٦١
ـ أمن خفوق	الحنينا	مهيار	٣٠٥
ـ واحبس	الدمنا	ـ	٥٧٩
ـ يا صاحبي	الدمنا	الرضي	٦٣٠
ـ بنفسي	رهينا	ـ	٢٧٢
ـ تشقينا	شقينا	ـ	٣٦١
ـ وصلوا	شقينا	ـ	٥٨٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم أحمل	ضنا	ـ	٢٧٣
ـ تعالوا	الظاعنينا	ـ	٣٨٨
ـ أهل الغرام	عتابنا	ـ	٤٠٨
ـ سل بسلع	عنا	مهيار	٣٧٣
ـ قم بنا	عنا	ـ	٥٩٩
ـ من قربنا	غافلينا	ـ	٥٩٠
ـ سقياً	غنى	ـ	٣٣٤
ـ وأنت	غنينا	مهيار	٣٩٩
ـ يا نفس	فتانا	ـ	٥٥٨
ـ وماذا	فخنا	ـ	٦٣٥
ـ خذني	القطينا	ـ	٣٧٨
ـ حرام	كانا	ـ	٦٠٣
ـ قد كنت	كتمانا	ـ	٢٧٢
ـ ظن	كتمانا	ـ	٥٩٥
ـ فلا ومن فطر	لبنى	ـ	٣٧٩
ـ أسميك	لبنى	ـ	٣٧٩
ـ قتل ابن عفان	المسلمينا	ليلى الأخيلية	٨١٠
ـ لا ذاق	وسنا	ـ	٦٤٣
ـ وكم وقفت	وهلانا	ـ	٥٣٢
ـ ليت شعري	يذكرونا	ـ	٥٧٦
ـ إذا جزت	يمينا	ابن الجوزي	٥٩٣
ـ إن كنت	الأحزان	ـ	٧٤٤
ـ إنا ليجمعنا	الأشجان	ـ	٥٩٩
ـ مضى	أطربني	ـ	٦٤٥
ـ لم يبق	أماني	الرضي	٥٣١، ٧٤٧
ـ أوان	الأواني	الرضي	١٩٨
ـ ما أقل	بالأماني	الرضي	٥٢٠
ـ ما كان	بتبيان	ـ	٦٨٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أينفق	بالموازين	ـ	٦٧٩
ـ سيقطع	البين	ـ	٥٧٨
ـ هو الحمى	تعاينه	ابن المعلم	٣٩٤
ـ ولقد تشكو	تفهمني	ـ	٤٠٢
ـ إن قلت	تواتيني	ـ	٤٦٧
ـ فكم هذا	التواني	ـ	٢٩٢
ـ ثواني	ثواني	ـ	٥٨٣
ـ جنونك	جنون	ـ	٣٤٠
ـ قوض الموت	حدثانِ	ـ	٣٠٩
ـ ألم ترني	حدثانها	ـ	٧٧٠
ـ ناحت سحراً	الحزن	ـ	٤٠٢
ـ أتظن	حزني	الخفاجي	٢٦٢
ـ قصوا	حزين	ـ	٦١٤
ـ فكانت	الزمان	ـ	٥١٨
ـ دعني	زمني	ـ	٣٧٦
ـ بلاني	شاني	السري الكندي	٦٣٩
ـ والذي	شجاني	ـ	٣٣٦
ـ يا بعيد	شجنه	العباس بن الأحنف	٢٦٧
ـ سلمت	شجن	ـ	٦١٢
ـ إن شفيعي	ظني	ـ	٢٠٩
ـ يا حادي	عني	ـ	٦٩٧
ـ أرضينا	غبن	ـ	٤٥٤
ـ إني أرقت	فأسعدني	أبو العتاهية	٣٠٨
ـ مكر الزمان	مظنون	ـ	٤٠٠
ـ ضنا	المعلن	مهيار	٥٨٦
ـ دع ملامي	مني	مهيار	٥٤٣
ـ أنا في	مني	ـ	٧٠٥
ـ سبحان من	مهين	أبو نواس	٧٧٤
ـ تعجب	هجرانها	مهيار	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ إن كان	وسني	-	٦٥٧
ـ هبيني	يفضحني	-	٦٠٨
ـ ومستخبر	يقين	جابر الجرمي	٦٠٨
ـ بح	تأمننها	-	٢٩٧
ـ اعف عني	الزمن	-	٢٨٥
ـ تشبهت	سكن	-	٥٨٧
ـ سلة الأحباب	فاستنن	-	٣٠١
	ـ هـ ـ		
ـ رأى	تيها	ابن المعتز	٣٦٣
ـ يا كثير	لديه	-	٣٥
	ـ و ـ		
ـ يا من	أبوه	-	٣٣٩
ـ دعوه	دعوه	-	٥٩٥
ـ أطاعوه	فكذبوه	-	٧٤٦
ـ ما إن يطيب	لهو	-	٣٧٦
ـ لم أشكو	البلوى	-	٦٤٤
ـ يا ملولاً	التوى	-	٦٤٧
	ـ ي ـ		
ـ خليلي	بداليا	-	٣٤٨
ـ وقولوا	بجواريا	الرضي	٥٩١
ـ وقد يجمع الله	تلاقيا	-	٦٨٩
ـ ولو قيل	خباياها	-	٣٠١
ـ ألا راحم	لسانيا	-	٦٨١
ـ أعد	اللياليا	-	٣٤٨
ـ مفندي	المآقيا	الرضي	٦٩٧
ـ سل الأيام	ساكنيها	-	٥٧٥

* * *



٤ - فهرس الموضوعات

● الإهداء ٥

● مقدمة فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني ٧

● مقدمة التحقيق ١٥

● قالوا في الإمام ابن الجوزي ١٦

● ترجمة ابن الجوزي رحمه الله ١٧

أولاً: اسمه ونسبه وشهرته ١٧

ثانياً: نشأته وسيرته التعليمية ١٨

ثالثاً: أهم الصفات التي تميز بها ٢٠

رابعاً: ابن الجوزي واعظاً ٢٢

خامساً: شهادة العلماء لابن الجوزي ٣٠

سادساً: مختارات من غرر ألفاظ ابن الجوزي ٣٢

سابعاً: أشهر مؤلفات ابن الجوزي ٣٣

ثامناً: وفاته ٣٥

● تعريف عام بكتاب المدهش ٣٦

أولاً: موضوع الكتاب ٣٦

ثانياً: توثيق نسبة الكتاب لابن الجوزي ٣٧

ثالثاً: أشهر العلماء الذين نقلوا عن المدهش ٣٨

رابعاً: عرض نماذج لبعض العبارات الرائعة في المدهش ٤٠

● السبب في إعادة طبع الكتاب ٤٣

أولاً: منهج التحقيق والخطوات التي سلكناها لإخراج الكتاب ٤٤

ثانياً: وصف المخطوطتين ٤٦

● نماذج من المخطوطتين ٤٩

كتاب المدهش

الجزء الأول

● خطبة المؤلف ٥٥

الباب الأول
في علوم القرآن وبيانه (٥٧ ـ ٩٠)

● فصل: في ذكر أقسام الخطاب في القرآن ٥٩
● فصل: في ذكر أمثال القرآن ٦١
● فصول: في عيون المتشابه ٦٥
ـ فصل: في الحروف المبدلات ٦٥
ـ فصل: في الحروف الزوائد والنواقص ٦٧
ـ فصل: في المقدَّم والمؤخّر ٧٠
● أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر ٧٢
ـ باب (أو): يتضمن معاني (أو) في القرآن ٧٢
ـ باب (أدنى): يتضمن معاني (أدنى) في القرآن ٧٢
ـ باب (الإنزال): يتضمن معاني (الإنزال) في القرآن ٧٢
ـ باب (الأرض): يتضمن معاني (الأرض) في القرآن ٧٣
ـ باب (الأمر): يتضمن معاني (الأمر) في القرآن ٧٤
ـ باب (الإنسان): يتضمن معاني (الإنسان) في القرآن ٧٥
ـ باب (الباء): يتضمن معاني (الباء) في القرآن ٧٦
ـ باب (الحق): يتضمن معاني (الحق) في القرآن ٧٧
ـ باب (الخير): يتضمن معاني (الخير) في القرآن ٧٨
ـ باب (الدين): يتضمن معاني (الدين) في القرآن ٧٩
ـ باب (الذكر): يتضمن معاني (الذكر) في القرآن ٧٩
ـ باب (الروح): يتضمن معاني (الروح) في القرآن ٨٠

- باب (الصلاة): يتضمن معاني (الصلاة) في القرآن ٨٠
- باب (عن): يتضمن معاني (عن) في القرآن ٨١
- باب (الفتنة): يتضمن معاني (الفتنة) في القرآن ٨١
- باب (في): يتضمن معاني (في) في القرآن ٨٢
- باب (القرية): يتضمن معاني (القرية) في القرآن ٨٣
- باب (كان): يتضمن معاني (كان) في القرآن ٨٣
- باب (كلا): يتضمن معاني (كلا) في القرآن ٨٤
- باب (اللام): يتضمن معاني (اللام) في القرآن ٨٥
- باب (لولا): يتضمن معاني (لولا) في القرآن ٨٦
- باب (مِنْ): يتضمن معاني (من) في القرآن ٨٩
- باب (الواو): يتضمن معاني (الواو) في القرآن ٨٩
- باب (الهدى): يتضمن معاني (الهدى) في القرآن ٩٠

الباب الثاني

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها (٩١ ـ ١١٦)

- **فصل**: في انقسام اللغة إلى قسمين واشتمال القرآن عليهما ٩٣
- **فصل**: ورود عبارتين متصلتين لجهتين مختلفتين ٩٧
- **فصل**: رجوع كل من المجتمعين إلى ما يليق به ٩٨
- **فصل**: مجيء البيان متصلاً بالمبين ومنفصلاً عنه ٩٩
- **فصل**: مجيء جواب الكلام مقارناً له أو بعيداً عنه ١٠٢
- **فصل**: تصرف العرب في اللفظ بالحركات، والإعجام، والقلب ١٠٤
- **فصل**: التصرف في إطلاق الأسماء ودقتها ١٠٦
- **فصل**: اختلاف الأسماء باختلاف أحوال المسمى ١٠٨
- **فصل**: اختلاف الأوصاف باختلاف الموصوف ١١٢
- **فصل**: اختلاف الأسماء مع اتفاق الأحوال ١١٣
- **فصل**: للعرب في ألفاظها عام وخاص ١١٤

● فصل: أسماء تطلق على مسمّياتها بشروط ١١٥

الباب الثالث

في علوم الحديث (١١٧ ـ ١٤٢)

● فصل: في ذكر نبينا محمد ﷺ ١١٩
ـ ذكر نسبه ﷺ ١١٩
ـ ذكر أسمائه ﷺ ١١٩
ـ ذكر عمومته ﷺ ١٢٠
ـ ذكر عماته ﷺ ١٢٠
ـ ذكر أزواجه ﷺ ١٢٠
ـ ذكر أولاده ﷺ ١٢٠
ـ ذكر مواليه ﷺ ١٢٠
ـ ذكر مؤذّنيه ﷺ ١٢١
ـ ذكر كتّابه ﷺ ١٢١
ـ ذكر نقباء الأنصار رضي الله عنهم ١٢١
ـ تسمية مَنْ جمع القرآن حفظاً في عهد رسول الله ﷺ ١٢١
ـ تسمية مَنْ كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ ١٢١
ـ تسمية مَنْ تأخّر موته من الصحابة رضي الله عنهم ١٢١
ـ تسمية فقهاء المدينة السبعة رضي الله عنهم ١٢٢
● منتخب من ذكر الأوائل ١٢٣
ـ فصل: أوّليات في الجاهلية ١٢٣
ـ فصل: أوّليّات في الإسلام ١٢٤
ـ فصل: أوائل متفرقة ١٢٤
ـ فصل: أوائل متنوعة ١٢٥
ـ فصل: أوّليات مستقبلية ١٢٥
● منتخب في ذكر المنسوبين إلى غير آبائهم ١٢٦

● فصل: في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء ١٢٨
● فصل: التشابه في الخط والاختلاف في اللفظ ١٢٩
● فصل: أسماء أطلقت على الرجال والنساء معاً ١٣٠
● فصل: أسماء وقع فيها إشكال ١٣٢
● منتخب من الأسماء المفردة ١٣٣
● منتخب من مشتبه الأسماء ١٣٤
● فصل: من مشتبه النسبة ١٣٦
● بيان أحاديث أهمل فيها تبين الأسماء المشتبهة ١٣٧
● منتخب من المتفق والمفترق ١٤١

الباب الرابع

في ذكر عيون التاريخ (١٤٣ ـ ١٥٦)

● فصل: في أقاليم الأرض ١٤٥
● فصل: في الجبال ١٤٦
● فصل: معادن الأرض ١٤٦
● فصل: آدم ونوح عليهما السلام وأولادهما ١٤٦
● فصل: في تسمية الحواريين ١٤٧
● فصل: من ملوك فارس ١٤٧
● فصل: في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً ١٤٧
● فصل: في الجدوب وعموم الموت ١٥٠
● فصل: في الزلازل والآيات ١٥٢

الباب الخامس

في ذكر المواعظ (١٥٧ ـ ٧٦٤)

القسم الأول: ذكر القصص

● الفصل الأول: في قصة آدم عليه السلام ١٦١

- الفصل الثاني : في بناء الكعبة ١٦٤
- الفصل الثالث : في قصة سيدنا نوح عليه السلام ١٦٧
- الفصل الرابع : في قصة عاد ١٦٩
- الفصل الخامس : في قصة ثمود ١٧١
- الفصل السادس : في قصة الخليل عليه السلام ١٧٢
- الفصل السابع : في قصة الذبيح عليه السلام ١٧٤
- الفصل الثامن : في قصة ذي القرنين ١٧٦
- الفصل التاسع : في قصة قوم لوط عليه السلام ١٨٠
- الفصل العاشر : في قصة يوسف عليه السلام ١٨٤
- الفصل الحادي عشر : في قصة أيوب عليه السلام ١٨٩
- الفصل الثاني عشر : في قصة شعيب عليه السلام ١٩٢
- الفصل الثالث عشر : في ذكر بداية موسى عليه السلام ١٩٤
- الفصل الرابع عشر : في تكليم الله عزَّ وجلّ موسى عليه السلام ١٩٦
- الفصل الخامس عشر : في قصة الخضر عليه السلام ٢٠١
- الفصل السادس عشر : في قصة بلعام وموسى عليه السلام ٢٠٣
- الفصل السابع عشر : في قصة قارون ٢٠٥
- الفصل الثامن عشر : في قصة داود عليه السلام ٢٠٧
- الفصل التاسع عشر : في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ٢١٠
- الفصل العشرون : في مريم وعيسى عليهما السلام ٢١٣
- الفصل الحادي والعشرون : في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام ٢١٧
- الفصل الثاني والعشرون : في قصة أهل الكهف ٢٢٠
- الفصل الثالث والعشرون : في بداية أمر نبينا ﷺ ورضاعه ٢٢٣
- الفصل الرابع والعشرون : في قصة الغار والصدّيق رضي الله عنه ٢٢٨
- الفصل الخامس والعشرون : في قصة أهل بدر ٢٣٠
- الفصل السادس والعشرون : في تزويج علي بفاطمة رضي الله عنهما ٢٣٨

القسم الثاني: في المواعظ

● **الفصل الأول: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ نذكر فيه التوحيد** ٢٤٥
- في التوحيد وانتفاء الشَّبَهُ
- إثبات الصفات دون تشبيه أو تعطيل
- من مظاهر عظمته وأدلة وحدانيته
- اصطفاء أنبيائه وإقصاء أعدائه

● **الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾** ٢٥٠
- في فضل نبينا ﷺ وأن فضائل الأنبياء مجموعة فيه ﷺ
- تحنث النبي ﷺ في حراء ومجيء جبريل
- الإسراء والمعراج ومعجزات أخرى
- خصوصية بالمقام المحمود يوم القيامة
- صحابة النبي ﷺ صفوة الخلق بعد الرسل
- ميزات ثلة من صحابة النبي ﷺ

● **الفصل الثالث: في قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾** ٢٥٧
- تلبية النداء شوقاً لرؤية البيت العتيق
- من أحوال العارفين في المناسك
- ما تفيضه رؤية المشاهد والآثار على القلوب من أسرار

● **الفصل الرابع:** ٢٦٤
- الاعتبار بمن نازله الموت قبل التأهب وإعداد الزاد
- قصر اللبث في الدنيا داعية إلى الجد في الخير وترك العبث
- من بواعث الكسل غلبة الهوى وطول الأمل
- اجتماع المذنبين في نادي الندم والأنين

● **الفصل الخامس:** ٢٦٩
- التأمل فيما يفنى ويبقى يقي من اتباع الهوى
- قوة عزمك على الخير رجولة وفتورك عنه أنوثة
- محبة الدنيا محنة وبلية

ـ من جعل الآخرة نصب عينيه جدّ في طلبها
ـ الصبر على المجاهدة سبيل الحظوة عند الملك
● الفصل السادس: ٢٧٦
ـ العمر يسير والعاقل يَقصر عن التقصير
ـ التأمل في عجائب تدبّر الحيوان للعواقب
ـ العاقل مَنْ يدبر دينه كما يدبر دنياه
ـ استنشاق ريح الأسحار يفيق قلب المخمور من الإسكار
● الفصل السابع: ٢٨٢
ـ المتيقظ ينتفع بوعظ الأيام ويبادر لتلافي الآثام
ـ الأسفار الستة التي يتقلب بها الإنسان
ـ صفات المتقين في طريقهم إلى مراتب اليقين
● الفصل الثامن: ٢٨٧
ـ غبن المغرور باللذات، وحزن المسرور بالشهوات
ـ دنيّ الهمة يقنع بالحاضر الفاني، ورفيع الهمة يطمح إلى الآجل الباقي
ـ دروس في تفاوت الهمم في عالم الحيوان
ـ معرفة حقيقة الدنيا تدعو للتعلق بالآخرة
ـ الهوى يعرقل عن سلوك سبيل الآخرة
● الفصل التاسع: ٢٩٢
ـ الاعتبار بالزمان حضّ العارفين على إصلاح الشأن
ـ اتّباع الهوى حصرٌ في سجن الدنيا، والتقوى انطلاقة في فضاء العزّ
ـ الحثّ على التخلّص من المعوّقات والقواطع
ـ التلطّف في الموعظة بين التشويق والتخويف
ـ أحوال العارفين بين الخوف والرجاء
● الفصل العاشر: ٢٩٧
ـ الدنيا غرّارة غدّارة خدّاعة مكّارة
ـ إنما تعجب الدنيا من لا فهم له، والعاقل يعرف حقيقتها

- الدنيا تتلف محبّيها وأهل الغفلة فيها
- على قدر الاجتهاد تعلو الرتب
- إسلام الصحابي الجليل ذي البجادين وشوقه إلى النبي ﷺ
● الفصل الحادي عشر : ٣٠٢
- دعوة النفس إلى تحقيق التوبة وإصلاح العيوب
- انقياد النفس للحازم وإباؤها على المتردد
- أثر المواعظ في إحياء قلوبٍ أماتتها الذنوب
- إصلاح القلوب مقدَّم على إصلاح الأبدان
- لا راحة للمحبّ إلا بلقاء محبوبه
● الفصل الثاني عشر : ٣٠٨
- الاعتبار بسطوة الموت والتنبّه قبل الفوت
- ركوب سفينة النجاة في لجج الحياة
- التهيؤ لساعةٍ ينادي فيها سعد فلان أو شقي فلان
- تمثّل جهنّم وأحوال الناس فيها
● الفصل الثالث عشر : ٣١٣
- معاول الساعات تهدم حائط الأجل
- تذكّر حلاوة العاقبة ينسي مرارة الصبر
- أثر الندم في قلع آثام الذنوب
● الفصل الرابع عشر : ٣١٧
- تمثّل هول عالم القبور يزهد في الدنيا الغرور
- كثرة الشواغل والطمع والغفلة مانعة من الفهم والاتعاظ
- طول الأمل عقدة في وجه منشار الجد
● الفصل الخامس عشر : ٣٢٢
- مَنْ أيقن بالرحيل بادر الأيام وحاذر الآثام
- مَنْ ولّى ظهره الدنيا، كشفت له الآخرة نقابها
- موانع الهوى تحجب وصول الموعظة إلى القلب

● الفصل السادس عشر: ٣٢٧
ـ مَنْ علم ما أمامه تهيأ للرحيل وأصلح خيامه
ـ عزيمة الإنابة تقلع قواعد الهوى
ـ تعلقت همة ابن آدم بالآخرة لما لاح له جمالها
● الفصل السابع عشر: ٣٣٢
ـ الدنيا دار المحن ودائرة الفتن
ـ من علم حسن المآب عند الله آب
ـ الآخرة سكانها الأخلاق الجميلة
ـ الذلّ والبكاء بلسمٌ لجراحات الذنوب
● الفصل الثامن عشر: ٣٣٨
ـ من أحبّ الوسادات لم يَلحق بمقام السادات
ـ المبادرة بالعمل الصالح ونبذ التسويف
ـ الإنسان مختار الله في الكون
ـ نزول آدم إلى دار المجاهدة وظهور ثمارها
● الفصل التاسع عشر: ٣٤٤
ـ التأهُّب للرحيل من دار ليست بمناخ
ـ بسابقة القدر سعد أقوام وشقي آخرون
ـ رحلة سلمان الفارسي في طلب الهداية
● الفصل العشرون: ٣٥٠
ـ يرجع عن الميت أهله وماله ويبقى معه عمله
ـ نفخ إسرافيل في الصور وحشر الخلائق
ـ من عجائب تدبير الحيوان للعواقب
ـ بعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار
● الفصل الحادي والعشرون: ٣٥٤
ـ خَلِّ الأمل الكذوب فرُبَّ شروق بلا غروب
ـ الدنيا جيفة قد فاح ريحها لا يشمه مزكوم

- بتفريغ القلب من الشواغل تُضْرَبُ سرادقات المحبوب
- المحبون بذكر الله ينطقون، وبأمره يتحركون

● **الفصل الثاني والعشرون:** ٣٥٩
- التَّبِعات تبقى واللذّات تمرّ
- أخوك من عذَلك وصدَقك لا مَنْ عذرك وصدَّقك
- ظهور رياض الوصول يُهوِّن قطع بادية الرياضة

● **الفصل الثالث والعشرون:** ٣٦٤
- لا يُدرِكُ المفاخر مَنْ رضي بالصف الآخر
- شجرة المكاره تُثْمِر المكارم
- مَن امتطى راحلة الشوق لم يَشقَّ عليه بُعْدُ السفر
- غليظ الطبع مَنْ لا يُحرّكه تشويق ولا يُزعجه تخويف

● **الفصل الرابع والعشرون:** ٣٧٠
- التوبة التوبة قبل وصول النَّوْبة
- مَنْ ضاع قلبه طلبه في مجالس الذكر والفكر
- عناية الله بعبده محيطة به قبل وجوده وبعده
- مَنْ أقبل على ربه رأى من إقباله عليه العجب

● **الفصل الخامس والعشرون:** ٣٧٦
- ضَمُّ العيب إلى الشيب مذموم
- حاكم العقل يُدين، وقاضي الهوى يجور
- التنزّه في أخبار المحبين تورث القلب محبة

● **الفصل السادس والعشرون:** ٣٨٠
- الدنيا أسحر من هاروت وماروت
- العمر أنفاس تطير، والموت يقطعها بسيفه
- أمل لقاء الحبيب يُنسي مرارة الابتلاء
- اجتياز بعض الصحابة لمحنة الابتلاء

● الفصل السابع والعشرون: ٣٨٥

- لا يدفع الموتَ في انتفاضه مَشِيدُ الحصون
- لا يُفرِّقُ الهمة مثل غوغاء المنى وضوضاء الشهوات
- نَفَس الأسف ينسف كثبان الذنوب في بوادي القلوب
- خوف العارفين من سوابق الأقدار قَلْقَلَ قلوبهم

● الفصل الثامن والعشرون: ٣٩٠

- من تيقَّنَ طولَ الطريق تأهَّبَ لها بكثرة الزاد
- ضبط الجوارح سبيل لحفظ الدِّين
- طعم المناجاة في السَّحَر تُنسي كلَّ لذّة
- مجالس الوعظ يأخذ منها كلٌّ على قدر همَّته

● الفصل التاسع والعشرون: ٣٩٥

- من بواعث اليقظة التفكُّر في مصارع السابقين
- تلمُّح العواقب قبل الفعل أمان من الندم
- منْ زمَّ جوارحه ولازم الباب، فهو على رجاء الوصول
- المحبون يأنسون بمحبوبهم ويهيمون بذكره

● الفصل الثلاثون: ٤٠٠

- مَنْ عَلِمَ أنّ الخصم مُعِدٌّ والقَصْمَ مُجِدٌّ، بادر وجدّ
- جلاء البصيرة من قذى الهوى يُجلي على البصر عرائس الهدى
- مظاهر عَظَمة الله في مراحل خلق الإنسان

● الفصل الحادي والثلاثون: ٤٠٤

- حَظِيَ بالشر مَنْ جمع المال للغير، وترك التزوُّدَ في سَيْرِه
- إيثار ما يَفْنَى على ما يبقى عِلَّةٌ قاتلة
- أمثلة لتوظيف طاقات الإنسان في الفاني المنقطع
- مَنْ تفكَّر في طريق الهوى يتيقن المَعاثِر والصدمات

● الفصل الثاني والثلاثون: ٤١٠

- الحرص على الدنيا يورث صاحبه النَّصَب

- شرف الهمة ينأى بصاحبه عن الخسائس والأقذار
- صاحب الهوى يتبع المذهب الذي يوافق غرضه
- الشوق إلى الحبيب والندم على التقصير يقي من نار جهنم

● الفصل الثالث والثلاثون: ٤١٤
- مَنْ سكن اليقينُ قلبه، راقب بالأنفاس ربّه
- مَنْ قطع طعمه في الدنيا حاز عزائم الأولياء
- أحكم العارفون العلم فحكم عليهم بالعمل

● الفصل الرابع والثلاثون: ٤٢١
- رحيل مَنْ يرحل عن الدنيا نذير لمن بقي فيها
- التقصير في العمر القصير ندامة وسوء مصير
- الإصغاء إلى حديث الهوى يورث الصمم إلى النصائح
- الحِمية عن الذنب وامتلاك الهوى سبيل الرفعة ونيل العلا

● الفصل الخامس والثلاثون: ٤٢٧
- الدنيا معبر للآخرة ودار ابتلاء
- تُنال الجنة بالزهد وتُدفَع النار بترك الذنب
- مَنْ عَلِمَ أن البلاء مراد الحبيب استحلاه

● الفصل السادس والثلاثون: ٤٣٤
- الدنيا لمن اغترّ بها خادعة، ولمن أحبّها قاطعة
- المال بيد الكرام عابر سبيل
- مَنْ أعرض عن الدنيا أقبلت إليه الآخرة
- نيل الشهوات وتحصيل المراتب ضدان لا يجتمعان

● الفصل السابع والثلاثون: ٤٣٨
- الجِدُّ في طريق السابقين سبيلٌ للحاق بهم
- أوحش الذل ما كان بعد العزّ
- لسان الدمع أفصح من لسان الشكوى

- أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي بل بنَفَس محتاج

● الفصل الثامن والثلاثون: ٤٤٣

- اعتبار المقيم بمن رحل
- من صدَّق الأمل كذّبه ومن أطاع الهوى عذّبه
- من مظاهر نعم الله وتدبيره في خلقه
- من الشقاء مقابلة النعمة بمخالفة المُنعِم

● الفصل التاسع والثلاثون: ٤٤٨

- من أيقن بشدة الحساب حاسب نفسه على الذرّة
- ما مضى من الدنيا حلم وما بقي فأماني
- الطريق إلى الله محفوفة بالمشاق ومبذولة فيها الأرواح

● الفصل الأربعون: ٤٥٢

- سحائب المنى تحجب شمس الاعتبار وتغفل عن سطوات الموت
- الشيب أذان والموت إقامة، والخاسر من ليس على طهارة
- سكران الهوى بعيد الإقامة
- ضم الندم على التفريط إلى العزيمة على الإنابة سعادة

انتهى الجزء الأول

كتاب المدهش

الجزء الثاني

● الفصل الحادي والأربعون: ٤٦١

- من راضَ مُهر نفسه هان عليه قيادها
- الأرواح في الأشباح كالأطيار في الأبراج
- نور النبوّة عمَّ الآفاق فرآه السعداء وعمي عنه الأشقياء
- الخوف من السابقة لا تنحل عقدته من قلوب العارفين

● الفصل الثاني والأربعون: ٤٦٦

- من انفكَّ من أسْرِ هواه أدرك مُناه

- دُرَرُ المواعظ تستنهض أصحاب الهمم
- العاقل من رعى قلبه في مزارع التقوى وحَماه من أدغال الغفلات
- سبق الاختيار يرفع من مهاوي الزلق إلى مراقي النجاة

● **الفصل الثالث والأربعون:** ٤٧١
- الفضائح تحتاج إلى وثبة أسد
- من أوقد مصباح الفكر لاحت له أعلام الهداية
- نماذج من زهد الصالحين وبكائهم
- تمكّن المحبة من القلوب تنأى بصاحبها عن نسيان المحبوب

● **الفصل الرابع والأربعون:** ٤٧٥
- شحم المنى هُزال ولذات الدنيا منام وخيال
- مَنْ له من نفسه باعث لم يحتج من خارجه لباعث
- نماذج من خصائص بعض المخلوقات
- استنشاق ريح المواعظ يسقط جنين الإصرار
- الاعتدال في سياسة النفس بما لها وما عليها

● **الفصل الخامس والأربعون:** ٤٨٠
- الدنيا حَلَبَةٌ لجريان الأعمار
- الشهوات مبثوثة في طريق المتيقن ما يسلم منها إلا الأولياء
- التواني عن التوبة والخيبة رضيعا لَبَان

● **الفصل السادس والأربعون:** ٤٨٤
- بئر الغفلة مُهلكة وبحار الجهل مُغرِقة
- من ذبح حَنْجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق قلبه من أسر الرق
- طلوع شمس العزيمة في نهار اليقظة يبث عالم النشاط

● **الفصل السابع والأربعون:** ٤٨٨
- عرائس الموجودات ترفل في حلل رائعة الصنعة
- العارفون نزلوا من الدنيا منزلة الأضياف فأخذوا منها الزاد دون إسراف

● الفصل الثامن والأربعون: ٤٩٣
ـ ما تعطيه الدنيا مفرَّقاً تسترجعه جملة
ـ من وزن حلوى المشتهى بمر العقاب بان له التفاوت
ـ انبعاث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالأجر
ـ الفرح ببذل النفوس دليل على كمال المحبة
● الفصل التاسع والأربعون: ٤٩٩
ـ الاستعداد للآخرة قبل الندامة
ـ يشتد كرب المحب بمزاحمة رقباء المخالطة وبهبوب نسيم السحر يزول
ـ أرواح الأسحار أقوات الأرواح
● الفصل الخمسون: ٥٠٣
ـ تلمُّح سِير السابقين يُقلق المنقطعين
ـ غسل جنابة الجناية يؤهل لدخول الجنة
ـ من نصب الآخرة نُصْبَ عَيْنَيْه نصب بالطاعة
● الفصل الحادي والخمسون: ٥٠٧
ـ كم أباد الموت المُناصب أرباب المناصب
ـ سائق الحرص يضرب ظهر الحريص بعصا التحريض
ـ كره المحبون الموت لأنه يقطعهم عن عبادة محبوبهم
● الفصل الثاني والخمسون: ٥١٢
ـ العزلة حمية البدن والمناجاة قوت القلب
ـ تحقيق العبودية يرفع العبد فوق مراتب الملائكة
ـ لو عرف الإنسان قدر نفسه ما أهانها بالمعاصي
ـ أثر المحبة يظهر على جسد المحب
● الفصل الثالث والخمسون: ٥١٦
ـ العمل دائم الوجل من هجوم الأجل
ـ ما أشنع الخطايا في الصبا وهي في الشيب أقبح!
ـ من فتّش أحمال الأعمال قبل الرحيل أمن الرد عند المقيل

ـ المعرفة غرس في القلب، والتذكار ماء

● الفصل الرابع والخمسون: ٥٢٠

ـ القائم على سوق الشهوات في سوق الشبهات خسرت تجارته

ـ لا يغرّنك صفو العيش فالرسوب في أسفل الكأس

ـ خُلِقت الداران للإنسان، فالدنيا للتزوّد والأخرى للتوطّن

ـ محبة آدم للحبيب أصيلة، وتعبُّد إبليس تكلّف

● الفصل الخامس والخمسون: ٥٢٦

ـ من آمن بالسؤال يوم الحساب أعدَّ له أحسن الجواب

ـ من الشطط والخسران إنفاق نعم المولى في العصيان

ـ بخار الأماني يعقد بخار الكسل

ـ أحوال الصالحين عند الموت بين خائف ومشتاق

● الفصل السادس والخمسون: ٥٣٠

ـ مركب الحياة تجري في بحر البدن برخاء الأنفاس

ـ العقل يحثّ على التوبة، والهوى يمنع، والحرب بينهما سجال

ـ أُحصر الصالحون في سبيل المحبة، فأقعدتهم عن كل مطلوب

● الفصل السابع والخمسون: ٥٣٤

ـ اليقظ من يبكي على نفسه قبل أن يُبكَى عليه

ـ من علامة حياة القلب: الانكسار عند التوبيخ، والدمع عند العتاب

ـ متى صدقت توبة التائب بنى بيت التعبّد بصخور العزيمة

ـ التوبة الصادقة تقلع آثار الذنوب

● الفصل الثامن والخمسون: ٥٣٩

ـ وَعْظ الدنيا برحيلها أبلغ وعظ لمن كان له قلب

ـ ما أمَرَّ البعد بعد القرب! وما أشد الهجر بعد الوصل!

ـ المحبّ لا يبرح عن الباب ولو طُرِدَ، ولا يزول عن الجناب ولو أُبعِد

● الفصل التاسع والخمسون: ٥٤٣
- أكثر فساد القلب من تخليط العين
- إذا خيّم سلطان المعرفة بقاع القلب بثّ جنده في بقاع البدن
- عند المحبين شغل عن الجنة فكيف يلتفتون إلى الدنيا
- ألسنة المحبين تضجّ من طول حبسهم في الدنيا عن الحبيب
● الفصل الستون: ٥٤٨
- التفكُّر في الراحلين عن الدنيا ومنازلهم بعدها
- من رأى معاول النقض في أهل الدنيا ناح عليهم
- الأيام صحائف الأعمار، والسعيد من سجّل فيها أحسن الأعمال
- من دلائل المحبة نحول الجسم واصفرار اللون
● الفصل الحادي والستون: ٥٥٣
- الأيام واعظة بما تبنيه وتنقضه
- يوسف العقل ينظر في العاقبة، وزليخا الهوى تتلمَّح العاجلة
- كل صاف من الدنيا مقرون بكدر
- لا يدرك علم الربانية إلا من رُبيَ فيه
- لابدّ في سلوك الطريق من مصابرة رفيق
● الفصل الثاني والستون: ٥٥٨
- العاقل من يستدرك صبابة اليقظة
- لا بد لنجم الحياة من أُفول، ولشمس الممات من طلوع
- العمر قصير، والناقد بصير
- إذا خلا الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع
● الفصل الثالث والستون: ٥٦٢
- الأكياس يعاتبون النفس على التفريط ويحاسبونها على التقصير
- العزلة تجمع الهمَّ، والمخالطة نهّابة لجمع القلب على الله
- بانقشاع غيم الغفلة عن العيون يلوح هلال الهدى

- المحبّون أنضَوْا رواحل الأبدان حبّاً في تعجيل اللقاء
- من أراد اللحاق بالسادة خلى مخاللة الوسادة

● الفصل الرابع والستون: ٥٦٦
- من خطر ذكر الرحيل بباله، قنع بالبُلَغ في ترحاله
- يقدر على الحمية من تلمح العافية في العاقبة
- من أقفر قلبه من اليقظة فتحت نفسه باب الغفلة

● الفصل الخامس والستون: ٥٧٠
- إقبال الدنيا شغل، وإدبارها قتل
- الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب
- أحسن شعائر الشرائع العدل

● الفصل السادس والستون: ٥٧٤
- طول الأمل ينسي ذكر الأجل
- الأمن في طريق مُخيف يدلُّ على عقل سخيف
- النبيه من يخالط عالَم المعنى، ولا يقف مع الصور
- من صفت له الفكرة كان له في كلِّ شيءٍ عبرة

● الفصل السابع والستون: ٥٧٨
- الطريق الهادية واسعة الفجاج والدليل ظاهر
- من لم يصبر عن الهوى صَبْر يوسف حَزِنَ حُزْنَ يعقوب
- أنفاس المستغفرين نسائم السحر
- زكام الكسل والفتور يمنع استطابة رياح الأسحار

● الفصل الثامن والستون: ٥٨٢
- لا يَعمي البصر، ويُصِم السمع مثل الهوى
- شجرة الإخلاص أصلها ثابت، وشجرة الرياء مجتثة
- ريح المخلصين عطرية القبول، وللمرائي سَمُوم الإبعاد
- قلب من ترائيه بيد من تعصيه

- أحوال الصالحين في الاحتراس من الرياء

● **الفصل التاسع والستون: التفكر في عجائب خلق الله:** ٥٨٨

- العاقل من يخلو بنفسه ويعاتبها، ويأخذ على يدها ويحاسبها
- مَنْ تأمَّل حُسْن لُطفِه لخليقته حيّره الدهَش
- القلب جوهر في معدن البدن والكشف عنه بمعول المجاهدة
- المغبون من باع لحظة أُنس بالله بعمر الدنيا
- أنفاس الأسف كافية في الشفاعة من الزلل

● **الفصل السبعون:** ٥٩٢

- العجب ممن يشتري لذة ساعة بغمّ الأبد
- بضاعة المذنب دمعه، ورأس ماله حزنه
- أقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالزلل
- ليس للمحب دون لقاء محبوبه قرار

● **الفصل الحادي والسبعون:** ٥٩٧

- حبال الآمال مقطوعة، وساحر الهوى نفَّاث
- من عدى خلف موكب الهوى ما ربح إلا الغبار
- من لم يشاهد جمال يوسف لم يعلم ما الذي آلم قلب يعقوب

● **الفصل الثاني والسبعون:** ٦٠٢

- أدعية ومناجاة في طلب القرب، والأمن من القطيعة
- العجب ممن عرفه ثم أحب غيره
- يرجى لمن استغاث بالواصلين اللحاق بهم
- ذكر الوصال في زمان الهجر تلف

● **الفصل الثالث والسبعون:** ٦٠٦

- الإخلاص مِسكٌ مصون في مَسْك القلب
- المرائي يحشو جراب العمل رملاً يُثقل ولا ينفع
- العبرة باستقامة الباطن وصلاح النية

ـ نماذج من حرص الصالحين على كتم الأعمال خشية الرياء

● الفصل الرابع والسبعون: ٦١١

ـ سار الصالحون على رواحل الصدق فوصلوا رياض الأنس

ـ حمائم الأرواح مسجونة في أقفاص الأشباح

ـ جليت أوصاف الحبيب في حلية الكمال، فقام العارفون على أقدام الشوق يسبحون

ـ لما تمكّنت المعرفة من قلوب الصالحين أثّرت شدّة الخوف

ـ المحبّ إن تذكّر الربع حنّ، وإن تفكّر في البعد أنّ

● الفصل الخامس والسبعون: ٦١٦

ـ الخلوة مَهْر بكر الفكر وسلَّمُ معراج الهمّة

ـ قطع العلائق أصل الأصول لتحقيق الوصول

ـ لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق

ـ الإقرار بالإفلاس غنى، والاعتراف بالخطأ إصابة

ـ كفى بطول الرقدة في القبور رقاداً

● الفصل السادس والسبعون: ٦٢١

ـ المقصّر عن طلب الزاد كيف يدرك المعالي بغير اجتهاد؟

ـ لما صفت خلوات الدجى فاز الأحباب بالفوائد

ـ ثوّرت في الليل الحداة، وربطت أحمال الأعمال

ـ أحوال المحبّين في قيامهم الليل

● الفصل السابع والسبعون: ٦٢٥

ـ إذا هبّت رياح المواعظ أثارت من قلوب المتيقظين غيم الغم

ـ بكاء المحبين رغبة ورهبة

ـ البكاء لأجل الذنوب مقام المريد، وعلى المحبوب مقام العارف

ـ المحب مع بذله الروح لا يرى ما بذل ثمناً لما طلب

● الفصل الثامن والسبعون: ٦٣١
ـ المحب يهيم في كل واد، يصبح على القلق، ويمسي على الحُرق
ـ مقاساة الخلق ظلمة، والحبيب يتجلّى في خلوة
ـ المحبة نزالة، وقوّتُها المُهَج
ـ المحب إذا أقلقه الحب ضجّ، وإذا أرَّقه الشوق عجّ
ـ أشد ما على المحب من مقاساة الحب سماع اللوم
● الفصل التاسع والسبعون: ٦٣٧
ـ سماع أخبار المتقين تحثّ على السير في سِربهم
ـ قلب المحبّ تحت فحمة الليل جمرة، كلما هبَّ النسيم التهبت
ـ شيمة المحب لا تخفى، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب
● الفصل الثمانون: ٦٤١
ـ من رأى قلبه مال إلى الهوى ذكره العقاب ليستقيم
ـ إن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تنل
ـ مظاهر من لطف الله بضعفاء خلقه
ـ من تلاعبت خوادع الآمال ببضائع عمره صار مفلساً
ـ لما علم المحبون أن الصبر محبوب الحبيب شمّروا لحمل البلاء
● الفصل الحادي والثمانون: ٦٤٦
ـ مَنْ أحرم عن الحرام بنزع مخيط الهوى راعى القدر ضعف كسبه
ـ مراتب المصلين في معارج الصلاة
ـ في خلوات التلاوة تُـزَفُّ أبكار المعاني
ـ مَنْ أحبّ المخدوم حضر قلبه في الخدمة
● الفصل الثاني والثمانون: ٦٥١
ـ العجب ممن يرى فعل الموت بصحبه ثم ينسى قرب نحبه
ـ سعد من تدبَّر، وسلم من الأذى من تصبّر
ـ المحرمات حرم، ونظر المملوك إلى حرم المالك من أقبح الخيانة

- من سعى إلى جناب العزّ بأقدام المسكنة لم يعد بالخيبة
- صدور العلم من عامل به كالعربية ينطق بها البدوي
● الفصل الثالث والثمانون: ٦٥٦
- العارفون يخافون دخول الزيف في أعمالهم والمخلطون على بساط الأمن
- المحبون شغلهم حب مولاهم عن لذات الدنيا
- سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة
- الصالحون إذا ناموا توسّدوا أذرع الهمّ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق
● الفصل الرابع والثمانون: ٦٦٠
- مَنْ تذكّر ركوب الجنازة وطول المفازة أعدّ الراحلة والزاد
- إذا تلاقحت غروس المجاهدة تلاحقت ثمار المدائح
- أشراف الأوصاف أوصاف الأشراف، وسادات العادات عادات السادات
- المحبون مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون
- من يجوز بنادي المحبة يرى المحبين كالفَراش تحت النيران
● الفصل الخامس والثمانون: ٦٦٦
- من لم يلتزم أسلوب المعاتبة ودستور المحاسبة باء بالخسارة
- بحر الوجود قد جمع الفنون، فالعلماء جوهره، والعباد عنبره
- لا تحتقرن يسير الطاعات، فالذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبل
● الفصل السادس والثمانون: ٦٧١
- المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه
- من اغترّ بحبة الفخ نسي خنق الشَّرَك
- لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل
- من صابر مشقة الطريق انتهى سفره إلى جنات عدن
- ثمن المعالي جدّ الطالب، والفتور داء مُزمن
● الفصل السابع والثمانون: ٦٧٧
- غفلة المؤمن عن المساءلة دون يقين بالنجاة غرور

- ما في المقابر من دفين إلا وهو متألم من (سوف)
- منام المنى أضغاث، ورائد الآمال كذوب
- المجاهدة حرب لا يصلح لها إلا بطل
- لا تصح توبة من تاب بلسانه والإصرار ملء قلبه
● الفصل الثامن والثمانون: ٦٨٢
- أيام العافية غنيمة
- الخاسر من سجن عقله في مطمورة هواه
- خفيت العواقب على المتقين ففزعوا إلى القلق
- العارفون غائبون عند ذكر الدنيا، حاضرون عند ذكر الآخرة
- العالم المحقق يعتصر من كروم المعارف أكرم المعاني
- من جلس في كسر الانكسار فتح له باب الوصول
● الفصل التاسع والثمانون: ٦٨٧
- آه من نفس تقبل على عدوّها، وتبادر إلى ما يؤذيها
- من بعث قلبه وراء كل هوى عسر عليه حضوره في الصلاة
- العبارات حظ النفوس، والإشارات قوت القلوب
● الفصل التسعون: ٦٩٣
- لا يطعمنَّ البطَّال في منازل الأبطال، فلذة الراحة لا تنال بالراحة
- أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذِّب
- ليس الواعظ كالإبرة، تكسو غيرها وهي عريانة
● الفصل الحادي والتسعون: ٦٩٨
- سلب الآباء، وأخذ الأجداد، يُنَبِّه على إعداد الزاد
- نزول آدم إلى ميدان التعبّد، صعود في ميدان المجاهدة
- كلام المُذَكِّرين إذا سلم من بدعة كان قوتاً للنفس
● الفصل الثاني والتسعون: ٧٠٤
- أَوْلى مَنْ بكى على أقاربه الأموات أن يبكي على نفسه

- من لاحت الغاية لعين شيبه صاح بخيل المبادرة
- سطرت قدرة الصانع في ألواح التكوين عجائب الصنعة
- مَنْ تلمَّحَ آثار الحبيب على وجوه الصالحين رأى سطور القبول بمداد الأنوار
● الفصل الثالث والتسعون: ٧٠٩
- النهار يزيد في كرب المحب، والليل يشكفها في السحر
- شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق
- كلما قوي حامل المحبة زيد في حمله
- تمكن الحب في قلوب المحبين أخرجهم إلى الوَله
● الفصل الرابع والتسعون: ٧١٤
- باب البقاء في الدنيا قد سُدّ
- مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تروي الظامئين
- مَنْ خُلِقَ للعلم شفّ جوهره من الصغر
- فواكه الألفاظ اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة لا تُثمّن
● الفصل الخامس والتسعون: ٧١٨
- العجب من فطِن غرَّ به سرابٌ يلمع
- الدنيا دار كدر بذلك جرى القدر
- العارفون علموا قرب الرحيل فهيؤوا آلة السفر
- للمعاهد عهد كلّما تذكّره الصبّ صبّ الدموع
● الفصل السادس والتسعون: ٧٢٣
- من أراد استقامة نفسه سلمها إلى رائض العلم
- من علم بعواقب الجنايات تاب منها وعافها قبل الممات
- إيثار ما يفنى على ما يبقى من أشد المرض
- تخايل الصالحون لذة الصواب فسهلت عليهم مرارة الصبر
● الفصل السابع والتسعون: ٧٢٨
- مَنْ ركب الهوى هوى به، ومن استعمل التقوى تقوّى بها

ـ مَنْ حائطُ باطنه خرابٌ ما نفعه عمارة ظاهره

ـ ثقِّف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك

● الفصل الثامن والتسعون: ٧٣٤

ـ مَنْ عرف ما بين يديه من الأهوال لم يؤثر هواه

ـ ما جرى على العصاة يكفي عظة

ـ مَنْ احتقر معصية لصغرها فربّما أحرقه شررها

ـ وَحْلُ المخالطة يُلزم المهذب رفع أذيال قميص الدين

ـ من الأموات مَنْ تحيا بذكره النفوس، ومن الأحياء مَنْ تقسو برؤيته القلوب

ـ تحت شجرة طوبى مستراح العابدين

● الفصل التاسع والتسعون: ٧٤٠

ـ مَنْ هوَّن أمر الدنيا عليه هانت

ـ مَنْ دام على سلوك الجادة وصل وإن طال المسير

ـ النظر في تصاريف الأقدار أقلق قلوب العارفين

● الفصل المئة: ٧٤٥

ـ العجب ممن ينفق العمر النفيس في نيل الهوى الخسيس

ـ المستيقظ بعد فوات الوقت ينظر إلى نفسه بعين المقت

ـ لولا صبر المضمر على قلة العلف ما قيل: سبَّاق

ـ مَنْ لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه

● الفصل الأول بعد المئة: ٧٥٠

ـ الموت مُقاتل يقصد المقاتل

ـ الدنيا غدّارة وبرد لذاتها حرارة

ـ خلوة المحبين بالحبيب تشغلهم عن ما يطيب

● الفصل الثاني بعد المئة: ٧٥٤

ـ أرباب الأماني والأمل أخذوا بين سكر الهوى والثَّمَل

ـ مَنْ جاز على القبور بقلب حاضر رأى ما فعلت بكلّ وجه ناضر

ـ منادي القبول على منازل الوصول يقول: (سارعوا)

● الفصل الثالث بعد المئة : ٧٥٨

ـ الأيام طرق الجدّ، والساعات ركائب المجد

ـ مَنْ جاز قنطرة الهوى آبَ بتجارة لن تبور

ـ مَنْ كانت عزيمتُه شديدة البرودة لم توقده نارُ المواعظ

● ملحق التراجم .... (٧٦٥ـ٨٣٦)

● الفهارس العامة .... (٨٣٧ـ٩٤٢)

١ ـ فهرس الآيات ٨٣٩

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار ٨٧٧

٣ ـ فهرس الشعر ٨٨٣

٤ ـ فهرس الموضوعات ٩١٥

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٤٣

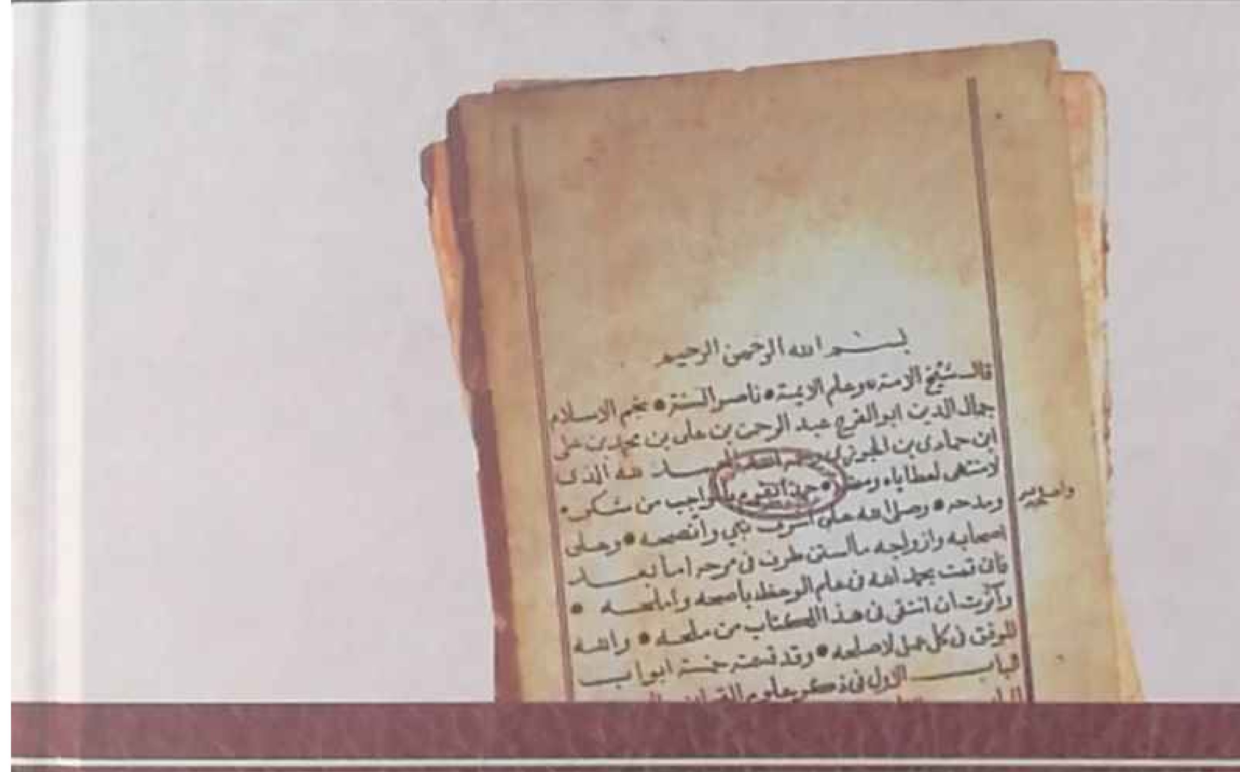
* * *

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

ـ إبراهيم بن أدهم ٧٧٨
ـ إبراهيم النخعي ٨٣١
ـ أحمد بن أبي الحواري .. ٨٣٤
ـ الأسود بن يزيد ٧٧٩
ـ أسيد الضبي ٧٧٦
ـ أويس القرني ٧٧٧
ـ بشر الحافي ٧٨٧
ـ أبو بكر بن عياش ٧٦٩
ـ أبو بكر النهشلي ٧٦٩
ـ بلال بن رباح ٧٨٨
ـ أبو تمام ٧٧٠
ـ ثابت البناني ٨٣٥
ـ جعفر الصادق ٧٨٩
ـ جعفر الطيار ٧٩٢
ـ أبو جندل ٧٧١
ـ الجنيد ٧٧٩
ـ حبيب العجمي ٧٩٢
ـ حجّاج بن فرافصة الباهلي ٧٩٣
ـ حسان بن أبي حسان ... ٨٣٠
ـ الحسن البصري ٧٨٠
ـ الحكم الكوفي ٧٨١
ـ خالد بن زيد الكاتب ٨٣٥
ـ خبيب بن عدي ٧٩٣
ـ خبيب بن يساف ٧٩٣
ـ الخفاجي ٧٨٢
ـ داود بن أبي هند ٧٩٤
ـ أبو الدرداء ٨٢٤
ـ رابعة العدوية ٧٩٤
ـ رباح القيسي ٧٩٥
ـ الربيع بين خثيم ٧٨٢
ـ ابن الرومي (الزاهد) ٨٢١
ـ ابن الرومي (الشاعر) ٨٢١
ـ زجلة العابدة ٧٩٥
ـ السبتي ٧٨٢
ـ سحبان وائل ٧٩٦
ـ سري السقطي ٧٩٦
ـ سعيد بن المسيب ٧٩٧
ـ سفيان الثوري ٧٩٨
ـ أبو سليمان الداراني ٧٧١
ـ الشبلي ٧٨٣
ـ الشريف الرضي ٧٨٣
ـ أبو الشيص الخزاعي ٨١٩
ـ صرّدر ٧٩٩
ـ صلة بن أشيم ٨٠٠
ـ طاووس اليماني ٨٠١
ـ الطفيل بن عمر الدوسي ٧٨٣
ـ أبو الطيب المتنبي ٧٨٦
ـ العاصمي ٧٨٥
ـ عامر بن عبد الله ٨٠٢

- عامر بن عبد الله بن عبد قيس ٨٣٣
- عامر بن قيس الأشعري . . ٨٢٠
- عبد الله المزني ٨٠٢
- العباس بن أحمد ٨٣٢
- عبد الواحد بن زيد ٨٠٣
- أبو عبيدة الخواص ٧٧٢
- أبو العتاهية ٧٦٧
- عتبة الغلام ٨٢٣
- عطاء السليمي ٨٠٣
- العلاء بن زياد ٨٢٩
- أبو العلاء المعري ٧٦٨
- علي بن بكار ٨٣٦
- أبو علي الدقاق ٧٦٧
- عمار بن ياسر ٨٠٣
- أبو عمران الجوني ٧٧٣
- عمران بن حصين ٨٢٨
- عمر بن عبد العزيز ٨٠٤
- عمير بن هانئ ٨٠٦
- العوفي ٧٨٥
- الغزي ٨٣٢
- فتح بن شخرف ٨٠٧
- فتح بن سعيد الموصلي . ٨٠٦
- فتح بن محمد الموصلي ٨٠٧
- أبو فراس الأسلمي ٨١٨
- أبو فراس الحمداني . . . ٨١٨
- فرقد بن يعقوب السبخي ٨٠٨
- الفضيل بن عياض ٧٨٦
- أبو قلابة ٨٣٢
- قيس بن ذريح ٨٠٩
- كثير عزة ٨٠٩
- كهمس بن الحسن التميمي ٨٠٩
- ابن أبي ليلى ٧٧٨
- ليلى الأخيلية ٨١٠
- ماهان الحنفي ٨٢٧
- معاذ بن جبل ٨١٤
- محمد بن كعب القرظي . ٨٣٠
- محمد بن المنكدر ٨١٠
- محمد بن النضر ٨١١
- محمد بن واسع ٨١١
- ابن مرزوق ٧٧٩
- مسروق بن الأجدع . . . ٨١٢
- مسلم بن يسار ٨٢٠
- مصعب بن عمير ٨١٣
- مطرّف بن الشخير ٨١٣
- ابن المعتز ٧٧٩
- منصور بن المعتمر ٨١٥
- مهيار الديلمي ٧٨٧
- أبو نواس ٧٧٣
- ذو النون المصري ٨٢٧
- هشام بن حسّان ٨١٥
- وهب المزني ٨١٦
- وهيب بن الورد ٨١٧
- يحيى البكاء ٨١٧
- يحيى بن معاذ ٨١٧
- أبو يزيد البسطامي ٧٧٦
- يزيد الرقاشي ٨١٧

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الإمام ... ناصر السنة ... نجم الإسلام
جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

ISBN 978-9933-29-003-X
9 789933 290030